منبر الإسلام

العدد ١١ السنة ٢٢ ـ ذو القعدة ١٣٨٤ ـ ٤ مارس ١٩٦٥

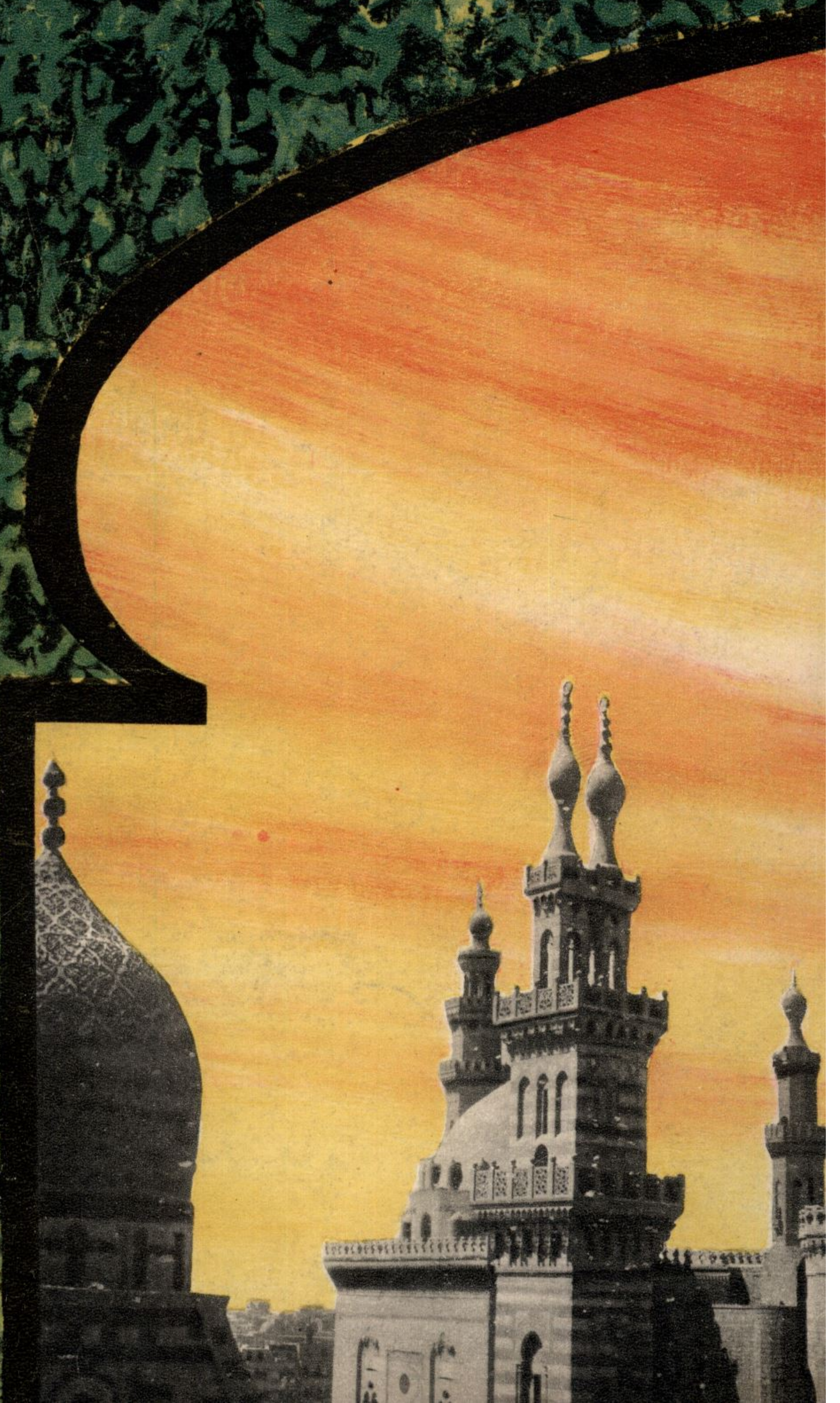

الثمن ٥ قروش

خطاب السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى عيد الوحدة السابع

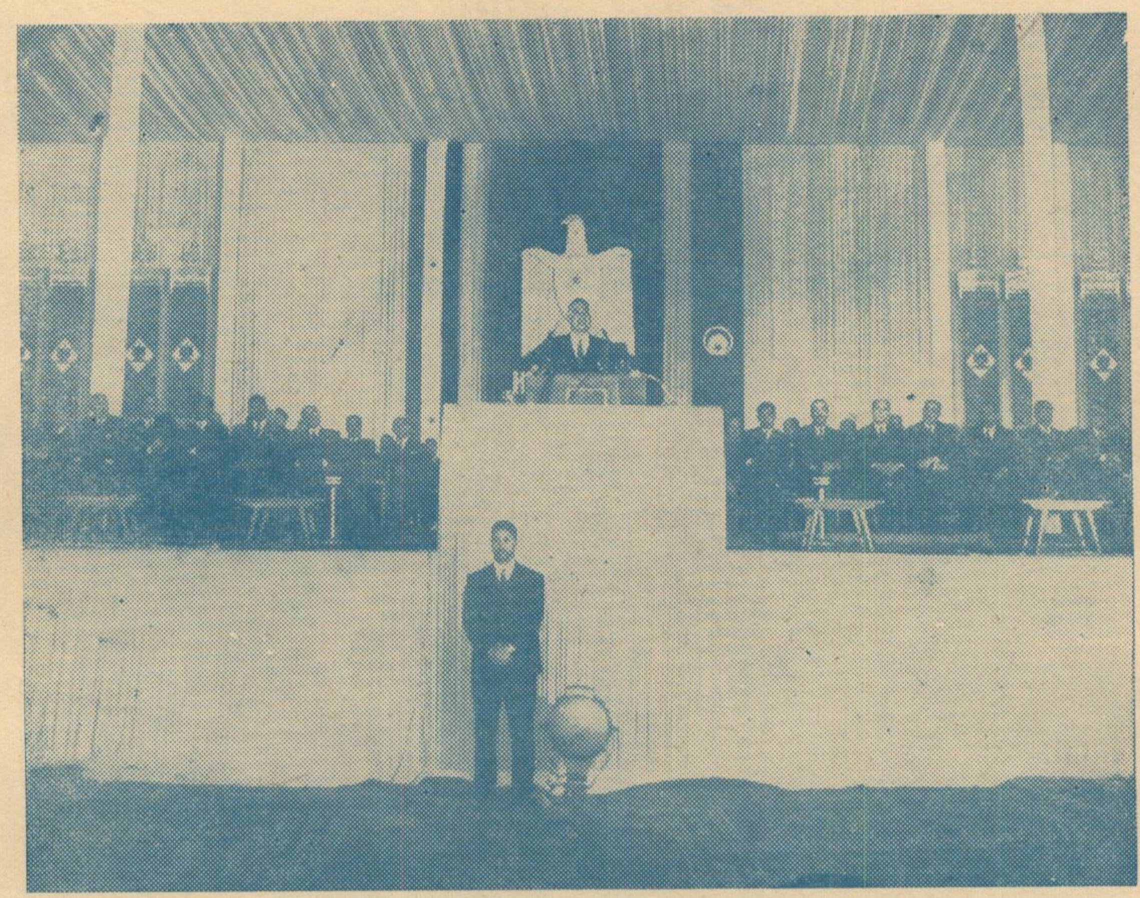

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطابه التاريخى فى عيد الوحدة السابع

أخطر سنة فى النضال العربى

أرسلنا قوات مصرية إلى العراق بمجرد طلبها
ولا فرق بين جندى مصرى وجندى عراقى

لم تستطع المانيا أن تفعل شيئا
أمام اتحاد كلمة العرب

أيها الاخوة المواطنون ..

اهنئكم بالعيد السابع للوحدة بذكرى هذا اليوم العظيم فى سنة ١٩٥٨ حين استطاعت الامة العربية بارادتها الحرة مرة بعد محنة التجزئة التى اقامها وفرضها الاستعمار ان تغير خريطة الشرق الاوسط ، وان ترفع الحواجز بين مصر وسوريا ، وان تقيم على البحر وفى الجو جسورا ممتدة تمشى عليها الصلات الطبيعية الازلية لتعوض ذلك الانقطاع الذى صنعه الاستعمار حين زرع اسرائيل فى قلب الامة العربية وفى وسطها بقصد عزلها شرقا وغربا عن بعضها لمنع وحدتها الى جانب استمرار تهديدهم .

ان ذلك اليوم « يوم الوحدة » ايها الاخوة يستحق لاخر الزمن ان يبقى عيدا يحتفل به ونقطة تحول يتطلع اليه الكفاح القومى بالاعتزاز والاستلهام وحافزا يوجه ويحرك تيار التاريخ لكى يصل الى الأمل العربى الأول متجاوزا جميع الأزمات الطارئة والنكسات والعقبات والمؤامرات .

ان الأيام العظيمة الخالدة فى النضال الانسانى يبقى لها دائما اشعاعها بحكم ما تجمع فيها وما تحقق وما تأكد وليس يؤثر فى قوة الاشعاع أن يواجه النضال عقبة على طريق أو عثرة .. بالعكس ، فاننا نعتقد ان مثل هذه العقبات والعثرات تجعل الحاجة الى يوم الاشعاع المضىء اكثر واشد . تعطى هذا اليوم ما هو أكثر من مجرد اعتباره يوما للذكرى .. فهى تجعله أيضا يوما للتذكير .

ان العقبات والعثرات لا تفرغ يوم الذكرى من معانيه ورموزه ولكنها بالتذكير تشحن طاقات جديدة لمواصلة الكفاح .

ان حلم الوحدة ليس بالأمل الميسور أو أو السهل تتطلع الشعوب العربية اليه لا يجعل تحقيقه عمليا تلقائيا أو هينا .. ان مجرد تطلع شعوب الامة العربية اجماعا الى وحدتها الحتمية معناه حتما ان جميع اعداء الوحدة سوف يتكتلون جميعا مهما كان بينهم من خلافات جزئية لمقاومة الخطر الذى يخشونه .. الاستعمار يعادى الوحدة منذ القدم على مر السنين . كان الاستعمار هو الذى يركز التجزئة وهو الذى يغذى التجزئة، وهو يعمل على التفرقة ،كان الاستعمار يريد دائما أن يتعامل مع الامة العربية على أساس أنها امة متفرقة كل دولة على حدة . كان الاستعمار متعاملا مع الدول العربية التى قسمها وجزأها واحتلها واستعمرها دولة دولة . يحاول أن يفرق بين الدول ويحاول أن يقيم بينها الخلافات ، كان الاستعمار ضد توحيد الكلمة .. مش بس ضد الوحدة . كان ضد توحيد كلمة العرب لأن توحيد كلمة العرب رغم الحدود المصطنعة كانت تمثل دائما قوة كبرى تستطيع بل استطاعت على مر السنين وعلى مر الزمن ان تتصدى للاستعمار .

وكنا هنا نفهم فى مصر رغم الحدود المصطنعة ورغم الاستعمار البريطانى ورغم كل هذا ورغم رصاص الانجليز حينما كانت تهب تونس للثورة كنا نخرج جميعا وننادى بحرية تونس وننادى بحياة زعماء تونس .. كان هذا تعبيرا عن الوحدة العربية الحقيقية التى آمنت بها الشعوب فى قلبها وفى روحها وفى نبضها ، وفى سنة ٥٦ حينما تعرضنا للعدوان الثلاثى فى هذه السنة هبت الشعوب العربية فى كل مكان تساندنا رغم الحواجز ورغم الحدود المصطنعة

لن يستطيع الاستعمار والرجعية أن يعيدوا الإمامة إلى اليمن

كان الاستعمار دائما يحاول أن يفرق الكلمة ولكنه لم يستطع لأن كلمة الأمة العربية كلمة الشعوب العربية كلها قد أجمعت على مصلحة الأمة العربية وعلى حرية الأمة العربية وعلى حق الأمة العربية فى الحياة الحرة الكريمة العزيزة .

على هذا كان الاستعمار دائما اعدى اعداء الوحدة كانت اسرائيل أيضا تعادى الوحدة بل كانت اسرائيل تعادى وحدة الكلمة بين العرب كانت اسرائيل تحاول ان تفرق بين العرب حتى تستطيع أن تهاجم فى الشمال وتجمد فى الجنوب وتهاجم فى الجنوب وتجمد فى الشرق . كانت اسرائيل ضد وحدة الكلمة العربية .

وفى سنة ٤٨ كلنا نذكر اننا حينما دخلنا المعركة فى فلسطين كنا سبعة جيوش عربية تحارب جيش اسرائيل .. ولكن لم تكن هناك وحدة بل لم تكن هناك وحدة الكلمة .. لم تكن كلمة العرب قد اتفقت ولهذا لم ننتصر فى سنة ٤٨ .

كانت اسرائيل تعلم علم اليقين بكلام زعمائها وقادتها ان وحدة العرب بل وحدة الكلمة للعرب تستطيع أن تقضى على اسرائيل . تستطيع أن تمكن العرب من التصدى لاسرائيل ولهذا فان اسرائيل انضمت الى الاستعمار فى معاداة الوحدة العربية .

وكلنا نذكر فى سنة ٥٦ حينما وقعنا الاتفاق العسكرى بين سوريا والاردن ومصر كيف كان رد الفعل فى اسرائيل وماذا قاله بن جوريون فى اسرائيل .. قال بن جوريون ان هذه الاتفاقية العسكرية انما تهدد اسرائيل وتجعل اسرائيل كالجوزة فى كسارة بندق .. ده الكلام اللى قاله بن جوريون .. هذه هى قيمة الوحدة .. وحدة الكلمة أو الوحدة العربية .. هذه هى قيمة الوحدة العربية ثم هذه هى قيمة وحدة الكلمة العربية .. وحدة كلمة العرب .

القوى المعادية للتقدم فى العالم العربى كلها تعادى الوحدة خصوصا بعد أن منحها النضال الشعبى والجماهيرى مضمونا اجتماعيا .. الوحدة تلتقى مع العدالة الاجتماعية .. الوحدة تلتقى مع الاشتراكية ولهذا فان القوى المعادية للتقدم .. الرجعية فى العالم العربى تعادى الوحدة لأن الوحدة معناها انهيار الرجعية وانهيار الاقطاع .. الرجعية فى كل مكان من انحاء العالم العربى تعادى الوحدة لأن معنى الوحدة ونجاح الوحدة ان تنهار الرجعية وأن تنطلق قوى التقدم العربى .

ولهذا حينما أعطت الجماهير الوحدة المضمون الاجتماعى .. المضمون الاشتراكى رأينا كل القوى الرجعية .. كل القوى الاقطاعية تتآمر ضد الوحدة بل تتصدى للوحدة .. لم تصبح هذه القوى الرجعية تجمعا كميا فقط ولكن تجمعا كيفيا أى لم تصبح مجرد عدد ولكن أصبحت مصالح متبادلة أصبحت أهدافا ضد الأمة العربية وضد العدالة الاجتماعية وضد الوحدة .. تحالف الاستعمار مع الصهيونية تحالف الاستعمار مع الرجعية ضد الوحدة .. ده طبعا يخلينا واحنا نتطلع الى الوحدة واحنا بنتكلم على الوحدة واحنا نردد ايماننا واعتدادنا بالوحدة الحتمية واحنا نشعر باجماع الجماهير العربية على الوحدة نشعر أن لنا أعداء يجمعون كلمتهم أيضا للتصدى للوحدة وللوقوف ضد الوحدة .

المصالح الكبرى الأجنبية تعادى الوحدة لأن المصالح الكبرى الاجنبية تعتقد أن الوحدة

التى لها مضمون اجتماعى والوحدة التى لها مضمون اشتراكى لا يمكن أن تسمح للسلب أن يستمر لا يمكن أن تسمح لنهب الثروات أن يستمر . ولهذا نرى أن المصالح الاجنبية كلها تعادى الوحدة .. القوى المستفيدة من التجزئة ولو حتى بأمل الحكم وبأمل المناصب كل هذه القوى تعادى الوحدة .. اذن الشعوب تؤمن بالوحدة .. الشعوب تشعر بحتمية الوحدة ولكن هناك قوى كبيرة تقف بالمرصاد ضد الوحدة .

فعلينا .. علينا أن نستعد حينما نتكلم عن الوحدة .. وحينما ننادى بالوحدة .. وحينما نعلن حتمية الوحدة .. نستعد لنجابه كل هذه القوى .. فى سنة ٥٨ قامت الوحدة بين مصر وسوريا ولكن تصدت لنا اسرائيل تصدى لنا الاستعمار .. تصدت لنا الرجعية العربية تصدت لنا الرجعية فى سوريا تصدت لنا كل القوى المعادية للتقدم .

وكانت منذ اليوم الأول .. من اليوم الاول للوحدة سنة ٥٨ تعمل على طرد الوحدة .. اذن ونحن ننادى بحتمية الوحدة يجب أن نعمل على أن نحافظ على هذه الوحدة يجب أن نعرف من هم أعداء الوحدة .. يجب أن لا نخدع فى أعداء الوحدة .. يجب أن لايخدعونا .. الرجعية العربية والاقطاعية العربية كل هذه القوى تصدت لنا .. تصدت للوحدة التى قامت باجماع الشعب العربى فى مصر .. والشعب العربى فى سوريا سنة ٥٨ ولقد كانت القيمة العظيمة لليوم الذى تحتفل الامة بعيده السابع هو أنه فى ذلك اليوم أثبتت الوحدة العربية أنها أقوى من جميع أعدائها . وأقدر على الحركة السريعة وأقوى على استلام زمام المبادأة وتوجيه تيار التاريخ .. بل وصنع التاريخ .

لأول مرة تغيرت خريطة المنطقة بغيرارادة من الاستعمار بغير مؤتمر من المؤتمرات المشبوهة التى كانت تكرس للتآمر على الامة العربية .

لأول مرة تغيرت خريطة المنطقة وخلقت أوضاعا جديدة من حول العدو فى اسرائيل .. العدو الذى ينبغى أن نذكر دائما أنه ليس الا رأس حربة للاستعمار أو رأس جسر ..

لأول مرة تغيرت خريطة المنطقة بارادة الجماهير وليس بارادة السلطة وكان الشارع هو صانع المعجزة بعيدا عن القصور وبرغم القصور وكان صوت الملايين المتطلعين الى حياة جديدة عزيزة بالحق وبالعدل أعلى من صنع الدولة الجديدة من أصحاب المصالح والمستغلين الذين استمرأوا الحياة الناعمة على حساب شقاء قوى الشعب العاملة الصابرة الصامدة المتطلعة دواما الى مجتمع الكفاية والعدل فى يوم واحد من أعز أيام التاريخ العربى الحديث وأغلاها أن يقوم بعمل واحد مشترك يقتحم الحواجز والموانع ويحبط المؤامرات والخطط ويتحدى جميع أعداء الوحدة . ويصنع دولة الوحدة العربية الاولى الجمهورية العربية المتحدة .

واذا كان اعداء الوحدة العربية هؤلاء الاعداء جميعا قد استطاعوا أن ينظموا صفوفهم بعد اليوم العظيم وأن يحشدوا جيوشا ضخمة من قوى الشر وأن يهاجموا دولة الوحدة فى حرب مضنية نفسية واقتصادية وسياسية ثم يشترون من داخل دولة الوحدة ذاتها بعض عناصر الخيانة لكى تكون الضربة من الداخل طعنة خنجر فى الظهر وفى الظلام .

فان هذا مهما كان نجاحه المبدئى أوالظاهر عمل ضائع مقضى عليه بالفشل قد يعطل المسيرة بعض الوقت لكنه لا يعرقلها .. قد يعوق الوحدة لبضع سنوات لكنه لا يحطمها ، ان دولة الوحدة التى ضربت من الظهر والظلام فى سوريا بقيت فى مصر مرددة نشيدها ، رافعة أعلامها ماضية فى طريقها تناضل من أجل ما هو حق وخير وتناضل بقوة مضاعفة تأكيدا للامل وتعويضا عن النفس .

ولقد كانت للوحدة حتى فى نكساتها قوة تفوق قوى أعدائها مجتمعة ومجتمعين . ان الوحدة حتى وهى فى مرحلة التراجع المؤقت بعد نكسة الانفصال فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ كانت أقوى من أعدائها . فلقد حطمتهم بأكثر مما استطاعوا تحطيمها .

تحالف الاستعمار مع الصهيونية والرجعية والإقطاع والمصالح الأجنبية ضد الوحدة

أين مجموعة المغامرين الذين قاموا بالانقلاب على الوحدة .. أين ذهبوا .. أين قوى الرجعية السورية التى تآمرت على الوحدة لتتخلص منها تخلصا من قوانين يوليو الاشتراكية العظيمة . نقطة التحول الحاسمة فى النضال الاجتماعى الوحدوى .. أين الذين دفعوا الذهب لتمويل المؤامرة .. أين هم جميعا .. وماذا حققوا ؟

ان ضربتهم للوحدة لم تكن قاضية عليها ، لكن الوحدة حتى بالضرب وحتى بعد التراجع وحتى وهى تتراجع استطاعت أن تقضى عليهم جميعا .. ان من أعظم الدلائل على صدق دعوة الأمة العربية أنه حتى الانفصال الذى دبر ضدها لم يستطع الا أن يقوم بدور وحدوى .. سلبى فى ناحية من نواحيه بتوجيه الضربة الى أعداء الوحدة .. وايجابى فى الناحية الاخرى بتعميق معنى الوحدة واغناء النضال الوحدوى بقيم اجتماعية خصبة .

كما قلت لكم أيها الاخوة فان النكسة التى أقاضت نصف دولة الوحدة بالانفصال أحدثت رد فعل عنيف فى نصفها الآخر فى مصر .. ان مؤامرة الانفصال كانت أقوى عملية تاريخية ونكسية عمقت الايمان بالوحدة فى الشعب المصرى .. لم تعمق الوحدة باعتبارها عملا سياسيا فحسب وانما عمقتها باعتبارها فى الدرجة الاولى عملا اجتماعيا .

بعد الانفصال حدث فى مصر ذلك التحرك الضخم الى توضيح الفكر الاشتراكى وتجلى ذلك فى الميثاق الذى أقره المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بعد بضعة شهور من نكسة الانفصال .. وكان ذلك بدوره بداية التحرك الضخم الى العملية الرائعة لبناء الديمقراطية السليمة .. ديمقراطية قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة وحدها فى الاشتراكية .. صاحبة المسئولية وحدها فى بناء الوحدة .

كذلك كان الانفصال دافعا الى الاسراع فى بناء قوة عسكرية ضخمة فى الجمهورية العربية المتحدة لا تجعل العدو فى اسرائيل يتصور أن القوة العربية الرادعة ضده قد تأثرت بالنكسة .. كذلك كان الانفصال حافزا الى مزيد من الدخل لتحقيق خطة التنمية والتطلع الى عصر الصناعات الثقيلة .

ان الدول الكبرى التى تصنعها وحدة الشعوب لا تقوم على مجرد ترديد الشعارات .. ولكن تقوم وتتحقق بالقوة الذاتية العربية فى عصر لا قيمة فيه للدول الا بمقدار عملها الايجابى وقدراتها الخلاقة واسهامها فى التقدم الانسانى العام .. على مستوى الأمة العربية ..

ان محنة الانفصال ساهمت أيضا فى تعليق مفهوم الوحدة ووسائل النضال من أجلها .

هذا أيها الاخوة هو الدرس الذى أخذناه من النكسة والذى أخذناه من الانفصال هنا فى مصر .. هنا فى مصر تعمق شعورنا بالوحدة ازددنا ايمانا بالوحدة ونحن على ثقة بأن الوحدة حتمية ولابد أن تتم قد تتعثر وقد تتعطل بضع سنوات ولكنها حتمية تاريخية لا يمكن بأى حال الا أن تقع .

ولا يمكن بأى حال الا أن تتم ونحن نردد الشعارات بالوحدة .. بالوحدة العربية .. لا بد أن نبنى قوتنا الذاتية .. لا بد أن نبنى الديمقراطية السليمة .. لا بد أن نبنى هنا فى مصر المجتمع ، مجتمع الكفاية والعدل .. المجتمع الاشتراكى ، لا بد أن نحقق ما قلناه فى الميثاق الذى كان ثمرة درس من دروس الانفصال .. لا بد أن نضع هذا كله موضع

التنفيذ .. لا بد أن نبنى وطننا .. لا بد أن نبنى بلدنا ٠

وكما قلت لكم ان دولة الوحدة لم تندثر ولم تنته ولم تضيع فانها باقية هنا فى مصر. باقية باسمها الجمهورية العربية المتحدة .. باقية بنشيدها .. باقية بشعارها .. باقية بايماننا بالوحدة العربية .. الايمان العميق فى قلوبنا .. فى قلوب كل فرد من أبناء هذه الجمهورية العربية المتحدة .. الذى يتجاوب مع ما هو فى قلب كل فرد عربى فى كل أنحاء الأمة العربية ..

ولكننا أيضا بعد النكسة وبعد الانفصال لم نبك ولم نستضعف ، ولم نتخاذل .. بل صممنا على أن نسير فى طريقنا لأن الوحدة لها مدلولها الوحدوى .. ولها أيضا مدلولها الاجتماعى ولها مدلولها السياسى ٠

وعلى هذا سرنا فى طريق بناء الوطن .. سرنا فى طريق بناء القوة الذاتية فى مصر.. سرنا فى خطة التنمية ، سرنا فى الصناعات صناعة الطائرات ، والصناعات الثقيلة ، سرنا فى مضاعفة دخلنا القومى ، لأننا من النكسة ومن الانفصال استطعنا أن نتبين بوضوح من هم أعداء الوحدة من هم أعداء الأمة العربية .. من هم الذين يرغبون فى أن تبقى الأمة العربية ضعيفة مجزأة .. مقسمة .. من هم الذين يريدون أن تبقى الأمة العربية فى مناطق النفوذ .. سرنا نعمل ونعمل من أجل بناء قوتنا الذاتية .. ونحن نعتقد أن بناء القوة الذاتية فى أى قطر من الاقطار العربية هو عمل فى سبيل الوحدة وأن بناء القوة الذاتية فى الأمة العربية سيمكننا من أن نواجه أعداء الأمة العربية الذين عملوا على الانفصال .. الرجعية العربية والاقطاع العربى .. الصهيونية ، المصالح الأجنبية .. الاستعمار

سرنا فى هذا واستطعنا أن ننتصر .. واستطعنا أن نحقق انتصارات فى داخل وطننا وفى داخل بلدنا رغم الدعايات ورغم الحرب النفسية ... احنا اتعرضنا لدعايات لا أول لها ولا آخر .. اتعرضنا لحرب نفسية لا أول لها ولا آخر .. ماهو هدف هذه الدعايات ؟ هدف هذه الدعايات أن يظهر للامة العربية أن العمل الاشتراكى لا يقدر له النجاح .. وأنا أقول اننا نجحنا رغم أنف الاستعمار ورغم الحصار الاقتصادى ورغم الحرب النفسية ٠

وما هو النجاح ؟

النجاح هو أن يوفر لكل فرد من أبناء هذه الأمة العمل الشريف .. العمل الكريم .. العمل الحر .. ما هو النجاح ؟ النجاح هو أن تكون موارد هذه الأمة لأبناء الأمة جميعا .. ما هو النجاح ؟ النجاح حينما نتكلم عن الكفاية والعدل .. وحينما نتكلم عن العدالة الاجتماعية .. ألا تكون هناك قلة تأخذ كل ما تنتجه هذه البلاد لمصلحتها ، وكثرة تتسول الفتات .. النجاح هو أن يكون لكل فرد من أبناء هذه الأمة .. كل فرد ممن صنعوا الاستقلال وممن صنعوا الحرية .. وممن صنعوا الجلاء .. وممن صنعوا الوحدة، فى سنة ١٩٥٨ ، نصيب عادل فى ثروة هذه الأمة ٠

النجاح هو أن تكون العدالة الاجتماعية لأبناء الوطن جميعا .. أن تكون حقيقة واقعة .. لا كلاما يقال .. ولا عبارات براقة .. النجاح هو أن نعمل من أجل قوى الشعب العاملة التى نص عليها الميثاق بتحالف قوى الشعب العاملة ، وهذا هو ما حققناه من سنة ١٩٦١ حتى الآن .. حتى سنة ١٩٦٥ .. منذ ٦١ حتى ٦٥ ونحن نعمل على تعميق هذه القيمة فى صفوف مجتمعنا بكل الوسائل ، وبكل الطرق .. زدنا من دخلنا القومى .. زدنا من الاجور ، زدنا من العمالة ، زدنا من العمل فى كل ميدان ٠

هذا أيها الاخوة هو عمل فى طريق الوحدة .. هذا أيها الاخوة هو عمل فى طريق القوة الذاتية ٠

فى سنة ١٩٥٢ حينما قامت الثورة كان الدخل القومى ٧٩٠ مليون جنيه ، فى سنة ٦٣ ـ ١٩٦٤ السنة اللى فاتت الأرقام اللى وصلنا اليها ١٦٤٨ مليون جنيه .. زاد الدخل القومى من ٧٩٠ مليون جنيه الى ١٦٤٧٫٨ مليون جنيه ٠

اذا اعتدت اسرائيل على لبنان

ستدخل مصر وكل الجيوش العربية

الانتاج القومى فى سنة ١٩٥٢ .. كان الانتاج القومى لمصر ١٨٢٤ مليون . فى سنة ٦٣ – ٦٤ أى السنة الرابعة من الخطة وصل الانتاج القومى الى ٣٢٩٢ مليون جنيه من ١٨٢٤ مليون جنيه الى ٣٢٩٢ مليون جنيه

الاستثمارات .. أى الأموال اللى بنستغلها كل سنة ..

فى سنة ١٩٥٢ كانت ١٢٤ مليون جنيه.

فى سنة ٦٣ – ١٩٦٤ وصلت الى ٣٧٢ مليون جنيه .

ده العمل اللى احنا بنعمله ، وده البناء اللى احنا بنبنيه .

العمالة : فى سنة ١٩٥٢ كان عدد العمال ٤ر١٠٠ر٠٠٠

فى سنة ٦٣ – ٦٤ وصلوا الى ٧ر٠٨٥ر٠٠٠

الاجور : فى سنة ١٩٥٢ كان مجموع الاجور فى مصر ٣٤٩ مليون جنيه .

فى سنة ١٩٦٣ وصل مجموع الاجور الى ٧٧٠ مليون جنيه .

ليه بقول هذه الأرقام .. الفرق بين الاجور اللى كانت سنة ١٩٥٢ اللى ٣٤٩ مليون جنيه والاجور اللى كانت فى سنة ٦٣ – ٦٤ : ٧٧٠ مليون جنيه كانت بتروح فين .. هذا الفرق كان بيروح أرباح .. كانت البلد تعيش لخدمة فئة قليلة من الناس .. وكانوا يسمون هذا ديمقراطية .. كانت ديمقراطية مزيفة كانت ديمقراطية الرأسمالية .

النهارده الاشتراكية بتبين قد ايه انتقلنا من ٥ر٤ مليون الى ٧ مليون عامل .. انتقلنا فى الاجور من ٣٤٩ مليون جنيه الى ٧٧٠ مليون جنيه ..

الاستهلاك : الأموال اللى كانت الناس بتصرفها فى الاستهلاك .. فى سنة ١٩٥٢ كان مجموع الناس اللى فى مصر بيصرفوا ٦٣١ مليون جنيه .. فى سنة ٦٣ – ٦٤ وصل الاستهلاك الى ١٤٦٥ مليون جنيه .. ده العمل اللى احنا بنعمله .

بيقولوا طبعا ان احنا عندنا أزمة زى ما قلت فى كلامى فى أسوان ، وبيقولوا ان احنا عندنا أزمة اقتصادية خانقة .. طبعا هم عايزينا لا نسير فى خطتنا .. عايزينا لا نسير فى التصنيع عشان نستورد البضائع منهم .. عايزينا نبقى متخلفين .

ولكن الخطة القادمة ستكون خطة للصناعة الثقيلة .. خطة لصناعة المصانع .. سنضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات زى ما قلنا .. وسنضاعف مرة أخرى فى عشر سنوات أو أقل .

هذا هو العمل الدائم .. هذه هى القوة الذاتية التى نريدها .. وأنا أعتبر أن هذا هو السير فى طريق الوحدة العربية .. لأن المصالح الأجنبية موجودة والقوى الاستعمارية تقاومها لأنها تعلم أن الوحدة معناها مفاهيم اجتماعية جديدة .. ثم تقاوم أيضا التقدم ، وتقاوم أيضا التطور .

احنا النهارده واحنا نعمل هذا فى بلادنا ، نعمل على أن نوفر لكل فرد عمل شريف .. نعمل أن نزيد الرقعة الزراعية . نعمل على أن نزيد الصناعة .. نعمل على أن نتوسع فى جميع ميادين التصنيع .. الصناعات الخفيفة والصناعات الثقيلة .. نزيد ثروة بلدنا .. فى الزراعة ونزيد ثروة بلدنا فى الصناعة أيضا .. ونعطى كل فرد حقه فى العمل الحر الشريف .. ونعطى كل فرد حقه ونصيب عادل فى ثروة بلده .. بهذا نبنى بلدنا .. وبهذا نقوى بلدنا وبهذا نقوى كل المفاهيم التى ننادى بها ..

وكانت النكسة التى واجهتنا سنة ١٩٦١ كانت هذه النكسة داعيا لنا على أن نعلن الميثاق ٠٠ ميثاق العمل الوطنى ٠٠ ثم نعلن ٠٠ سرنا فى خطتنا وتصميمنا على أن نضع هذه الخطة موضع التنفيذ حتى نستطيع أن نكون فعلا قوة فعالة فى هذه المنطقة من العالم ٠

هذا على مستوى الجمهورية العربية المتحدة على المستوى المصرى ٠٠

نبنى ونصنع ونعمل ولكن نعمق مفهومنا بالنسبة للوحدة العربية ونعمق ايماننا بالنسبة للوحدة العربية ٠٠ ثم نتعاون مع جميع الدول العربية من أجل الوحدة العربية ومن أجل وحدة الكلمة ٠٠

ده اللى حصل فى سنة ١٩٦١ على مستوى الأمة العربية كلها ٠٠ محنة الانفصال ساهمت فى تعميق مفهوم الوحدة ووسائل النضال من أجله ٠٠ طبعا أصبح من الظاهر ومن الواضح أن الانفصال مستحيل ٠٠ والوحدة هى الغد الحتمى ٠٠ الرئيس بورقيبة قال ان الوحدة هى الغد الحتمى يكفينا أن يكون الاجماع عليها ٠٠ لا بد أن يكون الاجماع على الوحدة ٠٠ الوحدة هى وحدة الهدف اذا استطعنا أن نوحد هدفنا نوحد كلمتنا ٠٠ اننا بهذا نسير فى طريق الوحدة ٠٠ نستطيع أن نتصدى للاستعمار ٠ نستطيع أن نتصدى لاسرائيل ٠٠ قدامنا المثل القريب اللى حصل فى الأسبوع الماضى حينما هددت ألمانيا ٠٠ هددتنا لأننا اعترضنا على اهدائها الأسلحة لاسرائيل ٠٠ حينما اتحدت كلمة العرب فى كل بلد عربى ٠٠ حينما اتحدت كلمة العرب لم تستطع ألمانيا أمام وحدة كلمة العرب أن تفعل شيئا ٠٠

هذه هى قوتنا ٠٠ قوتنا فى وحدتنا ولا بد أن يكون هناك وحدة للهدف ٠٠ أيضا ان الجماهير هى صانعة الوحدة ٠٠ عبد الناصر مش هو صانع الوحدة ٠٠ ولا أى واحد هو صانع الوحدة ٠٠ الجماهير فى كل بلد عربى هى صانعة الوحدة ٠٠ لابد من الاجماع ٠٠ ولا بد للجماهير من أن تصنع الوحدة ٠٠ كما حصل فى سنة ١٩٥٨ ، احنا لم نصنع الوحدة فى سنة ١٩٥٨ ٠٠ جمال عبد الناصر لم يصنع الوحدة فى سنة ١٩٥٨ ٠٠ اجماع الجماهير العربية فى سوريا ومصر هى التى صنعت الوحدة ٠٠ فى سنة ١٩٥٨ واجماع أعداء الوحدة العربية ٠٠ الاستعمار والصهيونية والخيانة والرجعية العربية ٠٠ هذا الاجماع هو الذى صنع الانفصال وصنع الانتكاسة ، فى سنة ١٩٦١ ٠٠ وهذا أيها الاخوة هو درس الوحدة وهذا هو درس الانفصال ٠

الانفصال مستحيل ، والوحدة هى الغد الحتمى ٠٠ الوحدة هى وحدة الهدف ٠٠ الجماهير هى صانعة الوحدة ٠٠ تجلى ذلك فى كل التطورات الضخمة فى العالم العربى ، بعد الانفصال وبعد ما أعطاه من الفوائد الايجابية برغم سلبيته لقضية النضال العربى الشامل ٠٠ الجزائر ٠٠ استقلت الجزائر ٠٠ وقامت دولة عربية جديدة ٠ كانت فرنسا تعتبر الجزائر من فرنسا ٠٠ ولكن رأينا الجزائر قد استقلت وأصبحت عضوا فى الأسرة العربية لها ثقلها ولها وزنها ٠٠ ولها قيمتها ٠٠

قامت الثورة فى اليمن وانتهى حكم الامامة وقامت الجمهورية فى اليمن ٠٠ وحينما واجهت الثورة المؤامرات الرجعية ، حينما واجهت الثورة العدوان لم نتوان عن أن نقوم بالواجب وأرسلنا قواتنا المسلحة الى اليمن لتقوم بأشرف واجب بلا ثمن ٠٠ بلا ثمن الا الشرف العربى ٠٠ بلا ثمن الا وحدة النضال العربى ٠٠ واستطاع الجندى المصرى أن يضرب أروع الأمثلة ، فى الشجاعة والتضحية والفداء ٠٠ واننا نساند الجمهورية اليمنية، نساندها ونساند رئيسها الرئيس عبد الله السلال ٠٠ ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعود التاريخ الى الوراء ٠٠ التاريخ تطوره حتمى ٠٠ التاريخ يسير نحو التقدم ٠٠ الامامة هى التقهقر وهى القرون الوسطى ٠٠ الجمهورية هى التقدم ٠٠ هى العدالة الاجتماعية ٠٠ واليوم قامت الجمهورية فى اليمن ولم تستطع أى قوة من القوى ٠٠ لا الاستعمار ٠٠ ولا أعوان الاستعمار ٠٠ ولا الرجعية أن تؤثر فى الجمهورية ٠٠ الجمهورية باقية ما بقى التاريخ ٠٠ وما بقى

يجب أن نكون على استعداد لمجابهة القوة بالقوة

الزمن لأنها التقدم ، لأنها الثورة ٠٠ الثورة على الاستعمار .. والثورة على التخلف .. والثورة على الرجعية ٠٠ ولا يمكن للرجعية أن تبقى فان أمة العرب تتجه الى الأمام ٠٠ تتجه الى التقدم ٠٠ تتجه الى التطور ٠٠ ولهذا نرى الاذاعات الاستعمارية تحاول أن تزين لنفسها أن الامام يحارب فى داخل اليمن .. الامام موجود على حدود السعودية. يشترى بعض الناس ويدفع بعض الناس ٠٠ واحنا حاربنا سنتين ونصف فى اليمن ٠٠ لا لشىء الا لأن عندنا قناعة بأننا كدولة عربية متقدمة عليها دين بالنسبة لهذا البلد العربى المتخلف الذى يعيش فى القرون الوسطى ٠٠ وساومتنا بريطانيا ولم نقبل المساومة ٠٠ ورفضنا كل المساومات وسنساند الى النهاية الجمهورية اليمنية حتى تتمكن من أن تقف .

أيها الاخوة المواطنون ٠٠

قضية النضال العربى الشامل ٠٠ هل انتكست ٠٠ لا لم تنتكس ٠٠ ما انتكستش أبدا قضية النضال العربى ٠٠ كان موجود عبدالكريم قاسم فى العراق ٠٠ وكان حرب على العروبة ٠٠ كان حرب على الوحدة ولكن الله ونضال الجماهير ونضال الشعب العربى الباسل فى العراق .

ان هذا النضال استطاع أن يغير .. استطاع أن يبدل الآن العراق ٠٠ عراق عبد السلام عارف .. عراق الطهارة .. عراق الوحدة والمبادىء ٠٠ عراق المثل العليا ٠٠ ولهذا حينما اتفقنا مع العراق على قيام القيادة السياسية الموحدة انما كنا نعبر عن نضال الجماهير العربية فى كل بلد عربى من أجل الوحدة وبالأخص عن نضال الجماهير هنا فى مصر وهناك فى العراق ٠٠ واحنا لينا قوات فى العراق ٠٠ أما طلبت مننا قوات لتذهب الى العراق ٠٠ لم نتردد أرسلنا قوات الى العراق

٠٠ وما الفرق بين الجندى العراقى والجندى المصرى ٠٠ هذا عربى ٠٠ وهذا عربى ٠٠

واننا بهذا نعبر عن ايماننا بالأمة العربية عن ايماننا بالوحدة العربية عن عقيدتنا بحتمية الوحدة العربية .. هذه أيها الأخوة هذه القيم .. أعطت درسا فى قيمة العمل الجماعى .. كنا فى حاجة الى عمل جماعى .. كانت القوى المعادية لنا تعمل وتلعب على الخلافات العربية والتفرقة العربية ٠٠ كانت اسرائيل تخطط وتبنى خططها على الخلافات العربية ٠٠ وعلى أساس التفرقة العربية ٠٠ وكان لا بد لنا أن نعمل من أجل أن يظهر العمل العربى الجماعى ويبان ٠٠ يظهر فى الوجود ٠٠ وكان هذا هو ما دعانى الى الدعوة الى مؤتمر القمة العربى لنواجه اسرائيل ٠٠ لنواجه الاستعمار ٠٠ لنختلف ٠٠ لتختلف الدول العربية أو ليختلف قادة الدول العربية ٠٠ ولكن لتكن هذه الخلافات بطريقة لا تعطى الاستعمار ولا تعطى الصهيونية كلكم كنتم بتسمعوا اذاعات اسرائيل واذاعات الاستعمار كلها كانت تلعب على الفرقة العربية وعلى الخلافات العربية ٠٠ كلنا رأينا كيف أن اسرائيل كانت تستهين بالعرب وتقول خلى العرب يتكلموا ٠٠ يتكلموا ولا يعملوش ٠٠ كلنا شفنا هذا الكلام أن اسرائيل تعمل أما اذا كان العرب كلامهم هو كلام وبس خليهم يتكلموا زى ما هم عاوزين ٠٠ كانت الفرقة العربية وكانت الخلافات العربية ٠٠ ستؤدى الى نكسة عربية أشد من نكسة ١٩٤٨ ٠٠ ليه ؟! لأن احنا فعلا كنا نتكلم بكلام ولا نضع هذا الكلام موضع التنفيذ من سنة ١٩٦٠ تجتمع لجان فى الجامعة العربية وتأخذ قرارات ولا ينفذ أى قرار من هذه القرارات ٠٠ طيب اسرائيل عايزه ايه أكثر من كده ٠٠ الاستعمار عايز ايه أكثر من كده ٠٠ كانت هذه الحالة معناها أننا سنصاب بنكسة أكثر من نكسة

١٩٤٨ ·· وهذا ما دعانى فى آخر سنة ١٩٦٣ الى أن أدعو لعقد اجتماع لرؤساء وملوك الدول العربية ·· وتركت خلف ظهرى كل الخلافات ·· وتركت خلف ظهرى كل الخلافات التى كانت بيننا وبين بعض الدول العربية ··

وكان لا بد لنا كمسئولين من أن نوحد كلمتنا تجاه الاستعمار ·· وتجاه اسرائيل ·· وأن نضع خططنا موضع التنفيذ ·· وعقدت مؤتمرات القمة العربية المؤتمر الأول والمؤتمر الثانى ·· هل نجحت هذه المؤتمرات ·· لقد حققت هذه المؤتمرات أشياء كبيرة ·· وأشياء أخرى ·· أول شيء وأهم شيء وحدة عمل من أجل فلسطين ·· هذا هو أهم شيء ·· كان فيه كلام عن منع تحويل نهر الأردن ·· ولكن اسرائيل حولت نهر الأردن فعلا ·· وكان فيه كلام من سنة ١٩٦٠ فى لجان الجامعة العربية عن تحويل روافد نهر الأردن بواسطة دول عربية ·· ولكن لغاية سنة ١٩٦٣ آخر سنة ١٩٦٣ لم ينفذ أى شيء من هذا ·· مما جعل اسرائيل تستهين ··

النهارده بدأ تحويل روافد نهر الأردن بواسطة دول عربية ·· النهاردة تكونت قيادة عربية موحدة ·· فاذا اعتدت اسرائيل على أى بلد عربى ·· فلا بد لكل البلاد العربية الأخرى أن تتدخل فى الحال فى المعركة ·· النهارده بواسطة هذه الاجتماعات نستطيع أن نقول أن هناك فعلا جيوش عربية موحدة تستطيع أن يكون عندها خطط موحدة لتتصدى للعدو الأساسى لنا وهو اسرائيل ··

ولا تستطيع اسرائيل اليوم أن تهاجم لبنان على أساس أن الباقى بقية الدول العربية لن تتدخل لا ·· اذا هاجمت اسرائيل لبنان فان مصر ستتدخل وسوريا ستتدخل والأردن ستتدخل ··

هذه أيها الاخوة هى نتائج مؤتمر القمة العربى أن نجابه مسئوليتنا ألا نترك اسرائيل تستهين بينا ·· ألا تتكلم اسرائيل وتنفذ كلامها ويتكلم العرب ولا ينفذ أى كلام ·· ده كان الوضع قبل مؤتمر القمة العربى · النهاردة بجمع الكلمة .. كلمة العرب والاتفاق على هدف موحد اتفقنا على وحدة عمل من أجل فلسطين ·· اتفقنا على اقامة قيادة عربية موحدة لأول مرة تشترك جيوش المغرب العربى مع جيوش المشرق العربى وهذا كسب كبير لقضية الوحدة العربية كسب كبير لحتمية الوحدة العربية نتيجة لمؤتمرات القمة العربية قام الجيش الفلسطينى ومنظمة تحرير فلسطين · كل هذه مكاسب ·· كل هذه مكاسب حققتها مؤتمرات القمة حتى لو كانت هناك جوانب لم تتحقق بالقدر الكافى فى تجربة وحدة العمل العربى فان التجربة تستحق الحرص عليها والبذل فى سبيلها ليه كان أعداء العرب يبنون سياستهم على تفرقة العرب ؟؟ ·· ليه وجود اتفاق بالنسبة للنضال العربى الشامل ليحقق قوة الانطلاق وحده ·

فى العام الماضى استطعنا أن نحقق بعض الشيء ·· قد لا نكون قد حققنا كل ما نصبو اليه ولكن العمل العربى اللى كان ضائع اصبحت له خطة · اتفقنا على أن تتخذ الدول العربية كلها موقفها من باقى الدول وفقا لسياسة هذه الدول تجاه اسرائيل ··

أصبحت الدول لا تستطيع انها تفرق الدول العربية وتلعب بالدول العربية ·· وتقول للدولة دى ان أنا حديكى معونة ١٠٠ ألف جنيه وتقفى معانا بالنسبة لقضية اسرائيل ·· لا فيه قرارات وفيه أبحاث بالنسبة لموقف الدول العربية من الدول التى تؤازر اسرائيل ·

موقف ألمانيا الغربية مثلا فى ٩ يناير بحث فى مؤتمر رؤساء وزارات الدول العربية بحث اهداء ألمانيا الغربية السلاح لاسرائيل بحث الموقف العربى الذى يجب أن يتخذ تجاه هذا العمل العدوانى الموجه الى العرب ··

أيها الاخوة ·· أريد أن أقول ونحن فى سنة من أخطر السنوات فى النضال العربى المؤامرات الاستعمارية لن تتوقف ·· اسرائيل تستعد للعدوان ·· اسرائيل حصلت على سلاح من الغرب من ألمانيا ومن أمريكا وتستعد لخطط عدوانية ·· اسرائيل هددت بأننا اذا حولنا روافد نهر الأردن ستقوم بالرد بالقوة ·

يجب أن نكون على استعداد لأن نواجه القوة بالقوة وهذا يستدعى وحدة العمل العربى ·· اسرائيل مش وحدها · اسرائيل تتعاون مع

سنساعد الى النهاية الجمهورية اليمنية حتى تتقدم وتنمو

دول الاستعمار والاستعمار يستطيع أن يفتح لنا جبهات فى أى مكان حيث لا نتوقع ٠٠

ألمانيا على سبيل المثال كنا نتعامل مع ألمانيا على أساس الصداقة بين ألمانيا والأمة العربية مفيش عداوات بيننا وبين ألمانيا ٠٠ أرادت أمريكا أن تدى سلاح لاسرائيل ولكنها لن ترغب فى ان تعطى هذا السلاح مباشرة فأعطته عن طريق ألمانيا ٠٠

احنا بالنسبة لينا ألمانيا هى اللى اعطت السلاح لاسرائيل فنعتبر هذا عمل عدوانى ٠٠ هذا عمل يهدف الى قتل العرب ٠٠ الألمان يقولوا أنهم ادوا هذا السلاح لاسرائيل نتيجة للضغط الأمريكى ٠٠

احنا بنرد عليهم ونقول لهم احنا فاكرين ألمانيا مستقلة ٠٠ هل ألمانيا دولة غير مستقلة يقولو لنا ان ألمانيا دولة غير مستقلة ونتعامل معاها على أساس انها دولة غير مستقلة ٠٠ أما ان تخضع ألمانيا للصهيونية ولأمريكا وتتحجج بأنها أعطت اسرائيل لأن أمريكا ضغطت عليها وأعطتها أسلحة تصل الى مئات الدبابات وعشرات الطيارات ومئات المدافع والعربات المدرعة فاننا لا نستطيع أن نقبل هذا ٠٠

اننا نقول للشعب الألمانى أن الشعب العربى كان دائما ينظر الى ألمانيا بعين الثقة والاعتبار ولكن الحكومة الألمانية خانتنا حينما عقدت الاتفاق السرى مع اسرائيل نتيجة لضغط أمريكا لتعطيها السلاح هدية لتعتدى به على العرب ، ونحن نستغرب كيف يعقد هذا الاتفاق السرى ضد العرب الشعب الصديق لألمانيا وكيف يرضى الشعب الألمانى بهذا العمل ٠٠ كيف يرضى الصهيونية تستغله وتضغط عليه وتبتز أمواله وتأخذ منه كل سنة ٣٧٠ مليون دولار ٠

واليوم نظرتنا الى ألمانيا اختلفت لأن ألمانيا ساعدت أعداءنا وأعطتهم السلاح وهذا يفتح عيننا على أن اسرائيل مش لوحدها ٠٠ الاستعمار قادر فى كل وقت أنه يدى اسرائيل ما تريد ليتعاون معاها ٠٠ اسرائيل بتاخد فلوس من أمريكا ٠٠ تاخد معونات من أمريكا ٠٠ تاخد قروض من أمريكا ٠٠ بتجمع سندات من أمريكا ٠٠ بتاخد أموال من ألمانيا ٠٠ تاخد هدايا سلاح من ألمانيا ٠٠ بتشترى أسلحة من فرنسا ٠٠ بتشترى أسلحة من انجلترا وبعدين فى كل الدعايات بتاعتهم بيقولوا ان احنا اللى بنتسلح وان احنا اللى بنعتدى على اسرائيل ٠٠

اذن اسرائيل تستعد لخطط عدوانية والاستعمار يتعاون مع اسرائيل فى هذه الفترة ونحن فى سنة من أخطر السنوات فى النضال العربى ٠٠ المؤامرات الاستعمارية على الوطن العربى لم تتوقف ٠٠ ولن تتوقف ٠٠

المؤامرات الاستعمارية على العالم العربى لم تتوقف ٠٠ فى الخليج العربى ، فيه مؤامرات والقضاء على عروبة الخليج ٠٠ فى الجنوب المحتل هناك مؤامرات استعمارية بحيث يبقى الجنوب المحتل تحت سيطرة بريطانيا ٠٠ نحن نادينا دائما بحق الجنوب المحتل فى تقرير المصير ٠٠

نادينا بالاستقلال ولكن تحاول بريطانيا بأساليب ملتوية أن تعقد مؤتمرات سياسية لاعطاء الجنوب المحتل استقلال غير متكامل ٠٠ الأمم المتحدة قررت حق تقرير المصير للجنوب المحتل ٠٠ هذه السنة من أخطر سنوات النضال العربى ٠٠ هذه السنة تستدعى منا جميعا أن نكون على درجة كبيرة من اليقظة والوعى ٠٠ نعمل على تحقيق أهدافنا فى الحرية وفى الاشتراكية وفى الوحدة ٠٠ نعمل على أن نجابه الاستعمار ومؤامرات الاستعمار ٠٠ نعمل على أن نبنى قوتنا الذاتية نعمل على أن ندعم قوتنا العسكرية نعمل على أن نقوى التضامن العربى والعمل الجماعى العربى حتى نستطيع أن نتصدى لاسرائيل ولمن هم وراء اسرائيل ٠٠ نقوى أنفسنا ٠٠ نقوى بلادنا ٠٠ نقوى الأمة العربية كلها ٠٠ والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله ٠

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

صدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١١ - السنة ٢٢

ذو القعدة ١٣٨٤ - ٤ مارس ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* معالم الطريق
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* الايمان قوة فى التنظيم الجديد ـ **السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية**
* حديث مع السيد/عبد الوهاب قايد القائم بالشئون القنصلية التونسية والملحق التجارى بالقاهرة
* عبقرية عمر ـ **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* الاسلام والقومية العربية ـ **الدكتور أحمد الحوفى**
* بيعة الصديق ـ **الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* الحديث عن الحسد فى ضوء الدين والواقع ـ **ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* مالايجوز الخلاف فيه بين المسلمين ـ **فضيلة الشيخ** عبد الجليل عيسى
* الحج ـ **الفريق عبد الرحمن أمين**
* اعجاز القرآن فى أصول الأحكام ـ **الأستاذ محمود كمال**
* دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ـ **الاستاذ حسنى عبد المجيد**
* خواطر مستشار ـ **المستشار على على منصور**
* حول تعدد الزوجات ـ **الأستاذ البهى الخولى**
* الكلمة المسلمة ـ **الاستاذ أنور الجندى**
* الزار خرافة ـ **الاستاذ على الجندى**
* انت تسأل والمفتى يجيب ـ **فضيلة الشيخ حسن مأمون**
* بيعة الرئيس ـ **الشاعر عبد الله شمس الدين**

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٢٩٥٦

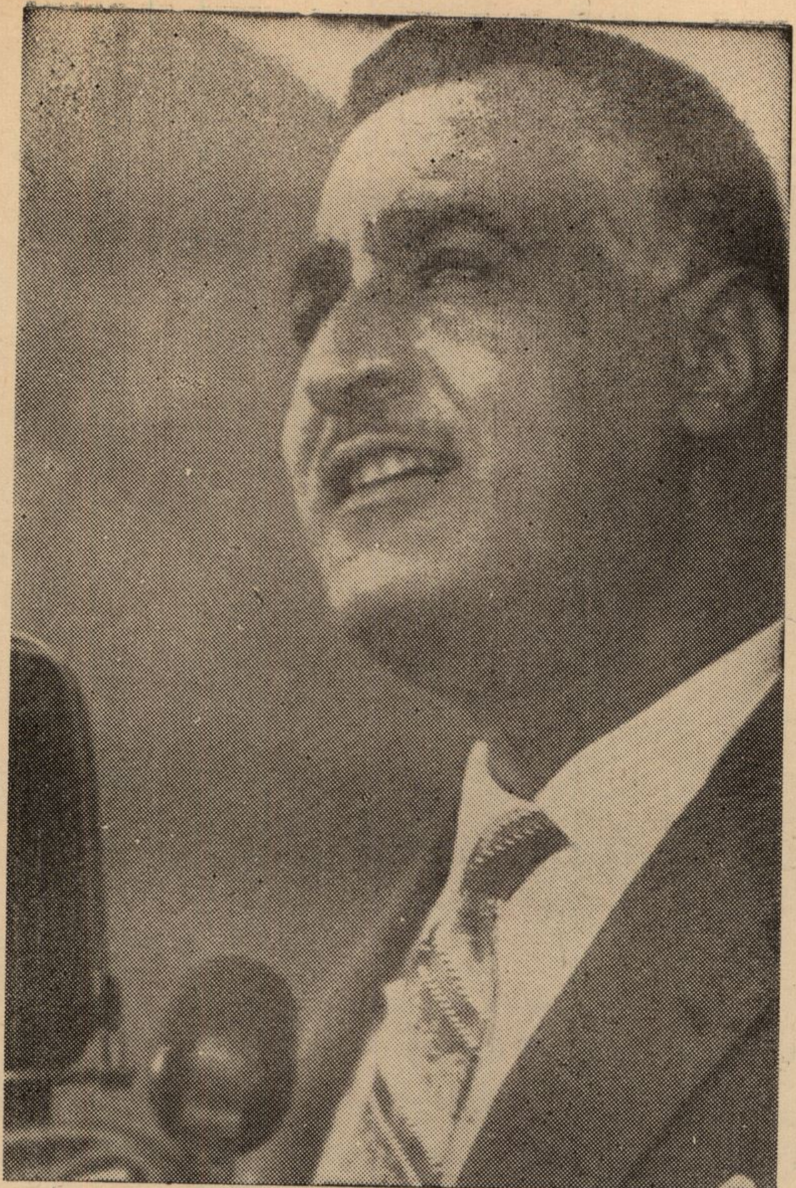

معالم الطريق

نص الحديث بين
السيد الرئيس جمال عبد الناصر
والسفير الالمانى فى القاهرة

بدأ السفير الألمانى فى القاهرة « جورج فيدير » حديثه مع السيد الرئيس جمال عبد الناصر بسؤاله « عما اذا كان صحيحا ما نشر من أن أولبريخت رئيس ألمانيا الشرقية سوف يزور الجمهورية العربية المتحدة ؟ »

وكان رد الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ لقد دعوناه لزيارة القاهرة وقبل الدعوة .

وقال السفير الألمانى :

ـ ولكن ـ يا سيادة الرئيس ـ هذا أمر يؤثر على العلاقات بين بلدينا .

ولقد كنا نأمل أن تتحسن العلاقات ، وكنا مستعدين للتعاون فى خطة السنوات الخمس الجديدة وفى مشروعاتها .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر على الفور :

ـ بالنسبة لنا فان الأمر تقرر ووجهت الدعوة وتحدد موعد الزيارة .

وقال السفير الألمانى :

ـ انى أرجو ـ يا سيادة الرئيس ـ أن تقدروا خطور الأمر بالنسبة لحكومتى ...

ان القاهرة ليست بلدا عاديا ، ومعنى مجىء أولبريخت اليها معنى ضخم .. ان القاهرة هى عاصمة العالم الثالث ، ومعنى أن تفتح لاولبريخت أبواب القاهرة ، ان العالم الثالث كله قد فتح بابه لألمانيا الشرقية وهذا موضوع خطير بالنسبة لنا ..

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ اننى فى دهشة من أنكم تتكلمون عن خطورة ألمانيا الشرقية بالنسبة لكم وتثيرون مسألة زيارة أولبريخت ..

ان خطورة اسرائيل بالنسبة للعالم العربى أشد مائة مرة من خطورة ألمانيا الشرقية على ألمانيا الغربية ، ولم تكتفوا بكل ما فعلتموه لمساعدة اسرائيل بالتعويضات ولكنكم اليوم تضيفون اليه تقديم الأسلحة هدية لعدونا ..

وقال السفير الألمانى :

ـ انكم ـ **يا سيادة الرئيس ـ تكلمتم فى هذا الأمر مع « جيرستنماير » رئيس البرلمان فى ألمانيا الاتحادية** حينما قدم الى هنا لزيارتكم ، وبعد عودته فلقد كان هناك احتمال فى اعادة النظر فى أمر الأسلحة التى نقدمها لاسرائيل، وزيارة أولبريخت قد تضعف هذا الاحتمال وأكثر من ذلك قد تؤثر على فرصة أية معونة قد نقدمها اليكم فى مشروعات خطة السنوات الخمس الجديدة ..

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ دعنى أولا أسألك عن كلمة « المعونة »

اننا لم نأخذ من ألمانيا الغربية أى معونات ، لا من ألمانيا الغربية ، ولا من غيرها ..

لقد اشتركتم فى بعض مشروعاتنا الصناعية ونحن نسدد ثمنها كاملا ، بل وسددنا الجزء الأكبر منها ، وسددنا بفوائد قدرها ستة فى المائة .. فهل تسمى ذلك معونة ؟!

وقال السفير الألمـــانى :

ـ هناك أشياء أخرى غير المشروعات الصناعية قدمناها بغير ثمن !

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ ماذا مثـــلا ؟

وقال السفير الألمـــانى :

ـ لقد قمنا بانقاذ معبد « كلابشة » ٠

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ ذلك مشروع قمتم به ضمن حملة اليونسكو لانقاذ آثار النوبة ، وهو عمل ثقافى ساهمتم فيه مع العالم وتلك ليست معونة للشعب المصرى ولا يمكن وصفها بذلك فى أى مقياس !

وقال السفير الألمـــانى :

ـ لكن زيارة أولبريخت ـ يا سيادة الرئيس ـ قد تصل بنا الى تعقيدات فى موضوع صفقة الأسلحة لاسرائيل ٠

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ دعنى أقل لك بوضـــوح رأيى فى موضوع صفقة الســـــلاح التى أهديتموها لاسرائيل ، ان هذه الصفقة فضلا عن خطرها على الأمة العربية كلها ، تمت بطريقة تسىء اليكم ، ان الطريقة التى تمت بها هذه الصـــفقة « مزرية » وأنا مع الأسف لا أجد كلمة أخرى لوصفها ٠

ان أمرا بهذه الدرجة من الخطورة لا يتقرر بهـــذا الشكل فى دعوة شاى يقيمها أديناور لبن جوريون فى فندق والدورف استوريا فى نيويورك ، ويبقى ما حدث فيها سرا بينما نحن مع الأســـف نصدق تأكيداتكم الرســـمية ، وتصريحاتكم العلنية المتكررة بانكار حدوثها !

ومرت فترة صـمت ، ثم قال السفير الألمانى :

ـ لقد فهمت يا سيادة الرئيس ، من المشير عبد الحكيم عامر ، حينما قابلته منذ أيام بأن زيارة أولبريخت للقاهرة ليس معناها اعترافكم رســـميا بألمانيا الشرقية ، لكنى لم أتلق من سيادتكم مثل هذا التأكيد ٠

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ أخشى أن أقول لك أن الموقف قد يتغير بعد كلامك الآن هنا ٠٠

اذا كانت صفقة الأسلحة مع اسرائيل سوف تستمر فلسوف نعيد النظر فى موقفنا كله وبالقطع سوف نعترف بألمانيا الشرقية ٠

ان مثل هذا القرار ليس موجودا أمامى الآن ولكن تصرفاتكم قد تضعـــه أمامى ، أعنى أن الأمر كله يتوقف على تصرفاتكم ٠٠

انى أرجوك أن تعرف ، وأن تنقل الى الحكومة فى بون أن اهداء السلاح لاسرائيل مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا وبالتالى فهو موضوع نحن فيه على استعداد للوصول الى أقصى مدى ٠٠

واستطرد الرئيس جمال عبد الناصر :

لقد كانت سياستنا الثابتة دائما هى حسن العلاقات معكم لكن العلاقات الحسنة طريق فى اتجاهين ٠٠ وليست طريقا فى اتجاه واحد !

زعماء العالم اليوم الإسلامى ...

الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية فى القاهرة .

فى ٢٦ مارس ١٩٤٦ ـ خرج من تونس مهاجرا الى القاهرة معقل الأحرار ليواصل الكفاح فيها وليعرف بقضية تونس فى المشرق العربى .

وفى ٢٥ مارس ١٩٥٦ ـ تم اعلان استقلال تونس ـ وتولى الحبيب بورقيبة فى ١٧ أبريل سنة ١٩٥٦ مهام رئاسة أول حكومة وطنية دستورية لتونس المستقلة بعد أن أصبح رائدا لأمته ورئيسا للحزب الحر الدستورى ويحمل لقب « المجاهد الأكبر » ..

واليوم .. والقاهرة تستقبل الرئيس الحبيب بورقيبة ضيفا عظيما عزيزا وأخا شقيقا .. نرى الشعب التونسى وقد حقق الكثير من أهدافه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وهو يسير قدما فى انطلاقاته الثورية لبناء مجتمع جديد يتمتع فيه كل مواطن بحق التعليم والعمل والعيش الكريم فى ظل حكم تقدمى اشتراكى يعمل لصالح الشعب .

فى جامعة القاهرة :

وفى حفل جامعة القاهرة ألقى الرئيس بورقيبة خطابا هاما بعد تسلمه درجة الدكتوراة الفخرية قال فيه :

ان الجمهورية العربية المتحدة وتونس تمضيان سويا فى طريق الاشتراكية فى كنف الوحدة والعزة والكرامة .. تحدث باستفاضة عن الاشتراكية والنظم الرأسمالية والمذهب الماركسى ، كما تحدث عن الموقف فى تونس قبل وبعد الاستقلال ـ أعلن الرئيس بورقيبة أن الدفاع عن الاشتراكية يتطلب ردع كل من

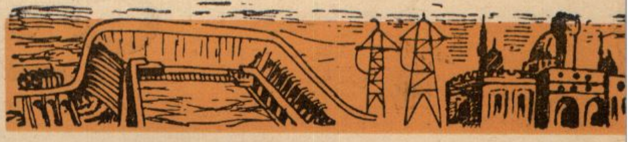

فى القاهرة

تحدثه نفسه بتخريب مكاسب الشعب وقال ان الاشتراكية فى حقيقتها بحث وطلب يقود الانسان لمعالجة الواقع والتغلب على ما فيه من متناقضات وهى خلق مستمر لكل شعب ، وقال انه ليس أخطر على الاشتراكية من بعض القيود المذهبية المجحفة التى تغل أجنحتها وتمنعها من التطور فى حرية وطمأنينة ٠ وقال الرئيس التونسى لقد انتهى عهد الحرية الاقتصادية المطلقة وأصبحت جميع الدول تتدخل فى توجيه الاقتصاد القومى ٠

وأكد أن أهداف الاشتراكية هى القضاء على الاستغلال ونشر الرفاهية الشاملة ٠

وأعرب الرئيس التونسى عن اغتباطه بوجوده فى القاهرة وأشار الى زيارته لمصر أيام الكفاح منذ عشرين عاما ثم الى زيارته الحالية وقال ان كفاح البلدين فى الماضى والحاضر يؤكد وحدة طريقهما فى المستقبل ٠

عند السد العالى :

قضى الرئيس جمال عبد الناصر مع ضيف الجمهورية العربية المتحدة الرئيس الحبيب بورقيبة يوما رائعا عند السد العالى وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابه التاريخى فى احتفال الاتحاد الاشتراكى فى أسوان ٠

وقد رحب الرئيس بالضيف الكبير الحبيب بورقيبة ، قائلا : ((انه يسعدنا جميعا أن يكون معنا على موقع السد العالى مثل هذا الصديق العزيز الذى أتاحت له ظروف جهاده الوطنى أن يعرف مصر قبل الثورة وبالتالى فانه حين يرى هذا العمل من منجزات مصر الثورة سوف يكون شاهدا عدلا على الجهود التى بذلها الشعب المصرى حينما واتته الفرصة ليوجه امكانياته الخلاقة كلها الى عملية اعادة صنع الحياة على أرضه فى جميع المجالات المادية والمعنوية ٠

الرئيس بورقيبة يتحدث عن مصر قبل الثورة وبعدها

وتحدث بعد عبد الناصر ، الحبيب بورقيبة فقارن الرئيس بورقيبه بين مصر التى زارها وعرفها منذ ٢٠ سنة مجاهدا من أجل التعريف بقضية بلاده وبين مصر التى يزورها الآن والتى تتتابع فيها المعجزات يوما بعد يوم ٠ وقال بورقيبة انه عاش فى مصر قبل الثورة وعرف المصاعب والعقد والمحظورات التى استطاع عبد الناصر أن يخلق مصر فى ظروفها ويحقق انتصار الشعب عليها ـ وقال انه لا بد أن يبقى عبد الناصر قائدا مدى الحياة لا لخمس أوست أو عشر سنوات حتى يخدم مصر والأمة العربية كلها ويحقق أهدافها فى العزة والرخاء والوحدة ٠

وفى حديثه عن الاعانات قال : اننا لا نقبل الاعانات وانما أساس تعاوننا مع الشعوب الأخرى هو تعاون الند للند ـ وأشار الى ما شاهده من تماسك قوى الشعب وحماسها وانسجامها وقال ان هذا الحماس والالتفاف والانسجام هو أعظم سد ضد العدوان الخارجى ـ هو أعظم من السد العالى الموجود فى أسوان لأنه سد قلوب الشعب والمشاعر وهو القادر على خلق كل السدود الأخرى وكل العظائم وكل جلائل الأعمال) ٠

٥٥٥

وبعد ٠٠ فان القاهرة ٠٠ عاصمة الشرق العربى وقاعدة النضال ترحب بكل لقاء يزيد التضامن العربى قوة وعزما ٠٠ وهكذا ستبقى القاهرة مكانا لالتقاء الأحرار ٠

الإيمان قوة في التنظيم الجديد

* طريق العزة .. طريق العمل ..

* نجاح الاتحاد الاشتراكى يعتمد على انفعال الناس بروابط المحبة والاخوة .

ان الايمان الحقيقى ايمان بالفكرة ، ايمان بالعمل ، ايمان بالقدرة ، ايمان بالقيادة ، ايمان لا تدخله الريبة ، ايمان يصل الى درجة اليقين ، ايمان لايعرف الشك ، ولا يعرف التشكك ، ايمان خالص ، ايمان يمكن أن يحرك الجبال من مواقعها ، ايمان يحرك كل ارادة ، الايمان الذى يعمل العمل الكبير الذى يتطلع اليه العالم فى هذه النهضة الشاملة التى تشمل جميع العالم العربى فى ثورات متلاحقة تعبر عن رد الفعل الطبيعى للمثل الناجح فى جمهوريتكم العربية .. الايمان الذى لانتردد معه ان نجاهد بالنفس والمال فى أشرف المعارك فى اليمن .. فى جميع بلاد الأرض العربية .. لأن كلامنا يعرف أنه جندى فى هذا الوطن الكبير ، اذا مادعى الى داعى الوطن والى داعى الجهاد بالمال والنفس فيكون ايمانه هو الذى يحركه ، لا يستهدف فى ذلك مطمعا ولا مغنما .

هؤلاء المؤمنون الذين لاتجدهم الا فى مجال الشدة والا فى مجال العمل الجاد .. ولا تجدهم أبدا فى مجال المطامع والمغانم ، هم أناس عاهدوا الله على أن يكونوا المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى كل عمل يعملونه ، هذه هى صورة الايمان التى يجب أن تبنى عليها

السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

أمتنا بناء قويا متينا أساسه الاشتراكية التى هى قبس من نور الاسلام . وهذه هى الاشتراكية التى نريد فى يوم من الايام أن نرقى الى مستوى اشتراكية الاسلام بدليل

العمل الذى حدده الميثاق ، حتى تستحق أن تكون فعلا أمة العرب التى هى هادية للمسلمين جميعا .. أمة العرب التى نزل بلسانها القرآن الكريم .. علينا مسئولية مضاعفة ، مقابل هذا التشريف الكبير الذى أنزل به الله القرآن على أمتنا لسانا عربيا . هذه الميزة وهذا التشريف يقابله عمـــل ويقابله جهـــاد يقـــابله مسئولية واحســـاس بها ، هـذه هى الصورة التى يجب أن ننفعل بهـا حتى نكون جديرين بعروبتنا .. جديرين باسلامنا .. جديرين بثورتنا .. جـــديرين بالعمـل الوطنى الذى يجب أن ننفعل به وأن نعمل له جاهدين من أجل بنـاء أمة عربيـة متحررة ، لنستشعر العزة الكاملة ونستشعر مكانهـــا تحت الشمس ، وتحتل مكان القيـادة مكان العزة مكان الكرامة .

هناك من يتكلمون عن العزة ولا يعرفون لها طريقا الا الكلام ، ولكننا نـريد اليوم طـريق العزة .. طريق العمل طريق التضحية .. طريق العزة طريق الايثار . هذه هى الصورة التى نريد أن نعيشها حتى نعيش الميثاق ، ونعيش الثورة .. وحتى نعيش الاشتراكيـة .. ونعود مرة أخرى أعز مايكون الانسان ، ونعود مرة أخرى خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

ان التجربة الرائدة للاتحاد الاشـــتراكى العربى ، قد بدأت حينما قام مؤتمر قـوى الشعب الوطنية وكلف السيد الرئيس جمال عبد الناصر بتكوين اللجنة التنفيذية العليـا المؤقتة للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومنذ أن تكونت هذه اللجنة وهى تعمل من أجل وضـع المسئولية التى كلفت بها موضـع التنفيذ . وصدر قانون الاتحـاد الاشـــتراكى العـربى وتقدمت جموع الجماهير المؤمنـة بأمتنـــا ، المؤمنة بالاشتراكية .. المؤمنة بالميثاق .. وجاءت تعلن فى تقديم الطلب أنها تؤمن بهذه الثورة وأنها تؤمن بالميثاق .. وأنهـــا تؤمن بالاشتراكية والديمقراطية سبيلا للحرية الكاملة .. لقد تقدم فى جميع لجان الاتحـاد الاشتراكى العربى ما يقرب من الخمسة ملايين .. لقد كان هذا العدد تعبيرا واستفتاء حيـا على أن هذه الأمة انما تستهدف الاشتراكية وتستهدف الديمقراطية وتستهدف الحرية .

لقد تقدم هذا الجمع الغفير بطلبات العضوية واننا نرى أن هذا العدد الذى نعتز ونفخر بأنه تعبير حى عن التفاعل الايجابى مع الثورة ، ومع الاشتراكية ، ومع الميثاق ، نستشعر فى نفس الوقت ونحن نحمد الله على هذا الفضل الكبير أن المســـئولية كبيرة ونرجو الله من فضله وتوفيقه أن يمدنا بفيض من عنايتـــه ورعايته حتى نتمكن من أن نقابل هذه المسئولية وأن ندرك بكل اخلاص أن نجـــاح الاتحـاد الاشتراكى العربى انما يعتمد أول مايعتمد على مدى انفعال الناس فى روابط حقيقية ، وصلات حقيقية ، صلات تعبر عن الألفـــة والمحبـــة والأخوة .

لقد تصور الناس أن التنظيم السياسى يجب أن يجتمع أفـــراده ليفكروا فى العظيـم من الأمور ، ولكنى أقـول ان التنظيم الســـياسى الناجح هو الذى يجتمع أفـــراده فى حلقـات صغيرة أساسها الحب وأساسها الرحمـــة وأساسها المودة والألفـة .. تتـكون الروابط الحقيقية بين الناس على المحبة فى بســـاطة واجتماعات دورية لاتعرف الملل ولا التردد ، هذه الاجتماعات التى توفر الجو الصالح للألفة والمحبة والاخوة هى فقط العماد القوى والسند الكبير لقيام التنظيم الســـياسى الناجح .. لأننى اذا اتصلت بأناس لاتربطهم مودة ولا تربطهم صلة ولا تربطهم محبة فلا يمكن أبدا أن يقوم بينهم تنظيم سياسى ناجح .

اننى لا أطالب فى هذا المجال ونحن فى بدء المرحلة التى ستتأكد فيها الصلة بين حلقات التنظيم السياسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يرأسه والذى يتولى أمره قائـــد الثورة جمال عبد الناصر الذى تولى بنفسه ، ويتولى بنفسه ، وسيتولى بنفسه ، فى كل مرحلة من مراحل التنظيم السياسى ليضع كل تجربته وكل ايمانه وكل اخلاصـــــه فى هـــــذا التنظيم كما كان مبـدأه فى كـل عمـل عمل يقوم به أن يضع فيه من ايمانه ويضع فيه من اخلاصه ويضع فيه من صفاء ذهنـه وبساطته وصراحته كل مايجعل هذا التنظيم باذن الله موضع النجاح . وعلينــــا نحن أن

نقتدى بهذا القائد فى أفكاره لذاته ، وفى عمله المتواصل من أجل أمته ، ومن أجل عروبته ، ومن أجل وطنه ٠

هذه الأسوة وهذا المثل يجب آن نحتذيه فى أعمالنا ٠

ان قيام الاتحاد الاشتراكى بعد الانتهاء من عمليات الانتخابات قد يصور لنا أن التنظيم وقف على قدميه ، ولكنى أقول ان هذا العمل لن يكون الا مجرد بدء المسئولية الحقيقية ، وبقدرتنا على الاتصال المستمر المتكرر الدائم ، وعلى قدر ماننقل ايماننا وانفعالنا لاخواننا فى هذا التنظيم يقوم حيا ويقوم قويا ٠

هذه القيادات المتسلسلة هى التى يقع على عاتقها أن نجعل هذا التنظيم قوة فعالة وقوة حية ٠٠ ميثاق العمل الوطنى هو دليل العمل ٠٠ انه يوضح فى أبوابه العشرة كل مايمكن أن يعن لنا فى مجال التطبيق العملى لوضع الاشتراكية موضع التنفيذ ٠٠ ولوضع الحرية موضع التنفيذ ٠ ومباشرة الديمقراطية مباشرة حقيقية سليمة فيه جميع الضمانات للانسان ٠ فيه جميع الضمانات من أسس فى مجال التجارة وفى مجال العمل وفى كل المجالات الأخرى ٠٠ فيه دليل العمل لسياستنا العربية وسياستنا الخارجية ٠

يجب على كل جهاز من أجهزة الدولة وهو يباشر حكمه المحلى أن يسترشد دليل العمل فى الميثاق ٠٠ أن يسترشد المبادىء من الميثاق ٠ أن يسترشد الأهداف من الميثاق ٠٠ هذه السنين العشرة القادمة معتمدين على الله الذى كان معنا فى كل عمل من الأعمال منذ أن قامت الثورة والذى سيكون معنا أيضا فى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى ، وفى تطبيق الميثاق ٠

لولا قيام الثورة لما كنا اليوم نعطى المثل الناجح كأمة عربية متحررة تنفعل بها كل المنطقة العربية ، واننا حينما نرى ونلمس هذه الثورات من حولنا فى كل قطر من أقطار العروبة انما نستشعر السعادة والرضى ونستشعر العزة والتوفيق ٠

ان هذه الثورات جميعا انما تتلمس فىهذا المحيط الدولى مثلا ناجحا فى أمتها العربية من بين أخوتها ٠

فلنعط فى مجال قيام التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى مثلا ناجحا آخر نضيفه الى الأمثلة الناجحة فى مجال الاقتصاد ومجال العمل ومجال الانتاج ٠

اننا يجب دائما أن نذكر الماضى حتى نحكم على الحاضر ، وحتى نستهدف المستقبل يجب أن لا نعيش فى خيالات ويجب أن نعيش دائما فى واقع حى ملموس حتى نتكلم الى الناس بالحقائق الملموسة ٠

وفى هذا المجال ٠٠ لنرجع الى الماضى البعيد حينما نزل الوحى على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحينما كلفه بالعمل ، وحينما أمره بالهجرة الى المدينة ، من الذى هاجر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لم يهاجر معه الا من باعوا أموالهم ومن باعوا بلادهم وأوطانهم مؤثرين العقيدة والايمان على كل ما يملكون ٠٠ ومن الذين نصروه ؟ انهم الأنصار الذين كانوا على استعداد أن يقتسموا مع المهاجرين لقمة العيش فعبروا عن اشتراكيتهم بالواقع الحى الملموس ٠

وكان هذا هو أول مثل فى التاريخ يعبر عن الاشتراكية الحقيقية ٠٠ يعبر عن الاشتراكية الطبيعية ٠٠ يعبر عن الاشتراكية التلقائية ٠٠ ومن الذين عادوهم ووقفوا فى طريقهم ؟ لم يكونوا الا هؤلاء الذين لم يقبلوا أبدا أن يتنازلوا عن امتيازهم كانوا علية لقوم من الأثرياء ٠٠ الاقطاعيين والرأسماليين أصحاب الامتياز المتحكمين الذين وقفوا موقف المعادى لهذه الثورة الاشتراكية الكبرى ٠٠ الثورة الاشتراكية الأولى فى تاريخ البشرية من أول يوم ٠

لم يكونوا أبدا على استعداد أن يتنازلوا عن امتيازهم وجاء فيهم قول الله سبحانه وتعالى « أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهمون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »

هؤلاء الذين يكذبون بالدين هم الذين لايريدون أبدا أن يتفاعلوا مع الاشتراكية ويتفاعلوا مع العمل الجدى فى عهد بنائنا الجديد ٠

حديث مع عبد الوهاب قايد

القائم بالشئون القنصلية التونسية والملحق التجارى بالقاهرة

- تنظيم اللقاءات بين الاتحاد الاشتراكى والحزب الاشتراكى التونسى ..
- وحدة المغرب العربى ..

* * *

« استقبل السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٤ ــ السيد أحمد نور الدين وزير الاشغال العامة وعضو الديوان السادس للحزب الاشتراكى الدستورى التونسى ، حيث تباحثا فى تنظيم اللقاءات بين الحزبين ..

وصرح السيد أحمد نور الدين عقب المقابلة بان الحزب الاشتراكى الدستورى والاتحاد الاشتراكى العربى متشابهان من حيث أن هدفهما هو نشر العدالة والديمقراطية وتحسين مستوى المواطنين مهما كانت الطبقات الاجتماعية التى ينتمون اليها ..

وقال ان السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية أوضح للوفد تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى والدور الذى يقوم به فى المرحلة الحالية وركز السيد النائب فى حديثه مع الوفد على أهمية اللقاءات بين التنظيمات الشعبية فى البلدين .. »

* * *

وسألت السيد عبد الوهاب قايد القائم بالشئون القنصلية بسفارة تونس بالقاهرة عن **تنظيم الحزب الاشتراكى التونسى ..** فقال لى :

ــ فى أواخر اكتوبر الماضى عقد فى بنزرت مؤتمر اتخذ أثناءه قرار هو من الأهمية بمكان .. فقد أصبح الحزب الحر الدستورى التونسى : الحزب الاشتراكى الدستورى : وبذلك أصبح النظام التونسى الحالى نظاما اشتراكيا دستوريا فأعضاء الحزب هم أعضاء الحكومة ــ وقد برهن مبدأ الحزب الواحد فى تونس على نجاحه وفاعليته فالاشتراكية الدستورية التى وضع خطوطها الحزب ويطبقها بواسطة الحكومة هى اشتراكية مثالية تتماشى

وميول الشعب التونسى وآماله وغاياته القريبة والبعيدة .. وهى اشتراكية مأخوذة من الواقع التونسى .. ان تونس بحزبها الواحد انتخبت من جديد مجلس الأمة وحورت الحكومة وجددت البيعة لقائدها المظفر الرئيس الحبيب بورقيبة .. وهكذا تجلت من جديد وحدة الشعب حول قادته المخلصين وانطلقت الأمة وكلها أمل وحزم تواصل السير نحو الغد الأفضل وسيواصل أعضاء الحكومة التونسية الى جانب عملهم داخل الجمهورية سياسة التعاون الوثيقة مع البلدان الأعضاء فى الجامعة العربية .. وخاصة مشكلة فلسطين التى بدأت تدخل مرحلتها الحاسمة وفى سبيل فلسطين المغتصبة ستقوم تونس فى الوقت المناسب بما يجب ان يقوم به كل شعب عربى ..

وحدة المغرب العربى :

– زار الملك الحسن الثانى ملك المغرب تونس يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٤ فما أثر هذه الزيارة فى تعزيز العلاقات بين المغرب وتونس ؟

فقال لى الاستاذ عبد الوهاب قايد :

– لقد صرح الرئيس بورقيبة فى حفل تكريم الملك الحسن الثانى ملك المغرب بأن تونس والمغرب مصممان على انشاء اتحاد المغرب العربى الكبير الذى سيضم الجزائر ..

وفى ٥ ديسمبر أيضا كان السيد محمود منتصر رئيس وزراء ليبيا فى زيارة الجزائر بدعوة من الرئيس أحمد بن بيللا – وفى ٨ ديسمبر صدر البيان المشترك الذى جاء فيه ان ليبيا والجزائر قد أعربتا عن ارتياحهما للاتصالات التى تجرى بين بلدان المغرب العربى وأكدت الدولتان اهتمامهما بجدوى وقيمة هذه الاتصالات بين المسئولين والمنظمات والهيئات الوطنية فى تعميق التنسيق المشترك وامتداد التعاون القائم بين هذه البلدان فى اطار العمل من أجل المغرب العربى الموحد كخطوة كبرى نحو الوحدة العربية الشاملة .

وقد صرح الرئيس بورقيبة يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ فى مؤتمر صحفى بحديث قال فيه :

« ... ان وعينا هو الذى سيعيننا شيئا فشيئا على تبديد واذابة وفض ما اقامه التاريخ من حواجز ومن عصبية قومية يمكن أن يعبر عنها بأنها شخصية كل قطر التى تميزه عن شخصيات الاقطار الاخرى – فنحن نسعى الى التخفيف من حدة هذه الفوارق والى مقاومة هذه النزعة الانعزالية . وأعتقد أن أحسن وسيلة لبلوغ المقصود هى فى ربط صلات التعاون بين أقطارنا المغربية على نقط مضيئة فى الميدان الثقافى وهذا بديهى وقد قطعنا فى سبيله أشواطا فسيحة أثناء الاتفاقات الاخيرة التى تناولت الميدان الثقافى فبرامجنا واحدة ومشاكلنا واحدة ونحن نفهم بعضنا أكثر من كل أحد سوانا – أما فيما يخص الميدان الاقتصادى فان اتحادنا فى شأنه يعتبر من الضروريات الايجابية اذا شئنا أن ننجز شيئا ثابتا ومضمون الدوام .

فمن الأفضل أن نتقدم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لتفتح لنا أبواب التعامل مع الغير » .

كان هذا التصريح عام ١٩٦٣ – وفى ٨ ديسمبر ١٩٦٤ وضعت اللبنة الأولى فى وحدة المغرب العربى الجناح الغربى للامة العربية اثر توقيع ثمانى اتفاقيات للتعاون بين تونس والمغرب أثناء زيارة العاهل المغربى للجمهورية التونسية .. ويمكن ايجازها فيما يلى :

تعبر الاتفاقيات عن رغبة الحكومتين التونسية والمغربية فى التمهيد لتحقيق وحدة المغرب العربى الكبير وتؤكد التزامهما بسياسة عدم الانحياز وتمسكهما بمبادىء وأهداف ميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية .

وتنص الاتفاقية الدبلوماسية والقنصلية المبرمة لتنسيق سياسة البلدين فى الميادين الدبلوماسى والقنصلى على اجراء مباحثات ودية بين البلدين فى جميع المسائل المتصلة بعلاقاتهما المتبادلة وأن يتشاورا بصفة منتظمة فى المواضيع ذات الأهمية العامة .

ولتحقيق هذا الغرض يجتمع وزير خارجية البلدين أو من ينوب عنهما دوريا لتحديد

مواقف مشتركة فى ميدان السياسة الخارجية ويلتزم الطرفان بعدم ابرام أية اتفاقية اذا كان من شأنها أن تمس بمصالح الطرف الآخر – وفى نطاق التعاون الدبلوماسى تنص الاتفاقية على أن يتكفل كل من الطرفين الممثل الدبلوماسى فى دولة من الدول بتمثيل الطرف الآخر دبلوماسيا اذا طلب منه ذلك هذا الأخير وأن يتشاور الطرفان قصد دراسة امكانيات تنسيق وتوزيع تمثيلهما فى الخارج فى الميدانين الدبلوماسى والقنصلى .

وتضمن اتفاقية الاستيطان لرعايا كل من البلدين الحاملين لجوازات سفر تامة الصلاحية لدخول الى البلد الآخر والشغل والاقامة والاستيطان بل وحرية مغادرتها فى أى وقت دون الخضوع لقيود غير تلك التى يخضع لها المواطنون .. ويعفى رعايا كل من البلدين الحاملون لجوازات سفر من تأشيرة الدخول الى البلد الآخر ولرعايا كل من البلدين حق ممارسة الحريات العامة باستثناء الحقوق السياسية من بلد الطرف الآخر .

وتضمن المادة الخامسة من اتفاقية الاستيطان لرعايا كل من البلدين لدى البلد الآخر حق ممارسة العمل وحيازة الاملاك العقارية والمنقولة والتصرف فيها بكافة انواع التصرف وممارسة جميع أنواع الصناعة والتجارة والزراعة وأية مهنة أخرى بما فى ذلك المهن المقننة وذلك على قدم المساواة مع المواطنين فى الحقوق والواجبات وطبقا للقوانين المطبقة عليهم ولا يجوز نزع ملكية املاك رعايا كل طرف فى بلاد الطرف الآخر أو تأميمها الا لأغراض تقتضيها المنفعة العامة المنصوص عليها فى القانون ولا يجوز تنفيذ نزع الملكية أو التأميم الا بعد أداء التعويض او ايداعه وفقا للقانون .

ولرعايا كل من الطرفين لدى الطرف الآخر – على أساس التبادل – حق المساواة مع المواطنين فيما يتعلق بالضرائب والرسوم والادوات . كما ان لهم كامل الحرية فى تصدير أموالهم مع مراعاة الأنظمة المعمول بها .

ولرعايا كل من البلدين لدى الأخر – على أساس التبادل وأسوة بالمواطنين – حق التمتع بما تكفله القوانين والمحاكم من حماية لأشخاصهم وأموالهم وحرية التقاضى ويخضعون للتشريع المحلى فيما يتعلق بالقضايا الجنائية والمدنية والتجارية والمالية والادارية وغيرها . أما قضايا الأحوال الشخصية بما فيها الوصية والارث فيلزم أن تطبق فيها محاكم كل من الطرفين القانون الاهلى .

وتنظيم اتفاقية الصحة والشغل التعاون بين البلدين فى ميدانى الصحة والشغل والتكوين المهنى .

وتنص اتفاقية التعاون القضائى على أن يعمل الطرفان على تنسيق النصوص التشريعية والأنظمة القضائية بين البلدين وتوحيدها كلما أمكن ذلك .

واتفق الطرفان على تحقيق الانسجام والوحدة الكاملة والرسوم المتعلقة بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية داخل البلدين .

وتنص الاتفاقية على أن يتعاون البلدان فى ميدان تكوين موظفيهما مهنيا وفنيا وان ينظم كل من الطرفين شبكات باعتبار مصلحة البلدين .

وفى الميدان الدولى يسعى الطرفان لتوحيد وجهات النظر فى المؤتمرات الدولية ويمكن لوفد احدى الدولتين ان يمثل الدولة الأخرى فى هذه المؤتمرات بطلب منها .

وتعلن الاتفاقية الثقافية عزم البلدين على العمل باستمرار على تقوية الروابط الثقافية بينهما وتعزيزها فى ميادين العلوم والآداب والتربية والتعليم والفنون والالعاب الرياضية .. وتنص الاتفاقية على تكوين لجنة مشتركة دائمة تسمى اللجنة المشتركة الدائمة للتعاون الثقافى والفنى تجتمع دوريا لتطبيق هذه الاتفاقية ووسائل توحيد الاتجاه الثقافى .. »

ويضيق المجال هنا عن ذكر كل نصوص الاتفاقية .. لذلك اكتفى بهذا القدر منها وهى على أية حال خطوات سوف تتبعها خطوات أخرى لتدعيم الوحدة وتعزيزها فالوحدة العربية الكبرى آتية ولا ريب فيها .

عبقرية عمر

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

فيما ذكرناه من « فضل عمر » روينا ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« بينا أنا نائم أريت أنى أنزع على حوضى أسقى الناس ، فجاءنى أبو بكر فأخذ الدلو من يدى ليروحنى فنزع دلوين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، فجاء ابن الخطاب ، فأخذ منه ، فلم أر نزع رجل أقوى منه ، حتى تولى الناس والحوض ملآن يتفجر »

وفى رواية أخرى رواها مسلم أيضا .

« فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن »

وفى رواية ثالثة لمسلم أيضا :

« ثم جاء عمر فاستقى ، واستحالت غربا ، فلم أر عبقرى من الناس يفرى فرية حتى روى الناس وضربوا العطن » .

مقدمة لغوية :

وفى هذا الحديث برواياته ألفاظ وعبارات تحتاج الى شرح : فمن ذلك لفظ « النزع » فى قوله صلى الله عليه وسلم « أريت أنى أنزع على حوضى » وفيما جاء بعد ذلك من قوله « فنزع دلوين وفى نزعه ضعف » وقوله « فلم أر نزع رجل أقوى منه » .. الخ ..

ومعناه هنا : جذب « الدلو » من البئر بعد ملئها بالماء ، وأصل النزع : الجذب ، واذا كانت البئر قريبة القعر تنزع دلاؤها بالأيدى ، قيل لها « بئر نزوع » كما يقال للدابة « ركوب » أى ميسرة للركوب ، وكما يقال « بقرة حلوب » أى سهلة الحلب ، كثيرة ادرار اللبن .

* ومن ذلك لفظ « عبقرى » فى قوله صلى الله عليه وسلم « فلم أر عبقريا من الناس » ، ومعناه فى الأصل : المنسوب الى « عبقر » وهو واد فى بلاد العرب كانوا يعتقدون أنه موضع تسكنه الجن ، وينسبون اليه كل نادر من انسان وحيوان وثوب — قال الراغب الاصفهانى فى كتابه « المفردات » : « عبقر : قيل هو موضع للجن ينسب اليه كل نادر من انسان وحيوان وثوب ، ولهذا قيل فى عمر بن الخطاب « لم أر عبقريا مثله » قال « وعبقرى حسان » هو ضرب من الفرش فيما قيل جعله الله تعالى مثلا لفرش الجنة »

هذا هو الأصل فى معنى « العبقرى » على ماكانوا يتوهمون ، وليس مجىء هذا اللفظ فى القرآن والسنة الامجاراة للعرب فى التعبير ، فقد صار معنى اللفظ : « النادر الذى ليس فوقه شىء » ، فهو على سنة التخييل والتمثيل حسب ما يتصور المخاطبون ، ومثله قوله تعالى فى وصف شجرة الزقوم « انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين » : فقد شبهها برءوسهم لقبحهم ، ورءوس الشياطين مقصورة فى النفوس وان كانت غير مرئية ، ومن ذلك قولهم لكل قبيح : هو كصورة الشيطان ، ولكل صورة حسنة : هو كصورة الملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن

صواحب يوسف « ماهذا بشرا أن هذا ألا ملك كريم »

*** ومن ألفاظ الحديث أيضا لفظ «يفرى فرية » ، وأصل الفرى ـ بسكون الراء ـ القطع للاصلاح ، والمراد : فلم أر عبقريا من الناس يعمل مثل عمل عمر فى جودته وصلاحيته ويقال : فلان يفرى الفرى ـ بتشديد الياء فى الفرى ـ أى يأتى بالعجب فى عمله ٠**

*** وبقى من ألفاظ الحديث بعد ذلك لفظ « العطن » فى قوله صلى الله عليه وسلم « حتى ضرب الناس بعطن » و « حتى روى الناس وضربوا العطن »**

والعطن للابل ، كالوطن للناس ، وقد غلب على الموضع الذى تبرك فيه الابل حول الحوض

والمراد أن الناس أخذوا كفايتهم من الماء فسقوا ابلهم وأناخوها حول الحوض لتعود الى الشرب مرة أخرى

قال فى لسان العرب ، بعد أن ساق حديث الرؤيا « يقال : ضربت الابل بعطن اذا رويت ثم بركت حول الماء ، أو عند الحياض ، لتعاد الى الشرب مرة أخرى ٠٠٠ فاذا استوفت ردت الى المراعى ، ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس فى زمن عمر وما فتح الله عليهم من الأمصار »

الرمزية فى هذه الرؤيا النبوية :

لقد كان أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، بمثابة وزيرين مخلصين قويين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد فى بعض الآثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفهما بذلك اذ يقول « ان لى وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ، فأما وزيراى من أهل السماء ، فجبرائيل وميكائيل ، واما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر »

وفى معناه ماورد من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله أيدنى من أهل السماء بجبرائيل وميكائيل ، ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر »

وكانا ، رضى الله عنهما ، لايكادان يفارقان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يغيبان عن أمر من أموره ، يبادلهما الرأى ، ويشاورهما فى الأمر ، ويستمع الى كل منهما منصتا اليه ، مبتسما له ، يعرف طابعه وأسلوبه ، ويتجاوب معه على بصيرة من هذه المعرفة الواعية ، والدراسة العميقة لشخصيته ٠

وكان أبو بكر رضى الله عنه ، مثال الصاحب الواثق المطمئن ، الهادىء النفس ، القوى الايمان ، الرحيم القلب ، الحريص على التزام أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه ، والاقتداء به فى غير ما تمهل ولا تأول فحسبه أن يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا الشىء أو يأمر به أو يفعله ، فلا يسأل بعد ذلك نفسه : لم ؟ وكيف؟ ولكن يقول : هو رسول الله ، والله ورسوله أعلم ، واذا سأله فى شىء من ذلك أحد ، لم يكن جوابه الا أن يقول : أليس برسول الله ؟

أما عمر رضى الله عنه فكان مع عمق ايمانه ، وعظيم ثقته ، ذا شخصية وثابة متطلعة ، تبحث وتفحص ، وتناقش وتجادل وتؤثر أن تعلم الحقائق والبواطن ، وأن يكون لها فيما تعلم رأى مستقل منبعث عن التفكير والتخريج والاستنباط ، وكان مع رحمته بالأمة يرى أن الرحمة هى الحزم فى الأخذ بالعدل ، والشدة فى الحق ، والضرب على يد المسىء ، وقطع دابر الشك باليقين ٠

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا منهما بما يدل على شخصيته ، ويصور دوره الذى خلق له ، فقد روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر : « ألا أخبركما بمثلكما فى الملائكة ، ومثلكما فى الانبياء ؟ مثلك يا أبا بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك فى الأنبياء مثل ابراهيم قال « فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » ومثلك ياعمر فى الملائكة كمثل جبرائيل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله ،ومثلك فى الأنبياء كمثل نوح قال « رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا »

والواقع أن كل شخصية من هاتين الشخصيتين العظيمتين كان لابد منها بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لابد منها لنجاح الدعوة الاسلامية ، فان كل دعوة جديدة تقابل عادة بألوان مختلفة من

الاحساسات والمشاعر سواء فى جانبها أوفى الجانب المعادى لها فاذا لم يكن هناك مايقابل هذه الاتجاهات المتعارضة ، وهذه التيارات المختلفة ، من شخصيات الداعين ، فان الدعوة تلاقى كثيرا من الصعاب والصدمات ، وربما تأخر نجاحها واتساع نطاقها وبسط نفوذها فكان من فضل الله على الدعوة الاسلامية أن هيأ لها من النبوةالهادية المربية المهذبة مدرسة خرجت عدة شخصيات كل منها له دوره ،وله فائدته ، وله تبريزه فى جانب من الجوانب وهذا لايقال عن أبى بكر وعمر فحسب ،ولكنه يقال عن على ، وعن عثمان ، وعن عائشة ،وعن أسماء ، وعن خالد بن الوليد ، وعن أبىعبيدة .. وغيرهم ، فكل منهم خريج مدرسة النبوة وكل منهم ذو شخصية قيادية توجهت أولا بالرسول ، ثم صارت موجهة لغيرها على أسلوبها ومنهاجها ، وكل منها له دوره الذى لايغنى عنه سواه .

ولذلك لاينبغى أن يظن أن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نحن بصددها ، ترمز الى امتياز لعمر تترتب عليه أفضلية له على أبى بكر أو على عثمان أو على ، أو غير هؤلاء ، فليس المجال مجال تفضيل ، وانما ترمز هذه الرؤيا الصادقة الى معنى آخر ، هو ما يعبر عنه الامام النووى فى شرحه لهذا الحديث من صحيح مسلم اذ يقول :

« قال العلماء : هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما ، وانتفاع الناس بهما ، وكل ــ ذلك مأخوذ من النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بركته، وآثار صحبته ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم هو صاحب الأمر ، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الاسلام ، ومهد أموره ، واوضح أصوله وفروعه ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وأنزل الله تعالى « اليوم اكمت لكم دينكم » ثم توفى صلى الله عليه وسلم فخلفه أبو بكر رضى الله عنه سنتين وأشهرا وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ذنوبا أو ذنوبين » ــ وهذا شك من الراوى ــ والمراد ذنوبان كما صرح به فى الرواية الأخرى ، وحصل فى خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الاسلام ثم توفى فخلفه عمر ــ رضى الله عنه ــ فاتسع الاسلام فى زمنه وتقرر لهم من أحكامه مالم يقع مثله ، فعبر « بالقليب » عن أمر المسلمين لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم ، وشبه أميرهم بالمستقى لهم ، وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتدبير أمورهم ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر رضى الله عنه « وفى نزعه ضعف » فليس فيه حط من فضيلة أبى بكر ولا اثبات فضيلة لعمر عليه ، وانما هواخبار عن مدة ولايتهما ، وكثرة انتفاع الناس فى ولاية عمر لطولها ولا تساع الاسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات وتمصير الامصار وتدوين الدواوين ، واما قوله صلى الله عليه وسلم « والله يغفر له » فليس فيه تنقيص له ، ولا اشارة الى ذنب ، وانما هى كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ، ونعمت الدعامة !

ويقول الامام الحافظ ابن كثير ، المفسر ، المؤرخ ، فى ترجمته لعمر ابن الخطاب ،بيانا لاتساع الفتوح الاسلامية فى عهده،ولأولياته التى اشتهر بها :

« وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، « وذلك بمشورة على رضى الله عنه واقتراحه » وجمع الناس على التراويح وأول من عس بالمدينة ــ أى تجول بها ليلا لاكتشاف أحوال الناس ــ وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد فى الخمر ثمانين ــ وذلك أيضا بمشورة على واقتراحه حيث قال : أرى أنه اذا شرب هذى ، واذا هذى افترى ، فيكون عليه حد القذف ، وهو ثمانون جلدة كما قال الله عزوجل « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » ــ

وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ووضع الخراج ، ودون الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكور الكور ، مثل السواد ، والأهواز ، والجبال ، وفارس ، وغيرها ، وفتح الشام كله ،والجزيرة والموصل ، وميافارقين ، وآبد ، وأرمينيا ، ومصر ، واسكندرية ، ومات وعساكره على بلاد الرى ، فتح من الشام : اليرموك ،وبصرى،

ودمشق ، والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين ، والرملة وعسقلان، وغزة ، والسواحل ، والقدس ، وفتح مصر ، واسكندرية ، وطرابلس الغرب ، وبرقة ،ومن مدن الشام : بعلبك ، وحمص ، وقنسرين ، وحلب ،وانطاكية ، وفتح الجزيرة ، وحران ، والرها والرقة ، ونصيبين ، ورأس عين ، وشمشاط ، وعين ورده ، وديار بكر ،وديار ربيعة ، وبلاد الموصل ، وأرمينية ، جميعها . وبالعراق : القادسية ، والحيرة ، ونهر سير، وساباط ، ومدائن كسرى ، وكورة الفرات ، ودجلة ، والابلة ، والبصرة ، والأهواز ،وفارس ونهاوند ، وهمذان ، والرى ، وقومس ، وخراسان ، واصطخر ، وأصبهان ، والسوس ومرو ونيسابور ، وجرجان ، وأذربيجان ، وغير ذلك . وقطعت جيوشه النهر مرارا »

بقى بعد ذلك من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ترمز الى فضل عمر ، رؤيا ترمز الى حسن عاقبته رضى الله عنه ، وما أعده الله له من متاع فى الجنة ، وهى مارواه مسلم بسنده عن أبى هريرة عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« بينا أنا نائم اذ رأيتنى فى الجنة ، فاذا **امرأة توضأ الى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرة عمر ، فوليت مدبرا » ـ قال أبو هريرة :فبكى عمر** ونحن جميعا فى ذلك المجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال عمر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! أعليك أغار ؟ »

ومن الواضح أن هذه بشرى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ساقها الله فى منام لرسوله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه اياها ، وان عمر لأحد العشرة المبشرين بالجنة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لامناما، وكأنى بهذه البشرى المنامية بالاضافة الى بشرى اليقظة ، رسالة روحية من الملأ الأعلى يحملها رسول رب العالمين ، الى وزيره القوى الأمين ، وانه بها لجدير .

وأحب أن أنبه هنا الى أن قوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الرؤيا : « فاذا امرأة توضأ الى جانب قصر » ليس المراد به أن هذه المرأة التى هى من نساء الجنة كانت تؤدى فريضة الوضوء ، كما فهم بعض الناس ، أو كما لعل بعض الناس يفهمه ، فانما هو من « الوضاءة » بمعنى الحسن ، فالمرأة التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بجانب القصر كانت « توضأ » أو « تتوضأ » أى تتلألأ حسنا وجمالا ورونقا ، ومن المعلوم أنه ليس فى الجنة تكاليف من وضوء أو غيره .

كما أحب أن أنبه الى أن قوله صلى الله عليه وسلم « فذكرت غيرة عمر » فيه اشارة الى مجىء الرؤيا طبق الواقع المعروف فيمن له رؤيت ، اذا كان عمر رضى الله عنه شديد الغيرة على الحرم ، وهو الذى رأى أن تحتجب زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكان يقول « لو أطاع فيكن ما رأتكن عين » وقد نزل القرآن بما كان يستشرف له ، حيث قال الله عز وجل مخاطبا المؤمنين فى شأن زوجات الرسول « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .

ومن طريف مايروى فى السنة مما ينبىء بشدة عمر فى ذلك ، ما رواه مسلم بسنده عن سعد بن ابى وقاص قال :

« استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ـ أى يطلبن الكثير من كلامه وجوابه بحوائجهن ـ عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر ، فمن يبتدرن الحجاب ـ أى تبادرن مسرعات الى الاحتجاب ـ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال عمر: أضحك الله سنك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ! » قال عمر : فأنت يارسول الله أحق أن يهبن ، ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن : أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلن : نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك ! »

البقية ص٣٤

الإسلام -٥-

والقومية العربية

الدكتور أحمد الحوفي

عرضت فى المقال السابق الى اشادة الشعراء ببعض خصائص الاسلام المتصلة بالقومية العربية .

ولست أريد أن أعرض لأنواع اشادتهم كلها ، ففى التمثيل ببعضها مقنع وغناء .

٢ ـ المدائح النبوية

ومن مظاهر اشادتهم بالاسلام مدائحهم للنبى عليه الصلاة والسلام ، ويعنينا من هذه المدائح أنه وحد العرب بعد الفرقة ، وألف بينهم بعد الخصام ، وأنه صاحب الرسالة التى أخرجت الناس من الظلمات الى النور ، ونشرت لغة العرب فى كثير من الأصقاع ، ووطدت دعائم العروبة فى الوطن العربى الفسيح .

ومنذ زمن قديم جرى شعراء الأمم كلها على مدح الملوك والعظماء وعلى تقدير القادة والزعماء ، ففى الأدب اليونانى القديم تمجيد للبطولة والأبطال ، وللعدالة والعادلين ، وللخير والأخيار . وفى الأدب الرومانى اشادة بالشجعان المغاوير فى الحروب والقتال .

فاذا ما انتقلنا الى العصور الوسطى سمعنا شعراء التروبادور يصدحون فى جنوبى فرنسا بتقدير البطولة والكرم والايثار ، على سبيل الفخر بأنفسهم تارة ، وعلى سبيل الاشادة بممدوحيهم تارة ، وسمعنا مدائح الشعراء فى اسبانيا وألمانيا للملوك والأبطال .

وحينما ننتقل الى عصر النهضة نجد شعراء الانجليز يتغنون بأبطالهم ، ويشيدون بذوى السلطان .

فلا تثريب على شعراء العربية أن مجدوا الشجعان والكرماء والملوك والقواد والزعماء ورجال الاصلاح منذ العصر الجاهلى الى اليوم ، لأنهم اذ مجدوا من يستحقون التمجيد صوروا الواقع الذى لا زيف فيه ، وعبروا عن مشاعرهم تجاه أولئك الممدوحين ، وهم فى الوقت نفسه مجدوا الفضائل والمثل العالية فكأنما نصبوا معالم العظمة لمن يتوق أن يكون فى عداد العظماء .

وانما يستحق اللوم والتقريع شاعر يمدح من ليس جديرا بالمدح ، فيلبسه حللا من الثناء تنفر منه وتأباه .

وفى الأدب العربى مئات من القصائد فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام ، وعشرات منها فى العصر الحديث .

وكان الباعث عليها أن المسلمين تبينوا منذ

أواخر القرن التاسع عشر ما يدبره المستعمرون من مكايد للاسلام والمسلمين ، اذا ارتقى تفكيرهم ، وكثر مثقفوهم ، واستناروا بدعوات جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وكان الشعراء فى هذه الحقبة أعظم ادراكا ونضجا من سابقيهم فى العصر العثمانى ، وأعمق دراسة للاسلام ، وأكثر ثقافة ، وأوسع معرفة ، فكان من نتائج ذلك أنهم طرقوا موضوعات عدة متصلة بالاسلام ، كمدح النبى ، والاشادة بمزايا الاسلام ، والرد على خصومه المتهجمين .

فللبارودى قصيدة فى مدح النبى فى سبعة وعشرين بيتا مطلعها :

يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج
حتى فتكت بها ظلما بلا حرج

وقصيدة مطولة فى ٤٤٧ بيتا ، عنوانها (كشف الغمة فى مدح سيد الأمة) مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم
واحد الغمام الى حى بذى سلم

وللشيخ محمد عبد المطلب ثلاث مدائح نبوية . ولشوقى أربع مدائح نبوية ، أشاد فيها بعظمة رسول الله وبالشريعة الاسلامية ورجالات العرب ، مطلع احداها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

ومطلع الثانية :

به سحر يتيمه
كلا جفنيك يعلمه

ومطلع الثالثة :

سلوا قلبى غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا

ومطلع الرابعة :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

وله قصائد ومقطعات أخرى فى الاشادة بالاسلام والعروبة .

ولأحمد محرم ديوان كامل عنوانه (مجد الاسلام أو الالياذة الاسلامية) .

ولمحمد عبد الغنى حسن ديوان كامل عنوانه (من وحى النبوة) .

وهكذا تتردد المدائح النبوية فى قصائد شعراء العروبة من شتى الأقاليم مثل : حافظ ابراهيم ومحمود غنيم وعلى الجندى ومحمد عبد الغنى حسن وعلى عبد العظيم والعوضى الوكيل وعلى الجمبلاطى ومحمود جبر وعبد الله شمس الدين وحسن قرشى ومحمد على الحومانى وعمر أبو ريشة .

فان لهؤلاء قصائد كثيرة فى الاشادة بعظمة الرسول ، وعلاء أخلاقه ، وروعة بلاغته ، وحاجة البشر الى رسالته ، والتنويه بخصائص الشريعة الاسلامية وسموها ، وبما كفلت للبشر من أسباب الخير والسعادة .

ولا شك ان هذا كله من التراث المشترك ، ومن القيم الروحية التى يتقاسم الفخار بها العرب والنصارى كما يتبين لمن يدرس شعرهم فى (الثقافة المشتركة) والفخر بالحضارة العربية وحسبى ان أمثل هنا بقول الشاعر المهجرى الياس فرحات فى مولد النبى العربى محمد عليه الصلاة السلام :

غمر الأرض بأنوار النبوه
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت فى مكة للنور كوه
وطمى الاسلام بحرا زاخرا
بأواذى المعالى والفتوه
من رأى الأعراب فى وثبتهم
عرف البحر ولم يجهل طموه

« للبحث بقية »

بيعة الصديق

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

شخصية فذة - عمر وأبو بكر - يوم الامتحان - تنازل الانصار - مبايعة المبادىء - سياسة المبادىء - سياسة الحكمة - مرحلة الانطلاق - أسوة حسنة .

شخصية فذة :

رجل سفعت بياضه سمرة ونبت على صفحتي خديه شعر خفيف وقد بدأ لنحافة جسمه معروق الوجه عارى الأشاجع فى ظاهر كفه لايستمسك ازاره على خصره . ولكن بدت حدقتاه من غور عينيه كأنهما سهمان يريدان أن ينطلقا من قامة منطقة كأنها قوس قد شدها ضاربها .

هذه صفات بدنية ظاهرة لذلك الرجل وقد يشترك معه فيها كثير من الناس ولكنه - وقليل معه - كان يبدو فى هالة لاتلمس ولكنها تلمح كأنها شعور بالثقة فى النفس . وما يكاد الناظر اليه يتأمله حتى يطمئن اليه ويثق به لأن ملامح وجهه تنطق بصدق عجيب .

هذا الانسان هو عبد الله بن عثمان بن عامر ولما كان فتيا قويا وكان بكر والديه لقبوه أبا بكر . وللمحة من جهارة وحسن سموه عتيقا . ولاقبال من قلبه على الحق والخشية سموه منيبا . ولالتزامه الصدق قولا واستماعا وعملا سموه صديقا .

ماكاد المبعوث بالرحمة يسر الدعوة حتى سبق هذا الرجل الى الله ورسوله ثم لزم النبى وانقطع اليه وكان أول الناس معه حين صلى وأكثر رديف له اذا ركب . ثم حمل الدعوة الى أصحابه وهى لم تزل سرا فأسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة : عثمان وطلحة والزبير وسعد وابن عوف .

وخاض هذا الانسان العظيم مع النبى سنين شدادا فلم تزده شدتهن الا تمحيصا واقبالا على الله . ثم كان أوحد الناس بهجر الوطن والأهل مع الرسول ليلة الهجرة ، ولعلها كانت أشق ليالى حياته عليه اذ انعدمت أمامه كل حيلة بشرية لينجو بصاحبه . ولعله لأول مرة وأوحدها كان بادى القلق كثير الاضطراب وذلك حين سمع الخطا تزحف وراءهما وهما فى حصار الغار ولم يهدأ قلبه من فزع الا حين طمأنه صاحبه قائلا له : لاتحزن ان الله معنا .

ولعل الحروب التى خاضها مع النبى فيما بعد لم تكن أشد على نفسه حين الهزيمة وأبهج لها حين النصرة من تلك الليلة وصبيحتها ، بل لعله حين حمل راية النبى فى ثلاثين ألفا ساقهم النبى الى تبوك فى قيظ مهلك لم يكن بأسعد حالا منه يوم كان رافعا ثوبه يظلل النبى من الشمس وهما مشرفان على المدينة يوم الهجرة - من ثنيات الوداع .

هذا الانسان العظيم صاحب الرأى السديد والقلب المنيب والقسوة بحيث لايفزع منها محق واللين بحيث لايطمع فيه جائر - هذا الانسان بصفاته وأعماله تلك التى ميزته عن كل أصحابه استحق بها أن يكون أول صحابى يبايع له الناس فى الاسلام .

ولم يقع للناس أن يبايعوا لغيره أو يحددوا مدة لمبايعته ، وانما بايعوه بلا شرط ولا حد لأنهم عرفوه وجربوه فلم تعد فيه خافية لم تعلن ولا فضيلة لم تلمس ، فرأوا من انصافهم له ولأنفسهم أن يختاروه .

ولقد ثبت أن هداية الله هى التى ساقت الأمة كلها الى مبايعته فقد أعطاهم فى مستقبل زمانهم مالم يعطهم فى أوله ، وصار من الحق

ان يعود اليه كل فخر ـ بعد النبي ـ لأن الرسول الذى قادالأمةقبله كان يقودها بالوحى والهداية الملقاة في الروع ، أما أبو بكر فكان رائده عقله وفطنته وقلبه ودينه وما اقتدى برسول الله فيه .

عمر وأبوبكر :

ومع أنه كان بين ابى بكر وعمر مسافة أربعين رجلا فى الاسلام اذ أسلم أبو بكر أول الناس وأسلم عمر فتمم الأربعين فانه من الحق أن يقال ان عمر بن الخطاب قد طوى هذه المسافة وصار التالي لأبى بكر وأقرب القوم مكانة منه . ثم جعل عمر يحاول أن يزحم حظ أبى بكر ويسابقه لعله يسبق حتى يعوض لنفسه سابقة أبى بكر الى الاسلام ولكنه وقف عند حظه دون صاحبه ، ومازال كذلك حتى شوهد يقبل رأس أبى بكر فى المدينة وعلى ملأ من الناس :

فيوما ما حدثت جفوة بين عمر وأبى بكر فى حياة الرسول ، وقد بدا أن عمر كان فيها بادئا ثم سبق فاشتكى الى النبى ، وجاء أبوبكر فرأى وجه رسول الله متغيرا فأشفق أن يزيد فى غضبه فشهد عنده بأنه هو الذى ابتدأ بظلم أخيه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انجاب عنه الغضب وجعل يمتدح أبا بكر بمارد عمر عنه وأخره ان يلحق به .

وذات مرة أمر رسول الله كل من عنده مال من أصحابه أن يتصدق ووافق ذلك مالا عند ابن الخطاب فقال فى نفسه : اليوم أسبق أبا بكر ان سبقت يوما .. ثم مضى الى رسول الله مسرعا بنصف ماله فساله رسول الله عما أبقى لأهله بعد هذا الذى جاء به فأخبره أنه ترك لهم مثله . ثم لم يمض كثير حتى جاء أبو بكر بقطعة عظيمة من المال فسأله النبى عما أبقى لأهله مثلما سأل عمر فقال له أبو بكر : أبقيت لهم الله ورسوله ! لم يبق على شىء مما كان عنده ، فجاء الى النبى بكل ماله . فلما راى عمر ذلك قال لأبى بكر : لا أسابقك لشىء أبدا !

وهل كان لعمر ان يسابق أبا بكر فى الجود الذى سبق فيه كل الناس ؟ فانه يوم أسلم كان يملك اربعين الف درهم فكان يعتق منها العبيد ويقوى بها المسلمين ولعل عمر نفسه لم ينس لأبى بكر يوم أقبل على شراء بلال وهو مدفون فى الحجارة المحماه لينقذه ممن يعذبونه ثم اشتراه بخمس أواق ذهبا وفرح البائعون بما أخذوا فقالوا له : لوابيت الا أن تشتريه منا بأوقية واحدة لبعناك ، فرد عليهم أبو بكر قائلا : وأنتم لو أبيتم الا مائة أوقية لأخذته بها .

ولم يزل أبو بكر كذلك حتى قال النبى فيه ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر ولكن أخوة الاسلام ومودته ، وقال «مانفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر » وكان أبو بكر كلما سمع ذلك بكى وقال : وهل أنا ومالى الا لك يارسول الله ؟!

فلما مات رسول الله وكان يوم السقيفة ساوى عمر بين ابى بكر وأبى عبيده بن الجراح وأخذ هذا بيد وهذا بيد وطلب الى الناس أن يبايعوا لأحدهما . فلم يدعها له أبو عبيدة وجعل يعاتبه اذ رآها أبو عبيدة أكبر بادرة من عمر لم يكن منه مثلها من قبل وقال له : أتبايعنى وفينا أبو بكر الصديق وثانى اثنين ؟!

حتى اذا كان ابو بكر خليفة وانتصر الاسلام ورجع الناس اليه بعد الردة أخبر أبو رجاء العطاردي يقول : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول له : أنا فداء لك لولا أنت هلكنا ! فقلت للناس : من ومن ؟ قالوا : ذاك عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتاله أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

يوم الامتحان : وأصابت الأقدار بأبى بكر فلم تلق على كاهله من الشئون والأعباء ـ بعد مصاحبة النبى فى الهجرة ـ أفدح ثقلا مما ألقت عليه يوم الكارثة (يوم موت الرسول) اذ استفحلت الكارثة فأيقظت الجهالة وأثارت الفتنة وكشفت وجه الردة ، وكاد أصحاب رسول الله حتى من وفرت عقولهم وكبر ايمانهم أن ينسوا الآيات ويخوضوا فى الظلمات ولم يزل القرآن بينهم غضا وحكمه مقبولا متبوعا .

ولكن أبا بكر العظيم ـ ومثله كل عظيم ـ كان أكبر من الكارثة فوقف وحده يعترض العاصفة بأقوى منها جلدا وقوة ، ومالبث أن

رد العقول الى رءوسها والقلوب الى صدورهـا وحادت العاصفة عن طريقه لم تغلبه ولم تزلزل قدمه ، وبدا فى ذلك اليوم أكبر عقلا من العقلاء وأثبت ايمانا من المؤمنين اذ فرق بين مالابد أن يموت وما يجب أن يحيا : فرق بين الجسد والروح والزمن والمبدأ ثم صرخ فى آذان الناس ـ وكأنما يعلمهم من جديد ـ ان الجسد يفنى والزمن يمضى أما الروح والمبدأ فلهما البقاء والخلود ٠

وكأن نفس أبى بكر هى التى كانت قد تألفت وحدها عائذة من الضلالة والعمى لما استقر فى ذهنه وقلبه أن الرسول ميت وجعلت تزداد ثقته فى قرب موت رسول الله أخريات أيامه ٠ ولعله أول من أدرك دنو أجله من النذر القرآنية التى جعلت تتوالى من الوحى كآية اكمال الدين وسورة النصر فبكى حين سمع الآية وحين سمع السورة ٠ ثم خطب رسول الله ذات مرة وأشار فى خطبته الى أمر وأبعد فى الاشارة فقال ٠٠ ان الله عزوجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ماعنده « فبكى أبو بكر فعجب الناس من بكائه أن أخبر رسول الله عن عبد خير ، ولكن أبا بكر علم أن رسول الله يعنى نفسه ٠ وكان أعلم الناس بما قال ٠

فلما مات رسول الله وبلغ أبا بكر وكان قد صعد الى منزله بالسنح عند منازل الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة لم يتزلزل وأقبل على فرس له مسرعا يطوى الميل الذى كان بين منزله ذاك ومنزل النبى صلى الله عليه ثم نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس وتيمم قاصدا رسول الله وهو مغشى بثوب حبرة فشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأمى يارسول الله !

ثم خرج أبو بكر الى الناس وهم يضطربون فى كلام مستبهم لا أصل له ، الا أن دهشة الموت خطفت ألبابهم فاقبل أبو بكر فوقف بين الناس نافذ البصر ثابت العود جرىء القول ثم قال : أما بعد فان من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ، ثم تلا قوله تعالى ٠ ٠ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »

قال أبو بكر ذلك فكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم أو تذكروها ، ولم يكد عمر يسمع أبا بكر يتلوها حتى عقر فما تحمله قدماه وحتى أهوى على الأرض تاركا موقفا كان قد اتخذه على رءوس الناس وارتجع فى نفسه ماكان قد أذهلته عنه الكارثة من آى القرآن ٠

تنازل الأنصار :

ويغلب على الظن أن أهل المدينة من الأنصار حين نبتت فيهم فكرة المناوبة فى الخلافة بينهم وبين قريش كانوا قد نظروا الى المهاجرين من مكة نظرة عامة ٠ وكان من المهاجرين من سبق ومنهم من لحق وكان منهم المتقدم فى هجرته الى الله ورسوله والمتأخر فيها فلم يكونوا على سواء ٠ والانصار كانوا كذلك منهم من آمن قبل قدوم النبى اليهم ومنهم من تأخر حتى قدم أو أقام ٠ وقد كان كثير منهم قد سبقوا كثيرا من المهاجرين الى الاسلام ٠ وحينئذ كانت تصح الفكرة فى هذا الخليط أو تكاد ٠

ولكن ماكاد اسم أبى بكر تشرق أوضاحه ويبايع له من بايع من المهاجرين حتى أقبل الأنصار على مبايعته كالعصائب المزدحمة لم يتخلف منهم أحد وغلت فيهم الحمية حتى كادوا يطأون من تعرض لبيعته ولم يعد لذلك رأى أن يعترض أو لذى أناة أن يتأنى ٠ وحسب أبى بكر أنه كان أول من تفرد بصحبة النبى يوم الهجرة وقد تقسم أهل المدينة شعاع وجهه بأعينهم وهو يظل رسول الله بثوبه من حر الشمس ، ثم هو قد وقف اليوم يرد العقول الى الرءوس والقلوب الى الصدور فجمع بين أول الأمر وآخره ولملمه فى يده لملمة القادر المسيطر والقائد المظفر ٠

وأقر الانصار فى سرعة واذعان ما تقدم من الأدلة مكررا معادا ؛ اذ كان رسول الله قد أشار باستخلافه على الصلاة : فانه لما ثقل المرض برسول الله عكف الناس فى المسجد ينتظرونه ليصلى بهم صلاة العشاء ولم يكن يستطيع الخروج اليهم من معاودة الاغماء عليه

فارسل الى أبى بكر أن يصلى بالناس فصلى أبو بكر بالمهاجرين والانصار وأهل البادية سبع عشرة صلاة أو ثلاثة أيام .

وكانت هذه مرة . أما الثانية وقد حدثت عائشة عنها ـ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة من مرضه فخرج بين العباس وعلى لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ اليه رسول الله أن لايتأخر وأمرهما فأجلساه الى جنبه فجعل أبو بكر يقتدى برسول الله ويصلى قائما ورسول الله يصلى قاعدا .

والمرة الثالثة حين كشف النبى ستر حجرته ينظر الى المصلين ثم تبسم يضحك فهموا ان يفتتنوا من الفرح فنكص أبو بكر على عقبيه وظن أن النبى خارج الى الصلاة فأشار النبى اليهم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى فى يومه .

أما فى غير الصلاة فقد أشار الرسول اليه ذات مرة حين جاءته امرأة فى حاجة ولم يكن عنده شىء يعطيها فأمرها أن ترجع اليه من حين الى حين لعلها تجد فقالت المرأة : أرأيت ان جئت ولم أجدك ؟ فقال لها رسول الله « ان لم تجدينى فأتى أبا بكر » ـ وكان المرأة كانت تريد الموت ـ فأشار اليها الرسول أن تاتى أبا بكر ان هو غاب !

حقا لم يكن فى هذا كله تخليفا صريح القول من النبى ولكن كان فيه ما هو أبلغ وأقوى وأجدر أن يشكر لرسول الله اذ دل على الفضل وأشار اليه ثم ترك للناس حرية الاختيار ، ولن تخرج بهم الحرية عن اقرار الفضل الذى أشار اليه رسول الله .

ولقد كان خيرا ما هدى الله الأنصار والمهاجرين الى مبايعة الصديق الذى لم يدع لهم وقتا يتفرقون فيه فلا يلتئمون وجدالا يختلفون حوله فلا يجتمعون . ومما لاريب فيه أن أبابكر كان يرى ما سيحدث خارج أسوار المدينة من ارتداد العرب فعجل بتوحيد المدينة فى يومه ليواجه ما يكون فى غده ـ فعل القادة الحكماء ـ ولو تأخر القائد عن هذه الخطوة لحظة واحدة لفشل أمر الناس

وكذلك لم يتخلف أحد عن البيعة العامة حتى أقرب الناس الى النبى قرابة . واذا كان قد قيل فى اقاصيص التاريخ من بعد أن قوما نظروا فى هذا الأمر واعترضوا عليه أو انزووا عنه فانما كان قولا لم يقع له فعل ولم يعترض الاقالة الكلام ومن لاهم لهم الا لوكه ومضغه . وأنى لهم أن يحسوا بما أوجب البيعة العامة لأبى بكر وهم ليسوا من أهلها ولا أهل زمانها ؟!

مبايعة المبادىء : ولقد كسبت الامة بمبايعة أبى بكر كل الكسب : اذ بايعت فيه سطوة الرأى التى بدت يوم الكارثة حيث ظهر الصديق فى مظهر القائد القوى المجرب الذى يمسك بزمام النفوس ان تزل والحوادث أن تغلب .

وكسبت الأمة بصرخته فى الآذان بما نسيه الناس من القرآن أن أعاد اليها طمأنينتها وفطنتها الى وجوب أن لايكون كتابها كلاما يقرأ فينسى ولكن أن يكون قواعد راسخة لاتخلخلها العواصف والكروب حتى لو تمثلت فى موت النبى الذى بعث بالقرآن .

ولعل هذا الموقف الرهيب كان أول ما فطن عمر بن الخطاب الى جمع القرآن ، فلما قتل أكثر حفاظه يوم اليمامة أشار على أبى بكر بجمعه فى الصحف مخافة أن يذهب بذهاب الصدور التى تحفظه ففعل أبو بكر ما أشار به .

وبايعت الأمة بمبايعة أبى بكر الشجاعة الباسلة ، وهى وان كانت صفة له فيما مضى من تاريخه فقد كانت صفة جندى تابع فى أول الصفوف لابد له أن تتاثر شجاعته بأوامر قائدة ولكنها انطلقت بعد المبايعة بكل مظاهرها وخفاياها فى القائد الفرد الذى تنتظره الحوادث العظام والخطوب الجسام .

وبايعت الأمة بمبايعته كل خصال الفضيلة من الزهد والجود والحلم والوقار والرأفة والوفاء ، وقد مضى أبو بكر فى كل حياته ـ قبل الخلافة وبعدها ـ عفيفا متعاليا لم يسال الناس شيئا من قبل ولم يسالهم من بعد حتى لقد قالوا انه وهو خليفة ، سقط خطام ناقته من يده فضرب بذراع ناقته فاناخها فأخذه فقالوا له : لو أمرتنا أن نناولك اياه فقال : ان حبى

صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا أسأل الناس شيئا .

ولقد ظل أبو بكر لجيرانه - ككل الأوفياء - كما كان لم يتغير ولم يتبدل : ومن كريم خلقه مع جيرانه أنهم قالوا انه كان يساعدهم في حلب أغنامهم التي كانت تمنح لهم ليشربوا لبنها ويردوها الى أصحابها ، فكان الصديق يعاون من يريد الحلب ليستقى من يشاء . فلما بويع بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لايحلب لنا منائح دارنا . فسمعها أبوبكر فتبسم وقال ، بلى ، لأحلبنها لكم واني لأرجو أن لايغير في ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه واستمر في معونة جيرانه كما كان .

سياسة الحكمة :

وكان ابو بكر منذ اول المبايعة - بارع الرأى كريم الخلق اذ طمأن الانصار بقوله : منا الأمراء ومنكم الوزراء فلماوقف خطباؤهم يذكرون فضل الانصار ، أقرهم على ماقالوه من الفضل وقال لهم : وما تدفعكم عن الفضل الذى قال به خطباؤكم . وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل .

ولئن كانت خطبته الأولى قد اتسمت بالاعتراف بالرأى العام الذى اعترف به وتفضيل الجماعة التى فضلته واتسمت بالتواضع الجم وروح المشاورة حيث طلب من كل ذى رأى قويم أن يبديه ليستقيم وتستقيم الأمور ، فان خطبه الكثيرة التى تتابعت ظلت تتردد فى وسط من الحزم بين الشدة واللين والترغيب والترهيب والحث على التقوى وطرح الحمق . ولعل أفضل ما فصله فى سياسته وصفه للقوى والضعيف عنده ، فلم يدع للقوى أن يعتدى ولا للضعيف أن يضام .

وما كاد يتم له الأمر حتى استوزر عمر بن الخطاب ليأخذ برأيه ولاسيما فيما يصطنعه الناس من خلاف ويبدونه من تردد فانه لم تعرف مرارة حق بأشد مما عرفت فى عمر ، ثم لم يأل أن أنفذ أسامة بن زيد بلواء رسول الله الذى كان قد عقده له ولم يخرج ومات رسول الله .

وقلقت نواحى الجزيرة واليمن بالفتن ومنع الزكاة والارتداد عن الدين ، ولم تدر هذه النواحى أن أبابكر سيتجرد لهم ويرميهم بسواس الحرب ونصراء الموت وفى مقدمتهم خالد الذى عقد له أبو بكر فمضى الى القوم يتأنى لهم تأنى القطاه ويثب عليهم وثوب الأسد ففرق الجموع وقتل المقاتلة وأسر الأسرى وأخمد فتنة التنبؤ ورد العرب الى الاسلام والزكاة .

وكما لم يعف أبو بكر عن عقال يمنعه مانعو الزكاة فانه لم يعف عن قائد من قواده تبلغ به الثقة فى نفسه أن يغتر فيهمل أو يشتط فيأثم ، ولقد عاتب خالد بن الوليد فى ثقته بنفسه واشتطاطه على غيره ولم يدعه يمضى على خطئه التى يشاؤها مهما صار له من الظفر والانتصار .

وجمع أبوبكر ماكان قد ظل متفرقا فى مكة من النفوس فشد قريشا الى رابطة المهاجرين والأنصار من غير أن يسرف واحترس على أبيه الذى تقدم اليه يوصية بمتأخرى من أسلم منهم فاستعظم أبو بكر الأمر وترك الشفاعة فيهم لله فانه لاقوة له ولايدان الا به . وحسبه أنه سأل عن سيرة العدالة فيهم فلم يتقدم له أحد بمظلمة فأثنى على واليهم .

وقد اتسمت سياسة أبى بكر بالمساواة بين الناس ، فحين جاءت الغنائم جعل للناس جميعا حقوقا فيها وساوى بينهم فى قسمها فلم يفضل أحدا على احد ساوى بين الاحمر والأسود فلم يفضل جنسا ، وساوى بين الحر والعبد فلم يفضل طبقة ، ثم أقام نفسه فى مال الله وفىء المسلمين مقام الوصى فى مال اليتيم ان استغنى تعفف وان افتقر أكل بالمعروف .

مرحلة الانطلا: .

ولم يكن أحد أكثر ثقة فى النصر من أبى بكر متى طلبه بشرطه وعدته وقد رأى فى وحدة الأمة قوة ليس من شأنها أن ترد عنها العدوان فحسب ، بل أنها لتستطيع بهذه الوحدة أن تكشف الغماء عن الجماعة المظلومة والشعوب المستعبدة . وكذلك أسرع حين أيقظ فى العرب نواة طاقة لاتنضب فوجههم الى مرحلة النضال الخارجى فألقى عليهم أن يطردوا عبادة الأوثان عن الارض ما قرب منها وما بعد وأن يردوا أنفاس الأنين

فرحا بانقاذ المظلومين والمستعمرين .

وأقبل العرب على أبى بكر حين شمر للأمر من كل فج يبشرونه بالخير ويبايعونه على الطاعة ولاسيما من اليمن فقد ساروا اليه بذراريهم وأموالهم وعشائرهم ثم تبعتهم القبائل وعقد عليهم الألوية ليزيد بن أبى سفيان وأبى عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة وعمرو بن العاص وأنفذ معهم أولئك المبايعين جيشا بعد جيش فى بحر بشرى مصطفق بالحديد لا ينحسر له مد ولا ينقطع له مدد .

وكان من أروع مظاهر الانطلاق أن يمضى اهل البادية فى أعظم براعة حربية يعتسفون المفازة العطشى الى الشام فى ثمانية أيام وكأنما طويت لهم الأرض . ثم مضت الجيوش الأخرى تغزو البحرين وأرض العراق فى نظام يخلب الألباب .

ولم يكن أبو بكر يتفادى بما فعله تمردا داخليا ـ كما يدعى أعداء العرب والاسلام ـ ولو كان ذلك ما تيسر له ان يفتح فى أقل من سنتين أرض اليمامة فيرد الصحراء خصبا وأطراف العراق فتغيض السيوح والغيوث ومشارق الشام فتشرق منها على الأرض كلها شمس الاسلام .

وليس من شك فى أن الجماعة الاسلامية كلها قد تحولت فى عهد أبى بكر تحولا تاما الى قوى حربية ضاربة ولكنها لم تكن مغرورة ولا طائشة فقد اشرق الاسلام فى نفوسها فقادها الى النصر والغنيمة ان كانت الحياة والى الجنة والمغفرة ان كان الاستشهاد .

اسوة حسنة : لم تكن الموهبه التى تمثلت فى مبايعة أبى بكر غير مثل رائع لما يحدث فى تواريخ الأمم من أدوار تمتاز باظهار المواهب البشرية لأفراد من ذوى المناقب العالية فيطبعون الحوادث بطابع شخصياتهم القوية فاذا وافقت ظهورهم الحاجة اليهم فلا مناص لها من أن توليهم زعامتها وتسلم لهم قيادها .

وما تهتدى الأمم لأمثال هؤلاء الذين تبايعهم مبايعة عامة عن عفو من الخاطر أو بادية من الرأى ولكنها لاتفعل الا وهى تكافىء الهبات والصفات التى عرفتها والأمانى والآمال التى ترجوها .

وظاهرة الاجماع فى المبايعة بعد التنبه لمن يستحقها انما تنبع من اقرار نفسى متشابه فى الأفراد بالقيم العظيمة التى تجمعت مظاهرها فى شخص من يبايعون له ثم بدت لعيونهم أشعة مضيئة يبصرون فيها مستقبل آمالهم كما أبصروا ماضى أمجادهم . وقلما تخطىء هذه البواعث التى تجمع الجماهير على رأى يرونه بل انها لاتخطىء أبدا .

ولقد صدق الذين قالوا انه لابد للحوادث من أن ترخى ظلها قبل وقوعها ، ويكاديصدق قولهم فى كل حادث لأنه ما من أمر يحدث الا وهو يسوق قبله أدلة ظهوره وانماتختلف الظلال قوة وضعفا وامتدادا وانقباضا بقدر ما فى ذلك الأمر من قوة أو ضعف .وقليل من الرجال من هبت لهم أممهم تبايعهم بيعة عامة بل وتجبرهم على أن لاينفكوا عن ميثاقها الذى واثقتهم عليه . ولم يكن ذلك الا للافذاذ العظماء الذين لاتجد الأمة سبيلا لنهوضها الا أن تلقى عليهم بأزمة الأمور كما هو حادث فى بيعة اليوم لرجل اليوم الذى أجمعت الأمة العربية لها عليه وهو الرئيس الرائد جمال عبد الناصر .

ومنذ المبايعة تتقابل الطاعة بالواجب اذ حين تقلد الأمة قائدها الرياسة وتضع على كاهله أثقل أعبائها وأفدح احمالها انما تؤمن بهذا التقليد جانبها لتنصرف الى أعمالها فى اقبال واخلاص ملقية أمر حاضرها ومستقبلها لمن أولته زمامها حتى اذا حان له أن يدعوها الى معونته هبت غير متأنية الى طاعته ولا متراخية فى تلبيته .

وكذلك تقابلت الطاعة بالواجب فى بيعة أبى بكر الصديق وكذلك يتقابلان فى كل بيعة صادقة وأمة واعية . ومهما تطورت حياة الشعوب واختلفت صور معايشها فان حتمية التاريخ ستظل تقرر أن أحق الناس بقيادة الناس من يفوت الرجال مستعليا بخلقه ورأيه وتجاربه وما حقق لهم من الأمانى فيما مضى وما يستحدث لهم من الآمال فيما بقى . وما من سحابة ترتجز الا وهى تبعث أملا واقعا وغيثا نافعا .

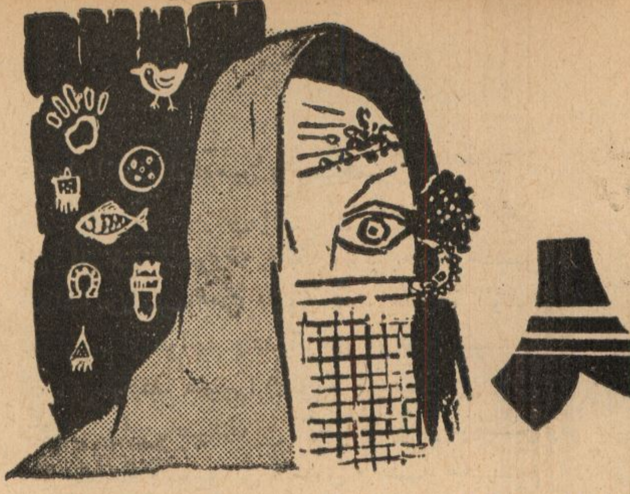

حديث عن الحسد

فى ضوء الدين ، والواقع

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ – بعض ذوى الثقافات الحديثة يعتبرون القول بالحسد حديثا تافها ، ويرون تصديق ذلك فكرا بدائيا ..

ونحن نقف أمام هذا الاتجاه وقفة هادئة لنستوضح ما خفى علينا فى ضوء الدين ، والواقع فكثيرا ما تعرض القرآن ، وسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لذكر الحسد على أنه شر يستعاذ بالله منه .. وما كانت عناية الكتاب والسنة بشىء ، تافه ، بل كانت فى جدية تلائم خطر الحسد على الأفراد ، والجماعة .. وكانت هذه العناية بمقدار ما وراء ذلك من صلاح فى تدين الناس واصلاح فى أخلاقهم ، وحفظ لمودتهم .

٢ – افادنا القرآن ، والسنة أن الحسد بوجه عام : خبث دفين فى النفس ، وحقد تظهر آثاره فى تصرفات عدائية .

ثم هو بعد ذلك يتنوع الى حسد فى الدين .. وحسد بالعين :

فالحسد فى الدين هو ما كان من المشركين واهل الكتاب ، والمنافقين نحو الاسلام ، ورسوله ، وأهله فحينما رأى هؤلاء أن شأن الاسلام فى صعود ، وان سلطان المسلمين فى ظهور تغيظوا من ذلك ، واستكثروا على المسلمين أن ترتفع لهم راية .

فكانوا يحاولون أن يفتنوا المسلمين عن دينهم الحق ، ويردوهم الى الكفر معهم ،

وكان المنافقون على هذا الحسد ، وان كانوا يتظاهرون كذبا بالاسلام .

وفى هذا يقول الله تعالى : « **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ، ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم** » .. « **ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا ، من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ..** »

وهكذا يطرد حديث القرآن فى كثير من آياته عن ذلك الحسد الذى يتأجج فى نفوسهم ويشتهون بسببه أن يتراجع المسلمون عن تقدمهم ، حتى لا يكون لهم شأن يميزهم على اهل الشرك ، وأهل الكتاب ، والمنافقين «**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ..**»

٣ – وأفادنا القرآن ، والسنة : أن هناك نوعا آخر من الحسد وهو الحسد بالعين .. وهو ما نخصه بالحديث أكثر .. وقد تعرضت شريعة الاسلام لهذا من جهات ثلاث أ – اثباته – ب – كيفيته وآثاره – ج – الوقاية من أثره .

– أ – قال تعالى : « قل أعوذ برب الفلق . الى أن قال : ومن شر حاسد اذا حسد »

فهذا تكليف من الله لرسوله ، ولامته بالاستعاذة من شر كل ما خلق ، ومن شر الحاسد الذى يصيب بعينه انسانا ، أو غير انسان .

ومع أن الاستعاذة وردت عامة بقوله تعالى « **قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق** » يعنى من شر كل مخلوق : سواء أكان انسانا ، ام حيوانا ، أم جنيا ، أم ريحا ، أو غير ذلك . فقد ذكر الحاسد ، وحسده ثانيا ، بعد ذلك التعميم ، لشدة التحذير منه ، وللتنبيه على ان خطره شائع أكثر من خطر غيره فذكره صريحا بمفرده .

وسبب الآية أن اليهود قد تآمروا على النبى – صلى الله عليه وسلم – باحضار رجل حاسد معروف من بنى أسد ، ليحسد النبى بنظرة من عينه القوية التاثير .

فاخبر الله نبيه بذلك ، وامره أن يستعيذ من شر الحاسد الذى يأخذ بعينه ، وذلك لم يكن غريبا عند القوم ، بل‌هو شائع مألوف .. وقد قرأ النبى كما أمره الله ، ولم يتمكن منه ذلك الحاسد ، ولا غيره بعد .

وكذلك قول الله تعالى لرسوله «**وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ..**»

فقد كان يشتد غيظ المشركين على محمد ويتابعونه بنظراتهم الحانقة عليه ، حتى تكاد قدمه تزل فى خطاها بسبب تأثير أعينهم فى شخصه .. والغيظ هو مبعث الحسد من أعينهم .. ولكن الله عصمه من تلك الأعين،كما أخبر رسوله بهذا عامة (والله يعصمك من الناس) .

وهكذا ترادفت أحاديث الرسول فى توكيد ما جاء فى الآيات من اثبات الحسد بالعين .

فقد روى من صحاح السنة قوله صلى الله عليه وسلم «**العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين**» **يعنى أن العين الحاسدة لقوة تأثيرها بالحسد كأنها تسبق القدر النافذ فى الانسان .**

فهى كما قال‌أحد الصحابة : أنفذ من‌الرماح

وروى الأمام مالك وغيره — أن سهل بن حنيف كان‌يغتسل مرة ، فرآه عامربن ربيعة، وراقه صفاء جسم سهل بن حنيف ، فقال : — والله ما رأيت كاليوم ، ولا جلد مخبأة — يريد عامر : أن جلد سهل مصقول أكثر من جلد المراة المترفة فى خدرها .. فكان ذلك حسدا ، مرض بسببه سهل بن حنيف ..

وقد علم النبى بذلك ، فجاء الى عامر ، وتغيظ عليه وقال له : علام يقتل أحدكم أخاه ؟ ألا بركت عليه ؟ يعنى هلا دعوت له بالبركة ولم تطلق نظرك فى رؤيته ؟ وروى جابر عن النبى صلى الله عليه .

وسلم — ان العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر يعنى تقتل هذا ، وذاك .

٤ — وكما يكون الحسد من عين انسان يكون من عين الجن : فقد دخل النبى على أم سلمة مرة فوجد عندها فتاة فى وجهها سفعة من الجن — أثر نظرة من حسد الجن — فقال لام سلمة : استرقوا لهـا ، يعنى اعملوا لها رقية تشفى بسببها — وسنعرض فيما بعد للرقية .

وهكذا من احاديث النبوة التى وردت فى صحاح السنة ،وكلها يفيد فى‌وضوح : حصول الحسد بالعين بسبب نظرة ناشئة عن ثورة نفسية نحو المنظور .

— ب —

٥ — الناحية الثانية — كيفية الحسد ..

قال العلماء فى ضوء السنة عن هذا : ان لبعض النفوس خواص معنوية ، يكون لها اثر حسى ، فنفس الحاسد فيها صفة خبيثة مؤثرة ، ولو كان صاحبها طيبا فى جملته كعامر بن ربيعة .

وبهذه الصفة الخبيثة تتكيف النفس ، وتنفعل عند مقابلة شىء ، أو الاتصال به ، او التفكير فيه .

وحينذاك تنبعث من النفس قوة ثائرة نحو الشىء الذى نظرته ، أوفكرت فيه ، أوتحدثت عنه ، فيكون اثر ذلك الاتجاه الخفى ضررا واقعا على المحسود ..

وسواء أكان هذا الاتجاه النفسى نحو شىء بغيض عندالحاسد ، او نحو شىء يستحسنه ، ويتمناه لنفسه .

ولا غرابة فى ذلك التأثير .. فكما للنفس خفيات تظهر آثارها عيانا : كالحب ، والكره ، والغضب ، والخجل ، والخوف ، والسرور ونحو هذا من خصائص النفوس التى‌لا يسهل تحديدها للانسان ، وتظهر آثارها واقعية .

وهذه الخاصية الحاسدة فى نفس الانسان تشبه خاصية الأفعى — الثعبان — فان الثعبان يقذف سمومه فى الانسان بالملامسة وقد يقذفها بمجرد النظر نحو الانسان ، فيذهب بصر الانسان ، او يجهض المراة الحامل ، او يهلك الانسان بسمه وهو على البعد منه .

وذلك لشدة خبثه ، وقوة تأثيره بسمه القتال .

وتلك مشاهدات ، يعرفها كثيرون ممن هيات لهم ظروفهم ان يشهدوها فى الحقول والجبال ، والصحارى .

وقد يصدر هذا التأثير من الأعمى اذا وصف له شىء وصفا كافيا ، حتى يتخيله فى نفسه ، وتثور نحوه قوته الخبيثة بكلام شديد .

وكما أسلفنا لك أن الحسد يكون عن بغض، قد يكون عن استحسان ، وشره من النفس ، يزداد ، حتى يتحول الى انفعال بالاعجاب ، وهذا من أسباب الحسد ..

حتى رووا ان سليمان بن عبد الملك نظر يوما فى المرآة فأعجبته نفسه كثيرا .

فقال : كان محمد نبيا .. وكان أبو بكر صديقا .. وكان عمر فاروقا .. الى أن قال : وانا الملك الشاب : أنا الملك الشاب .. الخ.

فما زاد على شهر بعد ذلك حتى مات محسودا من نفسه بعد أمراض وعلل منذ اعجبته نفسه فى المرآة .. ونحن نصادف صورا من هذا فى مجتمعنا الخاص ، والعام .

فكثيرا ما تبدر النظرة أو الكلمة من الأب او الأم ، أو ممن نظنه غير حاسد ، فيكون لها شديد الأثر العاجل على شخصية المحسود .. أو على الشىء المعجب لصاحبه ..

وربما استفحل هذا الحسد حتى يتجاوز الأفراد الى الجماعة ، أو يتجاوز المحيط الجماعى الى محيط آخر ، فتكون العيون الحاسدة نافذة فى أسرة نابهة ، ويعتريها من اثر الحسد ما لا طاقة لها بدفعه ، فتذبل الأسرة بعد نضارة ، وتفشل بعد نجاح ، وتنكمش بعد ظهور ، وتشقى بعد سعادة .

وبين يدينا امثال ، وامثال واقعية لهذا الذى نقول .

وكذلك يضطرم الحسد عند أمة على أمة ، فيجرها الحقد ، والحسد الى التحرش ، والتماس الأسباب للشغب ، والاسارة والدخول فى خصومات يستطير شررها ، وتتلظى جمراتها ، حتى تكون حروبا جاشحة ودماء مسفوكة ، وخرابا مشئوما ..

فذلك مغبة الحسد .. وهو أول جريمة تخضب بدمها وجه الأرض : أيام حسد قابيل اخاه هابيل ، فكان ذلك أول همزة من همزات الشيطان فى أولاد آدم .. وكان ذلك مبعث النداء لابناء آدم : الا يتحاسدوا ، ولايتباغضوا وان يكونوا عباد الله أخوانا ، لايبغى بعضهم على بعض ، ولا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وتلك دعوة الدين، والاسلام بنوع أخص « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » .

ـ ج ـ

٦ ـ **الناحية الثالثة** ـ بعد ثبوت الحسد بالعين ، أو بكلام الحاقد ، وبعد بيان تأثيره ـ هى : ناحية الوقاية منه .. ذكر العلماء توجيهات صالحة للوقاية من أثر الحسد .. وبداوها بما ثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجانب ما سلف من التعوذ .

فحينما علم النبى بحادث عامر بن ربيعة ، وحسده لسهل بن حنيف ـ قال صلى الله عليه وسلم لعامر : الا بركت عليه ؟؟ يعنى : هلا دعوت له بالبركة من الله ، وكففت بصرك عنه بذكر الله ؟؟ ثم أمره النبى أن يتوضأ ، وأمر بصب ماء الوضوء على سهل ، فبرىء من مرضه باذن الله .. وعرف من ذلك أن **علاج الحسد من جانب الحاسد أن يدعو بالخير .**

وفى معناه أن يقول كلاما طيبا ، يدرأ به عينه عن المحسود .. وأن يتوضأ الحاسد أو يغتسل ، ثم يصب ماؤه على المحسود ، فينطفىء أثر الحسد بالماء الذى مر على جسم الحاسد ، فأطفأ حرارة جسمه ، وثورة حقده على المصاب بعينه .

فأثر الماء يتناول الحاسد والمحسود جميعا .

وقد قاس الناس على صب الماء أن يأتوا بشىء من ملابس الحاسد ، ويحرقونه ليتبخر به المحسود فيبرأ .

ومن باب القراءة التى يتلوها الحاسد أن يقول عند نظره للمحسود : **ما شاء الله ، لا قوة الا بالله .. أو يقرأ الفاتحة ، أو الصمدية والمعوذتين** ، أو يشغل نفسه عن الحسد بأى شىء من القرآن أو التسبيح اذا لم يعرف قرآنا أو يدعو الله بالخير للمحسود وقد ورد من هذا شىء كثير .. والقصد أن يتبرك بذكر الله ، وأن يصرف نفسه عن التطلع ، والاشتغال بالحسد .

وكذلك تكون الوقاية من جانب المحسود برقية ، أو تحصين بشىء من الدعاء ، أو القرآن . وقد ثبت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شكا الما أصابه .. فسأله جبريل : هل تشكو ، قال نعم ، فرقاه جبريل بقوله **« بإسم الله ارقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، ان يشفيك ، باسم الله ارقيك »** .

فبرىء النبى من اله .. وكذلك يقول الانسان لوقاية نفسه من حسد ، أو ضرر يخافه **« حصنت نفسى بالحى القيوم الذى**

لا يموت أبدا ودفعت عن نفسى السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » أو يكتفى ـ بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ـ وهكذا من كل كلام وارد ، أو قرآن ، أو ذكر لله سبحانه ،وفى كل دعاء بركة تطفىء عين الحاسد . فان أصيب الانسان بحسد ولم يعرف كيف يرقى نفسه ، فله أن يسترقى من غيره من أهل الصلاح ، والطيبين كما فعل جبريل .

٧ ـ وقد اجاز العلماء ان تتخذ الوقاية من الحسد بشىء يوضع فوق ما نخاف عليه الحسد : كأن يوضع الغطاء ليستره .. وكأن يخضب جبين الطفل ، أو بعض وجهه بلون قاتم ، ليصرف عنه نظر الحاسد ، أو توضع له تميمة من الآيات ، أو الأدعية . وقد ثبت عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى طفل يخاف عليه من الحسد انه قال : « سودوا نونته » .

ومعنى هذا : ضعوا لونا اسود فى نونة الطفل .. والنونة أسفل الذقن .. وذلك اللون يلهى الحاسد عن حدة النظر اليه ..

وهذه آثار ، نرى كثيرا من الناس يعملها تقليدا ، وان كان لا يعرف لها سببا من الدين ، وقد تبين السبب بما روينا .

ونرى الناس حينما يخشون حسد الحاسد بنظرات ، أو كلام يبادرونه بكلام يشغله ، أو يخجله .

وعند ذلك لا تنفذ عينه بسمومها الى المحسود .. وتجاربهم تدلهم على أن ذلك نافع .. وهذا شائع ، وفى الوقائع ما يثبت صحته فى كثير من الأحوال .

٨ ـ والباحثون فى هذا من رجال العلم يرجعونه الى الأسباب ، والمسببات .

فالحسد مبنى على أسبابه النفسية ، واضراره مرتبة على تعلق النظرات ، أو الخواطر الحاقدة بالشىء المحسود .

والوقاية من الحسد بقراءة ، أو دعاء أو تحصن تكون سببا فى ابطال الحسد واحباط اثره .

ونظرية الأسباب والمسببات مبدأ دينى ، لا يجوز اغفاله ، ولا نزعم ان العقل يأباه ، أو يتردد فى التسليم به ، وانكاره جهالة .

٩ ـ وقد اعتبر العلماء أن الحسد من المآثم التى يجترحها الانسان الحاسد ، وأنه معاقب عليها اذا لم يصرف نفسه عنها بصارف : من قرآن ، أو صلوات على الرسول أو نحو ذلك .

ولكن كيف يكون الحسد خصلة نفسية طبيعية ، ثم يكون المرء معاقب عليها ، وهى ليست من كسبه هو ؟؟

والجواب عن ذلك أنها نزعة من نزعات الشر ، وقد يتجه الانسان بها اذا طاوعها ، فيكون آثما بهذه الاتجاه الخبيث ونفث الحقد نحو الشىء ، أو التعلق بتحصيله لنفسه ، وزواله عن صاحبه .

وقد يتخلص منها اذا تعلق بخشية الله وصرف نفسه عن تماديها فى افتعالها ، وشغلها بشىء مما أسلفنا لك فيما وردت به شريعة الله ، وصرح به القرآن كالتعوذ من الحاسد وحسده . أو صرحت به السنة فى الأحاديث ، واعمال النبى صلى الله عليه وسلم .

فالحسد ليس وصفا اضطراريا كالجوع ، أو العطش ، أو المرض : مما يبيح المحظور اذا تحكم فى الانسان . وانما هو نزعة تخضع للتوجيه بتقوى الله ، والأخذ بعلاجها من طريق ما أمر الله به ، وأذن به الرسول .

وعلى ذلك قرر العلماء أن العائن ـ الحاسد ـ يطالب بالكف عن حسده ، فان لم يستجب ، أو غلبته نزعته فلم يستطع وجب حبسه عن رؤية الناس ، وعن النظر الى أموالهم ، حتى نتقى شره ، ونأمن على الأنفس ، والأموال وحينئذ يكون رزقه من بيت المال اذا لم يكن له مال يتسع له طول حبسه .

فان هذا وقاية للمسلمين من ضرره ، وما كان مصلحة للمسلمين يتكفل به مال المسلمين .. بل ما كان مصلحة عامة تكفلت به المصلحة العامة .

وبعد :

فليس لانسان منا أن يستهين بالحسد ، أو يعتبره أمرا خرافيا ، أو كلاما بدائيا . فان الواقع الشائع يشهد به .. وان الدين الحق يتحدث عنه ويوجه الى التحذير منه ، وهو شر ، اى شر ، سواء كان فى الدين ، أو بالعين وليس بعد ذلك ريبة لمستريب .

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

ثم ذكر الحافظ ما أخرجه البزار وصححه الحاكم من حديث أبى الدرداء مرفوعا قال : قال صلى الله عليه وسلم : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم ينس شيئا ، ثم تلا - صلى الله عليه وسلم - « وما كان ربك نسيا » .

وأخرج الدارقطنى من حديث أبى ثعلبة مرفوعا للنبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها . وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .

وروى البخارى عن ابن أبى وقاص أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرمه الله بسبب سؤاله .

ثم ذكر الحافظ فى ذلك آثارا عن الصحابة والتابعين فقال : عن عبد الله بن عمر أنه قال : لا تسألوا عما لم يكن فانى سمعت عمر بن الخطاب يلعن السائل عما لم يقع ، ويقول : أحرم عليكم أن تسألوا عما لم يقع فان لنا فيما وقع شغلا .

وعن زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، وعمار بن ياسر أنهم كانوا اذا سئلوا عن شىء يقولون : هل حصل هذا ؟ فان قيل لا ، قالوا : دعوه حتى يحصل .

وأخرج ابو داود فى المراسيل عن معاذ بن جبل مرفوعا قال صلى الله عليه وسلم : لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها ، فانكم اذا لم تعجلوا ووقعت ، فانه لم يزل فى المسلمين عند وقوعها من اذا قال فيها وفقه الله ، وان عجلتم تشتتت بكم السبل .

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هلك المتنطعون .

قال شراح الحديث : المتنطعون هم المتكلفون الكلام فيما لا يقع ، والمفرعون على مسائل لا أصل لها فى الكتاب ولا فى السنة ، وهى نادرة الوقوع جدا فيصرف أحدهم فيها زمنا كان صرفه فى غيرها أولى به ومما يجب التنبه له أن هناك أمورا وردت عن الشارع لا يصح البحث فيها أمام العامة لضعف عقولهم عن الوصول الى المراد منها ، فيزلوا ، كالبحث عن اليد ، والاصبع ، والعين لله - عز وجل - التى وردت فى بعض الآيات والأحاديث .

روى البخارى فى ذلك فى كتاب « العلم » باب من خص بالعلم قوما دون قوم مخافة الا يفهموا » قال على - رضى الله عنه - : « حدثوا الناس بما يفهمون ، ودعوا ما يشتبه عليهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ »

قال الحافظ : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغى أن يذكر أمام العامة .

وروى مسلم عن ابن مسعود أنه قال :

ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة .

قال الحافظ بن حجر : وأشد من ذلك قبحا كثرة السؤال ، والبحث عن أمور مغيبة ، ورد الشرع بالايمان بها مع ترك كيفيتها .

ومن هذه الأشياء ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت قيام الساعة، وعن حقيقة الروح ، وعن المدة التي ستبقاها هذه الأمة ، الى كثير من أمثال ذلك ، مما لايعرف الا بالنقل الصرف عن صاحب الشرع .

والكثير من هذه الغيبيات لم يصح فيه شيء ، فيجب الايمان بما ورد منه عن الشارع بطريق مقطوع بصحته ، من غير بحث عن حقيقته (١)

وأشد من ذلك نكرا ما توقع كثرة البحث عنه في الشدة ، والحيرة ، مثال ذلك ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : لا يزال الناس يسألون حتى يقولوا هذا هو الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟

وفي رواية للبخاري عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يأتي الشيطان العبد فيقول من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ من خلق ربك ؟

فمن وجد في نفسه شيئا من ذلك فليتفل عن يساره ويقول : آمنت بالله ، وليقرأ وقل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد ، فان ذلك يذهبه عنه.

قال بعض العلماء : من أمثال التنطع في السؤال حتى يفضي بالمسئول الى أن يجيب بالحرمة بعد أن أجاب بالحل ، أن يسأل رجل عن البضاعة التي توجد في السوق ، هل يكره شراؤها ممن هي في يده قبل البحث عن كيفية وصولها الى يده ؟ أو لا يكره ؟ فيجيبه المفتي بأنه يجوز شراؤها بدون بحث، فان عاد السائل وقال : أخشى أن تكون هذه البضاعة منهوبة ، أو مسروقة ، ويتصادف أن يكون في ذلك الوقت وقع شيء من ذلك في الجملة ، فيحتاج المفتي أن يقول له : ان ثبت شيء من ذلك حرم شراؤها . وان شككت فيه كره شراؤها .

مع أنه لو سكت هذا السائل عن هذا التنطع لم يسمع من المفتي سوى الحكم بالجواز ، بناء على أن الأصل فيما في أيدي الناس أن يكون مملوكا لهم، والنهب والسرقة نادر ، والنادر لا حكم له .

ومن هذا القبيل ما يروى عن عالم ضرير كان يقوده تلميذه في شارع كل سكانه مسلمون ، وبينما هما يسيران في ذلك الشارع اذ سقط عليهما بعض الماء فأسرع التلميذ الى سؤال صاحب المنزل الذي سقط منه الماء ، أي ماء هذا الذي أصابنا ، فأجاب صاحب المنزل بأنه غسالة ثياب الطفل التي كان ينام فيها ، فلما سمع ذلك الأستاذ ثار في وجه التلميذ وقال : نجسك الله كما نجستنا .

يريد أن الاصل فيما يسقط من بيوت المسلمين الطهارة ، لانهم مكلفون بأن لا يعرضوا غيرهم للنجاسة ، ولو سكتنا وحملنا ما نزل على الأصل لما وقعنا في هذا الحرج .

ثم قال الحافظ : اذا تقرر ذلك فان من يسد باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من أحكام أشياء يكثر وقوعها ، فانه يقل فهمه وعلمه .

ومن توسع في تفريع المسائل ، وتوليدها، ولا سيما فيما يقل وقوعه ، أو يندر جدا ، خصوصا اذا كان الحامل له على ذلك المباهاة، أو المغالبة ، فانه يذم فعله ، وهو عين الذي كرهه السلف .

وأما من أمعن في البحث عن معاني كتاب الله محافظا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن أصحابه الذين أدركوا زمن نزوله ، وحصل من الاحكام ما يستفاد من منطوقه ، أو مفهومه ، مقتصرا على ما صح من السنة للاحتجاج به ، فهذا يحمد فعله ، وينتفع به .

---

(١) وبرغم هذه التوجيهات فقد لج المتكلفون فيها وتساءل بعضهم لقد عرفنا كيف يكلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ـ ، فكيف يكلم الله سبحانه جبريل ؟ ويشغل آخر نفسه بالبحث عن اللغة التي يكلم بها الملائكة الميت في القبر ، هل هي العربية ، أم السريانية ؟ الى آخر هذه السخافات التي لاتتوقف عليها صيحة العقيدة ،ولا تصلح حال امة في حياتها

وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار ، من التابعين ، وتابعيهم •

ثم حدث بعد ذلك أن وجد باحثـــون لم يتحروا مسلك أسلافهم ، فتعارضت أفكارهم، وتعصب كل لطائفته ، فكثر بينهـم المراء ، والجدل ، وتولدت بينهم البغضـــاء ، حتى وصفوا بأنهم خصوم بعض، مع أنهم من أتباع دين واحد •

والى ذلك يشير قوله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ : « انمـا هلك من كان قبلكم بكثرة تساؤلهم واختلافهم » •

ثم قال الحافظ : هذا من حيث تقسـيم المشـــتغلين بالعلم ، أما بالنظـــر فى أى الطائفتين أفضل، هل هم الذين شغلوا أنفسهم بالعمل بما فى الكتاب والسنة ، او الذيـن شغلوا أنفسهم بالبحث وتحرى وجه الصواب فى المسائل ؟

والانصاف أن يقال : كل ما زاد على ما هو فى حق المكلف فرض عين ، فالناس فيه علـى قسمين •

قسم وجد فى نفسه قوة على الفهم والتحرى فهذا يكون اشتغاله بذلك أولى من اعراضـه عنه بالعبادة الزائدة على المفروض ، لمــا فى عمله من النفع المتعدى للغير •

وقسم يشعر من نفسه قصورا عن البحث وتحرى الصواب ، فهــذا يكون اقباله على العبادة أولى •

وبعد فقد علمنا مما سبق تحذير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأتباعه من كثـرة المسائل ، والتفريعات المتخيلة •

ولعل من الحامل على ذلك خوفهـم من أن العلماء اذا ولجوا هذا الباب بدون حذر فان حب بعضهم للمباهاة بالذكاء ، وغزارة الخيال قد يجرهم الى انفاق أعمارهم فى فرض صور خيالية ، لا تقع أبدا ، بل بعضها لا يتصوره العقل ، وقد وقع هذا فعلا ، ولولا رغبتنا فى التنفير من ذلك لما استطاع القلم أن يسجلها، ولكنها الضرورة •

هل يتصور عاقل أن يكون فى كتب الفقه التى ألفها المتأخرون ما يأتى : لو أن رجـلا جاء بقربة ثم ملأها بغاز مما يخرجه من جوفه ثم حملها وصلى بها ، هل تصح صلاته أم لا ؟

ومن ذلك أيضا قول بعضهم : لو أن رجلا دخل فى بطن أمرأة من أسفل هل يجب عليه الغسل أم لا ؟ ثم يجيب بأنه اذا دخـل من جهة رجليه يجب عليل الفسل ، وان دخل من جهة رأسه لا يجب عليه •

ومن ذلك أيضا قول بعضهم : لو أن رجلا وقع على نعجة فحملت منه وولدت انسانا ، وكبر هذا الانسان ، وتعلم ، وصلى بأهـل قريته صلاة عيد الأضحى ، وبعد الصـلاة ذبحوه وضحوا به ، فانه يصح لهـم ذلك ، لأن حكم الولد هو حكم أمه فى مثل هـذه الصورة ، وأمه يصح أن يضحى بها ، فهـو كذلك •

هذا •• ومن مخاطر اللجـاج فى كثرة الفروض أنه قد ينبه أذهان ضعاف الايمان الى اعطاء بعض الأعمال الممنوعة شرعا صورة الأعمال الجائزة •

وقد حصل فعلا هذا الذى كان يخشـاه الأولـون •• فقـد تعرض بعـض المؤلفين المتأخرين لشروط زكاة المال وعد منها مرور الحول على المال مملوكا لصاحبـه •• وكان يمكنه أن يسكت عند ذلك ـ كمـا سكت سلفه ـ لكنه لم يفعل ، بل استرسل قائلا :

فلو خرج المال من ملك صاحبه قبل تمام الحول ولو بيوم واحد ، بأن يهبه لغيره مثلا فانه لا تجب عليه فيه زكاة ، ويستقبل به المالك الجديد عاما آخر •

ولو وهبه هذا المالك الثانى قبل تمام الحول لغيره ، ولو كان هذا الغير هو الواهب الأول فانه كذلك لا تجب عليـه زكاته •• أرأيت كيف تسببت هذه التفريعات فى تلقين أشحاء النفوس كيف يسقطون ركنا من أركان الاسلام المهمـة •

أليس فى هذا اغراء للذين يحرصـون على المال ، ولكنهم يتظاهرون بأنهم مسـلمون خاضعون لأحكام دينهم على التخلص من هذا الواجب المقدس •

نسأل الله السلامة ••

الفصل الثانى عشر

ماجاء فى مقدمة كتاب المغنى لابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ والمقدمة للسيد محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة منها ما لا تذكر فيه أدلة ، ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذهب مؤلفيها ، ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الأحاديث التى لا توافق مذهب المؤلف ، ان أمكنه التضعيف ، وان كانت فى الواقع صحيحة ، ويجتهد فى تقوية الأحاديث التى توافقه ، وان كانت فى ذاتها ضعيفة ، وان كان فيها طعن ويراه .. فانه يسكت عن ذكره .

ثم قال : قال تعالى : « ان هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » آية ٩٢ الأنبياء، وقد شبه النبى - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد ، ولم يكن شىء أبغض اليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع .

ولما كان الاختلاف فى الفهم والرأى من طبائع البشر ، خص الاختلاف المذموم فى الاسلام بما كان ناشئا عن تفرق أو كان سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح ، فحظروا فتح باب الآراء فى العقائد وأصول الدين ، وأوجبوا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالأحكام العملية ، ولا سيما المعاملات ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه فى المسائل الاجتهادية ولا يكلفه أن يوافقه فى فهمه .

ثم ان كثيرا من العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء فىمسائل الأحكام رحمة بهذه الأمة ، وتحقيقا ليسردينها الذىثبت بنصوص الكتاب والسنة ، واتقوا ما حذر الله فى كتابه من مضار التفرق والاختلاف الذى أفسد على الأمم السابقة دينها ودنياها، وحذرنا سبحانه وتعالى من أن نكون مثلهم بقوله :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. الى أن قال : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . وأولئك لهم عذاب عظيم » آيات ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة ال عمران .

ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وتشدد كل منهم فى تحتيم تقليد مذهبه ، وحرم على المنتمين اليه أن يقلدوا غيره ولو لحاجة فيها مصلحتهم ، وكان من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ وغيرهاكالاحياء للغزالى(١) حتى صار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه ، ينظرون اليه نظرتهم الى البعير الأجرب بينهم .

وقد وقع من الفتن بين المختلفين فى الاصول وفى الفروع ما سود صحف التاريخ على أن الخلاف فى الفروع أهون وأقل شرا ، وقد ضعف فى هذا الزمان بسبب كثرة ما طبع من كتب السلف ألتى ما كان يعرف أصحابها هذا التحزب .

ولكننا لا نزال نسمع بمنكرات قبيحة نتيجة لهذا الخلاف المشئوم فى بلاد أخرى .

ومن ذلك أن بعض الأحناف من الأفغانيين سمع رجلا يصلى بجواره مأموما يقرأ الفاتحة فضربه بيده على صدره ضربة قوية وقع منها على ظهره حتى كاد يموت .

وأن بعضهم كسر سبابة مصل لأنه رفعها فى التشهد(٢) .

وقد بلغ من ايذاء بعض المتعصبين لبعض فى طرابلس الشام فى آخر القرن الثالثعشر الهجرى أن ذهب بعض شيوخ الشافعية الى المفتى ، وهو رئيس العلماء ، وقال له : أقسم المساجد بيننا وبين الحنفية .. لأن فلانا من فقهائهم يعتبرنا كأهل الذمة بما أذاع فى هذه الأيام من اختلاف الأحناف فى هل يجوز للحنفى أن يتزوج شافعية ، فقال بعض الأحناف : لا يصح لأنها تشك فى ايمانها ، لأن الشافعية يجيزون أن يقول المسلم : أنا مؤمن ان شاء الله ، أى وهذا يدل على عدم تيقنها فى ايمانها ، والايمان لا بد فيه من اليقين .

---

(١) كما مر فى الفصل السابع فى آثار هذه الخلافات المحزنة ، وفى كلام الغزالى فى الأحياء .

(٢) سيأتى قريبا سبب ذلك فى كلام الشيخ الكيدانى صفحة ٩٦

وقال بعضهم يجوز للحنفى أن يتزوج الشافعية حتى لو كانت شاكة فى ايمانها قياسا على الذمية ٠

فأين هذا التعصب والايذاء والتفريق بين المسلمين بسبب الآراء الاجتهادية من تسامح السلف الصالح ، وأخذهم المسائل بما أراد الرحمن من اليسر فى الشرع وعدم الحرج فيه ، واتقائهم ما به التفريق بين المسلمين بظنون اجتهادية لا يستحلون القطع بالحكم فيها ، حتى كان أشهر الأئمة اذا سئل يقول الواحد منهم : أكره كذا ، أو أخشى أن يكون كذا ، أو لا ينبغى ، أو لا يعجبنى ، ويقول فى مقابل ذلك : يعجبنى كذا ، أو هذا أحسن .

وهكذا كان يقول الامام احمد وغيره فى المسائل الاجتهادية التى ليس فيها نص صريح من الكتاب أو السنة ٠

ولم يقصد أحد من الأئمة من تدوين أقواله أن تكون هى الشرع أو كالشرع تتبع لذاتها ، ويقصد التعصب لها ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى فتكون كاتباع الشرائع المتعددة المختلفة لأن هذه معاص مجمع على تحريمها ٠

بل أراد كل امام من تدوين الأحكام مع أدلتها أن يكون الدليل هو المعتمد عليه فى العمل ، وفى الترجيح بين أقواله وغيرها ، فاذا ظهر قوة دليل الغير يصار اليه بدون تردد ٠

قال الامام المزنى صاحب الامام الشافعى فى أول مختصره المشهور ما نصه : اختصرت هذا الكتاب من علم « محمد بن أدريس » رحمه الله « الامام الشافعى » ، ومن معنى قوله : لأقربه على من أراده مع اعلامى له بنهيه عن تقليده ٠ وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه ، وبالله التوفيق ٠

(يتبع)

بقية مقال « عبقرية عمر »

وفى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع هؤلاء النساء على سجيته من الرفق واللين والتلطف ، كشأن الوالد الرحيم يسألنه ويستفتينه فيجيبهن ويفتيهن ويفسح لهن مجال القول ليتعلمن ولا يستحيين ، ولذلك أكثرن عليه وعلت عنده اصواتهن كما هو شأن النساء ، اذ يتكلمن مجتمعات فى كثير من الأحيان ، فيبدو لهن صوت عال ٠

وقولهن لعمر رضى الله عنه « نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم » لايردن به الموازنة بين عمر وبين الرسول ، حتى يقتضى ذلك نسبة قدر من الغلظة والفظاظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما هو كما يقول علماء النحو مجرد اثبات لما يزعمنه من فظاظة عمر وغلظته لان « افعل » فيهما على غير بابه من التفضيل ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فظا ولا غليظا ، والله يقول له : « واخفض جناحك للمؤمنين » « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم » وقد عفا رسول الله عنهن فلم يؤاخذهن ولم يغلظ لهن حين أكثرن وعلت منهن الأصوات ، رحمة بهن ، وافساحا فى مجال العلم والسؤال أمامهن ، فان ذلك أولى من أن يتهيبنه تهيبا شديدا يعقل السنتهن عن السؤال ، وافندتهن عن الأخذ والفهم ٠

وليس الأمر كذلك فى شان عمر ، فقد كن يعلمن فيه الشدة والغيرة ، فلما عرفن انه قد استاذن على الرسول فاذن له ، استحضرن ذلك فى أنفسهن فتهيبنه وخفن أن يغلظ لهن أو يطردهن من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهن فى ذلك مخطئات متجنيات على عمر ، فما كان عمر بالذى يفوته أن الأمر أمر رسول الله ، وأن المجلس مجلسه ، وأنه صلى الله عليه وسلم راعى من أمرهن ما تقتضيه الحكمة والرحمة والموعظة الحسنة ، ولا سيما وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا راضيا ، ولذلك اقتصر عمر على أن نبههن الى أن رسول الله أحق أن يهاب ٠

الحج

الفريق عبد الرحمن أمين

قال الله تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

فالحج هجرة لله ودعوة من الملك الديان لمن يجتبيه ويصطفيه من بنى الانسان ، وساعة من الزمان فيها يتجرد المرء من زخرف الدنيا وزينتها منيبا الى ربه ، مقبلا على الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى من اله عظيم خلق الأرض والسموات بكن فكانت .. ومن نوره خلق سيد الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - هدى ورحمة للعالمين ، فخصه بالعزة والشفاعة وأنزل عليه القرآن فيه الرحمة والغفران ، وفيه ارتضى لنا الاسلام دينا ، دينا قيما حنيفا .. تحده قواعد خمس هى : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

فالحج ركن ركين من أركان الاسلام الخمسة فرضه - سبحانه وتعالى - علينا فى عديد من سور الكتاب الكريم .. ففى سورة الحج يقول - جل شأنه - :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

فمن خلال هذه الآيات المحكمات يتبين لنا ان الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، قادر بالغ عاقل مرة واحدة فى العمر .. فطوبى لعبد رضى الله عنه وأرضاه عرف طريق الجنة فشد الرحال الى بيت الله الحرام منيبا الى ربه ومهرولا اليه بوجدانه وقلبه ، ثم هو من بعد هذا ضيف الله فى بيته . وحاشا لله ان يهان ضيفه أو يضام ، فهو فى الدنيا فى كنف الله وعزته ، ويوم القيامة فى ظل ظليل

من رحمته »

وكم فى الحج يا أخى من آيات بينات ، وعظات باهرات ، ومشاهد خالدات ، فهل رأت عيناك شيئا فى هذا الوجود أعظم من الكعبة بيت الله الحرام وأجل من الحجر والحطيم ومقام ابراهيم ، وهل صافحت يداك فى الدنيا شيئا أغلى من الحجر الأسعد الذى استلمه وقبله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهل سعت قدماك لأمر أجل من الطواف حول الكعبة والسعى فيما بين الصفا والمروة بهرولة بين الميلين الأخضرين . وهل سعدت وسررت بشرب فى هذه الحياة يعدل ماء زمزم .. وهل سمعت أذناك من قبل نداء أحلى من نداء الحجيج حول الكعبة والمشعر الحرام .

وكفى بالحج تبصرة وتذكرة حينما تجد نفسك فردا فى هذا الحشد الحاشد من الحجيج بين اناس اختلفت ألوانهم وأشكالهم وتنوعت لغاتهم ولهجاتهم ، وتباينت طباعهم وعاداتهم .. اختلط غنيهم بفقيرهم ، وكبيرهم بصغيرهم ، وعظيمهم بحقيرهم ، الكل فى هذا المشهد الرائع سواسية كأسنان المشط .. كلهم فى زى واحد ، فى حضرة ملك واحد ، يوحدون الواحد .. فى صوت واحد .

« لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

وكفى بالحج ذكرى وتذكرة يوم انطلق خليل الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ وصحبه ولده اسماعيل بين الصحراء والجبل ، ففى هذا الموضع من الأرض المقدسة شهدت الانسانية أروع مشاهد البذل والفداء .

فلقد رأى الخليل فى نومه أن هاتفا جاءه وقال ان الله يأمرك أن تذبح ولدك . ولما تكررت الرؤيا ثلاثا ، ورؤيا الأنبياء حق ، صارح ولده اسماعيل بما رأى ، فأجابه قائلا « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » وعلى اثر هذا انطلق الخليل ـ عليه السلام ـ الى الجبل يجود بفلذة كبده وأحب الأبناء اليه ، وأغلى من فى الوجود عليه ، ولكنها طاعة الله أعز وأكبر من الابن والنفس وخير من الدنيا وما فيها . ثم مشى الابن الطائع مع أبيه الى المكان الذى سيذبح فيه يشجع أباه ويقويه ويقول يا أبت لا تحزن ولا تيأس وانى ان شاء الله من الصابرين ، كل هذا والشيطان من خلفهما يوسوس لهما ولكنه أخيرا يرتد فاشلا من حيث أتى بعدما يشيعه اسماعيل رجما بالحصى ..

وهكذا يضرب لنا الخليل أروع المثل فى البذل والفداء ، ويضرب لنا اسماعيل أروع المثل فى الطاعة والشجاعة وأرقى درجات الصبر والايمان .

حتى اذا ما أذنت ساعة الذبح والفداء قام الخليل يوفى بوعده ونذره منفذا لما أمره به ربه وبما أوصاه به ابنه وفلذة كبده فشحذ السكين وشمر عن ساعديه وكب الغلام على وجهه بعدما شد على يديه ورجليه كى لا يتناثر الدم على ثوبه اذا ما انتفض ، وكى لا يرى وجه ابنه ساعة الذبح والاحتضارحتى اذا ما هم بالذبح وامرار السكين ضجت ملائكة الأرض والسماء ، وتضرعت الى الرحمن الرحيم وقالت يا ربنا ارحم الشيخ الكبير ، وافتد هذا الغلام الصغير .. فاذ بالسكين تمر ولا تذبح واذ بجبريل ـ عليه السلام ـ يهبط الى الأرض وفى يمينه كبش من كباش الجنة ويقول يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالله يقرئك السلام ويأمرك بذبح هذا الكبش فداء عن ولدك وفلذة كبدك ، وعندئذ بكى الخليل والدمع ينهمر من عينيه وخر ساجدا لله ، شكرا على هذه الرحمة الكبرى والكرامة العظمى .

سيدى يا رسول الله ..

هذا بعض ما جال بخاطرى فى هذه الأيام المجيدة من الأشهر الحرم ، أشهر الرحمة والغفران والنفحات والبركات ، نستعرض فيها صفحة خالدة من تاريخ آبائك وأجدادك تنير لنا الطريق ، وتهدينا سواء السبيل عسانا نكون من أولئك الذين قيل فى حقهم :

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

إعجاز القرآن في أصول الأحكام

٣

تعدّد الزوجات

الأستاذ محمود كمال

في مقالنا المنشور في العدد السابق من مجلة منبر الاسلام الغراء ، وقفنا عند الدليل المنطقى للتعدد ، وشرعنا فى بيان الدليل المادى مستمدا من :

١ ـ تفسير الاحصاءات الرسمية لتعداد السكان فى الدول المختلفة ٠

٢ ـ ومما يقع فى الحياة بحكم طبيعتها من ظروف وملابسات ٠

وفيما يلي تفصيل لهذين الاصلين المستمد منها ذلك الدليل ٠

أولا ـ الاحصاءات ودلالتها :

١ ـ الجمهورية العربية المتحدة : وهــذه الاحصائية مأخوذة من كتاب الاحصاء السنوى للجيب سنة ١٩٤٢ ٠

جدول رقم (١)

سنة ١٩٣٩

عدد السكان	اناث غير متزوجات وارامل
١٥ر٩٣٢ر٦٩٤	١ر٥٢٦ر٧٥٢

نسبة المتزوجات فى المائة فى سن الحمل من ١٥ الى ٥٠
٨٢ر٨ ٪

أ ـ فتكون نسبة غير المتزوجات فى ســن الحمل من ١٥ الى ٥٠ ١٧ر٢ ٪

ب ـ ويعتبر عدد الاناث غير المتــزوجات والأرامل المذكور أعلاه كبيرا بنسبة مخيفــة فهو أكثر من مليون ونصف مليــــون ٠ وعلى الأخص متى لاحظنا أن ظروفنا كانت عادية لم تتأثر بحرب أو غيرها ٠

جـ ـ كذلك فان نسبة غير المتزوجات فى سن الاخصاب نسبة عالية جدا ٠

٢) العالم قبل وبعد الحرب العالمية الأولى: وهــذه احصائية مأخوذة عن دائرة المعــارف الألمانية باعتبار النسبة فى كل ١٠٠٠

جدول رقم (٢)

السنة	الدولة	ذكور	اناث
١٩١٠	المانيا	٤٩٣	٥٠٧
١٩١٩	المانيا	٤٧٦	٥٢٤
١٩٢٠	روسيا	٤٥٠	٥٥٠
١٩٢٠	سويسرا	٤٨٢	٥١٨
١٩٢٠	هولندة	٤٩٧	٥٠٣
١٩٢١	فرنسا	٤٧٥	٥٢٥
١٩٢١	ايطاليا	٤٤٤	٥٠٦
١٩٢١	انجلترا	٤٧٧	٥٢٣

أ ـ فتكون نسبة عدد الاناث الى عدد الذكور متقاربة فى ألمانيا فى سنة ١٩١٠ ولكنها فى سنة ١٩١٩ ارتفعت ارتفاعا كبيرا من ٥٠٧ الى ٥٢٤ فى الوقت الـذى قل فيه عدد الرجال كثيرا جدا فى تلك السنة بمايوازى الفرق بين ٤٩٣ و ٤٧٦ أى ١٧ فى الألف وذلك كما هو مفهوم بسبب الحرب العالمية الأولى التى بدأت فى سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ •

ب ـ كذلك كانت نسبة عدد الاناث مرتفعة ارتفاعا كبيرا فى سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٢١ فى فرنسا وانجلترا وروسيا بصفة خاصة ، وهذا الارتفاع حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى أيضا •

٣) ألمانيا الغربية :

النسبة فى المائة •

جـدول رقم (٣)

السنة	ذكورمن سن١٤ـ٥٠	اناث من سن١٤ـ٥٠
١٩٣٩	٥٥ر٩	٥٥ر٨
١٩٤٦	٤٧ر٢	٥٣ر١
١٩٥٠	٥١ر٨	٥٣ر

ويلاحظ أن النسبة كانت متقـاربة بيـن الجنسين فى سن الاخصاب عند نشوب الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ـ أما بعد ذلك فى سنتى ١٩٤٦ ، ١٩٥٠ فى أعقـاب هذه الحرب • فقـد زادت نسبة عدد الاناث زيادة كبيرة بالنسبة لعدد الذكور •

٤) انجلترا :

من كتاب الاحصاء الرسمى للجيب

جدول رقم (٤)

السنة	عدد السكان	ذكور	اناث	عددالاناث لكل١٠٠٠رجل
١٩٥١	٤٨ر٨٥٤ر٣٠٣	٢٣ر٤٤٩ر٩٩١	٢٥ر٤٠٤ر٣١٢	٥١٧
١٩٦١	٥١ر٢٥٩ر٠٩٤	٢٤ر٧٨٣ر٠٦٩	٢٦ر٤٦٧ر٠٢٥	٠٠٠

أ ـ وتكون الزيادة فى عـدد الاناث عن الذكور كما يأتى :

سنة ١٩٥١ ـ ٢ر٠٥٤ر٣٢١

سنة ١٩٦١ ـ ١ر٦٨٣ر٩٥٦

ب ـ وتكون الزيادة سنة ١٩٥١ بعدالحرب العالمية الثانية بنحو خمس سنوات مرتفعة • أما بعدها بنحو ١٦ سنة فقـد كانت أقل ارتفاعا • ومعنى ذلك أن عـدد الرجـال زاد نسبيا •

٥) الولايات المتحدة :

جدول رقم (٥)

السنة	عدد السكان من سن ١٤سنة فمافوق	ذكور من سن ١٤سنة فمافوق	اناث من سن ١٤سنة فمافوق
١٩٥٠	١١٠ر٩٢١ر٠٠٠	٥٤ر٢٨٦ر٠٠٠	٥٦ر٦٣٥ر٠٠٠

وتكون زيادة الاناث على الذكـور فى سـن الاخصاب هى : ٢ر٣٤٩ر٠٠٠

وهذه الزيادة تعتبـر كبيرة أيضا بسبب أنها كانت بعد الحرب العالميـة الثانية بنحو خمس سنوات •

ونخلص مما تقدم الى النتائج الآتية :

أ) أن عدد الاناث حتى فى الظروف العادية أكبر من عدد الذكور فى كثير من الأحيان

ب) أن هذه الزيادة فى عدد الاناث ترتفع ارتفاعا كبيرا والى درجة مخيفـة فى أعقاب الحـروب •

ج) أن عدد الاناث غير المتزوجـات وعلى الأخص فى سن الاخصاب من ١٤ الى ٥٠ سنة يكون مرتفعا بنسبة كبيرة ، بل هو فى الواقع يبلغ نسبة مخيفة ، وذلك يعود الى الأسباب المتقدمة ، والى اية أسباب أخرى اجتماعيـة أو اقتصادية ، حسـب ظروف كل دولة من الدول •

ثانيا ـ الظروف والملابسات الطارئة :

لعل أهم هـذه الظروف والملابسات هو ما تسفر عنه الحروب من قلة كبيرة فى عدد الرجال تخل اخلالا ملحوظ الأثر بالتوازن الذى تفرضه الطبيعة فى الظروف العادية بين عدد الذكور وعدد الاناث كما تقدم البيان •

والنتيجة هى أن المرأة التى تفقد رجلها وتفقد معه الحماية والرعاية والمتعة الجنسية التى تحتمها الطبيعة البشرية ، لايكون أمامها من سبيل سوى أن تجد رجلا آخر يعصمها ويتكفل بها .. والا فانها قد تنساق فى طريق الغواية ، الا من حفظهن الله وعصمهن من الضلال .

وأيضا فان الزوجة قد تكون عاقرا ، فى حين أن الزوج مشوق الى الأولاد متلهف عليهم أو قد يعرض لها عارض من مرض أو خلافه يمنعه عنها . أو قد يكون فى سفرة طويلة يستحيل أو يتعذر عليها أن تصحبه اليها ، أو قد تسوء العلاقات بين الطرفين فلا يطيق أحدهما الآخر ، أو قد يقع الزوج فى حب جارف لا قبل له بمدافعته .

وفى كل هذه الحالات وأمثالها ، يكون الرجل قادرا على الانفاق ، أما المرأة فقد تكون فى حاجة قاهرة اليه ، لصيانتها ، واعالتها ، وعلى الأخص اذا كان لها ولد .

واذن أفلا يرى المفترون أن أفضل الحلول للمرأة ، بصفة خاصة ، هى أن تقبل الحياة فى ظل رجلها رغم زواجه الجديد »

ثم الا يرون أيضا أنه من الوفاء ، والشهامة وسمو الاخلاق ، أن يبقى الرجل على زوجته طالما أنها عاجزة عن مواجهة الانفصال بما يستتبعه من أعباء ومن مضار ؟

فاذا كانت شريعة الرجل تحرم التعدد .. فماهو الحل عندئذ للخروج من هذه المآزق.. أو ماذا هو وامرأته فاعلان ؟

اللهم لا حل ! وليس فى امكانهما أن يفعلا شيئا !

فالتعدد لم يشرع عبثا ، ولكنه شرع لمواجهة امثال هذه الحالات .

ومع ذلك فهو ليس حقا مطلقا من القيود وانما هو رخصة ممنوحة بشروط معينة واضحة المعالم .

ولما كان هذا المقال لا يهدف الا الى شىء واحد ، هو ابراز وجوه اعجاز القرآن فى أحكامه التى لا تصدر الا بمايوافق طبيعة البشر وسنة الحياة ، فلا محل للكلام هنا على تلك القيود والشروط ، ولا على المشاكل التىيثيرها اساءة استعمال تلك الرخصة ، أوالحلول التى تؤدى الى تلافيها أو الاقلال منها .

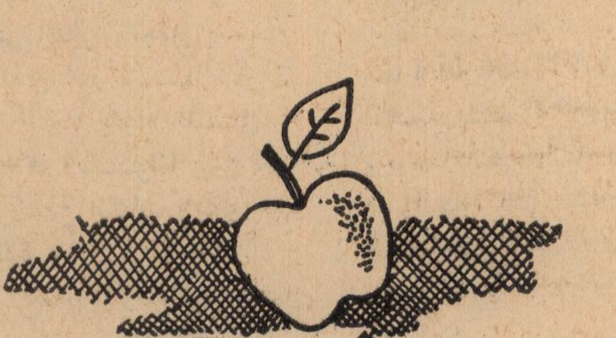

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

حرام علينا أن نقبل بعض الدين ، ونجهل البعض الآخر ، ولم يسر الخلل الى المجتمع الاسلامى الا بسبب هذه الظاهرة التى طرأت علينا منذ عدة قرون عجز المصلحون فيها عن تقديم معالم الدين الاسلامى الحنيف كما ينبغى أن تكون وامتلاء مجتمعنا الاسلامى بالأذهان والعقول الضعيفة التى اضطرها ضعفها لأن تقبل بعض الدين وتجهل بعضه الآخر ، فى الوقت الذى أنار لنا القرآن الكريم كل سبيل أمامنا بقوله تعالى : **« ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير » . سورة المائدة .**

ويذهب القرآن الى أبعد حدود القوة حينما يقول : **« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »** سورة البقرة .

وهكذا يشدنا كتاب الله الى حقيقة الدين الاسلامى وجوهره دون ما خوف على رزق أو هيبة من حاكم أو جزع على منصب .. الا أن هبوط مكانة الاسلام أوائل هذا القرن . كان ملحوظا كما نزلت معها مكانة الرجال المنتسبين اليه . لا لشئ الا لابتعادهم عن كتاب الله وسنة الرسول الكريم . فى عصور تراخت وانطلقت فيها الحكومات العربية مع الهوى والغرض والانحراف دون ارتباط جاد بتعاليم الاسلام . وفتحت الأبواب على مصراعيها أمام سطوة التيار الأوروبى الجارف الذى مس حياة الناس ومعاشهم ولم يكن هذا التيار الخادع المخادع . لم يكن الا ليجرف المجتمع المسلم عن حياته الأصيلة بكافة أبعاد وجودها الحى البناء المتراحم .

والحياة التى يرتضيها الاسلام لنا هى الحياة التى توزن بمعايير الاسلام ، وأن الحياة بدون الدين ، والدين الاسلامى بالذات هى كالجسد دون روح ، جسد هامد لا نبض فيه ولا وعى ولا طاقة . والحياة التى يرتضيها الاسلام لنا هى حياة التمكين فى الأرض .

« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » . الأعراف

والتمكين فى الأرض انما يحمل معنى القدرة والمنعة والسعى والتكافل والعرق

والجهد ، مما يعكس على المجتمع المسلم أطايب المعايش ولذائذها وزينتها • والتمكين هنا أيضا هو بغرض البقاء والتعايش فى رحاب كلمة الله وعلى هدى تعاليمه . لا فى رحاب تمكين القلة المتحكمة المسيطرة التى ارتضت لنفسها أن تعلو على عرق وجهد الآخرين حتى أصبح البناء بناؤها متداعيا آيلا للسقوط والانقضاض ، وفى هذا يقول الميثاق فى بابه الرابع :

« ان احتياجات الوطن لم تكن تكتفى بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بالقوائم تسنده واعادة طلائه ، وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب بناء جديدا ثابت الأساس •• صلبا شامخا » •

وسؤالنا الآن •• يقف عند حدود واضحة المعالم ، ما هى احتياجات الوطن التى تكفل لنا بناء مجتمع اسلامى صلب ، فى الوقت الذى نجد فيه ونلمس ونأسف ، تقلص الاسلام من الميدان الاقتصادى ، وانفراد الآخرين من غرب وشرق بكل خيرات الاقتصاد وعوائده حتى بات مجتمعنا ، مجتمعا تابعا ، فقيرا ، لا فى ميدان الاقتصاد فحسب ، بل فى ميادين الاجتماع والسياسة والثقافة •• والفقر هو قاتل لوجودنا وعزتنا وكرامتنا • وكيف يعيش الناس أو الجانب الأعظم منهم ، فقيرا معدما •• وكيف يصبح الفقر شريعة ، حتى يستأثر القادرون فى مجتمعنا بكل ما من شأنه يزيدهم تمكينا ويزيد من قبضتهم على الثروات التى أصبحت هى الأخرى تابعة للاجنبى المستغل ، فكأن الأجنبى قد أوجد لنفسه ممثلا داخل نسيج كله من الاحتكار والتجبر ، وهكذا تقلص الاسلام من مجال معاشنا ، فحينما يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» سورة الحديد •

فانما يعنى الله ـ تبارك وتعالى ـ ما فى استغلال الحديد واستعمالاته ليعكس البأس والقوة على المجتمع المسلم الذى كان قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لا صلة له بالحديد ولا بصناعته •• وحينما يقول تعالى فى سورة النحل :

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ••• وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ! » •

فكأنما جاءت هذه المحاصيل وأغزرها وأحلاها ، وهى ليست من صنع أيدينا •• وبترول العرب ، هذه المادة التى سيطرت على العالم كله وأصبحت روح المدنية بما تحويه من صناعات وحضارات ، يحمل المجتمع الاسلامى من البترول كميات قد تفوق ماينتجه العالم كله ، وبالرغم من هذه الحقيقة المرة نجد الأجنبى يحتل أرضنا ويستنزف بترولنا بثمن بخس •• وهكذا يتقلص الاسلام من الحياة الاقتصادية •• وهكذا تتغلغل جذور هذه المصيبة فى كل أساليب معالجة المسلمين لما يوكل اليهم من أعمال يخرج نتاجها رديئا• لا يقف أمام صناعات الغرب أو الشرق ، ولا يصل الى مرتبة الاحسان الذى كتبه الله تعالى على كل شىء ••

ونحن اذا تعرضنا للتجارة لطال الحديث، فالأجانب كانوا يملكون تجارتنا ولم يبق لنا الا حظا بسيطا من المال فى اطار محدود من النشاط المحلى الذى كا نهم أصحابه أن يكنزوا المال دون أى قواعد أخلاقية تحكم العلاقات بين الغنى والفقير • وأصبح دأب الأغنياء ، الاسراف والسفه بالرغم من قوله تعالى فى سورة الشعراء :

« فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » •

ونحن اذا دققنا النظر فى سورة الحديد عندما يقول الله تعالى :

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما • وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » •

نحن لو أمعنا الفكر والبصيرة فى مثل هذه الآيات البينات • لنجد انها تضع أمامنا دستورا نابضا لاعادة التوازن الى الحياة الانسانية •. التوازن الذى يثبت القاعدة الأخلاقية فى التعامل والبقاء والتمكين وخاصة بالنسبة لمن اختلت موازينهم بأثقال الغرض والهوى •• ولا نجد صورة أوضح لمجتمع ما قبل ٢٣ يوليو مما ذكره الميثاق فى بابه الثانى وهى صورة المجتمع المتهاوى الذى فقد الاتزان والتوازن حتى أصبحت هذه النكسة الباب المفتوح لكل قوى السيطرة الداخلية والخارجية • ويرد فى الميثاق :

« ان القيادات الثورية أغفلت اغفالا تاما مطالب التغيير الاجتماعى ومع أن اندفاع الشعب الى الثورة كان واضحا فى مفهومه الاجتماعى • الا أن قيادات الثورة لم تنتبه لذلك وأصبح الرخاء محصورا فى طبقة ملاك الأراضى وطبقة التجار والمصدرين الأجانب الذين استفادوا من ارتفاع الأسعار• وبذلك زاد التناقض بينهم وبين الكادحين من الفلاحين الذين كانوا يروون القطن بعرقهم ودمائهم • وكان هذا الحرمان فى القاعدة بتناقضه مع الرخاء فى القمة من أسباب الاحتكاك الذى أشعل شرارة الثورة • »

تلك كانت صورة المجتمع ، مجتمعنا قبل ٢٣ يوليو •. مجتمع يملك الكثير ولديه الكثير غير أنه عجز عن تسيير هذه الطاقات فى اتجاهاتها البناءة الصالحة • وأصبحت المعركة فى جوهرها معركة ضد القوى الاستعمارية التى صادرت أموالنا وزلزلت اقتصادياتنا بعد أن اشترت منا الخام والمعادن والبترول بثمن بخس لا يلبث أن يسترده مقابل كماليات تافهة أضعفت معنوياتنا ، وربطت وجودنا بمباهج وملابس فانية وانطبقت علينا أحاديث الرسول العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله :

« ان القوم لما شبعت بطونهم ، سمنت ابدانهم ، فضعفت قلوبهم ، وجمحت شهواتهم (رواه البخارى) » •

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« ان شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم » • (رواه المنذرى) • كما يقول : « انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » • (رواه البزار) •**

اذن فواجبنا الاول بعد قيام ثورتنا ضد كل مخلفات الماضى السحيق ، واجبنا أن نطهر نفوسنا من الرذائل والظلم ، وأن نطهر صفوفنا من التفاهة والضعف •. حيث يقول الله تعالى :

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » •

فنحن اذن بحاجة الى لون من الصرامة يحيط بمعايشنا وتقاليدنا حتى نسير فى هدى كتاب الله وسنة رسوله فاذا قويت علاقة الناس بالله • ضبطوا شئونهم وحكموا أهواءهم وأقاموا فرائضهم ، أما اذا وهت العلاقة بين المخلوق والخالق • فان الأهواء والرغبات تسود وتهمل الواجبات والعبادات• ووصف القرآن الكريم هذا الحال وصفا دقيقا رائعا فى سورة مريم :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » •

والأمر الذى يجب ألا يغيب عن أذهاننا هو أن رسالة الاسلام لا تفرق على الاطلاق فى شمولها بين شئون الدين والدنيا ، وبمعنى أوضح أن اصلاح سبل معايشنا فى اطار فلسفة الدين الاسلامى ومن روحه تمنحنا طاقات روحية كفيلة بأن تدفعنا للارتفاع الى مستوى المسئولية الملقاة علينا تجاه مشاكلنا الداخلية وازاء العدو المتربص بنا وبمصيرنا •. ويقول الميثاق فى بابه الخامس :

« ان مرحلة نضالنا هى النقطة التى انتكست بعدها حركات شعبية كانت تبشر بالأمل ولكنها نسيت نفسها •• ونسيت أن عناصر الاستغلال الداخلى متصلة عن قرب مع قوى الضغط الخارجى ، فان الصلة بينهما والتعاون تفرضهما ظروف تبادل المنافع والمصالح على حساب الجماهير » •

وهكذا أصبح الاستغلال ، والاحتكار ، والاقطاع، هم أصحاب المنافع والمصالح الأصيلة فى هذا المجتمع •. وهكذا فقدت الجماهير

الشعبية كل مقومات الوجود الانسانى •
وتحت ضغط الفقر وعدم توازن العلاقات السائدة فى مجتمعنا الانسانى ضاعت الجماهير • وتشتت طاقاتهم هباء •• وعجز الوطن عجزا تاما عن أن يؤثر أى تأثير ايجابى فى كل ما يحيط به وهكذا وصلت الرجعية الى الموقع الذى تصادمت فيه مصالحها مع مصالح مجموع الشعب •

اذن الخلاص •• هو فى العودة الى الاسلام •• الذى يقيم الحدود على كل معتد أثيم حتى حتى ولو كان حاكما • فالاسلام هو الذى يستهدف العدالة السياسية والاجتماعية يقينا •• ويترك وسائل تحقيق هذه العدالة وفق أطوار الزمان ومصالح الناس • والاسلام هو الذى وضع القواعد الصلبة •• لكل قواعد المعاملات فى كل زمان ومكان ، فهو الدين العملى الذى يكفل النجاح المادى والروحى معا ليظل الجماهير المسلمة بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقة• فى الوقت الذى لايحتمل الاسلام الرجعية على اطلاقها ، فشعار الاسلام دائما أبدا هو الرقى والتقدم والعمل الخلاق• ولا وجه للمقارنة أبدا بين رسالة الاسلام وبين المنزلة السحيقة التى وصل اليها المسلمون فى هذا العالم • الذين اشتغلوا بأهوائهم عن هداياته وبمآربهم الشخصية عن أهدافه العليا • ويقول الله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

سورة ال عمران •

ولا يمكن لخير هذه الأمة الاسلامية أن يشع نوره الا بقدر ما تعكس من منافع على الناس ، فأقطار الأرض كلها ينبغى أن تنظر الى هذه الأمة التى أخرجتها العناية الالهية فتلمح فيها خيرها الذى تنشده ••

والواقع أن الخير الذى رسمه الميثاق ، ووضع مخططاته فى كافة قطاعات مجتمعنا المسلم ، ماديا ، وروحيا ، وسياسيا ، وثقافيا •• الواقع أن الباب السابع الذى جاء فيه :

« ان الانسان العربى قد استعاد حقه فى صنع حياته بالثورة • ان الانسان العربى سوف يقرر بنفسه مصير أمته على الحقول الخصبة وفى المصانع الضخمة ، ومن فوق السدود العالية ، وبالطاقات الهائلة المتفجرة بالقوى المحركة• ان معركة الانتاج هى التحدى الحقيقى الذى سوف يثبت فيه الانسان العربى مكانه الذى يستحقه تحت الشمس • ان الانتاج هو المقياس الحقيقى للقوة الذاتية العربية تعويضا للتخلف واندفاعا للتقدم ، ومقدرة على مجابهة جميع الصعاب والمؤامرات والأعداء وقهرهم جميعا لتحقيق النصر فوق شراذمهم المندحرة •• »

وهكذا تبدو ملامح مجتمعنا الاسلامى واضحة قوية ، تهدف مخططاتها للتمكين لهذا المجتمع فى الأرض لتسود كلمة الاسلام .. وتستقر شجرته المقدسة ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء •

خواطر مستشار

مقارنات
بين الشريعة الإسلامية
والقوانين الوضعية

حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار على على منصور

بدأنا الكلام فى المقال السابق بتمهيد حددنا فيه ما يقابل السياسة الشرعيـــة من قوانين وضعية وقلنا أنه القانون العام بقسميه القانون الدستورى والقانون الادارى • وعرفنـــا كلا منهما • ثم قفينا على ذلك ببيان أن الاسلام دين ودنيا وفندنا قول من قال غير ذلك •

وتناولنا بالحديث فى ايجاز بعض أنظمـــة الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية الأولى فى عهد النبوة وها نحن نتابع القول •

الهجرة تدبير سياسى وادارى :

ورد فى القرآن الكريم « قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قال ألم تكن أرض الله واســعة فتهاجروا فيها » • لما اشتد الأذى بالمسلمين الأوائل فى مكة ، أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة مرتين ثم كانت بعد ذلك الهجرة الى

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام

المدينة • ونود أن نشير الى أن ما درج المؤرخون على ذكره كسبب للهجرة الى الحبشة وهو الفرار من أذى قـريش ، لم يكن الا السبب الظاهر ، وهو ما اعتقدته قريش وتاهت به صلفا واستكبارا ، بل هو ما ظنه بعض المهاجرين من المسلمين • أما الســبب الحقيقى لدى الرسول حين أذن لبعض أتباعه بالهجرة الى الحبشة فهو الترويج للدعوة الاسلامية بين الأحباش واظهار ما عليه اتباعها من التزام للمثل العليا والصبر والمصابرة ايثارا للسلم ، واظهار ماعليه خصومهم من التجبر والظلم • وذلك كله أشبه بما تفعله الدول الحديثة من العمل أولا على كسب الضمير العــالمى من طريق الدعاية السلمية وبث الوفــود الى أن يقتضى الأمــر سياسة أخرى •

وان شئت أن تعرف تفصيل هذا الأمــر فارجع الى كتب السيرة عن هجرة الحبشة ، لكى تعلم كيف أرسلت قريش فريقا من سادتها فى أعقاب المهاجرين لتفسد عليهـــم الجو عند النجاشى • وكيــف دار الحــوار بين الفريقين أمام النجاشى ، فأسرف وفد قريش فى ذم محمد وأتباعه وانتهى الى طلب تسليم هؤلاء المجرمين الفارين لاعادتهم الى ذويهــم • أما المهــاجرين المسلمين فتحدثوا عن أنها دعوة الى عبادة الله وحده والايمان برسله وكتبه ونبــذ الأوثان والشرك ، والاستمساك بالفضائل والبعد عن الفحشى والخيانة والزنا وشرب الخمر • ثم

اسهبوا فى كيف أنهم يدعون الى دينهم بالحسنى وكيف قابلهم أهلهم من المشركين بالأذى ، فلم يقابلوهم بالمثل بل أنهم فروا بدينهم الى بلد فيها ملك كتابى وانتهوا الى طلب الأمان وحق الالتجاء السياسى ، فأعطاهم النجاشى هذا الأمان ، وقيل أنه نطق بالشهادتين وقال انه لولا ملكى لأتيت محمدا وآمنت به .

فانظر ما كان لهذه الهجرة من أثر طيب عند النجاشى وقومه كسب به المسلمون قلوب الأحباش وأمنوا جانبهم أن يميلوا مع قريش ، وكان فى ذلك ما فيه من حماية للظهور وأمان للمسلمين من أن تفجأهم الحبشة من وراء ظهورهم ، وهم الذين كانت لهم هجمة سابقة غير بعيدة على الكعبة عام الفيل حيث اعتزموا هدمها وصرف العرب عن الحج اليها . وبذلك أصبح الأحباش على ود مع المسلمين .

ومثل ذلك يمكن أن يعلل به لبيعتى العقبة بل وللهجرة الى المدينة فهى وان كانت فى ظاهرها فرار من الأذى ، الا أن فى انتشار الأمر فى الجزيرة على أن قريشا أخرجت ابنها البار الأمين بعد أن أشبعته ظلما وشيعته بالأذى فاضطر الى الهجرة بنفسه وبدينه الى حيث أواه أهل المدينة ونصروه . فى هذا كسب وأى كسب للدعوة الاسلامية وصاحبها لدى جميع القبائل بما جبلت عليه النفوس البشرية من عطف على المظلوم . هذا فضلا عما فى خروج الرسول وصاحبه وافلاتهما من الحرس الشديد الذى ضربته قريش حول داره من معرة تحدث بها عرب الجزيرة . فكانت ذكرا طيبا لمحمد وصاحبه ودعوته وكانت دلالة على حماية الله له . ولقد سجل الله – سبحانه وتعالى – تلك النصرة فى القرآن الكريم بقوله « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » وفى آية أخرى يقول « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا** » .

وكانت الهجرة الى المدينة أيضا حدا فاصلا بين سياستين وعهدين ، عهد المسالمة وعهد الجهاد ورد الأذى بمثله « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » .

اختيار الولاة والعمال وتنظيم أعمالهم ومراقبتهم :

ذكرنا من قبل أن الرسول كان يختار الولاة والعمال حسب الكفاية وحسب طبيعة العمل الذى يتولاه كل منهم . وكان يقدر لهم رواتب كل بقدر عمله وبحسب حاجته وكان يزودهم بالوصايا وكان يداوم الرقابة عليهم ومن أمثلة ذلك أنه :

كان يختار العمال من الصالحين أولى العلم والدين ومن المنظور اليهم فى العرب وكان يكشف عن عملهم ويفتشهم ويتتبع أخبارهم ويعزل من أساء منهم وقد ورد فى طبقات ابن سعد أنه عزل العلاء ابن الحضرمى عامله على البحرين لما شكاه وفد عبد القيس وكان يستوفى الحساب على العمال يحاسبهم على ما جمعوه من ذكاة وغيرها وما أنفقوه وجاء أحد عماله بما جمع وقال هذا لكم وهذا أهدى لى فغضب الرسول ووقف يخطب الناس ويلوم هذه الفعلة ولكن لا يذكر الوالى باسمه فقال (ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى الى أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر أيهدى اليه أم لا) . فكان ذلك أساس القاعدة القانونية التى شملتها جميع القوانين الجنائية والادارية وهى أن الهدية للحاكم ضرب من الرشوة .

وكان يجرى الرواتب على العمال فقد حدد لعتاب بن أسيد حين ولاه على عكة درهما كل يوم وكان يجعل لبعض الولاة والعمال فضلا عن ذلك رزقهم بما يطعمون منه وكانت تتغير الرواتب حسب الظروف فمن قوله عليه الصلاة والسلام (من ولى لنا ولاية ولم يكن له بيت فليتخذ بيتا أو لم تكن له زوجة فليتخذ زوجة أو لم تكن له دابة فليتخذ دابة) .

ومر بك ذكر حديث الرسول حين أتاه عمه العباسى وقيل أبو ذر الغفارى يطلب أن يوليه ولاية فقال له (انها لأمانة وانها يوم القيامة

لخزى وندامة الا من أخذها بحقها ووفى الذى عليه فيها) • وقوله (من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى أحدا عليهم محاباة فعليه اللعنة الى يوم الدين) •

وبهذه العبارات القصيرة التى هى من جوامع الكلم وضع الرسول أهم قواعد القانون الادارى : فولاية مصالح الناس أمانة ومن خانها حوسب فى الدنيا والآخرة ، ولا تفاضل بين طلاب الوظائف الا بالكفاية والأمانة والقدرة دون القرابة والمحاباة ، وان على كل عامل أن يؤدى للوظيفة حقها من التفانى فيها والاخلاص لها • وان لكل عامل على عمله أجر قد يصل الى حد تخصيص المسكن والمركب والزوجة •

وكان من خيرة من ولاهم الرسول على جباية المال عبد الله بن رواحة اذ أرسله الى خيبر يخرص عليهم نخيلهم فأرادوا أن يرشوه وجللوا له حليا من حلى نسائهم فقال لهم عبد الله (انما أتيتكم من عند أحب الناس الى وأنتم أبغض خلق الله الى وما حبى له وبغضى لكم بحاملى على أن أحيف عليكم وأما ما عرضتم على من الرشوة فهو سحت لا نأكله) فقالوا (بهذا العدل قامت السماوات والأرض) وكان اذا وفد عليه وافد وأسلم يعهد اليه أن يعلم قومه الدين وكان يولى امام كل قبيلة عليها لنفور طباع العرب اذ ذاك أن يتقدم على القبيلة غيره وكان يأمره أن يبشر الناس بالخير ويعلمهم القرآن وأن يلين لهم فى الحق ويشتد عليهم فى الظلم وينهاهم عن الدعوة الى العصبية وأن يكون دعاءهم لله وحده وأن يأخذ خمس الأموال وما كتب على المسلمين فى الصدقة وأن من أسلم من يهودى أو نصرانى فانه من المؤمنين له ما لهم وما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فلا يفتن عنها •

وكان عليه الصلاة والسلام يتخذ من أهل الرأى والبصيرة مجلسا للشورى وكتابا وأمناء للسر بلغ عددهم اثنين وأربعين وقيل زادوا عن ذلك بكثير وكان يقسم العمل بينهم فبعضهم للرسائل الداخلية وبعضهم لرسائل الملوك والأمراء وبعضهم لاحصاء الايراد والمنصرف •

مجلس الشورى

أما عن مجلس أهل الشورى فما انفك الرسول عن استشارة أهل الرأى والبصيرة ومن شهد لهم بالعقل والفضل وأبانوا عن قوة ايمان وتفان فى بث دعوة الاسلام • وهم سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار منهم حمزه وجعفر وأبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وسليمان وعمار وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال ، وسموا النقباء لأنهم ضمنوا للرسول اسلام قومهم والنقيب الضمين وكان له عرفاء أى رؤساء جند ويكتب له بعض جلة الصحابة من الكملة والكملة فى الجاهلية وأول الاسلام هم الذين كانوا يكتبون بالعربية ويحسنون العوم والرمى •

كان كاتب العهود اذا عاهد والصلح اذا صالح على بن أبى طالب • وممن كتب له أبو بكر وعمر وعثمان والزبير ، وخالد وابان ابنا سعيد بن العاصى وحنظلة الأسيدى والعلاء ابن الحضرمى وخالد بن الوليد وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن ابى سلول والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتب فيما بينه وبين العرب وجهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن مسعد بن أبى سرح وبلغ كتاب سره حذيفة ابن اليمان • وكان الحارث بن عوف المرى على خاتمه ، وخاتمه من حديدملون عليه فضة نقش ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر • ويضع خاتمه أيضا عند حنظلة بن الربيع بن صيفى بن اخى اكثم ويكون خليفة كل كاتب من كتاب النبى غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم الرسول وكذلك كعب ابن عمرو بن زيد الأنصارى كان يقال له صاحب المغانم وحذيفة بن اليمان يكتب خرص تمر الحجاز والعلاء بن عتبه وعبد الله بن الأرقم يكتبان بين الناس فى قبائلهم ومياههم • وكان عبد الله بن الارقم وشرحبيل بن حسنة يكتبان للملوك عن الرسول • والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات والمغيرة بن شعبه والحصيل بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات •

الكلمة المسلمة

الاستاذ أنور الجندى

وجدت الكلمة المسلمة الدعاة الأبرار فى كل جزء من اجزاء العالم الاسلامى ، هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم لها خالصة ، دون أن يشركوا معها عملا آخر من أعمال الفكر أو الادب أو الصحافة ، وقد آثروا أن يحتملوا فى سبيلها كل جهد ، دون أن يصرفهم ذلك عنها ، صادقين فى أن يكشفوا للناس وجه الحقيقة فى كل مكان .

ومنذ الثلاثينات ونحن نقرأ فى صحف العالم العربى أسماء عبد الله كنون فى المغرب ومالك بن نبى فى الجزائر والفاضل بن عاشور فى تونس ومحمد المبارك ومصطفى السباعى ومصطفى الزرقا وبهجت البيطار فى الشام وبهجت الأثرى فى العراق .

وكثيرون غير هؤلاء مازالوا يحملون لواء الدعوة الى الاسلام فى أطراف العالم الاسلامى ، وهم فى عملهم يترسمون ذلك الخط الواضح البين الذى مضى عليه الرواد الأوائل فى العصر الحديث كابن عبد الوهاب والشوكانى والالوسى ومحمد عبده وفريد وجدى ورشيد رضا .

وخلاصة الدعوة التى يحملها « دعاة الاسلام » هى العودة الى منابع الاسلام وأصوله السمحة البسيطة ، والفهم لحقيقة الاسلام من أنه ليس دينا فقط وانما هو دين وحضارة ومجتمع ، وان الخلافات الواقعة بين المسلمين انما هى خلافات فرعية لا تتصل بجوهر العقيدة ، وان الاسلام محجوب بالمسلمين ، فالمسلمون الآن فى العالم الاسلامى لايمثلون حقيقة الاسلام ، ولايمكن أن تكون صورتهم هذه حجة على « حقائق » الاسلام وقيمه وأسسه فقد تحولوا كثيراً عن مفهوم الاسلام الأساسى ، واضطربت بهم تطورات الحضارة وحركة الحياة .

ويواجه الاسلام فى حياته الحاضرة مشكلات دقيقة تتمثل فى نفض الأغشية التى لصقت به فى سنوات الضعف والجمود ، ومواجهة مشاكل الحضارة الحديثة ، ومواجهة مايوجه اليه من اتهامات فى ظل خصومة عنيفة متعصبة تملك من وسائل الخصومة الفكرية أدوات ضخمة تفرض بها آراءها وتذيعها وتنشرها وتجد لها من يحمل لواءها فى دهاء ومكر مظللة بأسماء مختلفة وتحت اطارات منوعة ، تهدف كلها الى هدم الاسلام والقضاء على مقوماته فى نفوس المسلمين .

وقد زاد من هذه التحديات أن تجمعت قوى كبيرة تخاصم الاسلام وتحاول أن تنزع منه قيمه ، وتقضى على مقوماته ، تتمثل فى الصهيونية والصليبية الغربية ، والشيوعية ، ومذاهب الوطنية الضيقة ، ودعوات فكرية على الطريق : كالوجودية والمادية والأديان غير المنزلة ، ونزعات مختلفة تحمل لواء الالحاد والاباحة تجد طريقها الى العالم الاسلامى من كل مكان ، وتدخل عليه فى صور مقنعة ، تهدف الى خلق قيم جديدة ، تحاول أن تحل محل القيم الأساسية ، وتقضى على شخصية الأمة ، وفكرها وتراثها وثقافتها ومفاهيمها أو بلبلة أهدافها على الأقل .

ومازال قوى حية ثائرة — كثورتنا المصرية العربية — تدافع هذه التيارات لترسى بناء الأمة على أسس من قيمها الأساسية وملامح شخصيتها ، مع الانتفاع بقوى الحضارة والصناعة دون استيراد المذاهب والأفكار أو الوقوع تحت سيطرة أى عامل من عوامل التبعية ، ولقد كان الاسلام دائما وكانت الأمة العربية قادرة على أن تأخذ وتعطى ، وان تتقبل الثقافات والأفكار والحضارات دون أن تقتلعها تلك من مكانها او تطغى على ملامحها وقيمها الأساسية .

وامامى وأنا أكتب هذا بحث رائع للاستاذ بهجت الأثرى علامة العراق عن « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » وكتاب طبى للاستاذ عبد الله كنون علامة المغرب ، عنوانه

« مفاهيم اسلامية » وكلا الكاتبين ، واحدهما من مشرق الأمة العربية والآخر من مغربها يتناول هذه المعضلات والأزمات التى تواجه الاسلام فى هذه المرحلة من حياته .

أما بهجت الأثرى فيرى أن ليس للاسلام مشكلات فى نفسه ، وانما مشكلاته هى من خارج نفسه فى القديم وفى الحديث ، فأما مشكلاته من خارج نفسه فى القديم ، فقد نشأت له من سلسلة الأزمات والكوارث والحملات العنيفة التى تعرض لها فى تاريخه المديد ، وكان الباعث عليها عوامل شتى من العصبيات والأحقاد وقفت له بالمرصاد ونزلت الى ميدانه تصارعه وتغالبه ، لتقضى عليه أو تحد من نشاطه السياسى ونفوذه العالمى ، وتقف بموجاته حيث تستطيع أن تقف بها من شرق الأرض وغربها فى سلسلة طويلة من الصراع بينها وبينه تركت آثارا سيئة فى حياة المسلمين العامة ، وقد ترتب على هذا الصراع نتائج سياسية وروحية وعقلية واجتماعية ، ونشأت آفات ، نفذت الى الاسلام بوسيلتين : هما السياسة والدين ..

ولطالما ظهرت الحركات السياسية متبرقعة ببراقع الدين أو المذهب ، وقد بدأت الحركات الأولى بمحاولة قلب الدولة الاسلامية وهى فتية غضة ، ظهر ذلك أول ماظهر فى المؤامرة اليهودية المجوسية التى نفذها « أبو لؤلؤة المجوسى » ، فقتل عمر بن الخطاب قائما يصلى فى المحراب .

فلما أخفقت فى تحقيق غايتها بهذه الوسيلة ، عمدت الى اثارة الفتن الداخلية ، وتمزيق الوحدة الاسلامية بانشاء الأحزاب السرية والعلنية والتحزب للأسر الكبيرة فى الاسلام ، ونشر فكرة الحق الالهى فى الدولة ، وابطال الشورى ، فنشب الصراع على الخلافة ، واستتبع ذلك انتقال الحكم من يد الى يد بعوامل العصبيات القبلية والمذهبية ، وبذلك دخل الوهن على الوحدة الاسلامية .

وكان أخطر ماقامت به هذه الحركات فى توجيهاتها الخفية هو العمل على تحويل توجيهات الاسلام الروحية وتشريعاته ونزعاته عن مجاريها العالمية تحويلاينتهى به الى اضعافه واماتة حيويته ، ليمكن لها من احياء عصبياتها القديمة .

فعمدت أول ماعمدت الى الأصل الذى يقوم عليه « بناء الاسلام » وهو « التوحيد » الخالص ، وتفرع من ذلك سعيها فى تشويه حقائق معظم الأمور ، وتغيير صورها بتحريف وجهاتها والابتعاد بمقاصدها عن مفاهيمها الحقيقية .

وكان من وسائلها الى ذلك الوضع وتمحل التأويل لنصوص الكتاب والسنة ، والقول بأن للقرآن وأحكامه ظواهر وبواطن ، واضافة البدع والمحدثات الى الدين والعبادات ، واشباع الأذهان بالخرافات والأقاصيص والأساطير الاسرائيلية .

ويقول بهجت الأثرى انه كان من عواقب ذلك انتقال السلطان الى أيدى الموالى والهجناء من رواسب الأمم الذين طواهم الاسلام ، ومنها فشو الجهل ، والأمية والاستعجام ، وانتهاء أزمة التوجيه الروحى والفكرى ، بتأثير هذين العاملين الى المتصوفة واشباه الفقهاء ، وقد نشأ هؤلاء فى ظلال الفساد ، وورثوا تلك الصورة المشوهة للاسلام ، كما صاغها أعداؤه ، ولم يكن لهم من الذكاء وحرية الرأى وسعة العلم مايعينهم على التحقيق والتمحيص ، فاقتنعوا بصدق الصورة التى نقلت اليهم عن الاسلام ، وزادوا فسادا بجمودهم وفساد تخيلاتهم وابتعادهم عن مصادر الاسلام الأولى .

ورجع الناس فى كسب معارفهم الدينية الى مقالات أهل الملل والنحل ، ومذاهب الروح وفلسفة الاستشراق ، ومسائل الاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، فحجب ذلك عنهم دينهم ، وكان سلطان طوائف (١) المتصوفين فى العهود الأخيرة خاصة ، أقوى سلطان على عقول الجماهير ، وكان مسلكهم يجرى على هوى الطبقات الحاكمة فى حجب الأبصار عن ترفهم وباطلهم وتعسفهم ، فوطد للمظالم وللاستبداد ووقف فى وجه الاصلاح والمصلحين .

ويقول بهجت الأثرى : غير أن هناك حقيقتين تاريخيتين أمسكتا العالم الاسلامى أن ينهار والاسلام أن يزول ... وقاومت غارات التتار وحملات الصليبيين ، هاتان الحقيقتان انما ترجعان الى بقاء « القرآن » بنجوة من كل هذه التيارات سليما لم يمسسه سوء ، وعمله فى نفوس المسلمين بما تثيره تلاوته من شعور سليم يحملهم على تصحيح المواقف التى كانت تدفعها اليها الدسائس والحركات الهدامة دفعا .

● أما الحقيقة الأولى : فتتجلى فى المظهر العقلى العام للمجتمع الاسلامى فى تلك العصور على ما أصابه من فساد وكان ذلك امتدادا لوراثة التوجيه القرآنى للمجتمع الأول. فلم يشهد المجتمع الاسلامى ما شهدته أوربا من تحجر العقول ، وقسوة الضمير فى مصادرة الحريات ، والضراوة فى ابادة الكتب ومحاربة العلم والعلماء ، وانزال العقوبات بالمفكرين ، ويذكر التاريخ أن الذين عوقبوا فى أوربا بلغوا ثلاثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء ، كان منهم العالم الطبيعى « برونو » وعوقب العالم « غاليليو » بالقتل ، لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس ، وحبس « دى رومنس » فى روما حتى مات ، ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها بالحرق ، لأنه قال ان قوس قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد ، بل هى من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء . وأصاب جيوفت فى جينيف وفاينى فى تولوز ما أصاب هؤلاء وحرقا شيا على النار .

فتاريخ الاسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر والعلم الذى عرفته أوربا ، والأحوال النادرة التى عوقب فيها رجال على آرائهم تعد شاذة جدا فى المجتمع الاسلامى وقد ارتبطت ببواعث سياسية خطيرة تتعمد قلب الدولة والقضاء عليها ، كما حدث للحلاج المجوسى وقد اكتشف بين الحلاج والجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة .

● أما الحقيقة الثانية : فهى اتصال تاريخ الاصلاح والتجديد فى الاسلام فى مختلف عصوره ، فقد تواتر العمل على تجديد شباب الاسلام ، من علماء مصلحين رافعين لمشاعل التجديد ، ثائرين على البدع والمحدثات التى غيرت وجه الاسلام ووجهته ينعون على المسلمين انحرافهم عن سنن القرآن ويدعونهم الى الرجوع الى الاسلام الصحيح فى صورته الحقيقية قبل أن تعدو عليه الشعوبية ومسلمة اليهود بالتشويه .

وبذلك تسلسلت وتوالت « مشاعل » الاسلام ، مرجعها جميعها العودة الى أصل « الدين » وهو « القرآن » ، ومازال الكتاب والسنة الصحيحة يبعثان الثورة على الوثنية والبدع وترف المترفين واستبداد الأمراء والثورة على الجمود .

(١) لا نتابع الأستاذ بهجت الأثرى فى رايه عن الطرق الصوفية تماما ، بل نرى أن بعض الطرق الصوفية النقية قد قامت للاسلام بعمل كبير ضخم ، لاحد له ، ولم يكن فى استطاعة غيرها القيام به ، ومن هذه الجماعات النقية السنوسية وغيرها من الجماعات التى نشرت الاسلام فى شمال افريقيا وشرقها على نحو باهر ، وهناك جماعات أخرى عاونت الاستعمار .

وكان لاستمرار هاتين الحقيقتين في العالم الاسلامي أعظم الأثر في بقائه متماسكا وفي حفظ الاسلام من الزوال .

وتناول بهجت الأثرى مشكلات ((الاسلام)) الحديثة وهي عنده ناشئة من الاحتلال الأوربي ، وتكمن وراء طبيعة الاحتلال ووسائله في تثبيت أقدامه في دياره فقد دهم الغرب بلاد الاسلام وحمل معه مظاهر حضارته ومذاهبه في الدين والاجتماع فأخذوا منها وتركوا .. ووقف بعض الناس موقف الجمود والآخرون موقف التبعية ، ووقفت المدرسة الوسطى بين هؤلاء وهؤلاء ، لايندفعون في التقليد ولا يشايعون الجامدين ، وانما يلاحظون الظواهر ويتعمقون البواطن ويرصدون الوجهات والغايات ثم يعرضون ذلك كله على العقل والمثل القومية والدينية فيأخذون منها ويرفضون ، ويضيعون عليه في ذلك روحا جديدا يجعله ملكا خالصا للحياة الاسلامية .

ولكن الاستعمار لم يقف عند هذا ،وهدفه اذابة شخصية الأمة في هذه الحضارة وتغيير ما بأنفسهم من روح الاعتزاز بعقيدتهم والتعلق بلغتهم وبتاريخهم والاكبار لحضارتهم تغييرا يسلمهم الى الخضوع لارادته ، والفناء في مذاهبه ، فسعى الى ذلك أول ماسعى بالتبشير وكان يظنه سلاحا نافذا فلم يثمر ، وحينئذ نشر فكرة ((التعطيل)) بين المسلمين لقطع صلتهم بالاسلام ، فأسس مدارس خاصة لنشر تعاليمه ، تشرب روح الالحاد ، ولا سيما أولاد الأمراء فضل منهم كثير ، وهال ذلك جمال الدين الأفغاني فألف رسالته المشهورة الرد على الدهريين ، فقد أشار الأفغاني الى هذا في قوله ((فكروا في أمر يضعف أثر هذه العقيدة في نفوس المسلمين فرأوا أن أقرب وسيلة الى نيل مرادهم هو نشر التعطيل بين المسلمين)) .

وقد انتشرت شبكة المدارس الأجنبية منذ منتصف القرن التاسع عشر في معظم البلاد الاسلامية وكان لها أثرها في صياغة أخلاق الشباب المسلم وتكوين ذوقهم واعدادهم للتأثر بالمؤثرات الأوربية .

وكان هدف هذه المؤامرة نقض صرح ((الثقافة الاسلامية)) من أساسه وتحطيمه تحطيما شاملا .ثم مضى ((الاستشراق)) يغذى هذا العمل .

أما المظهر الثانى ليقظة الاسلام فهى تلك ((الحركة)) الدينية العنيفة التى نشأت في جزيرة العرب في أثناء القرن الثامن عشر ، فلفتت اليها العالم الحديث في الشرق والغرب وهى حركة الوهابيين ، وكانت امتدادا لانتفاضات قديمة في آثار ابن حزم في الأندلس وابن حنبل في بغداد وابن تيميه في الشام .

وكان لهذا أثره في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وبلاد شمال افريقيه والهند وتركيا وغيرها ... ثم ظهرت فكرة ((الجامعة الاسلامية)) يحمل لواءها جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وأعظم مؤيديها مسلمو الهند ، وقد ايقظت هذه الحركة الشعور بالوحدة الاسلامية وتقويته ، غير أن حركة السلطان عبد الحميد ــ القائمة على الاستبداد والرجعية كانت عاملا هاما في تجميد هذه الحركة ، حين خنق مدحت ونفى الأحرار وقرب الصيادى ، وكان أن انتهى عبد الحميد فسقط بعد ثلاثين عاما من حكمه .

وهكذا ــ كما صور بهجت الأثرى ــ كانت مهمة زعماء الاصلاح الاسلامي تستهدف وجهتين : ((الهدم والبناء)) في وقت معا ، ثم تقيم ((البناء على أساس مهم جدا)) لايتم أمر عظيم بدونه ، وهو : تغيير نفسية الشعوب الاسلامية وتحريرها من المنازع الفاسدة والأهواء الدخيلة

ولذلك كان لابد أن يبدأ الاصلاح من جذوره : بالتخلص من رواسب العقائد الباطلة ، وهو النهج الذى سار عليه ((محمد عبده)) وتلاميذه وخلفاؤه في أواخر القرن التاسع عشر ، من القدرة على ملائمة المواقف الجديدة التى دفع اليها المجتمع الاسلامي دفعا ، وحل المشكلات التى أثارها الغرب بتوجيهاته الى الالحاد والتشكيك في الاسلام ، أو نشأت من مغالبة الثقافة الحديثة في أمهات مسائل المعرفة .

هذا المنهج فيه هدم لأصول العوامل القديمة التى عدت على الاسلام بافساد جوهره وتغيير صورته ، ونقض الشبهات التى يحيكها دعاة ((التعطيل)) الذين ربتهم مدارس الاحتلال ، وردها الشعوبيون ، ونفر من المستشرقين ضد الاسلام والقرآن والنبى .

وقد تناول هذا المنهج : أمهات قضايا العقيدة والشريعة والمجتمع والنظام والتربية والأخلاق . وموقف الاسلام من حرية الفكر والعقل والعلم والمدنية ومسالكه في السياسة والاقتصاد والحرب والسلام ، وفي معالجته لقضايا الانسانية الكبرى ، والصلة بين الأديان .

وقد ظهرت هذه الحركة في مصر ، وكانت مجلة ((المنار)) سفيرها ، ومنها انبثت في بلاد الترك والهند والصين وأرخبيل الملايو وترددت أصداؤها في آفاق الأناضول وأندونيسيا والهند .

وأبرزت شبلى النعمانى وسيد أمير على ومحمد على ومحمد اقبال ورشيد رضا والمراغى ومصطفى عبد الرازق وشكيب أرسلان والكواكبى والجزائرى والقاسمى والألوسى ورفيق العظم وابن باريس .

وقد تجمعت هذه الحركات في ثلاث وجهات كبرى .. تتلخص فيها جميع منازع الاسلام هى وحدة الاسلام ، ووحدة الأديان ، والوحدة الانسانية .

ولا جدال في أن اليقظة الاسلامية الحديثة قد اجتازت دور النداء الباطن ، ودخلت في دور الدعوة والتنظيم في سلسلة من الحركات قامت في مختلف أقطار الاسلام من الساحل الأطلسى الى أرخبيل الملايو ، وسارت قدما نحو وجهتها لاتبالى ما تأخذها به أوربا من سياسات الدس ، فنمت نموا خطير الشأن في بعض الجهات ودخلت في طور الاكتمال في بعض آخر ، أما الحركات الوطنية المحلية التى تسمى قومية فهى حركات تتضافر مع الاسلام في وجه الاستعمار ووجهتها الى الوحدة الكبرى الشاملة من غير شك ولا جدال .

والمراقبون الأوربيون يعترفون بأن شعور المسلمين بالوحدة سلاح ، يدافعون به عن أنفسهم ولن يتبذوه مستخفين به ، لأنه يسبغ القوة على هذه الوحدات المتفرقة ، ويلاحظون أن النزعات المنتشرة تسير بقوة في سبيل الاحتفاظ بأساس اسلامى للقوميات الجديدة ، وان السعى لتقويتها هو من أهم الحركات في العالم الاسلامى .

ويقرر ((جب)) أن ثورة المسلمين على مبادىء الحضارة الأوربية التى تعارض الأخلاق سيدفع المثقفين منهم حتما الى أن يزدادوا اصرارا على الدعوة الى الأخلاق السامية وأن يصروا على أصل الاخاء الانسانى الذى هو أساس الأخلاق الاجتماعية في الاسلام .

هكذا يكشف ((بهجت الأثرى)) صورة الاسلام في تطوره وماصادفته من أزمات في العصر الحديث على النحو الذى يدعو الى الاعجاب ، فاذا علمنا أن هذه المحاضرة بهذه

الجراة والقوة قد القاها فى الجامعة الأمريكية فى بيروت عرفنا كيف تكون الشجاعة الأدبية فى عرض المشـــكلات الفكرية .

وبهجت الأثرى علامة وباحث عربى اسلامى قديم ، له مؤلفات وآثار منشورة تحدثت عنها الصحف والمجلات منذ عام ١٩٢٤ تقريبا حين قدم تحقيقا لمؤلفات عربية ذات دلالة: منها أدب الكاتب للصولى ، والغرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر للألوسى ، وبلوغ الارب فى معرفة أحوال العـــرب للألوسى أيضا وأعلام العراق الذى ضم فيه سيرة محمود شكرى الألوسى وتراحم طائفة من نوابغ أسرته . وتاريخ مساجد بغداد وآثارها ، وتاريخ نشوء الرجز وتطـوره والمجمل فى تاريخ الأدب العربى .. الخ .

وهو منذ نشأته الأدبية فى بغداد فى العهد التركى بدأ بالدراسة الدينية فى سن الثالثة عشرة عام ١٩١٧ باللغـة التركية . ثم درس الانجليزية والفرنسية وشيئـــا من العبرية ، فلما لاحظ ضعف المعهد الاسرائيلى فى اللغـة العبرية ، قطع الدراسة فيه ، ومضى الى دراســة آداب اللغة العربية والاسلام وتخصص فيها ، لا من أجل طلب وظيفة فقد كان والده على شىء من الغنى ، ولكن من أجل استكمال النفس ، فاتيح له أن يتصل بالمدرسة الألوسية التى كانت عماد الثقافة العربية والاسلامية فى العراق : فاخذ عن علاء الدين الألوسى ومحمود شكرى الألوسى .

وقد أتيح له من ملازمته للعلامتين الكبيرين أن يستوعب من علوم العربية وآدابها وبلاغتها ، وتاريخ العرب والفلك كما تدارس الحديث والتفسير ، حتى توفى الألوسى عـام ١٩٢٤ ، وقد طبع نفسه بطابعه فسار على نهجه وخلفه فى كفاحه من أجل التجديد والاجتهاد ثم مضى فاتصـل بعالم الصحافة ، وتولى تحرير مجلة البدائع ، ثم تولى التدريس فى ثانوية بغداد حتى عام ١٩٣٦ ، ثم اتصـل بالأزهر فى القاهرة فدرس شئونه ولقى المراغى ، ثم عاد فتولى شئون الأوقاف فى العراق .

ثم تقلب بين التفتيش على اللغة العربية والأوقاف حينا ولكنه ظل خلال ذلك كله علامة العراق ، وشاعرها الـذى شارك فى ثورة رشيد الكيلانى بشعره عام ١٩٤١ ، حتى طورد بعد الثورة ستة أشهر ، ثم نفاه نورى السعيـد الى « الفاو » فى جنوب العراق معتقلا وراء الأسـلاك الشائكة ، ثم نقل الى معتقل سامراء ، فالعمارة ... ثلاث سنوات كاملة (١٩٤٢ - ١٩٤٤) فلما عاد الى بغداد من بعد عمل فى مجال الثقافة ، واشترك فى لجنة الترجمة والتاليف وفى المجمع العلمى العراقى ، ولم يقتصر عمله فى مجال العراق فقد كان معروفا فى مصر ، تنشر صحفها آثاره وقد شارك فى تاسيس جمعية الشبان المسلمين فى بغداد على نسق القاهرة ، واشترك فى عشرات المؤتمرات منهـا المؤتمر الاسلامى فى القدس ١٩٣١ ، ومؤتمرات الثقـافة العربية والأدباء والمجامع فى بيت مرى وبلودان ودمشق ، وشارك فى المجمع اللغوى المصرى ، وأتيح له أن يرحل الى القاهرة واليونان وتركيا والمغرب والحجاز وسوريا وباريس وروما ومدريد وزار الأندلس وعاش فى قرطبه أياما يذكر فيها مجد العرب والاسلام .

وهو فى مجال هذا التاريخ الطويل ، خلال أربعين عامه مرجع أصيل لكل باحث فيما يحتاج اليه ، ومؤرخ وباحث وعالم ، مهيب الطلعة ، سمح الوجه ، حلو الحديث ، يروعك بذكائه وفهمه ولباقتـــه ، وهو من أولئك الرواد الأبرار فى مجال الدفاع عن الكلمة المسلمة ، واللغـة العربية والأمة الوسط .

● أما العلامة عبد الله كنون فموعدنا بآرائه وحيـاته فصل قادم .

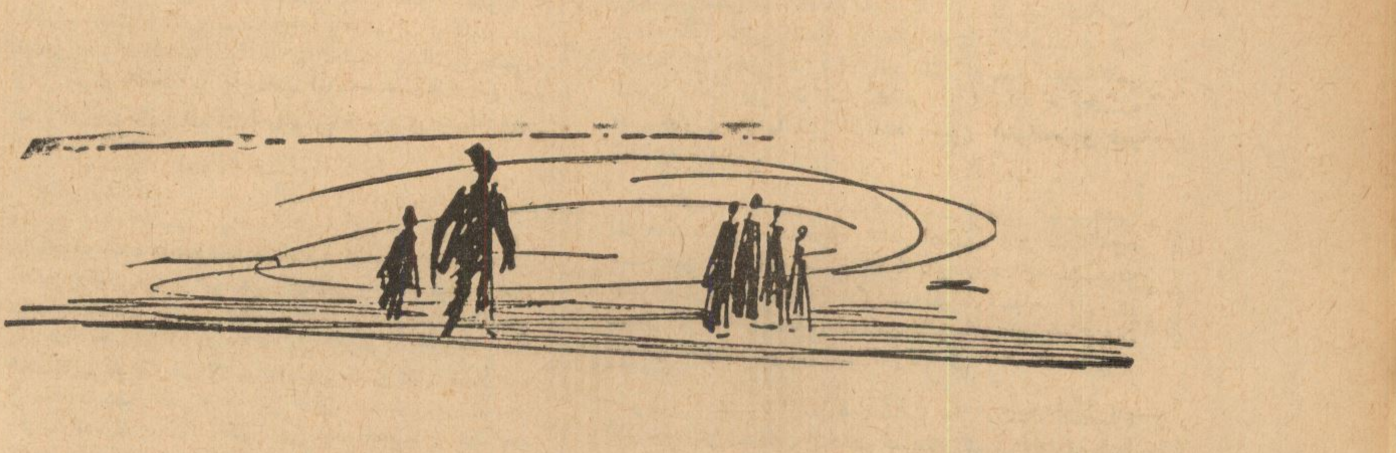

حول تعدد الزوجات

الأستاذ البهى الخولى

— ١ —

ليس هذا بحثا فى تعدد الزوجات ، لكنه أمور ، أو « عناصر » تتعلق بهذا الموضوع أرجو أن تكون تحت نظر السادة الذين تهمهم دراسته بمناسبة عرض قانون الأحوال الشخصية على مجلس الامة لمناقشته واقراره على ما ينتهى اليه النظر .

— ٢ —

ويجب أن يدرس الموضوع على أساس النصوص الدينية الواردة فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان يكون واضحا من أول الأمر اننا ننكر كل نزعة متحللة تضيق بالكتاب والسنة ، وتجهد فى اخراج الزواج ونحوه من وصاية الدين الى نطاق الأحكام المدنية البحتة ، فتكون النزوات العارضة ، والآراء الخاصة صائبة أو خاطئة ، هى المرجع فيما يوثق منه أو يحل على نحو ما هو معروف فى البيئات التى أخذت بالزواج المدنى ، ننكر تلك النزعة كل الانكار لانها خروج على الكتاب والسنة ، ولانها تفقد الزواج معنى « القداسة » وخصائص الاستقرار ..

ورباط الزوجية أكرم واشرف عقد فى هذه الحياة بين اثنين ، فيجب أن تتوفر له كل دواعى المهابة والوقار التى تشعر كلا منهما بما له من جد وكرامة ، .. فيتعاونان على شئون الحياة ، ويتفقان فيما يعرض لهما من أمورها أو يختلفان ، وهما فى ظله من قدسية الرابطة لا يفكر احد منهما أو يطمح ببصره أن ينال ذلك الرباط بسوء .. والدين وحده هو الذى يوفر للاحوال الشخصية — وغيرها — تلك الحقائق الجليلة والمعانى السامية .

واذ كان لابد من التزام النصوص الدينية فانا نذكر السادة الدارسين للموضوع بهذين النصين الكريمين فى سورة النساء :

١ — قول الله تعالى : « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

٢ — قوله تعالى : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل » .

— ٣ —

ومن الحقائق التى يجب ادخالها فى الاعتبار لدراسة هذا الموضوع ان روح الشريعة ونصوصها تأبى أن يكون الفرض من الزواج

هو قضاء الرغبات الجنسية ، ولذا قال العلماء فى تفسير قول الله تعالى : « **فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم** » ان المراد توجيه الهمة الى أن يكون الغرض من المباشرة هو طلب ما كتب الله من النسل ، لا ابتغاء اللذة .. ولقد جاء أن معقل بن يسار قال : يا رسول الله ، فلانة جميلة وهى لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال عليه الصلاة والسلام : لا .. ثم عاد الثانية يكرر الطلب ، فقال : لا : ثم عاد الثالثة يقول : فلانة جميلة وهى لا تلد ، أفأتزوجها ؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام : «لا .. تزوجوا الولود، الودود، فانى مباه بكم الأمم » .. ولسنا ندرى أكان معقل بن يسار يومئذ عزبا ، أو متزوجا ، ولكن الواضح من الخبر أنه أعجب بجمال امراة لا تلد ، فاستأذن الرسول عليه السلام فى زواجها ، فلم يأذن له لأنه رآه ينشد مجرد الاستمتاع باللذة ، أى يريد الزواج لغير مقاصد الشريعة .. فاذا كان هذا الرجل يومئذ عزبا فقد أبى له الرسول عليه السلام انفاذ غرضه ، واذا كان متزوجا فقد أباه له ايضا تنزيها للشريعة ان يتخذها الذواقون والذواقات وسيلة لقضاء ما تنزو به نفوسهم من شهوة ، **وقد قال عليه السلام : « ان الله تعالى لا يحب الذواقين ولا الذواقات »** قاله فى الذين يجعلون اهدافهم من الطلاق والزواج تطلب اللذة ، وقد روى الطبرانى فى ذلك : **« تزوجوا ، ولا تطلقوا ، فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات ..**

فاذا نظرنا فى تفسير قوله تعالى : **« فانكحوا ما طاب لكم من النساء »** على ضوء تلك الآثار لم يكن من السهل علينا أن نفهمه على أنه دعوة من الله تعالى لكل من استحسن امراة احس نحوها ميلا أن يتزوجها قضاء لمآربه ، وتوسعة على نفسه فى اللذة ، فان الذى اختاره الائمة فى تفسير هذا النص الكريم « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ان « ما طاب لكم » معناه ما حل لكم ، أى ما اجتمع له من أسباب الحل ما يجعله موافقا لمقاصد الشريعة .. قال القرطبى : **« حكى بعض الناس فى تفسير** « ما طاب لكم من النساء » أن « ما » فى هذه الآية ظرفية ، انكحوا ما دمتم تستحسنون النكاح ، قال ابن عطيه : « وفى هذا المنزع ضعف » .. فالقول حكاية بعض الناس لا جمهورهم ، وهو قول يضعفه ابن عطيه .. وابن عطيه امام مرموق بالتجلة بين علماء التفسير والفقه .

— ٤ —

ان النص الذى يفهم منه اباحة تعدد الزوجات يتجه فى الحقيقة الى خطر التعدد ، والاكتفاء بواحدة ، فان الوجه الذى اختاره العلماء المحققون فى قوله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت ايمانكم » هو أن العرب كانوا يتحرجون فى ولايتهم على اليتامى مخافة الجور عليهم فى أموالهم ، لما نزل من تغليظ عقوبة آكل مال اليتيم ، وكانوا مع هذا التحرج لا يبالون ما يأتون من مظالم مع نسائهم بترك العدل بينهم، فأنزل الله تعالى تلك الآية، يأمرهم فيها أن يتحرجوا من ظلم نسائهم كما يتحرجون من أكل مال اليتيم ، فان الظلم قبيح فى كل حال ، لا فى حالة دون أخرى ، وعليهم لاقامة هذا العدل ان يقللوا عدد الزوجات الى أقل عدد يمكن اقامته فيه بينهن **« فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم »** قال الزمخشرى فى تفسيره : « ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها ، فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء ، فقللوا عدد الزوجات ، لأن من تحرج من ذلك أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب ، لأنه انما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه ، والقبح قائم فى كل ذنب » .. ويروى الطبرى عن قتادة فى تفسير الآية الكريمة قوله « كما خفتم الجور فى اليتامى وهمكم ذلك ، فكذلك فخافوا جمع النساء — أى الزوجات — وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشر من النساء فما دون ذلك .. فأحل الله جل ثناؤه له أربعا بقوله : مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » .. يقول ان خفت الا تعدل فى اربع فثلاث ، والا فثنتين ، والا فواحدة » ..

ومن الامور التى يجب التحرج من الجور فيها أمور وجدانية لا ضابط لتحقيق العدل فيها بين النساء كالحب ، والميل .. واذا ، يجب ترك الزيادة التى تؤدى الى الجور ، اى الى ترك العدل ، وقد جاء هذا الوجوب فيما نقله القرطبى عن الضحاك وغيره فى تفسير قوله تعالى « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** » ، أى تعدلوا « فى الميل ، والمحبة ، والجماع ، والعشرة ، والقسم بين الزوجات .. فمنع من الزيادة التى تؤدى الى ترك العدل فى القسم وحسن العشرة ، **وذلك دليل على وجوب ذلك**»

فالامر فى قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » أمر للارشاد والتأديب ، لا للالزام والايجاب ، قال الامام الطبرى : « فان قال قائل : ان أمر الله ونهيه على الايجاب والالتزام حتى تقوم الحجة ، بأن ذلك على التأديب والارشاد والاعلام ، وقد قال تعالى فى ذكره : « فانحكوا ما طاب لكم من النساء » وذلك امر ، فهل من دليل على انه من الأمر الذى هو على غير وجه الالزام والايجاب ؟ ، قيل : نعم ، والدليل على ذلك قوله : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » فكان معلوما بذلك ان قوله : فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الأمر ، فانه **بمعنى الدلالة على النهى عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه** من عدد النساء ، لا بمعنى الأمر بالنكاح ، فان المعنى به : وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى ، فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا فى النساء ، فلا تنكحوا الا ما امنتم الجور فيه منهن » .

والطبرى ، والزمخشرى ، والقرطبى ـ وغيرهم ممن ذكرنا ـ أعلام فى الفقه ، والتفسير ، واللغة ، لا يمارى فى جلالتهم ولا امانتهم احد .. وقد قرروا فى تفسير النص الكريم ما قرروا ، ولا يجوز الفصل فى مشكلة تعدد الزوجات دون أن يكون لتفسيرهم ذلك اعتباره فى تكوين الرأى الذى نصير اليه ..

ـ ٥ ـ

وقد تضمنت النصوص الكريمة الواردة فى تعدد الزوجات عاملا اقتصاديا تجب مراعاته فى تقدير ظروف من يريد أن يتزوج باكثر من واحدة ، وذلك قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » .. قال الفخر الرازى وغيره فى تفسير قوله تعالى « ذلك ادنى الا تعولوا » ذلك أدنى ألا تفتقروا ، يقال رجل عائل أى فقير ، وذلك انه اذا قل عياله ، قلت نفقاته ، واذا قلت نفقاته لم يفتقر » فالمعنى على هذا القول أن الاكتفاء بواحدة أو ما ملكت اليمين يجنب الانسان الفقر ، كما يجنبه الجور بين النساء .. ونقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال : ذلك أدنى الا تعولوا معناه أدنى ألا تكثر عيالكم » .

ومن الانصاف أن المفسرين اوردوا فى معنى هذه الآية قولا آخر له اعتباره ، ففسروا : «ألا تعولوا» بأن معناه «ألا تميلوا ولا تجوروا» يقال عال الرجل يعول ، اذا مال وجار .. قال الفخر الرازى : « وهذا هو المختار عند اكثر المفسرين » ولكن الفخر عاد فى مقام آخر ينقل عن القاضى أن الوجه الذى ذكره الشافعى ارجح ، لأننا لو فسرنا قوله : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » بأن معناه فان خفتم أن تميلوا عن الحق بين النساء فواحدة ذلك ادنى الا تميلوا كان فى القول تكرار ، اما اذا حملناه على ما ذكره الشافعى من كثرة العيال كان أولى لانتفاء التكرار ، وهذا نص ما نقله الفخر عن القاضى « ان الوجه الذى ذكره الشافعى ارجح لأنه لو حمل على الجور لكان تكرارا ، لانه فهم ذلك من قوله « فان خفتم الا تعدلوا» اما اذا حملناه على الوجه الذى ذكره الشافعى فانه لا يلتزم التكرار ، فكان أولى » .

وقد رد القرطبى على من زعم أن الشافعى رضى الله عنه قد انفرد بهذا الرأى فقال : « قد اسنده الدارقطنى فى سننه عن زيد بن أسلم ، وهو قول جابر بن زيد ، فهذان امامان من علماء المسلمين وائمتهم قد سبقا الشافعى اليه » وقد نصره من ناحية اللغة فقال : « واما عال يعول بمعنى كثر عياله فذكره الكسائى ، وابو عمرو الدورى ، وابن الاعرابى ، قال الكسائى ابو الحسن على بن حمزه : العرب

تقولُ عالَ يعولُ ، وأعالَ يعيلُ ، أى كثر عياله»
وقال ابو حاتم : « كان الشافعى أعلم بلغة العرب منا » .

وقد ذكر ابو بكر الرازى فى تخطئة الشافعى ان أحدا لم يذهب الى ما ذكره الشافعى ، فانبرى له الفخر الرازى ينقض أقواله ويكر عليها بمنطق قوى بحجج اللغة، والفقه، والحكمة، حتى تركها لا شىء ، وكان مما قاله : « فمن الذى أخبر الرازى أن هذا الوجه الذى ذكره الشافعى لم يذكره واحد من الصحابة والتابعين ، وكيف لا تقول ذلك ومن المشهور أن طاووسا كان يقرأ « ذلك أدنى ألا تعيلوا » واذا ثبت أن المتقدمين جعلوا هذا الوجه قراءة — أى قرآنا — فان يجعلوه تفسيرا أولى » .

واذن فهذا الوجه من المعنى — أو هذا العامل الاقتصادى — يسنده ان قد وردت به احدى القراءات — والقراءات قرآن — .. وأنه من الوجوه المقررة فى اللغة .. وأن الشافعى قد قاله ، وله امامته فى الاجتهاد للمسلمين علاوة على انه لم يكن من علماء اللغة فحسب ، بل كان من المصادر التى يتلقى عنها العلماء مادة اللغة ، فقد نشأ بالبادية وسلمت له سليقته اللغوية فيها ، فهو من أهل اللغة ومصادرها لا من علمائها فقط ، وله على هذا حجيته فيما يدرك من معانى الفاظ التنزيل.. فقد سبقه الى ذلك من الصحابة زيد بن أسلم ، ومن التابعين طاووس وجابر بن زيد .. الى تأييد العلماء من أمثال القرطبى والفخر الرازى ، قال الزمخشرى : « والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر ألا تعولوا ، ألا تكثر عيالكم ، فوجهه ان يجعل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم ، كقولك مانهم يمونهم، اذا انفق عليهم ، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ، وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع ، وكسب الحلال ، والرزق الطيب » .

وكل هذا يقتضينا أن ندخل فى حسابنا هذا العامل الاقتصادى ونحن نناقش المسألة ، ليكون حكمنا الذى ننتهى اليه فيها قائما على ملاحظة كافة الاعتبارات ..

ان فى نصوص تعدد الزوجات نصين اذا نظر فيها المانعون للتعدد والمجيزون له وجد فيها كل منهما ما يؤيد رأيه .

أما النص الأول فقوله تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

وأما النص الثانى فقوله تعالى : « فلا تميلوا كل الميل » عقب قوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

وواضح ان النص الاول معناه فان خفتم ان تظلموا فاكتفوا بزوجة واحدة .. والظلم باجماع المسلمين محرم ، حرمه الله تعالى على نفسه ، وجعله بين عباده محرما ، وهو تعالى يقول فى الحديث القدسى : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

ومعنى الخوف فى الآية الكريمة ، الظن ، فقوله تعالى « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » معناه فان خفتم ألا تعدلوا ، قال القرطبى : « ان خفتم ، أى ظننتم ، قال ابن عطيه : وهذا الذى اختاره الحذاق ، وأنه على بابه من الظن » .

واذن ، فالآية الكريمة تاخذ السبيل مقدما على من يريد أن يتزوج بأكثر من واحدة ، مادام يقع فى ظنه احتمال الظلم الذى حرمه الله ، وليس معناه أن يقدم على الزواج أولا ثم ينظر فى حاله ، فان ظن ألا يعدل طلق ، واكتفى بواحدة .

فهل يمكن أن يقال — على هذا — أن الزواج باكثر من واحدة محظور اذا علم المرء من نفسه بل اذا « ظن » بها غلبة دواعى الظلم عليها ؟.

وقد يكون من سداد الاجابة أن ننظر لها فى معنى قوله تعالى « فلا تميلوا كل الميل » ، فهل من معناه أنه تعالى يرخص لنا فى « بعض الميل » لا فى كل الميل ؟.. وهل من معناه انه يرخص فى بعض الظلم — لا فى كله — لمن يريد الزواج باكثر من واحدة ؟.

وما دام الظلم محرما ففى سبيل اى مصلحة يرخص الله فى بعضه ؟.

ان النص الأول صريح فى انه اذا خفتم ان تظلموا فواحدة ، وهو هنا صريح فى أنه يرخص لنا بعض ذلك الظلم .. واعمال الله تعالى قائمة على الحكمة ، وشرعه كله خير ، فما وجه الحكمة أو المصلحة التى قضت بذلك الاستدراك ؟..

هل جاء ذلك توسعة على الذواقين والذواقات فيما يرزقون من شهوات الحس ولذة البدن »؟. أو جاء رعاية لذوى الضرورات والاعذار من الافراد والأمم ؟.

ان من اعذار الافراد حال ذلك الذى كان ينشد من زواجه الذرية ، فاذا زوجته عقيم .. وحال ذلك الذى مرضت زوجته ، وغدت تجد السلامة فى البعد عن مآرب الرجل .. ومن ضرورات الامم ما يعرض لها ابان الحروب من نقص عدد الرجال عن النساء ، وحاجتها الى تعويض ما نقصها من الأيدى العاملة فى ميدان الاقتصاد والحرب .. والمعروف أن تعدد الزوجات كان هو الوسيلة التى ادت عمليات التعويض فيما خاضه المسلمون فى الصدر الأول من حروب طاحنة متواصلة فى الداخل والخارج ، ولولاه لما كان مسلمون ، وما كان اسلام .. وفى عصرنا الحديث حين طحنت الحروب شباب المانيا الهتلرية فكر هتلر تحت ضغط الضرورة فى اجراء يجبر به النقص المروع الذى تخلخل به كيان امته ، فلم يكن امامه سوى قانون يشرع به تعدد الزوجات ، وقد جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠ أنه قد « اكتشفت وثيقة بخط يد مارتن بورمان نائب هتلر ، كان قد كتبها فى عام ١٩٤٤ يقول فيها ان هتلر كان يفكر جديا فى أن يبيح للرجل الالمانى الزواج من اثنتين زواجا شرعيا لضمان مستقبل قوة الشعب الالمانى » .

ذلك بعض اعذار الأفراد ، ومنطق بعض ضرورات الأمم ، فهل يصلح تعليلا لما جاء من استدراك النص الثانى على النص الأول ، أو ان الاستدراك جاء ينظر الى ما نعلم من هوى الذواقين والذواقات ؟.. ان الاجابة بهذا أو ذاك تقتضى رجوعا الى ما قدمنا من نصوص ونقول ، فأى هذين كان أسير لمعانيها واقرب مجانسة لأهدافها ومقاصدها فهو أولى بالقبول واذا افضى البحث والموازنة الى استبعاد أغراض الذواقين والذواقات .

فهل يترك الامر بلا ضابط ولا وازع ، أو لابد من حكم يرجع اليه فى تقدير مختلف الاعذار والضرورات .

ذلك ما راينا طرحه من جوانب هذا الموضوع للبحث والنظر .. ونسأل الله تعالى ان يرشدنا للحق ، ويهدينا للصواب من احكام كتابه وسنة رسوله .. وهو سبحانه ولى التوفيق .

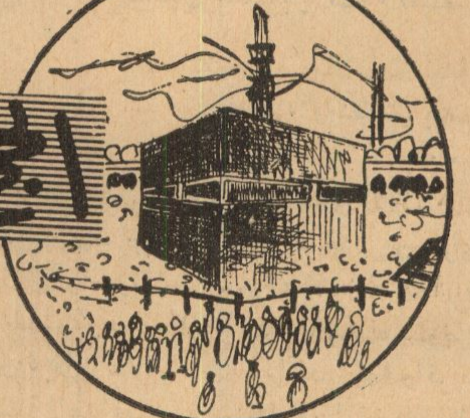

الحج وأثره فى نفوس الحجيج

الأستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى

ايها القارىء الكريم :

حج بيت الله الحرام فريضة على القـادر المستطيع نطق بها الذكر الحكيم ، وجاءت بها سنة سيد المرسلين •

وما فرض على الناس الا لما يترتب عليه من المنافع المتنوعة ، والفوائد المتعددة ، التى تعود على الحاج بالخير الكثير ، والعز الوفير •

قال تعالى : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان اللـه غنى عن العالمين)) •

وقال تعالى : ((وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منـافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات))

وقال صلى الله عليه وسلم : ((بنى الاسلام على خمس شهادة أن لااله الا الله ، وان محمدا رسول الله • واقام الصلاة • وايتاء الزكاة • وصوم رمضان • وحج البيت))

فالحج فريضة ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، من أضاعها فقد أضاع فرضا ثبت بالدليـل القطعى ، ومن تركها فقد هدم قاعدة من قواعده التى يرتكز عليها ويسمو بها •

واذا كان الترك جحودا فيكون صاحبه كافرا مرتدا يستتاب ثلاثة أيام ، فان لم يرجـع قتل واستؤصل •

وان كان الترك كسلا ، فان صـاحبه يؤدب ويضرب ، حتى يرجع ويؤديه مادام مستطيعا •

وان الرحلة الى الحج تقتضى أن يغادر الحاج وطنه ويفارق مسقط رأسه ، ويكون فى حمى بارئه •

ولا ريب أن لذلك الفراق تأثيرا بالغـا فى النفس المؤمنة ، يسمو بصاحبها من عالم المادة الى عالم الروح ، وينتزعه من غواشى الغفـلة الى صفاء الشعور واليقظة •

ذلك أن الحاج يذكر بفراق الوطن فراق الحياة ، وبترك العشيرة الموقوت ترك الأحبة الأبدى ، ويستعيض عن الأنس بالأهل بالانس بالله ، وذكره ومناجاته •

وبذلك يحلّ فى قلبه نور المعرفة ، ويملأ نفسه اشراق الطاعة ، ويتحول الى ملاك طاهر، قد فنى جسده فى روحه وانعكس بصره فى بصيرته .

ثم اذا سافر على ماخرة اليم ، فانه يسير عليها سير الواجف الخائف ، ويرتحل معها ارتحال الخاضع الوادع . وكلما لعبت بها هوج الرياح ، وزلزلتها الأعاصير ، لجأ الى الله ينشد السلامة . وكلما زمجر الخضم فزع اليه يرجو النجاة . **وكلما** أظلم الليل تحصن بآيات ربه ، ولاذ بمالك أمره ، واستعاذ بوجهه وكلماته .

وكثيرا ما كنا نردد هذا الدعاء عند كل ملمة، أثناء سير السفينة ونقول ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأزمات :

« أعوذ بوجه الله الكريم . وبكلمات الله التامات المباركات التى لايجاوزهن برولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ماذرأ فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ،ومن طوارق الليل والنهار ، الا طارقا يطرق بخير يارحمن »

فى كل هاتيك العوامل التى تحيط به وتكتنفه ، وتنم به وتخيفه ، يستعيض عن نفسه المظلمة نفسا بيضاء طاهرة ، ويستبدل بقلبه القاسى قلبا خاشعا لينا ، ويستحيل فكره النزاع الى الشر الى فكر تواق الى الخير .

وهذا كله من أجل آثار الحج . وأندى ثماره وأعظم نتائجه .

ومن المؤثرات فى النفس ، التى تحيل الحاج الى طهر ونقاء ، ونور وضياء ، ساعة التجرد من المخيط الى المحيط عند الاحرام من الميقات بالتجرد ، والتلبية ، والتهليل والتوحيد .

فى تلك الساعة ترتفع الأصوات معلنة الامتثال والطاعة ، والخضوع والاستجابة ، تقول : **« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك »**

وذلك حين تكون الرءوس عارية ، والقلوب ضارعة ، والأكف مبسوطة ، ونوافح الاذكار تعطر الكون وتشيع فى النسيم ، والدعوات الخالصة تشرح القلب وتشفى السقيم ، والاشراقات الواردة تملأ العقل وتقوى اليقين.

واذا نظر الناظر الى زمر الحجيج فوق متن الخضم الهائج خيل اليه أنهم من كتائب الغزاة الفاتحين ، وجنود الاسلام المجاهدين .

ولاغرابة فى ذلك ، فانهم يجاهدون النفس وسوآتها ، ويكافحون الشيطان ووساوسه ، ويطاردون نزوات القلب وميوله .

فما أشبه الجهاد بالجهاد ، وما أقرب الكفاح من الكفاح . بل جهاد النفس أكبر ، وكفاح الشيطان أجل وأعظم .

يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قدموا من بعض الغزوات : « قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، قالوا : وما الجهاد الأكبر يارسول الله ، قال : جهاد النفس .

ورحم الله الأبوصيرى اذ يقول :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وان هذه الحالة ، حالة التجرد من الثياب المعهودة ، واللباس المألوف تذكر الحاج المستبصر بحالته يوم البعث والنشور ، والحشر ومغادرة القبور ، حين يقوم الناس حفاة عراة ،ينتظرون رحمة الله ، ويرجون فضله ، ويأملون كرمه .

ومما لاشك فيه أنه اذا تذكر حالة البعث واستحضر ساعة الحشر ، صدف عن الغواية، وهجر السوء والضلالة ، وترك الدنيا وزخرفها، والحياة وزينتها ، وعمل لدار نعيمها دائم ، وخيرها وارف ونازلها مقيم .

واذا وقف الحاج تجاه الكعبة المشرفة ، فسرعان ما تطوف بفكره الذكريات الغالية وترد على قلبه الأحداث الرائعة ، التى شهدها ذلك البناء العظيم ، واحاطت بذلك البيت الكريم

ومن أهم تلك الأحداث ذلك الحادث الذى انتصر فيه الاسلام وحزبه ،وارتفع فيه التوحيد وأهله ، ومحى فيه الشرك من قائمة الوجود ، وصار أثرا عفت عليه الأيام .

وكذلك تكون عاقبة الحق حينما يشتط أهل الباطل فى اطفاء نوره وقطع سبيله ، فان الله يؤيد أهله بروح من عنده ، ويحقق لهم النصر بمدد من قبله ، فيطلع صبح جهادهم وتسطع شمس كفاحهم، ويكتب التاريخ آثارهم بأحرف من النور .

يدل على هذا قول الله تعالى فى كتابه الكريم **« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .**

وقوله : **« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »**

فى هذا الموقف أمام بيت الله يتذكر الحاج المفكر سيف الله خالد بن الوليد ، وهو يقف فى باب الكعبة يرمى الأصنام تارة على الهامات وأخرى على الوجوه فتتقطع أوصالها ، وتتفكك اجزاؤها ، وتتناثر تناثر الرماد بقوة الذاريات

ان تلك الذكرى وحدها التى كانت غاية فتح مكة المكرمة ، وأثرا من آثار أبطال الاسلام، فيها تذكير بليغ بما لقيه المسلمون الأولون فى دفاعهم عن هذا الدين واعزازه ، وكفاحهم فى تمكينه واعلائه ، بهمم لاتعرف الوهن ، وعزائم لاتعرف الكلل ، وقلوب لايجد الخوف اليها سبيلا .

وفيها أيضا حفز للنفس المؤمنة على الجهاد والنضال ، فى سبيل الوطن والدين ، والحياة والحرية ، والعزة والكرامة ، اذا حزب الأمر ، وفدح الخطب ، واشتد الكرب ووجبت النجدة، **وفيها اشعار** بأن الأمم لاتحيا الا بالاستهانة بالموت فى الزياد عن الكرامة ، وبذل الأرواح فى الدفاع عن الوطن ، واستعذاب العذاب فى اداء الواجب المقدس نحو استرداد الحق السليب ، واسترجاع الحق المغتصب .

ويؤيد هذا قول الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين » . « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم »

ثم اذا انعطف الحاج من تجاه بيت الله الى زمزم المباركة ، تلك العين التى جعل الله فى مائها الغذاء الكامل ، والرى الشامل ، والعلاج العاجل .

انه اذا انعطف اليها فسرعان ما يطوف بفكره وقلبه ذلك الحادث الرهيب ، حين وضع سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام زوجه هاجر وولده اسماعيل فى مكان البيت ، حيث لازاد ولاماء ، ولا أنيس ولا رفيق ، ولا مقيم ولا معين ، ثم قفل راجعا .

انه يتذكر تلك الزوجة ، وهى تجرى وراءه وتقول له : الى من تكلنا ؟ فلا يرد ولايجيب، ثم تكرر القول فلا يرد ولا يجيب ، حتى قالت له فى المرة الثالثة : آلله أمرك بذلك ، فقال : نعم . فقالت : « اذن لايضيعنا »

اذا ذكر كل هذا وهو شاخص الى زمزم تذكر معه تلك السيدة الصابرة اذ أسلمت قيادها الى الله ، وألقت اليه زمامها ، ولجات اليه وحده فى تدبير أمرها ، وترتيب شأنها ، ودفع ضرها وكربها .

لقد صبرت حتى لهث الطفل اسماعيل من العطش ، وتلوى من الظمأ ، ثم عيل صبرها ، واشتد كربها ، فصعدت الى الصفا تبغى المغيث ولا مغيث ، ثم هبطت تهرول حتى صعدت المروة تنشد المجير ولا مجير ، ومازالت تتردد بين الصفا والمروة صعودا وانحدارا حتى أتمت سبعا ثم جاءها الفرج من واهب الخير ، ونزل بعده الغيث من مانح اليسر . فسمعت صوتا بين السماء والأرض طرق سمعها كما تطرق البشارة أذن الملهوف ، فتملأ بالمسرة قلبه ونفسه . فقالت : أغثنا ان كان عندك غواث :

عندئذ هبط سيدنا جبريل عليه السلام ، وضرب الأرض بجناحه فنبع ماء زمزم وفاض على جوانبها ، فقالت له السيدة هاجر : زمزم يامبارك . وجعلت تحوط عليه ، فقال لها : دعيه ، فسيكون لك ولابنك وللمسلمين الى يوم القيامة .

ان هذه الذكرى توحى الى النفس مايخبيه المرء من التوكل على الله ، واللياذ بجنابه ، اذا حزب الأمر ، وفدح الكرب ، واشتد الخطب ، وتوجه قلبه الى استذكار قوله تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

وقوله جل شانه فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا »

وقول القائل الحكيم :

ولرب حادثة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت ، وكنت أظنها لاتفرج

وبذلك يتعلم كيف يعتز بربه ، وكيف يفوض اليه أمره اذا أناخت الكروب ببابه ،وأحاطت الشدائد بساحته ، وملأت الهموم فضاء نفسه،

ومن يكل أمره الى الله فى اللأواء ، ويفزع اليه فى البأساء ويلوذ به اذا تنكرت له الايام، وبرحت به الهموم ، فان الله جل شأنه يأويه ويرضيه ، ويحميه ويكفيه ، ويرفع قدره، ويذهب كربه ، ويرفع همه، فضلا منه وجودا وكرما ورحمة .

ثم اذا نزل الحاج عرفات ، ساحة الرضوان الالهى ، والكرم الربانى ، ورأى فيها زمر الحجيج المحتشدة ، يتفجر منها نور الطاعة ، وضياء الخشية ، ويشيع بينها السرور والهناءة ، خيل اليه أن السماء أعارت الأرض صفاءها ، وألقت فيها أضواءها ، ونثرت عليها كواكبها ونجومها . وان ملائكة السماء قد هبطت الارض فصار فوق متنها البررة الأخيار ، الكرام الأطهار .

ثم اذا أبصر تلك الجموع متشابهة فى مظاهرها ودعواتها ، وأذكارها ، وابتهالاتها ، أدرك فى هذا الاجتماع العالمى من الفوائد والآثار التى تعود على الأمة بالخير الكثير ، والعز الوفير .

انه يدرك من غير شك أن الله تعالى ماجمع الحجاج من شتى البقاع فى عرفات الا ليتعارفوا ويتعاونوا ، ويتحدوا على الخير الذى يعلى شأنهم ويرفع قدرهم ، ويحقق آمالهم .

فالوحدة ثمرة من ثمار الحج التى تظهر فى أداء مناسكه وأعماله ، ويدل عليها عموم قوله تعالى : « **ليشهدوا منافع لهم** » .. وهى التى ينشدها المصلحون ، ويعمل لتحقيقها المخلصون ويتمنى وجودها فى الأمم الاسلامية كل ذى فكر سليم ، وعقل قويم ، ورأى سديد .

وهى التى طلبها القرآن فى محكم آياته ، وأرشد اليها الرسول فى صادق قوله .

فقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا »

وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . وقال صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

واننا نشاهد فى هذه الأيام أن نفوس المسلمين قد أدركت ما للوحدة من ثمرات مباركة وآثار طيبة ، تكبت الأعداء ، وترد كيدهم ، وتطفىء فتنتهم ، وتصدع بنيانهم ، فحققوا الكثير منها ، والباقى فى طريق التحقيق ، ومن أجل ذلك نراهم يجتمعون ويتشاورون كلما دعت الحاجة الى الاجتماع والتشاور ويتصلون ويتعاونون ، اذا وجب الاتصال والتعاون .

وكل هذا منشؤه تقارب القلوب ، وتآلف النفوس ، والشعور بواجب الاخوة نحو بعضهم .

وهذا — من غير شك — يدل على أن الأمة العربية الاسلامية ، قد تيقظت مشاعرها ، وتنبهت أحاسيسها ، وأحست بالأخطار التى تتهددها .

واذا تيقظت المشاعر ، وتنبهت الاحاسيس وادركت الأمة ما ينم بها من الاحداث ،وعملت جاهدة على دفع مايوجه اليها من أعدائها ، فقد انبلج صبح حياتها ، وآذنت شمس عزها بالاشراق .

نسأل الله ان يحقق الآمال ، وأن يوفق ولاة أمورنا للخير والسداد ، وأن يجعل موسم الحج محفوفا بالخير والبركة . والله ولى التوفيق

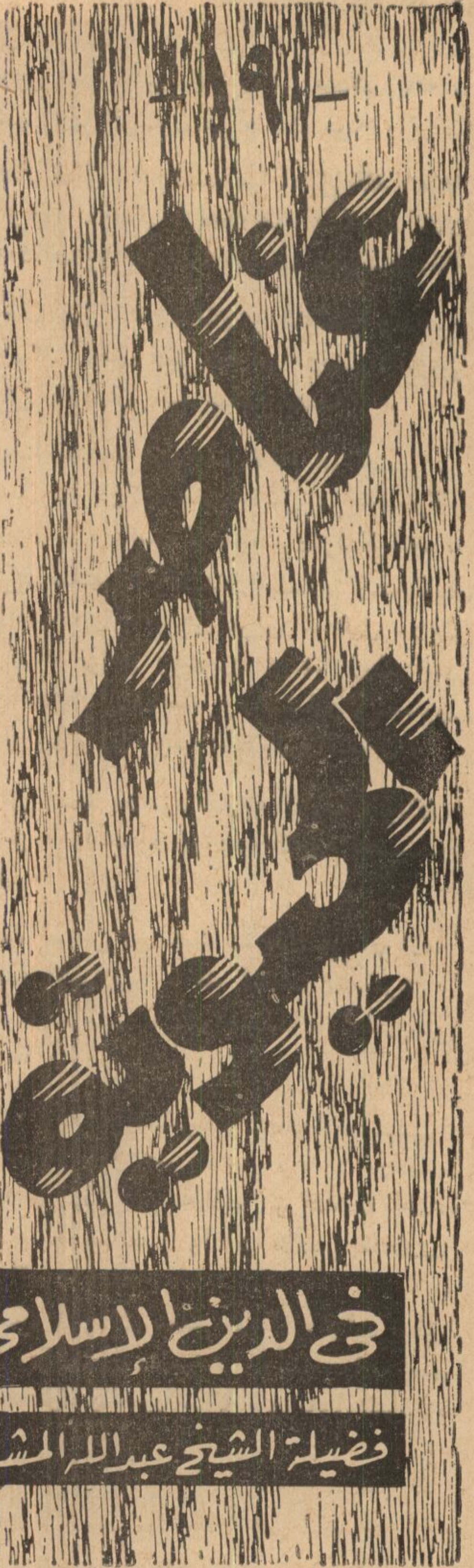

المؤمن وسلطات القدر :

تحدثت فى المقال السابق عن المسئولية وبنيت أن **أساسها الحرية والاختيار** ، وأن نظام الكون وحكمة ارسال الرسل ، وتناصح الناس وارشاد بعضهم لبعض يلتقى كل ذلك مع تقرير الحرية وكفالتها للانسان . وبينت ان القضاء والقدر ليس معناهما الجبر والالزام أبدا ومن فهم فيهما ذلك ضل وغوى والأديان كلها تقرر هذه الحقيقة ، والاسلام بنوع خاص مملوء كما علمت بالنصوص الواضحة فى هذا الموضوع .

وأريد الآن أن أبين اثر عقيدة القضاء فى **سلوك المؤمن الذى فهمه على وجهه الصحيح** وما ضل به قوم فشقوا وشقيت بهم الحياة واتخذه الأعداء مطعنا على الاسلام وهو منه براء .

ان المسلمين الأولين بنوا سلوكهم على العقيدة الصحيحة فى القدر فكانت اذا نابتهم نائبة مثلا لم يستسلموا ولم ييأسوا ، بل اطمأنوا وصبروا وانصرفوا بعقولهم يفكرون فى الحلول المختلفة للخلاص من هذه المآزق . وكانت هذه الأزمات حافزا لهم على العمل والتقلب بالفكر والجهد لاصلاح الخطأ وبلوغ الكمال ، وهذا معناه الحركة والنشاط والجد وهل الحياة الا ذلك النوع من التصرف وما كان على شاكلته .

ان الله حين يمتحن عبده بنوع من الامتحانات لا يريد له الاستسلام ولا يرضى له العجز ، بل فتح له باب الأمل لمداومة العمل **ألم تر الى ربك وقد مدح المؤمنين الذين لم ييأسوا بعد أحد ، خصوصا عندما جاءهم المرجفون وقالوا : ان العدو قد حشد لكم الحشود التى لا تقدرون على مواجهتها ، يريدون بذلك أن يخذلوهم ويوهنوا من عزمهم ولكنهم زادوا شوقا** الى الدفاع عن حريتهم وملاقاة عدوهم يقول الله فى ذلك « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » ويشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : **احرص على ما ينفعك واستعن**

بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو انى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان ، رواه مسلم ، ويشير اليه قول على بن أبى طالب :

أى يومى من الموت أفر
يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر له أرهبه
ومن المقدور لاينجو الحذر

وهذا مستقى من قول الله تعالى : **« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .. وبهذا الايمان القوى بالقضاء ، صمد الأبطال فى الميادين وضربوا أروع الأمثلة فى الشجاعة والتضحية** . وكانت مواقفهم العظيمة هى الزاد القوى الذى دفع ركب النهوض والاصلاح الى الأمام فى ثقة وأمل ويقين .

فمن الذى ينسى شجاعة النبى فى جميع **مواقفه أمام الاضطهاد والجبروت ، وفى وسط المعمعة لا يرهب العدو ولا يخشى الا الله ، ومن الذى ينس شجاعة أبى بكر فى الهجرة وتعرضه للأخطار ليفدى رسول الله وما قام به على يوم نام مكان الرسول والقوم يحيطون به ليأخذوه اخذة رجل واحد ، وما قام به سائر الصحابة** فى جميع الميادين ، ومن منا ينسى الخنساء . وهى تشجع بنيها فى القادسية بهذا الكلام الذى يفيض ايمانا وشجاعة وشوقا الى الشهادة واطمئنانا لقضاء الله . **وما مثله عبادة بن الصامت وصحبه عند فتح مصر ، وسعد بن ابى وقاص وأضرابه فى القادسية وغرها .**

ذكر السيوطى فى تاريخه ان المسترشد بالله العباس لما صمد للعدو على كثرته وحدثه الناس فى ذلك ، قال :

قالوا تقيم وقد أحاط بك العدو ولا تفر
فأجيبهم : المرء ما لم يتعظ بالموت غر
لا نلت خيرا ماحييت ولا عدانى الدهر شر
ان كنت أعلم أن غير الله ينفع او يضر .

ومن منا ينسى شجاعة الابطال فى حرب الصليبيين ، ورد عادية المغول ووقف زحفهم الجبار ، بل من لا يذكر ايمان أبطال الثورات العربية التى هدت عروش الجبابرة وأرغمت المستعمر على الجلاء وصمدت أمام الغزو مؤمنة بحقها واثقة بنصر الله لها ، **ان أمثال هذه المواقف دليل صدق على ان الايمان بالقدر لا يدعو الى اليأس والعجز والكسل ولكن الى العمل والتضحية والجهاد والفداء ،** فهو ليس ضربة لازب تشل حركة الانسان وتغلق الابواب دونه ، ولكنه مهماز يحرك الساكن ويثير الكامن ، ويدفع دفعا الى الحركة .

القضاء والقدر حين يتحدث عنه الاسلام ،

ويأمر بالايمان به خيره وشره ، حلوه ومره ، **لا يكون حديثه عنه كحديث القدامى عنه أمثال الهنود فى نظام الطبقات المبنى على ان القدر له حكمه الذى لا يقبل غيره فى ترتيب المخلوقات ، ومن كان حظه فى رتبة حقت عليه ولزمته ولا يمكنه الانتقال منها الى رتبة اخرى ، وأمثال الاسرائيليين الذين آمنوا باختيار الله لشعبهم ، فبورك يعقوب وحاق السخط الالهى بعيصو وهما جنينان توامان** وأمثال غيرهم ممن جعلوا للقدر سلطانه الغالب الذى لا يمكن التخلص منه ، كقوم عاشوا فى الأيام الاسلامية الأولى وانقرضوا بمذهبهم الذى كان يقول ان الانسان مجبور محض فى جميع افعاله كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الريح كيف تشاء .

وفهم بعض المتاخرين فى عصور الظلام والجهل أن القدر يلازم التواكل والعجز ، وفتحوا بذلك ثغرة نفذت منها الطعون الى الاسلام ورأينا الثورات المادية الملحدة تنظر الى الأديان بعامة بمنظار أسود قاتم وترميها بالجمود وعدم مسايرتها للتطور **حتى ردت سيدة شيوعية فى كتابها عن الاسلام فى أوزبكستان تسمى سخارده هذه الفرية وقالت : ان الاسلام قائم على القضاء والقدر الذى حكم على الفقير بالفقر ، وأراد له أن يكون كذلك ، وأن الثورة البلشفية الكبرى سنة ١٩١٧ هى التى انقذت البلاد من رجعية**

الدين وقفت على العادات الاسلامية والعبادات التى تضيع الوقت وتغرى بالكسل ..

ان الاسلام فى حاجة الى أن يبدد هذه الغشاوة عن مبادئه ، التى جعلت الجهال ينظرون اليها نظرة المتوجس الخائف ، أو الناقد الساخر ، وبحمد الله قام كثير من رجالات الدين فى العالم الاسلامى بجهد مشكور فى هذا الميدان ، وكان للسيد جمال الدين الأفغانى باع طويل فى الرد على الطاغين على الاسلام بالتواكل نتيجة للايمان بالقضاء والقدر ، وبين فى كتاباته ان كل الأعمال المجيدة التى قام بها ابطال التاريخ فى القديم والحديث كانت من وحى هذه العقيدة ، وان المسلمين الأولين لمعت سيوفهم بالمشرق ، واضاءت شهبها على اهل المغرب بسبب هذا الاعتقاد ، حرصوا على الموت فوهب الله لهم الحياة .

وقد آمن بهذه الحقيقة كثير من المؤرخين والباحثين المنصفين من الغربيين حين درسوا الاسلام دراسة واعية ، ولم يأخذوه من حال المسلمين بل من نصوصه الأولى فى منابعها الصافية ، ومن هؤلاء ((**الفريد كانتويل سميث)) أستاذ الدين المقارن بجامعة ماكجيل فى مونتريال حيث قال فى كتابه ((الاسلام فى التاريخ الحديث)) : ويختلف الانسان عن سائر المخلوقات بما وهب من وعى وحرية ، فليس ثمة جبر أو الزام ، فهو وحده الذى منح ميزة الاختيار بين أن يطيع وأن يعصى ، وهناك صلاح واستقامة أزلية ، ولكن لا اجبار فيها . والواقع أن هذه الحرية تنطوى على مسئولية خطيرة ، ومن الحق أن نقول : ان الانسان وحده رضى أن يتحملها .. الى ان قال : وهكذا نجد الله قد رسم طريقا لا جبر فيه لما ينبغى أن يكون عليه مسلك الانسان فى الحياة الدنيا ، فطوبى لمن التزمه والويل فى الآخرة لمن صدف عنه .**

إسرائيل

وحرية الملاحة في قناة السويس

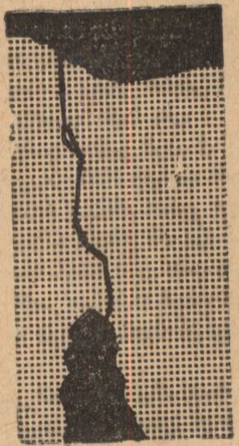

الدكتور ثروت بدوى

تعتبر مسألة الملاحة فى قناة السويس ومنع اسرائيل منها مسألة وثيقة الارتباط بمشكلة فلسطين التى اغتصبتها العصابات الصهيونية ، فمنذ قيام دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ واعتدائها على حقوق شعب فلسطين وتشريدها لأصحاب البلاد الأصليين ، لم تجد الدول العربية بدا من الوقوف الى جانب اخوانهم العرب والمطالبة بحقوقهم المغتصبة وعدم الاعتراف بأى حق أو وجود قانونى للصهيونيين فى أرض فلسطين .

وكان من الطبيعى أيضا أن تقف مصر فى مركز الطليعة من الدول العربية ، وأن تأخذ على عاتقها الحمل الأكبر فى المعركة من أجل استعادة الأرض السليبة وعودة أهل فلسطين الى ديارهم . وكان من بين الاجراءات التى اتخذتها السلطات المصرية منذ سنة ١٩٤٨ وأصرت على تنفيذها فى ثقة وقوة وايمان ، تلك الاجراءات الخاصة بمنع السفن والبضائع الاسرائيلية من عبور قناة السويس وفرض رقابة مشددة على السفن التى تمر بهذا الممر الهام لتضمن عدم تهريب البضائع الاسرائيلية على سفن أجنبية سواء كانت تلك البضائع متجهة الى اسرائيل أو صادرة منها .

فمن المسلمات فى فقه القانون الدولى أن الدول المتحاربة لها أن تتخذ جميع الاجراءات التى تكفل منع الدول المحايدة من تقديم المساعدات الى الاعداء لما فى تقديم هذه المساعدات من اخلال بمبدأ الحياد بين المتحاربين ، لذلك يكون لكل دولة متحاربة ، أو فى حالة حرب مع دولة أخرى أن تقوم بتفتيش السفن التابعة للدول المحايدة للتأكد من أنها لاتحمل بضائع مشحونة الى العدو أو مصدرة من أحد موانيه ، كما يكون لهذه الدول حق مصادرة جميع البضائع التى يثبت لها أنها مرسلة الى العدو ، ومن باب أولى يكون للدول المتحاربة حق منع السفن التابعة للعدو من المرور فى مياهها الاقليمية .

لذلك حينما وقعت ماساة فلسطين فى سنة ١٩٤٨ قامت مصر باعلان الأحكام العرفية فى ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ ، ثم أصدرت فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ الأمر العسكرى رقم ٥ الذى أنشأ ادارة خاصة بتفتيش كل سفينة تدخل فى موانى الأسكندرية أو بورسعيد أو السويس ، ونظم احكام التفتيش على مقتضى النصوص التى كان معمولا بها ابان الحرب العالمية الثانية لصالح بريطانيا . أى أن اجراءات التفتيش التى قررتها السلطات المصرية فى سنة ١٩٤٨ لم تكن فى الواقع الا صورة طبق الأصل من الاجراءات التى أملتها بريطانيا على السلطات المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفى ١٨ مايو سنة ١٩٤٨ صدر الأمر العسكرى رقم ١٣ مكملا للأمر رقم ٥ ، اذ قرر مصادرة جميع البضائع الواردة من فلسطين المحتلة والمتجهة اليها .

وفى ٨ يوليو سنة ١٩٤٨ صدر الأمر العسكرى رقم ٣٨ بانشاء مجلس للغنائم فى الأسكندرية تكون مهمته التحقق من مشروعية الضبط الذى قامت به ادارة التفتيش على السفن ومصادرة البضاعة التى يثبت أنها اسرائيلية أو مرسلة الى اسرائيل ، أما اذا تبين لمجلس الغنائم ان الضبط كان باطلا فانه يقضى بالافراج عن البضاعة او دفع ثمن مقابل لها اذا كانت قد استهلكت أو استعملت فى اى غرض مع تقرير التعويض اللازم عن جميع الأضرار غير المشروعة التى تكون قد لحقت بالسفينة بسبب ضبطها . وقد بينت مواد هذا الأمر اجراءات التحقيق وضماناته المختلفة التى تكفل حماية حقوق أصحاب السفن .

وقد ثبت أن السلطات المصرية لم تتعسف فى تطبيق هذه الاجراءات. فلم تكن تفتش السفن الا اذا قامت شبهات قوية جدا فى حمولتها وفى أنها تحمل مهربات الى فلسطين وقد عملت شركة قناة السويس المنحلة احصائية لعدد السفن التى فتشت فى شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤٩ ،

فكان مجموعها ٣٧ سفينة فقط ، ١٦ منها ثبت فعلا انها كانت تحمل بضائع مهربة الى اسرائيل وصودرت . ومن هذه الاحصائية – التى اجرتها شركة تدين بالولاء للدول الاستعمارية التى انشأت اسرائيل ، والتى لم تخف تحيزها للصهيونيين – يتبين امران : أولهما أن نسبة عدد السفن التى اثبت التفتيش ادانتها قد بلغت ٤٣٪ من مجموع السفن التى فتشت ، مما يقطع بأن السلطات المصرية لاتجرى التفتيش الا اذا قامت ضد السفينة شبهات قوية جدا ، والأمر الثانى الذى نستخلصه من تلك الاحصائية هو ان السلطات المصرية لم تجر التفتيش الا على عدد قليل جدا من السفن التى كانت تعبر قناة السويس ، لانها لم تفتش سوى ٣٧ سفينة فى شهرين أى بنسبة ١ر٧ ٪ من مجموع السفن التى تمر بالقناة !!

ورغم ذلك فقد توالت الاحتجاجات من بعض الدول الاستعمارية المشايعة لاسرائيل ، وكانت تسندها ايضا شركة قناة السويس المنحلة ، فزعمت أن اجراءات التفتيش التى كانت تجريها السلطات المصرية غير مشروعة وأنها تتنافى مع نصوص اتفاقية سنة ١٨٨٨ ، ومن الغريب أن نفس الشركة كانت تقر مشروعية الاجراءات التى تتخذها السلطات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ضد السفن المحايدة على الرغم من أنها كانت كثيرا ماتجرى التفتيش على هذه السفن دون قيام شبهات جدية فى حمولة تلك السفن . بل ان شركة قناة السويس كانت تساهم فى تلك الاجراءات التفتيشية على الرغم مما كان يشوبها من تعسف ظاهر فى بعض الأحيان (ولنذكر على سبيل المثال حادث تفتيش السفن اليوغوسلافية لكزانوودراف فى ٧ مايو سنة ١٩٤٠ وحادث السفينة كابورا فى ١١ مايو سنة ١٩٤٠) .

وقد ذهبت اسرائيل ومن شايعها من الدول الاستعمارية الى الادعاء بان الاجراءات التى اتخذتها السلطات المصرية فى تفتيش السفن ومصادرة البضائع الاسرائيلية المارة فى قناة السويس – فيه مخالفة لشروط الهدنة التى ابرمت بين مصر واسرائيل فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ بحجة أن اتفاقية الهدنة المذكورة قد أنهت حالة الحرب . وواضح ان فى ذلك مغالطة مكشوفة لأنالهدنة فى القانون الدولى العام لاتعدو أن تكون مجرد اتفاق وقتى بوقف أعمال اطلاق النار دون أن ينهى حالة الحرب .. فحالة الحرب لاتنتهى الا بابرام معاهدة الصلح . وبعبارة أخرى ان الهدنة مجرد وقف للحرب الفعلية ، أى وقف للعمليات الحربية . أما حالة الحرب القانونية فلا توقف ولا تنتهى الا بمعاهدة الصلح .

ومن ثم تكون حالة الحرب قد بقيت قائمة بين مصر واسرائيل ، وبالتالى تكون لمصر جميع حقوق البلد المحارب التى من بينها حق زيارة وتفتيش السفن التجارية بقصد ضبط ومصادرة المهربات الحربية وكافة البضائع المشحونة الى بلاد الأعداء . واذا كان القانون الدولى العام يعطى الدول المحاربة حق زيارة وتفتيش السفن المحايدة سواء فى أعالى البحار أو فى المياه الاقليمية ، فان مصر لم تستخدم هذا الحق الا فى داخل مياهها الاقليمية فى موانى السويس والاسكندرية وبورسعيد .

ومصر حينما استمرت فى ممارسة حقها فى تفتيش السفن المارة بقناة السويس لم تخالف شروط الهدنة المعقودة فى رودس سنة ١٩٤٩ لأن هذه الهدنة لم تنه حالة الحرب مع اسرائيل من ناحية ، ولأنها لم تتضمن اى نص يحرم مصر من ممارسة هذا الحق من ناحية أخرى ، فالهدنة تمنع اطرافها من القيام باعتداء مسلح فقط . اما حق زيارة السفن التجارية ومصادرة المواد التى تعتبر مهربات حربية فانه حق مقرر عالميا لكل محارب او فى حالة حرب حتى يتمكن من منع وصول الامدادات الى عدوه .

وقد ادعت اسرائيل ايضا ان فى اجراء تفتيش السفن اهدارا لنصوص معاهدة القسطنطينية المبرمة فى ٢٩اكتوبر سنة ١٨٨٨ التى قررت حرية الملاحة فى قناة السويس لجميع السفن التجارية والحربية ، دون تمييز بين جنسياتها .

على أن مبدأ حرية الملاحة فى قناة السويس ليس مبدأ مطلقا من كل قيد ، فان حرية المرور ان لم تكن منظمة ، شأنها فى ذلك شأن سائر الحريات ، انقلبت الى فوضى وانهار مبدأ حرية الملاحة من أساسه . فمبدأ حرية الملاحة يستلزم لضمان وجوده والمحافظة عليه أن يكون خاضعا لقواعد منظمة تحدد مداه . ويمكن تلخيص القيود التى ترد على حرية الملاحة وتنظيمها فيما يأتى :

١ – تنفيذ اللوائح التى توضع لتنظيم المرور فى القناة كتحديد سرعة السفن أثناء عبورها القناة وترتيب افضلية المرور وتحديد وقت دخول القناة ، ونظام السير فيها وارشاد السفن .. الخ .. وهذه اللوائح قد ورد ذكرها فى المادة الرابعة من اتفاقية سنة ١٨٨٨ التى تنص على أن يتم مرور السفن الحربية فى أقصر مدة طبقا للوائح المطبقة

٢ – على السفن التى تريد المرور فى القناة أن ترفع الرسوم المقررة .

٣ – ضرورة مراعاة التدابير الصحية . وقد نصت المادة ١٥ صراحة على أن أحكام الاتفاقية لا يجوز أن تعوق مباشرة التدابير الصحية المعمول بها فى مصر .

٤ – وأهم قيد يرد على حرية الملاحة هو ما تضمنته المادة العاشرة من تقرير حق مصر فى اتخاذ التدابيراللازمة للدفاع عن نفسها واقرار النظام العام بها .

وهذا القيد طبيعى وبديهى ، فالقناة جزء من اقليم الجمهورية العربية المتحدة تمارس عليه سيادتها كاملة ، كما تمارسها على بقية أجزاء اقليمها . فالمادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية لم تأت بجديد ، وانما تضمنت تأكيدا لحق ثابت للجمهورية العربية المتحدة ولا يمكن التفريط فيه ، فالجمهورية العربية المتحدة صاحبة السيادة على أرضها ، وليس من المقرر أن تنزل عن سيادتها كليا أو جزئيا بالنسبة لقناة السويس . لذلك كان طبيعيا أن تشير اتفاقية القسطنطينية فى المادة العاشرة الى أن تقرير حرية المرور فى قناة السويس لا يعنى تخلى مصر عن سيادتها فى هذه البقعة من اقليمها ، ولا يتضمن أى تغيير لسلطاتها المتعلقة بحماية أمنها والحفاظ على سلامتها .

ومن مقتضى نص المادة العاشرة أن للجمهورية العربية المتحدة أن تتخذ جميع التدابير والاجراءات التى تضمن سلامتها والدفاع عنها واقرار النظام العام فيها . فلها أن تحشد الجيوش على ضفاف القناة وأن تتخذ من موانيها ومراسيها الداخلية قواعد لسفنها الحربية لأية مدة كانت وبأى عدد ، وأن تأخذ منها كافة التموينات والعتاد الحربى ، كما أن لها حق تفتيش السفن التى يشتبه فى أنها تخدم العدو ولها أن تضبط ماقد تحمله من مهربات

من كل ماتقدم نخلص الى أن الجمهورية العربيةالمتحدة تتخذ فى حدود المبادىء المستقرة فى القانون الدولى ، وبمالها من حقوق مشروعة فى ضمان سلامتها وأمنها ، الاجراءات التى تحول دون توسع اسرائيل والتى تحصرها وتحد من نموها ، مع تأكيدها لمبدأ حرية الملاحة فى قناة السويس ومساواة الدول المختلفة فى المعاملة . ولاشك فى أن تقدم حركة الملاحة واتساعها المطرد فى هذا المرفق المالى الحيوى وتزايد اقبال السفن المختلفة على استخدامه لدليل قاطع على ايمان الدول المختلفة بسلامة الاجراءات التى تتخذها السلطات العربية وأن ماتقوم به من تفتيش للسفن ومصادرة البضائع الاسرائيلية عمل مشروع تمليه الحاجة الى الحفاظ على أمن الدولة وتقره مبادىء الشريعة الدولية .

من توجيها النبوة

الأستاذ عبد الحميد بلبع

لقد صدق الله سبحانه اذ يقول مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فانه بحق الرحمة المهداة . والنعمة المسداة . منقذ البشرية ورائد الانسانية . أرسله ربه والعالم فى فوضى جامحة . وهمجية صاخبة . وحياة مضطربة تنذر بالهلاك وتوحى بالخراب فالعقائد زائفة . والأخلاق مائعة . والجهالة متغلغلة . والحكم فى ظلال القوة الغاشمة جاء الرسول الأمين وحال العالم هكذا وقد وهبه ربه جوامع الكلم . وروائع الحكم . وقوة الحجة وسداد التوجيه أرسله ربه للعالم مزودا بهذه المزايا النادرة ليصلح من عقائد الناس ما فسد ويقوم من أخلاقهم ما اعوج . ومن سلوكهم ما انحرف . جاء ليطهر النفوس من أدران الفساد ويتجه بالعالم الى حياة أفضل فهو بحق رحمة للعالمين واستمع اليه اذ يقول فيما يرويه الحاكم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

« عليك باليأس مما فى أيدى الناس . واياك والطمع فانه الفقر الحاضر . وصل صلاتك وأنت مودع واياك وما يعتذر منه » قول حكيم من نبع النبوة . وتوجيه دقيق من روح طاهرة قوية . يعالج الرسول به الفتنة الكبرى . ويستأصل شأفة الداء الاجتماعى الخطير الذى يتهدد المجتمع الانسانى بالويل والثبور . هو التكالب على الدنيا والاحتفاء بزينتها وزخرفها والاندفاع فى تيار لهوها ولقبها نعم هو الداء الفاتك والخطر الداهم الذى يوجه الانسان الى المادة ويدعوه الى الاهتمام بشأنها ويصرفه عن الروح ومقوماتها والروح أحد جزئى التكوين الانسانى فما الانسان الا مادة وروح وواجب الانسان نحوهما العناية بشأنهما وتحصيل مقوماتهما والعمل على تنميتهما وصيانتهما ليظهر التوازن الانسانى الكامل فى سلوك الانسان فى حياته وليؤدى الانسان دوره على مسرح الحياة فى وضع انسانى كريم يتفق مع تكريم الله له .

أما أنه يعنى بأحد جزئيه ويهمل الجزء الآخر ففى هذا اهدار لمعنى انسانيته الصحيحة التى هى مناط التكريم والتفضيل - حقا - فانه مما لا شك فيه أن تعلق الانسان بالدنيا واهتمامه بالحصول على متعها ولذائذها واتجاهه الى المادة واهمال الروح هذه الحال من شأنها تولد فى النفس أمراضا خبيثة وتحدث فى المجتمع هزات عنيفة لها أثرها السيىء فى تقويض بناء كل خير . وانهيار كل فضيلة . وأول ما تجنيه على الانسان أنها توهن علاقته بالله واهب الحياة المنعم بما فيها من متعة وجاه . وبالتالى تقطع صلة الانسان بأخيه الانسان فلا أخاء ولا مودة . و لامساواة ولا وحدة . نعم لأن هذا الانسان الهائم بحب الدنيا ان كان فقيرا بائسا أسخطه بؤسه هذا على الله وحمله على الاعتراض على عدالته فى

حرمانه مما أفاء الله به على غيره ودفعه كذلك الى الحقد والحسد على أخيه الذى وهبه الله ما وهب وان كان هذا الانسان غنيا أطغاه غناه وأنساه كل شيء حتى الله **« ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤوسا » حقا انه ينسى الله ، ينسى فضله ويكفر** نعمه وينسب كل ماهو فيه من ثراء الى عمله **وجهده هو . واقرأ ان شئت ما قصه الله فى** كتابه عن هذا اللون من الناس فى شخص قارون الذى أنعم الله عليه بمال يثقل حمل مفاتحه العصبة أولى القوة فنسبه قارون الى جهده وعلمه وقال انما أوتيته على علم عندى ونسى الله المنعم فدارت عليه دائرة السوء **« فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » لمثل هذا الطاغى جاء الرسول يعالج داءه بما رسم من نصائح وما أبداه من توجيهات فى قوله : « عليك باليأس مما فى أيدى الناس » الحديث وفيه أربع وصايا لا غنى لأحد عنها :**

الوصية الأولى « عليك باليأس مما فى أيدى الناس » وهى تعالج عادة متأصلة فى النفس هى ـ التطلع الى ما فى أيدى الغير وقد يكون هذا التطلع مصحوبا بتمنى زواله من صاحبه **وهذا هو الداء الاجتماعى الخطير فانه لا يقف عند حد بل قد يجر صاحبه الى ما هو أسوأ فيتفاقم الخطب يجره الى الاعتراض على الله فى توزيع أرزاقه على عباده ويدفعه الى عدم رضاه بما أعطاه من هذا الرزق كما يجره الى اضمار الحقد والسوء لأخيه الغنى ولا يعلم العاقبة الا علام الغيوب.** ودفعا لهذه الشرور والمآسى يقول الرسول « عليك باليأس مما فى أيدى الناس » **أى لا تعلق أملك بما وهب الله لغيرك ولا تمدن عينيك الى ما متع الله به سواك . وأعتقد أن توزيع الله الرزق توزيع عادل أساسه الحكمة** وحسن التدبير ورعاية المصالح واقرأ ان شئت قال الله **« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء أنه بعباده خبير بصير »** فارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس لأنك لم تنازعهم شيئا أحبوه ولم تخاصمهم فيما ملكوه . قال الحسن **« لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه »** . وفى التطلع لما فى أيدى الغير قلق نفسى قد يودى بصاحبه الى التمرد على الله ـ عز وجل ـ لذا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزوروا نعمة الله عليكم » أو معناه . والمسألة ليست مسألة المال قلة وكثرة بل المعول عليه هو طهارة النفس وسلامة الصدر وهناك بركة الله تحل محل المال وتغنى ما لا يغنى المال الكثير . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« ليس الغنى من كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »** .

الوصية الثانية « اياك والطمع فانه الفقر الحاضر » فى هذه الوصية يحذر الرسول الحكيم من الطمع والطمع فقر نفسى لا يشعر صاحبه بقناعة مهما كثر ماله فهو عنوان التكالب على الدنيا وآية الحرص عليها يورث الهوان والذل ويدفع الى المحرم ويحسن لصاحبه القبيح والمستهجن فلا يتورع أن يفشى ويموه وأن يكذب ويضلل وأن يحلف باطلا ويخدع . وأن يموت ضميره فيختزن مواد المعيشة والناس اليها محتاجون لأن كل همه أن يكسب المال للمال وأن يقطع وقته ويبذل جهده فى الاكثار منه غير مبال من حلال جمع أو من حرام ادخر ولا مكترث رضى الله أم غضب . هذه هى جراثيم الأخلاق الفاسدة وأمراض الاجتماع الفاتكة يبعثها داء الطمع فى الأفراد والهيئات تفعل أفاعيلها المدمرة للمجتمع فى دينه وخلقه فى وحدته واقتصاده وسياسته . والذى يؤسف كل ذى ضمير حى أن يرى هذه الجراثيم وقد غزت كثيرا من طوائف الأمة ويرى هذه الأمراض الاجتماعية وقد تفشت فى أوساط كثيرة من الشعب فى صور شتى وبطرق مختلفة وأساليب متباينة تلتقى كلها فى هدف واحد هو امتصاص دماء الشعب واغتيال حاجاته ليثروا هم وأن جاع الناس فهذا فريق يحتكر الطعام ويحبس عن الأسواق مواد الغذاء انتظارا للغلاء وطمعا فى جمع المال . وهذا فريق يتحكم فى منتجاته

كساء وغطاء ووطاء ودواء وهذا فريق يستغل معلوماته ويتجر بمواهبه فهذه مؤلفات علمية تعرض فى السوق بأثمان تجاوز حد الرحمة ، وهذه استشارات طبية وأخرى قانونية . وحدث عما يدور بين المستأجر والمالك من مفاوضات ومساومات على خلو الرجل الى غير ذلك من معاملات استحدثت اشباعا للنفس الطامعة مما دعا ولاة الأمور أن يقفوا أمام هذا الجشع الواضح والشح الفاضح بفرض قيود وأسعار جبرية وقاية لعامة الشعب من هزات عنيفة تعرض الناس للتفكك والتخاذل وضربات الجوع والعرى **أفيقل اجرام هؤلاء فى الأمة عن اجرام القاتل أو السارق ؟ بديهى لا يقل بل يزيدلان السارق أو القاتل آذى نفسا واحدة ولكن المحتكر اعتدى على جموع غفيرة وآذى جمهرة من الناس كبيرة فهو قتل معنوى لذا ترى المحتكر منبوذا من الشعب مطاردا من الحكومة لخطره على الأمن والوطن والأمة لأجل ذلك حذر الرسول من الطمع فقال « أياك والطمع » وقال « خير المؤمنين القانع وشرهم الطامع » • ونفر من احتكار السلع ومن عرضها بأثمان تتنافى مع أبسط قواعد العدالة الاجتماعية فقال « من احتكر طعاما أربعين فقد برىء من الله وبرىء الله منه » • وقال « بئس العبد المحتكر أن أرخص الله الأسعار حزن وأن أغلاها فرح» وقال من دخل فى شىء من أسعار المسلمين يغليه عليهم كان حقا على الله أن يقذفه فى جهنم رأسه أسفله » وامعانا فى التنفير من الطمع دعا الى القناعة والرضا بالقليل فان كثرة المال مع الطمع فقر وان قلة المال مع القناعة غنى فقال « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وقال « أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وقال على - رضى الله عنه - « استغن عمن شئت تكن نظيره وتفضل على من شئت تكن أميره واحتج الى من شئت تكن أسيره » •**

الوصية الثالثة « وصل صلاتك وأنت مودع »

وهى دعوة الى قصر الأمل فى الدنيا والتحذير من طول الأمل فيها • معلوم أن الله سبحانه استأثر بعلم آجال الناس وأعمارهم وأخفى ذلك عنهم فلا يعلم أحد متى ينتهى أجله ولا أين يدركه الموت والناس أمام هذا نوعان :

(١) نوع عاشت نفسه فى رحاب الايمان وقلبه فى يقظه اليقين فكان لقاء الله دائما نصب عينيه لا يؤمل فى الدنيا أكثر من اللحظة التى يعيشها وقليل ما هم « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » •

(٢) ونوع غفلت نفسه عن نهايته ونسى أو تناسى قلبه لقاء خالقه فأقبل على الدنيا فى نهم وهذا النوع هو الكثرة الغالبة فى الأمة ورسول الله يوجهه فى هذه الوصية الى قصر الأمل فى الدنيا ويلفته الى مصيره يقدم له ما يسعد به فيه وتقر عينه بالنظر اليه فقال « وصل صلاتك وأنت مودع » أى أد صلاتك ولا تؤمل أنك تؤدى التى بعدها فان الموت يتعقبك وكن فى الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء فان طول الأمل فى الحياة غفلة وان عدم التفكير فى الآخرة جفوة وان اطمئنان الانسان للأيام ضياع • علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أسامة بن زيد اشترى سلعة الى أجل شهر فقال ألا تعجبون من أسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى ألا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت أنى لأسيغها حتى أغص بها من الموت يا بن آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم فى الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »

الوصية الرابعة « أياك وما يعتذر منه »

أى لا تفعل ما يدعوك الى الاعتذار فان الاعتذار **بذل ماء الوجه وانتقاص للكرامة ووسيلة الى الذل وبدل أن تذل نفسك لغيرك اضبط نفسك أنت أكرم لك • ولا يدعو الى فعل الخطأ الذى يعتذر منه الا حب الدنيا • والتعلق بها وطول الأمل فيها « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » •**

الآخرة

الأستاذ علي الجندي

الهامة في اللغة ـ بتخفيف الميم ـ : الراس ، وراس كل شيء ، والفرس . وهامة القوم رئيسهم .

والهامة : طائر من طيور الليل ، ويسمى ـ ايضا ـ الصدى كما سنفصله . والجمع هام وهامات . ومما كانت العرب مجمعة عليه : « الهامة » .

وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل ، والا ويخرج من رأسه هامة !

فان قتل ولم يؤخذ بثاره زقت على قبره : اسقوني .. اسقوني من دم قاتلي ، فاني صدية : أى ظمئة . فاذا أدرك بثاره طارت .

وزقا يزقو زقوا ـ كضربا ـ وزقاء ـ كبكاء ـ : صاح. ومثله زقى ـ كسقى ـ يزقى زقيا ـ كسقيا ـ والزقية الصيحة وزنا ومعنى .

والهامة ـ بتخفيف الميم ـ في رواية الجمهور وهو المشهور ، وخالفتهم طائفة ، فقالوا : هى بتشديد الميم، وحكى هذا الخلاف ـ كذلك ـ القاضي عن الامام اللغوى أبي زيد الانصارى ، فقال بالتشديد : أى احدى هوام الارض ، وكأنهم يجعلونها من باب هم بالامر : اذا عزم عليه .

ونقلوا عن أبي عبيدة : أنه كان يقول : ما أرى أبازيد حفظ هذا .

وفي اعتقاد العرب المتقدم في الهامة يقول أبو الاصبع العدواني :

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

ويقول لبيد :

فليس الناس بعدك في نفير
وما هم غير أصداء وهام

ويقول مفلس الفقعسي في المفضليات :

وان أخاكم قد علمت مكانه
بسفح « قبا » تسفى عليه الاعاصر

له هامة تدعو ـ اذا الليل جنها ـ
بني عامر ، هل للهلالى ثائر

وقال بعضهم لابنه :

ولا تزقون لى هامة فوق مرقب
فان زقاء الهام للمرء عائب

تنادى : ألا اسقوني ـ وكل صدى به ـ
تلك التي تبيض منها الذوائب

يقول : لا تترك ثأرى ان قتلت ، فانك ان تركته صاحت هامتي : اسقوني ، فان كل صدى بأبيك .. والصدى هنا : العطش .

ومعنى : « تلك التي تبيض عنها الذوائب » : اى لصعوبتها وشدتها ، كما يقال : أمر يشيب رأس الوليد. وكما قال المتنبي :

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبى ويهرم

ويحتمل أن يريد به : صعوبة الامر على ابنه : يعني أن ذلك عار عليك .

ويحتمل أن يريد : صعوبة الامر على الاب ، وهو مقبور اذا لم يؤخذ بثاره .

ويقول آخر :

فيارب ان أهلك ولم ترو هامتي
بليلى أمت لا قبر أعطش من قبرى

ويقول ابن أبي الحديد : يحتمل أن يكون هذا البيت خارجا عن هذا المعنى الذى نحن فيه ، وأن يكون رى هامته الذى طلبه من ربه ، هو وصال ليلى وهما في الدنيا ، وهم يكنون عما يشفيهم : بأنه يروى هامتهم.

وتزعم طائفة : أن النفس طائر ينبسط في جسم الانسان ، فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به ، متصورا اليه في صورة طائر يصرخ على قبره ، مستوحشا لغياب جسده .. قال أبو داود الايادى في مصرع أصحاب الفيل :

سلط الطير والمنون عليهم
فلهم في صدى المقابر هام

ويزعمون أيضا : ان هذا الطائر يكون صغيرا ، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم ، وهى أبدا تتوحش وتصدح ، وتوجد في الديار المعطلة والنواويس ، وحيث مصارع الموتى !

ويتصل بهذا الزعم ان الهامة لا تزال عند ولد الميت فى محلته بفنائهم ، لتعلم ما يكون بعده فتخبره به !

ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت الثقفى لبنيه : ان هامته تخبره بما يفعلون ، ثم يوصيهم بقوله :

فتجنبوا الشنعاء والمكروها

ويقول الامام الحفيد فى « الدر النضيد » : الهامة فى اعتقاد أهل الجاهلية : دودة تخرج من رأس القتيل وتدور حول قبره .

اشتقاق الهامة :

وقد ذكر الهروى : الهامة فى « الهاء » و « الواو » وذكرها الصحاح والقاموس فى « الهاء » و « الياء » على جواز أن يكون اشتقاقها من الهيام – بوزن غراب – وهو داء يصيب الابل من ماء تشربه مستنقعا .

أو هو داء يصيب الابل فتشرب ولا تروى ، ومنه قوله تعالى : « فشاربون شرب الهيم » .

والهيم – وزن ميم – جمع أهيم وهيماء كأحمر وحمراء، وهى الابل التى أصابها الهيام ، قال مجنون ليلى :

بى اليأس أو داء الهيام أصابنى
فاياك عنى لا يكن بك ما بيا

واليأس – بفتح الهمزة كسبب – السل .

وفى القاموس : أن أول من اصيب به الياس بن مضره باسكان الهمزة .

والهيام ككتاب : : الابل العطاش أيضا ، جمع هيمان وهيمى ، كعطشا وعطش .

وقيل : الهيم ، الارض السهلة ذات الرمل ، حكاه الاخفش .

وقال الجوهرى : كثيب اهيم ، وكثبان هيم – بكسر الهاء – وهى رمال لا يرويها ماء السماء .

الهامة فى الحديث الشريف :

فى البخارى عن أبى هريرة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الاسد » .

وقد اختلف فى معنى « الهامة » كما جاء فى الحديث على تاويلين :

فقيل : ان العرب كانت تتشاءم بالهامة ، وهى الطائر المعروف من طيور الليل .

وقيل : هى البومة ، فقد كانوا – اذا سقطت على دار احدهم – رآها ناعية له نفسه ، أو بعض أهله !

وهذا تفسير الامام مالك بن أنس .

وقيل : ان العرب كانت تعتقد أن عظام الميت او روحه تنقلب هامة تطير كما تقدم .

وهذا تفسير أكثر العلماء ، وهو المشهور .

ويجوز أن يكون المراد فى الحديث النوعين جميعا ، فانهما جميعا باطلان ، فبين الرسول الاكرم ابطال ذلك وضلاله !

والعدوى : اسم من الاعداء كالرعوى والبقوى من الارعاء والابقاء ، يقال : أعداه يعديه اعداء من خلقه- بضم الخاء واللام – او من علة ، أو من جرب ، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء أو الخلق .

والمراد بقول الرسول – صلوات الله عليه – نفى ما كانت تعتقده الجاهلية : من أن المرض يعدى بطبعه لا بفعل الله – تعالى .

فالحديث لا ينفى العدوى اصالة ، ولا ينفى وقوع المرض والضرر بالاختلاط كما أراد الله – سبحانه – وقدر ، فهو – عز وجل – الذى يمرض ، وهو الذى يبرىء ، وهو الذى منه الداء والدواء ، والسقم والشفاء ، فقد تحدث العدوى ولا تحدث كما يشاء ، وهذا مشاهد محسوس لا ينكره ذو بصر ولا بصيرة !

ولا يفهم من الحديث أيضا نفى الاحتراس من الامراض المعدية ، والبعد عن المرضى بها ، فالآثار فى ذلك متواترة .

ومنه فى الحديث المتقدم « فر من المجذوم فرارك من الاسد » .

ومن اللفتة العجيبة فى الحديث الشريف جعل المجذوم كالاسد ، فان هذا المرض – والعياذ بالله – يحيل وجه صاحبه الى وجه أسد ، ولذلك يسمى الوجه الاسدى ، ويسمى المرض : داء الاسد ، فكان الرسول – عليه الصلاة والسلام – يقول : فر من المجذوم الذى هو أسد ، فرارك من الاسد !

ومن الآثار فى ذلك ايضا : ان قوما شكوا اليه وباء أرضهم ، فقال لهم – صلوات الله عليه – : « تحولوا فان من القرف التلف » .

والقرف – بوزن سبب من باب طرب – : مداناة المرض .

ومنها الحديث الذى رواه ابو هريرة وهو « لا يوردن ذو عاهة على مصح »

« مصح » بضم الميم وكسر الصاد .

ومعناه : لا يرد رجل له ابل مراض على رجل له ابل صحاح حتى لا يصيبها بالعدوى .

بل ان ابا هريرة – حين حدث بالحديث الاخير – قيل له : الم تحدث أنه « لا عدوى .. » فاستشاط غضبا ورطن بالحبشية !

وليس المراد ، انه نطق بالحبشية نصا ، بل المراد – كما يقول الكرمانى – : انه تكلم بالعجمية ، أى حمله الغضب على التكلم بما لا يفهم ، نافيا انه روى الحديث الاول . ولا مانع أن يكون قد تكلم بكلمة حبشية تدل على الغضب ، كما ينطق بعض الناس فى بعض الحالات بكلمة انجليزية او فرنسية مثلا .

ومهما يكن الجمع بين حديث « لا عدوى .. » وبين حديث « لا يوردن ذو عاهة .. » سهل يسير على الاساس الذى شرحناه عليه « لا عدوى ..» كما تقدم .

والطيرة كعنبة ، والطورة كبومة ، والطيرة كقيمة : ما يتشاءم به من الفال الردىء ، وقد جاء فى الحديث « أنه كان يحب الفال ويكره الطيرة » .

والصفر ، قال مالك وأبو عبيدة : هو تاخير حرمة القتال فى المحرم الى صفر : أى احلال المحرم وتحريم صفر ، وهو النسىء الذى كانوا يفعلونه فنهوا عنه ، وذلك أنهم كانوا يكرهون توالى ثلاثة أشهر بلا اغارة ، فاذا كانت السنة المقبلة حرموا المحرم واحلوا صفرا ، قال تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر » والنساء كرجاء ، والنسيئة : التاخير .

وقال مطرف وابن وهب وابن حبيب وابو عبيدة وخلائق من العلماء : ان الصفر دبة فى البطن تهيج عند الجوع ، وربما قتلت صاحبها بالعض على شرسوفه وكبده! وقد كانوا يرونها اعدى من الجرب ، وهذا التفسير هو الصحيح ، قال الشاعر :

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

والشجاع هنا : معناه الحية .

ويمكن أن يكون المراد بهما جميعا وانهما باطلان .

من الطرائف :

روى ابو نعيم فى « الحلية » عن ابن مسعود ، قال: كنت مع كعب الاحبار عند عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال كعب : يا امير المؤمنين الا اخبرك باغرب شىء قرأته فى كتب الانبياء ؟

ذكروا : أن هامة جاءت الى سليمان - عليه السلام - فقالت : السلام عليك يا نبى الله !

فقال : وعليك السلام يا هامة .

ثم اردف قائلا : اخبرينى كيف لا تاكلين من الزرع ؟

قالت : يا نبى الله ، ان آدم أخرج من الجنـــة بسببه !

تريد أكله من شجرة البر أو التفاح .

قال : كيف لا تشربين من الماء ؟

قالت : يا نبى الله ، لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا أشربه !

قال : كيف تركت العمران وسكنت الخراب ؟

قالت : يا نبى الله ، لان الخراب ميراث الله ،فانا اسكن ميراث الله ، قال تعالى : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » . فالدنيا ميراث الله كلها.

قال : فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها ؟

قالت : أقول : ويل لبنى آدم ، كيف ينـــامون وامامهم الشدائد .

قال : فما تقولين اذا جلست فوق خربة ؟

قالت : اقول : أين الذين كانوا يتنعمون فيها !

قال : فما لك لا تخرجين فى النهار ؟

قالت : من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم .

قال : فما تقولين فى صياحك ؟

قالت : أقول : تزودوا يا غافلين ، وتهيئوا لسفركم ! سبحان خالق النور !

فقال سليمان : ليس فى الطيور طير أنصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة ، وما فى قلوب الجهال أبغض اليهم منها !

وقد تكون هذه القصة أسطورة من أساطير كعب الاحبار التى نعرف الكثير منها ، لان الهامة ساقت آية من القرآن ، وقد نزل بعد سليمان بسنين متطاولة! ويمكن الاجابة عن ذلك : بان سليمان عليه السلام علم منطق الطير - كما جاء فى الكتاب العـــزيز - وأن استدلال الهامة بالآية كان بالمعنى دون اللفظ ، أى أنها نطقت بما يوافق القرآن الكريم .

من الفتاوى :

جاء فى فتاوى « قاضيخان » : ما الحكم اذا صاحت الهامة ، فقال بعض الناس - على جهة التشاؤم - : يموت بعض الناس !

والجواب : اختلف رأى العلماء الاحنـاف فى ذلك : فقال بعضهم : يكون ذلك كفـرا ! والراجح انـــه لا يكفر .

وكذلك حكى الرافعى الخلاف عن « الحنفية » فيمن خرج للسفر ، فسمع صوت « عقعق » فرجع ادراجـه، هل يكفر اولا ؟

والجواب : قيل : انه يكفر !

وقال الامام النووى : الصحيح أنه لا يكفر عنـدنا بمجرد ذلك .

والعقعق : طائر على قدر الحمامة وعلى شـــكل الغراب ، ويضرب به المثل فى الزنا والخيانة والسرقة والخبث والخطف . والناس يتشاءمون به وبصياحه كما حكاه الجوهرى .

الهامة بالتشديد :

فى « معالم الكتابة » أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعوذ الحسن والحسين بقوله : « أعيذكما من الهامة والسامة ومن كل عين لامة » .

وفى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يعوذ الحسن والحسين بقوله : « أعوذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » .

ثم يقول : « ان أباكما ابراهيم كان يعوذ بهمـــا اسماعيل واسحاق »

والتعوذ والتعويذ والاستعاذة والعوذة - كسورة - والمعاذة - كمنارة - والعياذ - كنضال - والعـــوذ - كنوم - كلها بمعنى واحد ، تقول : عذت به أعوذ به عوذا وعياذا ومعاذا - بفتح الميم - لجأت اليه .

وسموا معاذا ومعاذة - بضم الميم - والمعوذتان - بتشديد الواو المكسورة : السورتان المعروفتان .

وورد « التعويذ » بالتشديد فى الحديث ، يدل على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعـــوذ سبطيه كثيرا .

وقوله « أباكما » بالاضافة اليهما - يعنى ابراهيم - عليه السلام - لانهما من نسله ، لان كل عدنانى من ذرية اسماعيل بن ابراهيم - عليهما السلام - !

و «كلمات الله » اما باقية على عمومها ، فيـكون المقصـــود : كل كلمـــة لله ، واما مخصوصـــــة بنحو « المعوذتين » .

وقال الهروى : المراد بكلمات الله : القرآن الكريم والتامة : صفة لازمة ، اذ كل كلماته تامة .

والمراد بالتامة : الكاملة ، أو النافعة ، أو الشافية ، أو المباركة ، أو القاضية التى تمضى وتستمر ولايردها شىء ولا يدخلها نقص ولا عيب .

وقال ابن التين : التامة : التام فضلها وبركاتها .

و « الشيطان » يدخل فيه شيطان الجن والانس .

والهامة - وهى هنا بالتشديد - قال العينى : كل ذات سم يقتل ، والجمع : هوام . وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وان لم يقتل كالحشرات مثل القمل مثلا .

و « السامة » - بالتشديد - ما يسم ولا يقتـــل كصغار العقارب والزنبار ، والجمع سوام .

وقيل المراد بالهامة : كل نسمة تهم بسوء .

وقال ابن فارس : الهوام : الحيات ، وكل ذى سم يقتل .

و « اللامة » هى العين التى تصيب بسوء ، أو الجامعة للشر على المعيون من الفعل « لم » : اذا جمع.

وقال الخطابى : اللامة : ذات اللمم - كسبب - وهى كل داء وآفة تلم بالانسان من جنون وخبل ونحوه .

وقال الداودى : اللامة : هى كل عين تصيب الانسان اذا حلت به .

وقال أبو عبيدة : أصلها من ألممت الماما بالشىء : اذا نزلت به . ولم يقل « ملمة » كأنه أراد ذات لمم .

وقال البلاغيون : أصلها : ملمة ، وانما قال «لامة» للمزواجة بينها وبين السامة .

ولنا اعتراض على ذلك ذكرنا فى كتابنا « فـــن الاسجاع » .

حجة لابن حنبل :

كان الامام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - يستدل بالحديث المتقدم « أعوذكما بكلمات الله التامة» على : أن القرآن غير مخلوق ، ويقول : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يستعيذ بمخلوق .

وما من كلام مخلوق الا فيه نقص ، فالموصوف بالتمام هو غير مخلوق ، وهو كلام الله تعالى .

وقد لقى - رضوان الله عليه - العناء البرح والعذاب الاليم فى سبيل عقيدته ، وصبر على البلاء صـــبر الكرام ، وهكذا يكون أئمة الاسلام .

يتبع

من هم الذين ترجموا رباعيات الخيام؟

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

وهل صحيح أن يد التبشير والاستعمار الغربي كانت دخيلة في ترجمتها ونشرها ؟

ان مما يستحسن بين الشباب العربي ، حسن الاستطلاع والحرص على المعرفة في كل شيء .

وقد تقدم الى نفر من الجيل الناشيء بهذا السؤال ، الذى يراه القارىء فوق المقال ، وانما ذلك ظنا منهم أننى من أهل هذا المجال ، فقد سبق ان ألقيت محاضرة حول رباعيات الخيام فى دار رابطة أبناء الشرقية بالقاهرة فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٤ .

وبعد ما ألفت كتابى « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » ألقيت كلمة فى موضوع « عمر الخيام المفترى عليه » بدار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى ١٨ فبراير سنة ١٩٥٧ وكان هذا بكلمة تقديم من قبل المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام

وقد بينت فى كتابى ولا سيما فى المحاضرتين أن يد التبشير النصرانى والاستعمار الغربى كانت دخيلة فى ترجمة رباعيات عمر الخيام ونشرها فى الشرق .

فها أنا أقوم بواجب الاجابة عن السؤال ، والتوفيق من الله المتعال .

وقبل أن أفضى بما هو الصواب ، فى بيان الجواب ، يجب أن أقول بصراحة :

ان هذه الرباعيات التى نسبوها الى الحكيم عمر الخيام النيسابورى وعبروا عنها بفلسفة الخيام لايوجد لها مأخذ يعتمد عليه ، فقد ثبت أن أقدم نسخة لرباعيات الخيام انما هى النسخة المعروفة بنسخة بودليس المحفوظة فى مكتبة اكسفورد بلندن ، ولكنها انما كتبت سنة ٨٦٥ هـ ، أى بعد وفاة الخيام بثلاثة قرون ونصف قرن ، لأن وفاته فى سنة ٥١٥ أو سنة ٥١٧ على الاختلاف . ولم يعثر الباحثون الى اليوم على أى مأخذ لهذه النسخة

ترجمت هذه الرباعيات المزعومة الى اللغات الحية ، أعنى لغات الغرب ، ولا سيما الانجليزية ، ولغات الشرق أعنى الأردوية « الهندية » والتركية والعربية ، كما ألفت عنها وعن صاحبها المزعوم « الحكيم عمر الخيام النيسابورى » مؤلفات وكتبت مقالات فى الغرب والشرق .

ويقال ان أول من كتب عن عمر الخيام من الغربيين هو « توماس هايد » الانجليزى أستاذ اللغة العربية والعبرانية فى جامعة اكسفورد ، وذلك فى مؤلفه الذى ظهر سنة ١٧٠٠ الميلادية ويتلوه فى هذا الموضوع فون هامر برغستل النمساوى الذى ترجم خمساوعشرين رباعيـة لعمر الخيام ، وذلك سنة ١٨١٨ م ونشرها فى كتابه تاريخ الدولة العثمانية مدعيا أن هذه الرباعيات لعمر الخيام وأنها مخالفة للدين الاسلامى وتعاليمه وتقاليده المذهبية .

ثم ظهرت ترجمة الرباعيات الحرفية النثرية بقلم المسيو نيقولاس فى فرنسا ، وكان من أعضاء السفارة الفرنسية بطهران ، وقد ترجم جميع ما اشتملت عليه النسخة المطبوعة فى « بمبى » الهند ، وكان نيقولاس يعتقد أن عمر الخيام كان صوفيا منشغلا بالعشق الالهى سكران بالخمرة المقدسة مثل الحافظ الشيرازى وأمثاله من الشعراء المتصوفين ، وذلك نظرا الى بعض تلك الرباعيات التى تحتوى على مبادىء التصوف .

« ترجمة فيتزجرالد »

ثم ظهرت ترجمة هذه الرباعيات للشاعر والكاتب المعروف الانجليزى فيتزجرالد وكانت ترجمته لها فى سنة ١٨٥٦ أو سنة ١٨٥٩ (على الاختلاف فى كتابة الرقم الأخير الذى نشأ عن التشابه الشكلى بين 6، 9 أى بين ٦ و ٩) كما فى دائرة معارف الأدب الانجليزى طبع لندن ، وحواشى عبد الوهاب القزوينى على جهار مقالة العروضى السمرقندى وغيرهما . ويزيد عدد ماترجمه فيتزجرالد من هذه الرباعيات عن سبعين رباعية ، ولكن ترجمة فيتز ليست ترجمة طبق الأصل فى الافادة ، لأنه لم يتقيد باتباع ألفاظ الرباعيات ومراميها كما يجب وينبغى ، بل تصرف فيها كثيرا فى ترجمتها ، وقد نظمها فى رباعيات انجليزية ، وبهذا بعد فيتزجرالد بعدا شاسعا عن الأصل الفارسى ، ويدل عليه ماكتبه فيتز الى أستاذه ا . ب . كارل يقول فيه مامعناه : « ان ترجمتى مع أنها ليست مطابقة

لألفاظ الأصل كثيرا ، ستحل محل توجهكم من حيث الشكل والجزئيات الى حد ، فقد غيرت كثيرا من هذه الرباعيات ومزجت بعضها بالبعض ، وأخشى أنه ربما ضاعت ناحية من بساطة المعنى وسهولة الألفاظ التى تعد من أكبر مزايا عمر الخيام »

هذا ماكتبه فيتزجرالد نفسه الى أستاذه كاول بشأن ترجمته للرباعيات • وبهذا يثبت عدم صحة مازعمه القزوينى فى حواشى جهار مقالة للعروضى اذ وصف ترجمة فيتز جرالد بأنها تعادل أصلها الفارسى بفصاحتها اللفظية وبلاغتها المعنوية تقريبا »

هذا • وقد طبعت ترجمة فيتزجرالد بلندن ونشرت فى انجلترا وسائر بلاد أوروبا وأمريكا قاطبة ، وانتشرت الى حد كبير ، كما اشتهر فيتز عن طريق هذه الترجمة فى الغرب اشتهارا لم يسبق به حتى لقبوه بـ « الخيام الغربى »

وفى سنة ١٨٦٩ - تقريبا - ظهرت ترجمة فيتزجرالد فى طبعتها الثانية ، ولم يمض الا سنوات معدودة حتى ظهرت بطبعتها الثالثة • وقد أشاد بها ومقامها الأدبى بين الآثار الأدبية ، المستر سون برن ، ولورد هوتون وغيرهما من الكتاب البارزين الأوروبيين • ويقال انه توجد فى مكتبة المتحف البريطانى مائة وثلاثة وخمسون كتابا بين كتب من الطبعات المختلفة لترجمة فيتزجرالد ، وكتب من تراجم متنوعة لأدباء مختلفين ، من شعرية ونثرية لرباعيات عمر الخيام ، هذا وكانت ترجمة فيتزجرالد بمثابة محور دراسى للدراسات والتأليفات « بين منظوم ومنثور » فى موضوع عمر الخيام ورباعياته •

فقد قام عدد كبير من الأدباء الأوروبيين بدراستها وترجمتها الى اللغات الأوروبية ، كما أن بعضهم أنشأوا رباعيات بلغاتهم على سبك رباعيات الخيام ترجمة فيتزجرالد ، وطبعوها ونشروها ، وبهذا ظهرت أدبيات ظريفة فى بلاد الغرب فى شكل جديد سموها « الأدبيات العمرية » نسبة الى الحكيم عمر الخيام النيسابورى •

وقد ألف المستر نثان هسكل دول كتابا فى تفصيل التراجم التى قام بها الغربيون لرباعيات الخيام الى اللغات الغربية المختلفة • مع ترجمة حياة عمر الخيام وشرح ماله من مشرب ومبدأ فى الفلسفة وغيرها ، وقد طبعه فى مجلدين مصورين وذلك سنة ١٨٩٨ فى لندن ، وممن بحثوا عن فلسفة الخيام الأستاذ جاكس الأمريكى ، والمستشرق برتلمى دير بالو المتوفى سنة ١٦٩٥ فى كتابه « المكتبة الشرقية » • ولقد قام عدد من أساتذة الرسم الغربيين برسوم خيالية ترمز الى معانى تلك الرباعيات المزعومة ، ويقال أن جلبرت جيمس هو الذى نال قصب السبق فى اجادة هذه الرسوم الرمزية الخيالية •

ولما انتشرت تراجم الرباعيات باللغات الغربية ولا سيما ترجمة فيتزجرالد الانجليزية فى أنحاء الشرق وطار صيتها بين الأدباء الشرقيين « من العرب والترك وأهل الهند » الذين لهم معرفة أو المام بتلك اللغات • اندفعوا نحو مطالعتها ، واهتموا بحياة صاحبها المزعوم الحكيم عمر الخيام النيسابورى ، وكان عدد كبير من الشبان المثقفين أكثر اعجابا بتلك الرباعيات وأعظم رغبة فى الاستفادة منها ، أعنى تلك الرباعيات التى تتمشى مع أهوائهم ونزعاتهم الشهوية ، فبدءوا يقرأونها بكل ولع ويتحاضرون فى حفلاتهم وندواتهم ، ويسمونها فلسفة الخيام تلقنا منهم من أدباء الغرب ، وكأن الحكيم النيسابورى لم تكن له فلسفة تذكر الا ما فى هذه الرباعيات المستنكرة الخليعة التى تدعو الى تناول الصهباء ، ومجالسة الحسناء وامرار الحياة باللذات والجمود ، والركون الى العطالة والخمود ، وتستهزئ بتعاليم الدين والمثل العليا ، والأخلاق الفاضلة !

حتى قام عدد من أدباء العروبة والاسلام بترجمتها الى اللغات الشرقية ، ولم يثبت عندى على (اليقين الى الآن) أول من ترجمها الى اللغة العربية ، وأظن أن ترجمة الشاعر اللبنانى المعروف وديع البستانى هى أقدم التراجم لرباعيات الخيام الى لغة الناطقين بالضاد ، وكان طبعها الأول سنة ١٩١٢ م • وقد ترجم البستانى من هذه الرباعيات أربعين

رباعية في نشيدين باسم « رباعيات الخيام » ولكن لا من أصلها الفارسي بل من الانجليزية ، اعتمد فيها على ترجمة فيتزجرالد ، كما استمد من مطالعاته للكتب المختلفة التي وجدها في مكتبة المتحف البريطاني في هذا الموضوع حينما كان بلندن ، واستنسخ البستاني رسوما خيالية من رسوم الرسام الانجليزي جلبرت جيمس وأدرجها في خلال صفحات كتابه ، وبهذا أكمل تقليده بكتاب الغرب •

ومما يذكر هنا أن وديع البستاني وغيره ممن ترجموا الرباعيات من الانجليزية (الى أي لغة شرقية كانت) ذهبوا في تراجمهم أبعد من معاني تلك الرباعيات ومراميها ، لأنها وقعت ترجمة للترجمة ، لاترجمة للأصل الفارسي • وممن ترجموا الرباعيات من أصلها الفارسي الى العربية (مع بعض استفادة من ترجمتها الانجليزية) الشاعر أحمد رامي ترجمها من نسخة لرباعيات الخيام التي قام بطبعها ونشرها مسيو ج • ب • في عهد نابليون الثالث ، نقلا عن نسخة طهران وغيرها من المخطوطات الموجودة في دار الكتب بباريس وكانت ترجمة الشاعر المصري أحمد رامي بين سبتمبر سنة ١٩٢٣ وبين فبراير سنة ١٩٢٤ م

وممن قاموا بترجمة هذه الرباعيات من أصلها الفارسي الى اللغة العربية الأستاذ أحمد الصافي النجفي من أدباء العرب بالنجف ، ويقال ان ترجمته أصح الترجمات الى العربية على الاطلاق الى الآن ، ولكننا وجدنا فيها أخطاء •• ومنهم الشاعر العراقي المعروف السيد محمد الهاشمي ، فقد نقلها من النظم الفارسي الى النظم العربي ، بقريحته المعروفة بين أدباء العروبة • ومنهم الأستاذ الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، فقد ترجم منها مائة وثلاثين رباعية من أصلها الفارسي ، ثم نظم الدكتور أحمد زكي أبو شادي مائة وثلاثين رباعية ، وقد استفاد من ترجمة الزهاوي النثرية ، بل انظمها نفسها • أما الأستاذ الأديب محمد السباعي المصري فقد ترجم من تلك الرباعيات مائة رباعية ورباعية ، ولكن لا من أصلها الفارسي بل من الترجمة الانجليزية وعززها برسوم خيالية حذا فيها حذو البستاني •

وقد ترجمت الرباعيات من الانجليزية (ترجمة فيتزجرالد) أولا ، ومن الفارسية ثانيا الى اللغة الاردوية (الهندية) ولكن عدم وجود أية نسخة منها حال دون تشخيص أصحابها وتعيين مآخذها ، وقام عدد من أدباء تركيا بترجمة رباعيات عمر الخيام الى اللغة التركية ، وأول من ترجم هذه الرباعيات الى هذه اللغة هو المرحوم المعلم فيضي ، كما ذكره شمس الدين السامي في كتابه « قاموس الاعلام » ولم يترجم فيضي من الرباعيات أكثر من مائة رباعية ، ولم أقف على تاريخ ترجمته للرباعيات ولا على تاريخ حياته ووفاته ، غير أن المفهوم من سياق كلام السامي أنه كان من معاصريه ، وقد توفى السامي سنة ١٣٢٢ الهجرية •

وممن ترجموها الى اللغة التركية الاديب التركي المعروف مستجابي زاده عصمت ، ثم الشاعر التركي الكبير عبد الله جودت ، ثم الاستاذ رفعت أحمد وغيرهم •

هذا وقد الف اليفلسوف التركي المعروف رضا توفيق بالمساهمة مع الاديب الايراني الكبير حسين دانش ، كتابا في رباعيات عمر الخيام ، وهو أنفس كتاب ظهر باللغة التركية في هذا الموضوع ، غير انه يبتني على العقيدة بصحة نسبة الرباعيات المستنكرة الخليعة الى الحكيم الخيام ، كماتشهد له الرسوم الخيالية الخليعة التي قلد بها الغربيون ، والتي يراها القارىء بين رباعية وأخرى في كتابه مع الأسف ، وقد نشر الأديب التركي حافظ عبد القادر رسالة صغيرة في ترجمة حياة الخيام ، ويقال ان آخر من نقل هذه الرباعيات من أصلها الفارسي الى اللغة التركية هو الأديب التركي المعروف حسين رفعت بك •

وهنا انتهى جوابنا عن الشق الأول من السؤال ، وموعدنا مع القراء الكرام العدد المقبل ، لافاضة الجواب عن الشق الثاني ، ألا وهو :

« وهل صحيح أن يد التبشير والاستعمار الغربي كانت دخيلة في ترجمتها ونشرها في الشرق ؟ »

الاسلام وحقوق الانسان

الاستاذ اسماعيل كشميرى

- ٢ -

تتميز العلاقة بين الدولة الاسلامية والدولة غير الاسلامية فى أن المسلمين الذين يعيشون فى الدولة غير الاسلامية يتركون لقوانين هذه الدولة ويشير القرآن الكريم الى ذلك فيقول : « وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله »

ويقول الله تعالى أيضا : « ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » • « قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها • »

وقد عمد بعض الفقهاء الى التمييز بين ارض المسلمين وأرض غير المسلمين فيقول الدبوسى مثلا فى « كتاب الاسرار » ان الفرق بين أرض المسلمين وأرض غير المسلمين يتركز فى الفرق بين السلطة والادارة • وهذا الفرق يظهر كذلكفى داخل الدول الاسلامية جمعاء التى تتميز كل منها عن الاخرى فى السلطة وفى تطبيق أحكام تلك السلطة •

والشريعة الاسلامية تقر بعلاقة الدول غير الاسلامية المستقلة بالدولة الاسلامية • والدولة الاسلامية حرة فى سن القوانين لمواطنيها المسلمين ، وليس لها ان تتدخل فى اى أمر بالنيابة عن المسلمين الاخرين • وقد حدث بعد توقيع « معاهدة السلام وتسليم المجر مين » التى عقدت بين الدولة الاسلامية ومكة ايام الرسول ان أعيد المسلمون الذين قدموا الى الدولة الاسلامية الى الدولة غير الاسلامية •

وينص ميثاق حقوق الانسان الصادر عام ١٨٩٨ - ضمن ماينص - على الآتى :

١ - لكل فرد فى المجموعة البشرية كرامته وحقوقه المتساوية الموروثة ، وهذه تشكل اساس الحرية والعدالة وترسى قواعد السلام فى العالم •

٢ - من اللازم تعزيز روابط المودة بين امم الارض وكذلك فان المادة ٢٨ من نفس الميثاق تنص على مايلى :

« لكل انسان الحق فى الاشتراك فى نظام اجتماعى ودولى يسمح له بممارسة الحقوق المنصوص عليها فى هذا الميثاق »

ومما لاشك فيه ان الناس منقسمون الى طبقات لا لتتميز بعضها عن بعض ، وانما لاختبار مقدرة الانسان والتعرف على امكانياته الشخصية • يقول القرآن الكريم : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ويقول : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم أو يلبسكم شيعا •• » وهذه الاية توضح لنا أنه اذا تم أى تقسيم للبيئة حسب الطبقات فان هذا التقسيم يعد بمثابة العذاب او العقاب • والواقع انه مهما تعددت الامم وتنوعت القبائل فان اصلها واحد • ومن اول يوم اعلن فيه الاسلام عدم تقسيم الناس الى طبقات حسب الجنس او اللون ، او تبعا للاقليم او اللغة ، ومنذ اللحظة الاولى التى حاول فيها هذا الدين ان « يدول » المجتمع البشرى ، قدم الاسلام للبشرية اساس الاخوة العالمية وفكرتها وبعث برسالة السلام لجميع امم الارض • يقول الله عز وجل : « كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » ويقول : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وقال : « وما تسألهم عليه من أجر ، ان هو الا ذكر للعالمين » و « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكناكثر الناسلايعلمون » و « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

وتدلنا هذه الايات على ان الاسلام حاول من طريق رسالته العامة التى تهدف الى اقرار السلام ان ينمى ويعزز الصلات الاخوية ويشيع التناسق والانسجام بين كافة الامم على اساس حقوق الانسان الاساسية •

غير ان القرآن يشير الى العداوة التى قد تعتمل فى صدر الانسان ضد أخيه الانسان . فيقول : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ويقول : « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون »

على ان هذا لايمنع من ان القرآن يستنكر الظلم والعدوان • يقول تعالى : « ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين » وهو يدعو الى السلام بقوله : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ويقول : « وابتغ فيما أتاك الله للدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » » والفتنة أشد من القتل »

وقد عرض القرآن فى اكثر من آية للعلاقات الودية الاخوية وهو ينص على وجوب حفظ السلام مع من لايحارب ويأمر بأن يترك هؤلاء يدبرون انفسهم بانفسهم يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان – يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، ويقول : « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ، ذلك بانهم قوم لايعلمون » ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور » ويقول كذلك : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » و « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين »

وهنا كاحاديث نبوية كثيرة تدعو الى عدم اللجوء الى العنف والى عدم استخدام القوة والقسوة على الضعيف ثم ان احاديث اخرى تبين كيف عملت الخلافات على هدم الشعوب وكيف ان على المجموعة البشرية ان تظهر الرحمة • والنبى الكريم يوصى المسلم بنظافة لسانه ويده ، ويوصى باكرام الجار ، كما يوصى بالا يحرم من امتلات بطنه بالطعام جاره الفقير من شيء مما اعطاه الله اياه • وفى حديث شريف ان أول من يقدم امام الله يوم القيامة جاران •

هذا والشريعة الاسلامية تحض على اشاعة المساواة بين مختلف الدول • وقد كان للدولة الاسلامية فى الازمنة الاولى علاقات دبلوماسية مع دول غير اسلامية ، وكثيرا ماحاول السفراء المسلمون اقامة علاقات ودية سلمية مع الدول غير الاسلامية • وقد روى النبى انه طلب من قومه الصلاة على النجاشى حين علم بموته • يقول محمد بن جعفر بن الزبير أن جماعة من مسيحيى نجران قدموا المدينة مساء ذات يوم • وهناك اكرمهم النبى واحسن وفادتهم وخصص لهم مكانا بمسجده وسمح لهم باقامة شعائر دينهم فيه • وحين اراد بعض المسلمين منعهم من ذلك نهاهم النبى وهنا بدا المسيحيون فى صلاتهم وولوا وجوههم شطر المشرق وكلنا يعرف مارواه جابر بن عبد الله من ان نعشا مر على النبى وصحبه فوقف النبى وهنا قال له الصحابة ان الميت يهودى • فاجاب النبى اجابته الانسانية الخالدة : « او ليست نفسا ! » وطلب الى المسلمين تحية الميت سواء كان مسلما او غير مسلم •

ثم يجيء دور المساواة امام القانون •

ينص ميثاق حقوق الانسان على مايلى :

مادة ٧ : كل الناس متساوون امام القانون وهم خاضعون لحماية القانون بلا استثناء او تمييز

مادة ٨ : لكل فرد أن يلجأ للمحاكم اذا ماحرم من حقوقه الاساسية التى يكفلها له الدستور او القانون

مادة ١٠ : لكل فرد الحق – فى مساواة تامة – فى عرض شكواه الى محكمة محايدة

مادة ١١ : كل انسان متهم يبقى بريئا الى ان يثبت جرمه عن طريق محكمة تحاكمه علنا وتكفل له جميع حقوقه فى الدفاع عن نفسه •

ومع ان كل انسان وكل مواطن كانت لديه فكرة عن العدالة الا ان هذه الفكرة لم تكن متشابهة متماثلة فى كل مكان • فكل انسان كان يتطلع فى الماضى الى العدالة من زاوية خاصة ، وكذلك فان العقوبة اختلفت فى مكان عنها فى مكان آخر • اما فكرة الاسلام عن العدالة وعن القصاص فأمر فريد فى نوعه • فالسيادة التامة فى الاسلام – كما قلنا من قبل – لله تعالى ، وليست للخليفة ولا للحاكم • وما استخدام الخليفة أو الحاكم للسلطة الا تخويل له بذلك ، خولته له الامة او المجتمع أو الشعب •

وتحقيق العدالة امر يقع على كاهل الدولة • وآيات القرآن الكريم صريحة واضحة فى هذا المعنى • يقول تعالى فى محكم تنزيله : « ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » و « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » و « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما • فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا وتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » ويقول تعالى : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » و « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » و « واشهدوا ذوى عدل منكم ، واقيموا الشهادة لله » و « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله •••• واستشهدوا شهيدين من رجالكم •••• ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا »

واحاديث الرسول فى هذا الموضوع كثيرة ليست فى حاجة الى التكرار والغريب فى الامر ان النبى الكريم ضمن احاديثه تلك اسمى المبادىء التى يلجأ اليها المشرعون والمقننون فى هذا العصر الحديث • فالنبى يوصى بالا يحكم قاض بين متنازعين وهو فى حالة الغضب • وهو يقول انه اذا اشاع الحاكم العدالة بين الناس فاز بكافأ من الله واذا أشاع الظلم فان الظلم يظل على عاتقه امد الدهر • ويقول ان دقيقة يقضيها المرء فى اشاعة الظلم يظل على عاتقه امد الدهر • ويقول ان دقيقة يقضيها المرء فى اشاعة الانصاف خير من عبادة سبعين سنة • ومبدأ آخر نص عليه نبى المسلمين وهو انه لايجوز لقاض ان يصدر حكمه الا بعد ان يستمع الى اقوال طرفى الخصومة •

والاسلام يقول ان اشاعة العدالة امر من حقوق العباد وليس لانسان ان يميل فى هواه ناحية قريب •

وليس ادل على عدالة الاسلام من ان بعض غير المسلمين كانوا يعرضون قضاياهم على النبى ليصدر حكمه فيها •

وكثيرا مامثل الخلفاء المسلمون امام القاضى ليستمعوا الى احكام صدرت ضدهم •

ويقول الرمذى ان على القاضى أن يحكم فى القضية المعروضة عليه بحسب ما يكتشفه وحسب ما يسمعه لا بحسب مايعرفه هو شخصيا عنها

ومبدأ هام آخر وصفه الرسول الكريم وهو أن البينة على الشاكى واليمين على من اتهم •

هل بعد ذلك يستطيع انسان ان ينكر ان الاسلام دين الحق ودين الانصاف وانه لم يخل من مبدأ واحد من المبادىء القيمة التى اصطلحت عليها القوانين الحديثة والتى لم يتوصل اليها المشرعون الا بعد دراسة سنين وسنين !

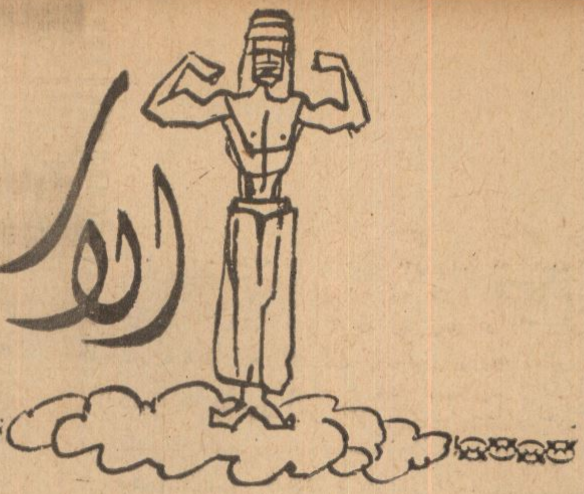

الإسلام والمحافظة على الصحة

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

« ٢ »

فى المقال السابق تحـدثت عن موقف الاسلام من العناية بالصحة والاشادة بشأن الأصحاء ، وأن عنايته بصحة الأبدان كعنايته بصحة الأديان ،لأن المسلم اذا اجتمع له صحة العقيدة وصحة البدن كان أقدر على استغلال ما أودعه الله فى الكون علويه وسفليه وكان أصلح لعمارة الأرض ،وأحق بالاستخلاف فيها واليوم أتحدث عن بعض التوجيهات النبوية الصحية التى تفصح عن سمو الاسلام وسبقه الى كل خير وهدى صحيح ، ومن عجب أن كثيرا من هذه التوجيهات لم يعلم سرها والحكمة الدقيقة فيها الا بعد أن تقدم الطب فى العصور المتأخرة ، وهذا أن دل على شىء فأنما يدل على أن الاسلام من لدن الحكيم الخبير الذى لا يعزب عن علمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وأن نبينا محمدا صلى الله الله عليه وسلم ما كان ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى .

فمن توجيهات رسولنا محمد السديدة فى باب المحافظة على الصحة طلبه الماء العذب والحرص على الشرب منه وقد ثبت فى صحيح البخارى أنه كان لأبى طلحة الأنصارى بئر عذبة فى حديقة له تجاه المسجد النبوى وأن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يذهب اليها ويشرب منها ، وروى أبو داود فى سننه بسند جيد عن عائشة رضى الله عنها قالت : **« كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يستعذب له الماء من بيوت السقيا » قال** قتيبة : « وهى عين بينها وبين المدينة يومان » وروى هذا الحديث الحاكم أيضا وصححه ، وذكر الواقدى من حديث سلمى امراة ابى رافع « كان أبو أيوب ـ يعنى الأنصارى ـ حين نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكان أنس وغيره ممن يخدمون النبى صلى الله عليه وسلم يحملون الماء الى بيوت نسائه من بيوت السقيا أيضا وقد كان بعض صحابته رضى الله عنهم يقتدون به ويهتدون بهديه فى طلب الماء العذب والشرب منه **ففى قصة أبى الهيثم بن النيهان أن امرأته قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لما جاء يسأل عن أبى الهيثم : « ذهب يستعذب لنا من الماء » رواه مسلم .**

وانه لتوجيه عظيم من رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فان شرب المـاء الذى تكثر فيه الأملاح أو العكر أو الـذى توجد فيه بعض المواد الغـريبة ؛ يعود على شاربه بالعلل والأمراض كأمراض الكلى ، والمجارى البولية ، وأمراض المفاصل ونحوها ومما يستحسن ذكره هنا أن مدينة من المدن الكبيرة لاحظ أطباؤها كثرة حدوث هـذه الأمراض بين أهل البلد بصورة لم يعهدوها من قبل فدعتهم هذه الظاهرة الى البحث عن السر فتبين لهم أن اعتماد هذه المدينة كان على بئر تكثر فيها الأملاح والرواسب ولو أن المسلمين فى كل مكان اهتدوا بهذا التوجيـه النبوى الكريم لكانوا أسبق الأمم الى تعميم المياه المرشحة الصالحة للشرب ، ولا تزال بعض دولهم متخلفة فى هذا المضمار وقـد أحسنت الجمهورية العربية المتحـدة صنعا حينما أدخلت تعميم مياه الشرب النقية فى راس قائمة مشاريعها الاصلاحية ، ولم يبق الا قليل حتى تكون المياه الصحية النقية قد عمت المدن والقـرى والكفور والدسـاكر « العزب » .

ومن التوجيهات السديدة أيضا ما رواه البخارى ومسلم من نهيه صلى الله عليه وسلم أن يتنفس الشارب فى الاناء ، وفى رواية الترمذى أنه نهى عن التنفس فى الاناء أو النفخ فيه ، وفضلا عن كونهما ليسا من أدب الاسلام لأن النفوس السليمة تعاف ذلك فقد أثبتت التجارب الطبية الحديثة خطورة النفخ فى الماء أو التنفس فيه ، وانه كثيرا ما يكون سببا فى العدوى بالأمراض التى تنتقل عن طريق التنفس أو اللعاب ولكى تكون على بينه من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تحريم ذلك أسوق لك رواية الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله وسلم : نهى عن النفخ فى الشراب ، فقال رجل : القذاة أراها فى الاناء ، فقال النبى - صلى الله عليهوسلم - أهرقها ، فقال الرجل : انى لا أروى من نفس واحد ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « فأبن القدح اذن عن فيك » .

وفى هذا المعنى نهيه صلى الله عليه وسلم أن يشرب من فم السقاء أو القربة ما لم تدع ضرورة ملحه الى ذلك روى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربة أو السقاء وان يمنع جاره أن يغرس خشبة فى داره » .

وان تعجب من ارشادات نبيك أيها المسلم فاعجب مما روى فى الصحيح عن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله عليه وسلم نهى أن يبال فى الماء الراكد » رواه مسلم وقد زاد البخارى فى رواية « ثم يغتسل فيه » وقد دلت هذه الزيادة على الخطورة التى تحدث من البول فى الماء الراكد » ثم استعماله فى الوضوء أو نحوهما .

وفضلا عن أن البول فى الماء الراكد اذا كان قليلا ينجسه فلا ينتفع به فى طهارة فقد ظهر للحديث سر آخر وراء ذلك وأن الضرر ليس فى التجنيس فحسب بل أن البول فى هذا الماء يكون سببا فى نقل العدوى وانتشار الأمراض ، فقد كشف الطب الحديث الضرر العام الذى يترتب على البول فى الماء الراكد اذا كان صاحبه مصابا بمرض ينتقل عن هذا الطريق كالبلهارسيا مثلا ثم استعماله بعد ذلك فى وضوء أو اغتسال أو شرب ولعل فى أسلوب الحديث ، وعدم التفصيل بين الماء القليل والكثير ما يشير الى هذا السر الذى كان خفيا ثم أظهرته التجارب العلمية والتقدم الطبى .

ومما يتصل بذلك النهى : الاستنجاء باليمين أو مس القبل بهاوذلك لأن اليمين أداة الأكل والشرب والسلام فرأى الشارع الحكيم تنزيهها عن مثل هذا القذر كما أنه قد يكون وسيلة لنشر الأمراض البولية والمعوية واحداث مضاعفات للمريض بها ، ففى الحديث الصحيح عن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ، ولا يستنتج بيمينه ، ولا يتنفس فى الاناء » متفق عليه ويتصل بذلك أيضا النهى عن التغوط والتبرز فى طريق الناس أو مستظلهم ومستراحهم ففى الحديث الذى رواه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « اتقوا اللاعنين- يعنى الامرين اللذين يسببان اللعنة لصاحبهما - قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى - يعنى يتغوط - فى طريق الناس أو ظلهم » ولا يخفى علينا ما يسببه التغوط فى الطريق او الظل من اشاعة القذر ، ومن ايذاء الناس والحاق الضرر بهم بنشر الأمراض كالانكلستوما والبلهارسيا ونحوهما واذا علمنا ما يعانيه الفلاحون والعمال فى الريف المصرى من هذين المرضين الخبيثين أدركنا سمو هذه التشريعات الاسلامية ، والارشادات النبوية ، ولذلك تعمل الدولة جاهدة على ابادة جراثيم هذين المرضين من الترع والمساقى والمصارف والمستنقعات ونحوها ، ولو أننا اهتدينا بهدى نبينا وديننا لما وجدت فى بيئتنا هذه الأمراض المضرة والتى سببت لنا نقصا فى اقتصادنا وجنت على الكثيرين من الأيدى العاملة عندنا ، وقد أخبرنى أحد الأطباء الثقات أن مرض «الاستسقاء» سببه الأصيل الاصابة بالبلهارسيا ، فهل لمواطنينا ولا سيما فى القرى والكفور أن يهتدوا بهدى الاسلام فى هذا الباب ؟ ذلك ما نرجو وما ذلك على ايمان وعزيمة الرجل المسلم بكثير .

نظم التكافل والضمان الاجتماعي في الاسلام وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية !

الدكتور على عبد الواحد وافى

وضع الاسلام أمثل نظام للتكافل والضمان الاجتماعى، وسن انواعا كثيرة من هذا التكافل وهذا الضمان .

فأوجب على الأغنياء من الأقرباء أن ينفقوا على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب من اقربائهم على ما هو مفصل فى كتب الفقه الاسلامى .

واوجب على أهل كل حى أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاضد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، حتى لقد ذهب جماعة من الفقهاء على رأسهم الامام ابن حزم الى مسئولية البلد الذى يموت احد أفراده جوعا ، فيدفع أهله الدية متضامنين كأنهم شركاء فى موته . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : **« أيما أهل عرصة امسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله »** .

وأوصى القرآن بالجار القريب والجار البعيد فى أكثر من آية . ومن ذلك قوله تعالى : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب »** فقرن وجوب الاحسان بالجار القريب والجار البعيد بوجوب عبادته وعدم الشرك به ووجوب الاحسان بالوالدين . وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالجار فى أكثر من حديث . فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : **« ليس منا من بات شبعان وجاره جائع »** وقوله **« خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »** . ولا يفرق الاسلام فى ذلك بين الجار المسلم وغير المسلم وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : الجيران ثلاثة : **جار له حق واحد ، وهو ادنى الجيران ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له « أى له حق الجوار فحسب » وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم لا رحم له « أى لا قرابة تربطه بجاره » له حق الاسلام وله حق الجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم : له حق الجوار ، وحق الاسلام ، وحق الرحم »** وقد جعل الاسلام للجار الحق فى الشفعة اذا باع جاره ملكه لغيره ، وهذا مظهر هام من مظاهر رعاية الاسلام لواجب الجار نحو جاره . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : **« الجار احق بسقبه »** (والسقب هو القرب ، أى انه أحق بما قرب من ملكه ، أو انه أحق من غيره لقربه من جاره) .

وأوجب الاسلام على بيت المال الانفاق على الزمن (وهو العاجز عن الكسب) وعلى الشيخ الفانى وعلى المراة اذا لم يكن واحد من هؤلاء فلن تجب عليه النفقة من اقربائه . ولا يفرق الاسلام فى ذلك بين المسلم والذمى . فقد روى الامام أبو يوسف فى كتاب «الخراج» أن عمر رضى الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسال ، وكان شيخا أعمى . فضرب عمر بعضده وقال : من أى أهل الكتاب انت ؟ فقال يهودى . فقال وما الجاك الى ما ارى ؟ فقال اسال الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب الى منزله واعطاه شيئا مما عنده ثم ارسل الى خازن بيت المال وقال له : انظر

هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفنا الرجل أن اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين** » وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، وارفع الجزية عنه وعن أمثاله .

وأوجب الاسلام فى حالات الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما »يسد حاجته فقد روى أبو سعيد الخدرى حال النبى فى سفر وشدة ، فقال كنا فى سفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « **من كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له** (أى من كانت لديه مطية زائدة عن حاجته فليعد بها على من لا مطية له) ، **ثم أخذ يعدد من أصناف الأموال حتى ظننا أن ليس من مالنا الا ما يكفينا** » . وعن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية : فهم منى وأنا منهم » .

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعماله ، حتى من قبل أن يبعث ، أروع مثل للتكافل الاجتماعى ، يدل على ذلك ما وصفته به خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحى عليه لأول مرة . فقد ذهب اليها يرتجف خوفا وفزعا مما أصابه من مفاجأة الملك له ، وقال لها زملونى زملونى (أى غطونى وادفئونى) ، وبعد أن زملته حتى ذهب عنه الروع ، وقص عليها ما حدث ، قال : « والله لقد خشيت على نفسى » . فقالت له : « كلا والله !! ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر » . وصلة الرحم هى الاحسان الى القريب ورعايته ، وقرى الضيف اكرامه والحفاوة به ، والكل هو اليتيم والعاجز عن العمل ، وتحمل الكل اى تكفيه مئونته وتسد حاجته ، والاعانة على نوائب الدهر هى مد يد المساعدة لمن نزلت به كارثة .

وحبب الاسلام الى الأغنياء التصدق على الفقراء والمساكين ، وجعل هذا التصدق من أكبر القربات وأعظمها أجرا ، وجعل اكتناز الأموال وعدم انفاقها فى سبيل الله من أكبر المعاصى ، وتوعد المكتنزين باشد عقوبة يوم القيامة . والآيات القرآنية التى وردت فى ذلك تجل عن الحصر ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن . وهذا يدل على أننا بصدد أصل هام من أصول النظام الاقتصادى فى الاسلام .

وبعض آيات القرآن تدل على أن الاسلام لا ينظر الى هذا النوع من الانفاق على انه احسان وتصدق ، بل على انه حق للفقراء فى مال الأغنياء . قال تعالى يصف المؤمنين : « **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** »)آيتى ٢٤،٢٥ من سورة المعارج) وقال : « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون** » (آية ٣٨ من سورة الروم) ، فوصف هذا النوع من الانفاق فى هذه الآيات بأنه مقرر للفقراء لا مجرد احسان من الأغنياء .

وكثير من آيات القرآن تدل على أن الاسلام ينظر الى التملك على أنه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه ، وينظر الى المالك على أنه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله . وفى هذا يقول الله تعالى : « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » (آية ٧ من سورة الحديد) .

بل لقد حبب الاسلام الى الأغنياء أن ينفقوا الفضل من أموالهم فى سبيل الله والصالح العام وسد حاجات المعوزين . والفضل من المال هو ما كان زائدا عن حاجة الفرد وحاجة من يعولهم ولا يؤدى انفاقه الى اضطراب فى حياته ولا فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة . فقد روى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أحد (وهو جبل فى المدينة ، كانت فيه غزوة أحد الشهيرة) فقال عليه السلام يا أبا ذر ، فقلت نعم يارسول الله بأبى أنت وأمى . قال أتبصر احدا ؟ فنظرت الى الشمس ما بقى من النهار وأنا أظن أن رسول الله

سيرسلنى فى حاجة ناحية أحد . فقلت نعم يارسول الله . قال : « ما أحب أن يكون لى مثل احد ذهبا أنفقه فى سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يارسول الله ! قال : « بل قيراطين » . أى انه ليؤلمه ان يكون له مثل جبل أحد ذهبا يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين والصالح العام ، ثم تعجله المنون وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله .

وليس معنى هذا أن الاسلام يحبب الى الأغنياء ان ينسلخوا عن جميع ما يملكون ويقدموه صدقة للفقراء والمساكين . بل أن الاسلام ليكره هذا المسلك كل الكراهية ، ويوجب على الفرد أن يبقى من أمواله ما يكفى لحاجته وحاجة من يعولهم . وكل ما يحبب فيه الاسلام هو انفاق ما زاد عن هذا القدر وما لا يؤدى انفاقه الى اضطراب ما فى حاضر حياتهم ومستقبلها .

وفى هذا يقول الله تعالى : « **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** » (آية ١٩ من سورة البقرة) . والعفو هو السهل اليسير الذى لا يؤثر فى حياة الفرد . وقد ثبت أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يرد صدقة من يريد التصدق بجميع ماله . فقد جاءه يوما رجل بمثل بيضة ذهبا ، وقال يارسول الله أصبت هذا من معدن ، فخذها فهى صدقة ، ما أملك غيرها . فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وهو يردد كلامه هذا . وبعد لأى أخذها منه وحذفه بها ، فتخطأته ، ولو أنها اصابته لأوجعته . وقال : « يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ، فيتكفف الناس !! خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» . وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » ، اى أن تظل غنيا تتصدق على الناس ، وتكون يدك هى العليا خير من أن تنسلخ عن جميع أموالك، فتتكفف الناس ، فتصبح يدك هى السفلى . وأخرج البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال جاء النبى عليه الصلاة والسلام يعودنى وأنا مريض بمكة .. فقلت يارسول الله أوصى بمالى كله ؟ (يقصد يوصى به صدقة للفقراء والمساكين) قال لا . قلت فالشطر ؟ (أى النصف) قال لا . قلت فالثلث ؟ قال فالثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . وانك مهما أنفقت من نفقة فهى صدقة حتى اللقمة ترفعها الى فم امرأتك » هذه رواية البخارى . وروى هذا الحديث فى بعض كتب الشيعة الجعفرية عن سعيد بن معاذ قال « جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من مرض اشتد بى ، فقلت يارسول الله قد بلغ بى من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، لا ترثنى الا بنية ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ مال لا ، قلت فالشطر يارسول الله ؟ قال لا ، قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير ، انك أن تذر ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس » — ولعل الحادث نفسه تكرر مع اثنين من صحابة رسول الله واتحدت اجابات الرسول عليه السلام لكليهما — غير أنه يلاحظ أن سعد بن ابى وقاص الذى جاء فى رواية البخارى عاش حتى خلافة عثمان ، وكان من جماعة الشورى الذين اختاروا عثمان بن عفان للخلافة بعد عمر . وروى كعب بن مالك (وهو احد الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ، وامر الرسول عليه السلام بمقاطعتهم عقابا لهم ، وظلوا كذلك مدة طويلة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم تاب الله عليهم وأنزل فيهم قوله تعالى : «**وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بمارحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم**» (آية ١١٨ من سورة التوبة) انه بعد ان بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضى عنه وأن الله تاب عليه ، جاء الى النبى عليه السلام ، وقال يا رسول الله قد جعلت توبتى عن التخلف عن الجهاد فى غزوة تبوك أن انخلع من جميع مالى صدقة الى الله ورسوله ، فقال له : « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » . فقال فانى أمسك سهمى الذى بخيبر (أخرجه البخارى)

دور الأسرة العربية في النضال القومي

الدكتور محمد طلعت عيسى

مقدمة تمهيدية :

ان التخصيص الذى ينهجه هذا البحث يبدو لاول وهلة نوعيا بحتا ، اذ يبدو من جهـة انه يتناول من ادوار الاسرة الاخلاقية والروحية والتربوية جانبا ضيقا هو « النضال القومى » ، كما يبدو من جهة اخرى انه يضيق نطاق البحث من مجال الأسرة الانسانية بوجه عام الى نطاق محدود باطار قومى هو « الاسرة العربية » ، ومع ذلك فان هذا التخصيص ليس نوعيا ولا هو وظيفى بقـدر ما هو تخصيص منهجى والذى نعنيه من هـذا التخصيص المنهجى هو ان البحث العلمى فى موضوع انسانى بحت ـ مجـاله المجتمع البشرى ، وادواته الخلية الأساسـيـة بصورتها التكاملية وهى الاسرة ، ووسائله العلاقات الاجتماعيـة فى أقوى معـاييرها الايجابية وهى التعاون والمنافسة الايجابية ـ يستلزم بالضرورة ان يقـوم البحث من حيث المجال والاداة والوسائل على اساس وحدة المنهج دون ان يكون للوحدة النوعية والوظيفية الا مكانة ثانوية فى مستوى البحث .

وترتيبـا على ذلك فان قصر البحث على « الاسرة العربية » تمليه وحدة المقومات التى تشـكل البناء الاسرى فى المجتمع العربى ، ومن اهم هذه المقومات نذكر عنصر « الايمان » الذى يعنى وجود ضـوابط اخلاقية ذاتية داخل مجتمع الاسرة ـ سواء ضاق نطاق هذا المجتمع او اتسع ـ تلك الضوابط التى تصل الى مستوى القوى الاخلاقية والروحية والتربوية فى الوقت ذاته . فقوة الايمان فى الاسرة العربية يجعلها وحدة اخلاقية وروحية وتربوية متكاملة ، وهـذا الايمـان لايستمد طاقته عن التعصب الدينى او الجمود الاخلاقى أو حتى من وضوح رمز السلطة فى الأسرة وفاعلية دوره فى التماسك الاسرى . ولكن الايمان الذى يميز الاسرة العربية ـ على مر العصور ـ اقوى من ان يستمد طاقته من عامل الدين او الاخلاق او التربية كل منها على حدة ، فهو ايمان متشابك العناصر يترجم عن شخصية الاسرة العربية وتراثها الثقافى والاخلاقى والروحى على مر السنين .

قوة الايمان فى الاسرة العربية :

ان الاسرة العربية ـ فى المشرق العربى وفى المغرب العربى ـ من المحيط الى الخليج تتصف ـ مهما تباينت عقيدتها وطقوسها وشعائرها ، ومهما تفـاوتت فى مستويات معيشتها وفى مراتب ثقافتها ـ بتيار دافق جارف هو تيار الايمان . الايمان بالله وبرسله ، الايمان بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس احرارا وينبغى ان يعيشوا احرارا ، الايمان بان الروح اسمى من المادة وينبغى أن تسيطر عليها وتحركها ، الايمـان بحرية الفرد كأساس لحرية الجماعة وكدعامة لاغنى عنهـا لحرية الشعوب ، الايمان بالفداء والتضحية للقضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان من جهة وسـيطرة الشعوب القوية والغنية على الشعوب الصغيرة والمتطلعة الى النمو من جهة اخرى .

وقد يبدو لنا ان نتساءل :

هل تتصف الاسرة العربية وحدها بعنصر « الايمان »؟ وهل من الموضوعية العلمية القطع بذلك دون الارتكاز على

دعائم الاستقراء والاستدلال الذى يمكن على اساسه الحكم على مدى دقة هذا الوصف ؟

دور الاسرة فى تنمية العقيدة :

مما لاجدال فيه أن للاسرة – فى كل زمان ومكان – وظائف نوعية واحدة لايختلف فيها شرقى عن غربى ، ولا عربى عن عجمى ، ولا مسلم عن مسيحى أو يهودى ٠ فالبناء الاسرى يرتكز دائما على قاعدة واحدة هى « الزواج » ويهدف دائما الى غاية سامية هى « استمرار الوجود الانسانى » ويتخذ على الدوام مسالك واحدة هى « التسلسل التاريخى » الذى يمكن السلف من تسليم « راية النضال » الى الخلف ٠ ومع ذلك فسوف يتضح لنا – على مدار هذا البحث – ان وضوح عنصر الايمان فى الاسرة العربية يعتبر سمة من اقوى سماتها المميزة ٠

ومن المهم ان ندرك ان حتمية التاريخ والصورة التى يتخذها تطور المجتمع البشرى تساعدنا من الاستدلال على ان « تاريخ اى مجتمع ، هو تاريخ النضال او الصراع بين النظم الاجتماعية » ٠ هذا النضال الذى ينتهى دائما ببقاء الاصلح واستمراره ٠

ومن هنا كان قول ماركس بان « تاريخ المجتمع هو تاريخ الصراع بين طبقاته » قول منحرف عن المنهج العلمى ، فلم يكن النظام الطبقى – على مر العصور – هو النظام الاجتماعى الوحيد لتشكيل الحياة فى المجتمع ٠٠ ولا يمكن ان نفسر قول كارل ماركس عن الطبقات بانه نظرة شاملة متكاملة للتقسيم الطبقى الاجتماعى المنبثق عن القوى المادية والقوى الروحية فى الوقت ذاته ٠ فقد سبق أن التزم « بمادية جدلية » تسقط من حسبانها أثر القوى الروحية وتجعلها تابعة لحركة المادة وقوتها ٠ ومن هنا يمكن الجزم بان « صراع الطبقات » الذى يعنيه ماركس هو صراع بين القوى المادية فى المجتمع ، صراع بين من يكسبون عن طريق « الريع والفائدة والربح » – طبقة البورجوازية – وبين من يكسبون عن طريق « العمل » – طبقة الكادحين – وان النصر حتمى للكادحين لانهم اكثر تعرضا للاستغلال ولانهم اكبر عددا واشد تماسكا ٠

ووجه الفساد فى التنبؤ التاريخى عند ماركس انه يستبعد اثر القوى الروحية فى النضال ، يستبعد قوة « العقيدة الدينية » فى « مجتمع المستقبل » ، يستبعد فاعلية « النظام الدينى » فى قوة الشعوب وتضامنها وتماسكها من أجل العدل والخير والحق ٠ ومن ثم ينكر على الاسرة مقدرتها على تنمية العقيدة ، وعجزها عن بعث القومية ، وعدم جدواها فى « النضال الاجتماعى » العالمى او المحلى ٠

نظم المجتمع تنبثق اساسا من داخل الاسرة :

والاسرة – فى نظر علماء الاجتماع – الخلية الاساسية فى البناء الاجتماعى ، وان النظم الاجتماعية الاساسية – وهى النظام الدينى والنظام الطبقى ونظام الملكية – لاتنبثق ولا تتفاعل الا فى نطاق هذه «الهيئة الاجتماعية» الصغيرة التى تعرف بالاسرة ٠ ففى اطار الاسرة تاخذ كل من هذه النظم الاجتماعية شكلها الامثل ، فمن غير المحتمل أن تقوم اسرة سوية على تباين فى العقيدة الدينية ، ومن غير المالوف فى نطاق الاسرة السليمة ان تكون مراتب افرادها غير متفقة مع ادوارهم التى يمارسونها داخل اطار الاسرة – فعلى اساس اهمية الدور الذى يؤديه كل عضو فى الاسرة تتحدد مكانته ودرجته فى « تسلسل المراتب » بالاسرة وفى الوقت ذاته فان الملكية فى الاسرة تتجه الى تحقيق السعادة لجميع افرادها ، فهى ملكية تجعل « الصالح الجمعى اسبق واسمى من الصالح الفردى » ، وعلى هذا فانه « لاوجود داخل نطاق الاسرة – كما يقول ابو الاشتراكية الحديثة « سان سيمون » اى اثر لقانون العرض والطلب» ذلك القانون الظالم – الذى يصفه الاقتصاديون من انصار مذهب الحرية ، تارة بانه قانون طبيعى وتارة اخرى بانه قانون الهى – لايدعمه على الاطلاق اية دعائم طبيعية او روحية ٠

ومن هنا كان شكل النظم الواجب سيادتها فى المجتمع الكبير ماخوذة بالضرورة عن شكلها فى «المجتمع الصغير » ، مجتمع الاسرة ٠ والنظم الظالمة او الفاسدة أو التى لاتتلاءم مع طبيعة الاسرة ومستلزمات بقائها ونموها ، ينبغى بالضرورة ان يتجرد عنها المجتمع لانها ليست نابعة عن وحداته الحقيقية ، وليست منبثقة عن تفاعل خلاياه الاساسية وتناسقها بالصورة التى تحقق النمو والاستمرار والتقدم للمجتمع الانسانى ككل ٠

وعلى هذا فان « النضال » من اجل البقاء ، الذى يسميه ماركس « بالصراع » لايمكن أن يتحقق بعيدا عن مجتمع الاسرة ، ولا يمكن أن يكون نضالا انشائيا يرمى الى البناء والتنمية الا اذا انبثق عن مجتمعات اسرية تتمثل معانى « العدل » و « الخير » و « الحق » فى اسمى صورها وانبل غاياتها ٠

نماذج من المثل العليا للاسرة العربية :

وفى الوقت ذاته فلا بد ان يكون امام هذا النضال « مثل عليا » يغذيها « الايمان » ، ولابد ان يكون هذا الايمان مرتكزا على الدعائم الاساسية الآتية :

١ – يد الله مع الجماعة

ومعنى هذا ان « الانانية » لاينبغى ان تكون سمة الحياة فى مجتمع ، بل من الضرورى أن تحل محلها « الغيرية » التى تحرر الناس من « الالتفاف حول الذات » الى الاهتمام بقضية « الوجودالانسانى » ككل ٠ ولا يمكن أن تتحقق هذه الغيرية الا اذا سيطر الايمان بان التعاون والمحبة هو الذى يدفع بالمجتمع الى الحياة

وفى الوقت نفسه لن يقضى على « المتناقضات الاجتماعية » المنبثقة عن التفاوت فى الثروة او السلطة او القوة الا اذا سيطر الايمان بان ظلم الانسان لاخيه الانسان جريمة كبرى فيها فناء البشرية وحرمانها من خيرات الطبيعة التى وهبها الله اياها ٠ وان حل « المشكلة الاجتماعية » المتمثلة فى الظلم والمتناقضات انما يتحقق عن طريق تعاون الانسان مع اخيه الانسان لاستثمار الطبيعة وتوجيه خيراتها لصالح الجنس البشرى ٠

ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس ليتصارعوا وانما خلقهم ليتعاونوا ويتكافلوا من اجل خيرهم ورفاهيتهم ٠ هذا الايمان بضرورة العمل الجماعى القائم على التعاون ينبغى ان ينبثق اساسا فى اطار الاسرة ، ولا يمكن لاسرة يحل فيها الصراع محل التعاون وتثار فيها الاحقاد والانانية محل التكافل والتضامن ، أن يتاح لافرادها – فى اطار الجماعات الارادية الاخرى ان تتشكل لديهم صور العمل الجماعى المثمر او معانى المحبة والتضحية والفداء من اجل المجموع ٠

وقد يبدو لاول وهلة أن الايمان باهمية « العمل الجماعى » لا يقع على عاتق الاسرة بقدر ما يكون من واجب التنظيمات السياسية والمناهج التعليمية واساليب انجاز العمل سواء كان يدويا او عقليا ٠ والحقيقة ان هذا وهم خاطىء تماما ، لان البذور الاولى

لفكرة التعاون لن نجدها بعيدة عن نطاق الاسرة ، كما أن دور كل من المدرسة والمجتمع - فى أفضل صوره التوجيهية - لا يتعدى عمليات التنمية والتعبئة والارشاد ولابد أن تكون البذور قائمة بالفعل حتى تجد مقومات النمو اللازمة لازدهارها فى التشكيلات الاجتماعية المتعددة خارج نطاق الاسرة

ا) دور الاسرة العربية فى التنشئة الاجتماعية :

ومن هنا كان اعتبار الاسرة العربية أكثر من غيرها مقدرة على تنمية الايمان بأهمية العمل الجماعى يرتكز على سمات هذه الاسرة التى يرتبط بها أفرادها أطول فترة ممكنة من فترات « التنشئة الاجتماعية » الاساسية .. فالطفل فى الاسرة الغربية مثلا لا تتاح له فرص الاحتكاك بالقيم الاسرية بالقدر الذى يتاح له فى احتكاكه بالجماعات والمجتمعات التى تدعم الاسرة - فى وقت مبكر جدا - بين يديها • وعلى الرغم مما قد يبدو من ناحية الشكل أن الطفل قد اكتسب مهارات وكفايات أكثر عمقا مما يكتسب زميله الطفل فى الاسرة العربية التى تتعهد هى لفترة أطول بمهمة التنشئة الاجتماعية ولا تتهيأ له فرص الاحتكاك الطويل والمباشر « بجماعات الغرض » التى ينتمى اليها من اجل التعليم او العمل أو حتى من اجل استكمال حضانته وتسليمه لمجتمع المدرسة • فوجه الاختلاف بين الطفل فى الاسرة العربية والطفل فى الاسرة الغربية مثلا هو أن الاول تتاح له فرصة اطول فى الاحتكاك « بجماعات الواقع » وهى جماعة الاسرة والجماعة الدينية بوجه خاص ، بينما تنخفض فرصة الاحتكاك بهذا النوع من الجماعات لدى الطفل فى الاسرة الغربية وتتزايد أمامه فرص الاحتكاك « بجماعات الغرض » ومن امثلتها جماعات الحضانة وجماعات الترويح والتعليم وما الى ذلك •

ب) عمق التنشئة الدينية فى الاسرة العربية :

واذا قلنا أن الطفل فى الاسرة العربية تتاح له فرص اطول فى الاحتكاك بالجماعة الدينية فذلك لان الاسرة العربية تقوم بالنسبة للناشىء الصغير بدور اخلاقى وروحى الى جانب دورها التربوى التقليدى • فالجانب المادى - فى الاسرة العربية الاصيلة - ليس مركز الاشعاع فيها ، وانما العنصر الروحى فى الحقيقة هو المسيطر على مسالكها المادية ومن هنا كانت جماعة الاسرة تقوم بوظيفة الجماعة الدينية لفترة ليست قصيرة فى حياة الناشىء العربى الصغير

وأحسبنى لا أحيد عن الموضوعية العلمية اذا قلت أن التنشئة الدينية فى الاسرة العربية اكثر عمقا واصالة عنها فى الاسرة الغربية ، وترتيبا على ذلك فان قوة الايمان بقدرة الله عز وجل وبأهمية الجماعة فى النضال من أجل الحياة الحرة الكريمة تظهر فى اقوى مستوياتها داخل الاسرة العربية وفى اطار البناء الانسانى العربى •

والنضال - الذى يستلزم العمل الجماعى هنا - لاياخذ صورة عدوانية ، وانما هو نضال مع قوى الطبيعة من اجل تذليل صعوباتها وازالة الاشواك التى تكتنفها من اجل تمهيد الطريق للانسان الحر لكى يعيش كريما فى مجتمع حر • فالاساس اذن فى هذا النضال اساس انشائى بنائى يؤدى وظيفة اجتماعية من أجل البقاء والاستمرار •

٢ - نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا :

واذا كان النضال من اجل البقاء يستلزم العمل الجماعى كعنصر أساسى من عناصر الايمان ، فان العنصر الثانى هو أن « السلام » هو التربة الأصيلة لسعادة الانسانية ورفاهيتها ، والتعايش السلمى ضرورة بين الشعوب مهما اختلفت عقيدتها او مذاهبها أو نظمها السياسية والاجتماعية • واذا ماآمن البشر بهذه الحقيقة انتفت الحروب وتوقفت مظاهر الصراع بين الامم وبين الجماعات وبين الافراد • ولكن الامر المؤسف - انه حتى يومنا هذا - بالرغم من تعاليم الكتب السماوية جميعا بأن السلام هو الطريق الى السعادة ، وان الصراع والحروب هى سر تعاسة الانسان وتفكك المجتمع البشرى ، ولا تزال النزعات العدوانية والمطامع الاستعمارية والسلوك الاحتكارى التسلطى يسيطر على جانب كبير من بنى البشر واصبح « السلام » مرادفا « للاستسلام » ، كما غدت الرغبة فى التعايش مع الآخرين فى وئام وسلام نوعا من « الخنوع » والرضا بما هو مفروض •

ا) حركات التحرر فى العالم العربى :

وما من شك فى أن دور الاسرة العربية بالغ الاهمية فى هذه المسألة بالذات ، فقد تعرض العالم العربى - فى تاريخه الطويل لانواع شتى من العدوان والاستغلال والسيطرة من جانب الدول الاستعمارية التى استحلت أن تمتص الدماء وتستنزف الثروات باسم « تدريب الشعوب وتمكينها من الاستقلال » • وليس من الانصاف ان ننكر محاولات التحرر وحركات النضال التى سرت فى ارجاء الوطن العربى منذ سنوات طوال والتى استشهد فيها مئات وآلاف من ابناء الامة العربية فى صراعهم من اجل الحرية والاستقلال • ولكن الامر الذى يحتاج الى المناقشة والبحث هو هل أدت الاسرة العربية فى مراحل هذا النضال الدور الطليعى الذى يقع على عاتقها ، الا وهو التنشئة الاجتماعية للطفل العربى بحيث يشب مؤمنا بأن « السلام » غاية فى ذاته ولكن وسائله لاتعنى « الاستسلام » او « الخنوع » وانما قد « لايفل الحديد الا الحديد » ؟ ومن هنا لايكون للمجتمع العربى نزعات عدوانية متأصلة فى البنيان الاجتماعى بوجه عام والبنيان الاسرى بوجه خاص ، وانما يؤمن بفلسفة « السلام من أجل السلام » والنضال من اجل السلام » كركيزة أساسية فى العلاقات الانسانية فى داخل الامة من جهة وفى علاقات الامم بعضها مع البعض الآخر من جهة أخرى •

ب) الزاد الاخلاقى والروحى المنبثق عن الاسر العربية :

هنا ايضا لا احسبنى احيد عن الموضوعية العلمية كذلك اذا ماقررت أن حركات التحرر فى العالم العربى وما وصلت اليه اليوم من صورة مشرقة زاهية لم يعد فيها من ظلال سوى بقع محدودة فى طريقها الى النور ، وانما يرجع فى حقيقة الامر الى ذلك الزاد الاخلاقى والروحى الذى قدمته الاسرة العربية لابنائها • ان امثلة بطولية كثيرة فى جميع ارجاء العالم العربى تعطينا نماذج ناصعة لثورات التحرر من نير الاستعمار والاغتصاب والاستغلال والاحتكار • ومهما واجهت هذه الثورات من نجاح او فشل ، فالمعيار هنا ليس فى نجاحها او فشلها وانما فى القوى الدافعة لها وفى الطاقات المحركة لفلسفة التغير المسيطرة على أبنائها . وخير شاهد على ذلك ثورة التحرير الجزائرية الكبرى التى قدمت من الضحايا مالم يسبق له فى التاريخ مثال • ومهما سجل المؤرخون عن « ثورة المليون شهيد » ، فسيظل دور الام العربية الجزائرية بوجه خاص ودور الاسرة العربية بوجه عام يحتاج الى مزيد من التقدير

والتحليل ، هذه الثورة التى استخلصت حريتهـــا وارضها وشعبها من انياب المستعمر على اشلاء الاحرار من أبنائها ، لم يكن فى مقدورها ان تحقق هذا النصر الاسطورى الا اذا كانت هذه الملايين من الندائيين قد تشربت معانى الفداء ونهلت مع لبن أمهاتها قيما سامية للتضحية اذا ماأراد مغتصب أن يذل الاعناق ، واذا ما حاول دخيل ان يسيطر على مقدرات البـــلاد ، واذا ماسولت لشرذمة من المغامرين نفوسهم ان يغتصبـوا حقوق الاحرار .

فالاسرة العربية ـ وهذا مثالها الناصع فى الجزائر ـ هى التى يرتبط تاريخهـا بتاريخ النضـال القومى ، وهى التى بعثت الايمان بان السلام والحرية لامجـال لهما ولا منفذ اليهما الا عن طريق الحركة الذاتية ، غير المعتدية او المغتصبة وانما الحركة البنـاءة التى لاتقبل الاستسلام للذل ولا تخنع امام الاغتصاب . ومن هنا كان دور الاسرة العربية فى تنمية الايمان بمبدأ السلام والوئام مع من يسالم والسلاح والفداء فى وجه من يغتصب ويستعدى ويتسلط .

٣ ـ قوميتنا العربية أساس وحدتنا ومكانتنـــا العالمية :

ان القومية العربية ليست « انفعالا طارئا » فى وجه السيطرة الاستعمارية ، وليست « فورة غضب » لمواجهة التحدى السافر باقامة جسر استعمارى فى قلب العالم العربى تحت اسم « اسرائيل » . ولكن القوميـــة العربية هى محصلة الكفاح العربى المشتـــرك وهى التراث المباشر لوحدة اللغة ووحدة الدين ووحـدة الثقافة ووحدة الامانى والاهداف التى عاشها ويعيشها الانسان العربى ، فهى ليست قومية مصطنعة انبثقت عن افكار فلسفية او امنيات خيالية كما كان عليه الحال فى تلك القوميات التى ظهرت وخفتت فى القرن التاسع عشر فى أوروبا بوجه خاص ، فالقوميـــة ليست تكتلا اقليميا لمواجهة أخطار قائمة او مفاجئة ، وليســـت تشكيلا اراديا يبعثه زعيم او قائد او مصلح ، وانما هى ظاهرة ضرورية تنبثق عن مستلزمات الحيـــاة الانســـانية المستمرة فى المجتمع البشرى . فظهور القوميات لايمكن ان يكون من صنع أحد ولكنها ظاهرة تلقائية تستمد مقوماتها من وحدة التراث الحضـــارى والتراث الثقافى لامة واحدة لاتفصلها جدران جامدة من التقاليد المتباينة او الكفـــاح المتعارض او التراث المتناقض وانما هى أمة واحدة أراد المستعمر ان يفكك وحدتها ويحطم تماسكها بتجزئتها الى دول متعـددة وامارات يتصارع حكامها وأمراؤها

ا) دور الاسرة العربية فى غرس الايمان بوحـدة المصير العربى :

سرعان ما أدركت الامة العربيـــة الواحدة أن العوبة الاستعمار ليست فى صالحها وانما هدفها ربط العالم العربى ـ اذا ماتحقق تفككه ـ الى منـــاطق نفــوذ استعمارية تتنافس من اجل ارضاء المستعمرين وخدمة مصالحهم بصورة مباشرة او غير مباشرة . وكان لابد من ان تقوم الاسرة العربية بدور طليعى لغـــرس الايمان بوحدة الامة العربية ووحدة المصير العربى

ان القومية العربية ـ اذن ـ مدينة للاسرة العربية المؤمنة بوحدتها وتكاملها ـ ولهذا فان القوة المنبثقة عن تجمعهـــا تمثل صـــورة نابضة بالحياة من صـــور الايمان المنبثق عن تعاليم الاسرة العربية ومن هنا كانت اصالة القومية العربية وازدهارها على مر السنين . ويخطىء من يتصور ان حركة الكفاح ضد اسرائيل هى التى ابرزت الى الوجود « التضامن العربى » فبالرغم من ان التضامن العربى قد وجد بالفعل قوة « شاحنة » فى اعقاب المحاولات العدوانية لتحويل مجرى نهر الاردن وحرمان العالم العربى من خيراته الطبيعية ، الا ان هذا التضامن ضرورة حتمية منبثقة عن الايمـــان بالقومية العربية . فالعدوان الاسرائيلى والتســـلط الاستعمارى والمخطط الاحتكارى لم يبعث الى الوجود « وحدة الامة العربية » وكل ما فعله هذا العدوان هو « اشعال شرارة العمل الجماعى العربى » أما قضيـة الوجود العربى فليست الا تعبيرا عن امل الانســان العربى فى الحـــرية وفى الوحدة وفى بنـاء « مجتمـع المستقبل » ، المجتمع القـادر على حل المتناقضات القائمة على التفـــاوت فى الثروة وفى الطبقـــة وفى المكانة الاجتماعية ، « مجتمع الكفاية والعدل »

ب) القومية العربية درع الامان للانسان العربى :

مما لاشك فيه ان العالم العربى يجتاز اليوم ازهى مراحل نضاله القومى ، واصبح الحكم فى اكثر بقـاع الوطن العربى حكم الشعب بفضل ثورات التحرر ضد الاستعمار وعملائه من جهة وضد النظم الرجعية الفاسدة التى ادت الى ظلم الانسان لاخيه الانسان والى تفتيت الوحدة الوطنية من جهة اخرى . فهذه ثورة التحرير الكبرى فى مصر تطيح بالملكية الفاسدة الظالمة ، وتدفع بالمستعمر الغاصب وجيوشه خارج حدودها ، وتقضى على تسلط راس المال على الحكم ، وترد للشعب حقوقه واعتباره فيصبح حكامه من بين ابنائه الذين يحسون بآلامه وآماله ، وحررت الجيش من احتكارات السلاح ورفعت معنوياته فاصبح درعا قويا فى وجه من تسوله نفسه للعدوان على أى بقعة من الوطن العربى ، وقضت على الحزبية المستغلة التى حولت ابناء المجتمع الواحد الى قوى متصارعة وعبأت طاقاتهم فى وحدة متكاملة تضم قوى الشعب العاملة وأخيرا تجعل من الاشتراكية حصن الامان لتحقق العدالة والحرية والرفاهية على أساس انسانى واخلاقى لم يسبقه اليه أى نظام اشتراكى من قبل .

وهذه ثورة التحرير فى الجزائر تطيح بالمستعمر الذى أراد ان يقضى على عروبتها ويحولهـــا الى قطعـة من أراضيـه ، وأراد أن يذيب قضيتهـا بمنح الجنسية الفرنسية لملايين الجزائريين ، وتصور ان التحرر أمر محال على بقعة تحولت الى مستعمرة للمستوطنين .. فكانت الثورة الكبرى شرارة اشعلت نيران التحـرر وأصبحت اليوم الجزائر العربية ـ كمـا كانت فى تاريخها السالف المجيد ـ جزءا قويا فى بناء الامة العربية فردت للانسان العربى فى الجزائر حقه وحريته وسارت فى طريق الاشتراكية بخطى بالغة العمق والسرعة واستطاعت ان تضع فلسفة عربية للعمل الجماعى تنهل من مقومات الاديان السماوية ومن قوة الايمان بالوحدة والحرية والاشتراكية وهو المنهـل الاصيل للقوميـة العربية .

وهذه الثورة البطولية فى العراق تطيح بالملكية والاستبداد وتتحرر عن الاحلاف وتعود الى دائرة العمل القومى العربى مجددة بذلك دورها التاريخى المجيد مؤمنة بان القومية العربية هى درع الأمان وأن الوحدة بين بلاد الأمة العربية أمر حتمى ينبغى السير فيه قدما حتى تتحقق الحـرية بأكمل معانيها وتتوافر الرفاهية للانسان العربى فى كل بقعة من الوطن العربى .

وبالمثل فهذه ثورة اخرى سوف تظل مثلا رائدا لقوة الايمان والاصرار على التحـر من الظـلم والتعسـف

والعبودية ، هذه ثورة اخرى اطاحت بحكم فاسد حرم الانسان من اقدس حقوقه كانسان حكم اطلق على نفسه « حكم الائمة » فى بقعة عزيزة من الوطن العربى ، لم يستطع الكبت والقسوة والظلام ان يطفىء مشعل التحرر فيها ، وكل ما امكن ان يفعله هو تعويق حركة التحرر عن مثيلاتها فى الوطن العربى . فتحررت اليمن بفضل الايمان الجارف بان القومية العربية هى درع حقيقى للانسان العربى فى كل بقعة من المحيط الى الخليج .

وقد اردنا ان نضع امام القارىء صورة سريعة لهذه الثورات التحررية والآثار العميقة المنبثقة عنها ، لكى نؤكد ان مساندة الشعب المصرى لاخوانه فى الجزائر وفى العراق وفى اليمن ، لم يكن الا تنبها لنداء الضمير العربى واحساسا بالمسئولية القومية وواجبا تفرضه ضرورة الوجود العربى فى معركته من اجل البقاء فى صورة عزيزة غير مستغلة او مستعبدة .

ان الدور الطليعى للجيش العربى وجيش التحرير الفلسطينى لهو دليل بالغ العمق على اصالة الانسان العربى وايمانه بالوحدة العربية كعنصر من عناصر حياته . ان الوحدة العربية اليوم تمس قوى حيوية فى حياة كل مواطن عربى ، ان الوحدة العربية ليست شعارا للتجمع القومى او المحلى فى مواجهة الازمات المشتركة ، وانما هى فلسفة عميقة ترجع الى الغذاء الروحى والاخلاقى والعقل الذى اشاعه البيت العربى وغرسته الاسرة العربية ودعمته الام العربية والاب العربى فى ابناء هذا الجيل - الذى يمكن ان نسميه بحق جيل الفداء والتضحية من اجل المجتمع العربى الكبير من اجل مجتمع تسوده الحرية . مجتمع تذوب فيه الفوارق الطبقية وتتلاشى فيه الأحقاد الذاتية ، وتتحول فيه الاهداف الى مستوى التعايش السلمى العالمى ، ومناصرة قضايا التحرر الانسانى فى اى بقعة من بقاع العالم اجمع ، واعتبار ان الشعوب هى صاحبة الكلمة العليا تختار انظمتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفقا لمتطلبات نموها وتقدمها وسيرها المتكافىء مع بلاد العالم من اجل تحقيق الرفاهية لبنى الانسان والحياة الكريمة الآمنة لكل شعب متطلع الى الحرية والامان .

خاتمة :

هكذا تظهر لنا الاسرة العربية - بمسئولية اكثر عمقا واقوى اصالة فى النضال القومى ، مما ساعدها على ان تكون اكثر من غيرها من الجماعات الارادية فى تحرير الانسان وفى تطهير النضال من شوائب الصراع ، وفى تحويل القوى المفككة التى اراد ان يعزلها الاستعمار عن بعضها بحواجز مصطنعة تحت اسم الحدود الوطنية الى قوى هادرة بالغة الحركة والفاعلية من اجل تخليص كافة الجيوب الاستعمارية التى تسلل اليها الرجعيون والمستغلون لكى يحتموا بسلاح القوى الاستعمارية وتحويل العالم العربى الى وحدة متكاملة يربطها هدف واحد هو تحرير المواطن العربى من الاستغلال والاحتكار والسيطرة والتخلف وتحويل الامة العربية الى نموذج رائع للتضامن والمحبة والتعايش السلمى كتمهيد طبيعى للوحدة العالمية التى لا شك أنها امل منشود بالرغم مما يبدو من مثالية هذا الامل وصعوبة وصوله الى حيز التنفيذ الواقعى .

ويتاكد لنا فى ختام هذا البحث ان اختيار الاسرة العربية بالذات انما يرجع الى انها الوحدة ذات الوضوح الكامل فى موضوع البحث ، كما أن تناول النضال القومى يتسع الى مفاهيم اخلاقية واجتماعية وروحية اكثر من كونه مفهوما سياسيا محدود الاثر والنطاق .

مقارنة الأديان

اليهود

الدكتور أحمد شلبى

٥

مقدمة :

فى أحاديثنا السابقة تكلمنا عن منطقة فلسطين ، ووصفنا سكانها ، وتحدثنا عن الكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وسكان آموت ومؤاب وادوم ، وهذه تمثل الدائرة الضيقة التى اطاحت بالعبرانيين ، كما تحدثنا عن مصر وأشور وبابل التى تمثل الدائرة الواسعة حولهم ، ثم عرجنا على العبرانيين فوصفنا تحركاتهم وتتبعناهم من أور الكلدانيين حتى دخل بهم ابراهيم أرض الكنعانيين ثم غادرها الى مصر وقفل بعد حين عائدا الى فلسطين ، وجاء بعده أبناه اسماعيل فى الحجاز واسحق فى فلسطين وجاء اسحق بعد ابيه يعقوب ، ثم جاء يوسف ، وسرنا مع قصة يوسف حتى رأيناه مديرا لخزائن الطعام بمصر ، ثم يستدعى أهله ليلحقوا به فيلحقون ، وشهدنا تكاثر بنى اسرائيل بمصر وخيانتهم للحكم الوطنى بعد طرد الهكسوس وتآمرهم ضد سلامة الدولة ، وقيامهم بعدة ثورات فى عهد رمسيس الثانى ، وذكرنا أسباب هذه الثورات ، ونواصل فى هذا المقال حديثنا عن اسباب الثورات التى قام بها اليهود .

يعلل الباحثون هذه الثورات بانها كانت نتيجة للوضع الجديد فى مصر ، فان بنى اسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف ، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وايثارهم ، ثم جاء من الفراعنة من طلب من بنى اسرائيل أن يحرثوا الارض كغيرهم من المصريين المنتجين ، وأن يشتركوا فى تشييد المبانى واقامة العمران ، لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارتهما وبتنمية المواشى بواسطة الرعى دون جهد ، فثار بنو اسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد وربما يكون من الاستطراد ان نذكر ان بنى اسرائيل كانوا يحرصون على حياة الامتياز والكسب السهل على مر التاريخ وفى مختلف البلاد ، وأنهم ثاروا هنا وهناك عندما خافوا أن تضيع منهم هذه الامتيازات .

وهناك سبب آخر نضيفه لاسباب الخلاف بين فراعين مصر وبين بنى اسرائيل ، فان حياة الغنى كان ينعم بها سادتهم فقط ، أما الاكثرية العاطلة فكانت تعيش فى فقر مدقع ، وكانت القذارة تنتشر بينهم بشكل ظاهر ، فظهرت بينهم الامراض ، وأصبحوا مصدر قلق لفرعون وشعب مصر وهكذا تأزمت العلاقات بين المصريين وبين بنى اسرائيل ، وأصبحت الكراهية والحذر طابعها ، واستشار فرعون الكهنة والحكماء ، وتدارس الجميع الامر ، وانتهوا فيه الى أن عزلة بنى اسرائيل هى مصدر الخطر وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة الجديدة ، فاستقر الرأى على التخلص من الاطفال الذكور واستبقاء الاناث فاذا تم ذلك وتزوجت الاسرائيليات من مصريين انتهت العزلة وتم الاندماج وزال الخطر ، وكان موسى عليه السلام من مواليد هذه الفترة ، ولكن الله أنجاه من الموت وفى القرآن الكريم تصوير رائع لطفولة موسى ، تعال بنا نقتبس بعض آيات من الذكر الحكيم :

وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم . ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون .

وقالت امرأة فرعون لفرعون : ألا يحتمل ألا يكون هذا الطفل عبريا ؟ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، واستجاب لها فرعون ، وتربى موسى فى رعاية

القصر ، ولكنه عندما شب أدرك أنه من بنى اسرائيل فقرر أن يكون ظهيرا لهم ، وذات يوم رأى خلافا يدور بين مصرى وعبرانى ،وتطور الخلاف الى عراك فهتف به العبرانى أن يساعده ، ففعل ، وسقط المصرى قتيلا بضربة موسى وثار المصريون ضد العبرانيين ، ثم تحولت ثورة المصريين ضد موسى ، عندما اعترف عليه الشخص الذى استغاث به بالامس ، ولم يجد موسى بدا من الهرب، واتجه فى هربه الى الشمال الشرقى حيث قاده الطريق الى أرض مدين ، مقر نبى الله شعيب ، وهناك تزوج ابنته وكان صداقها خدمته لابيها ثمانى حجج ، وبعد أن أتم موسى الميقات فكر فى الرجوع الى مصر آملا أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته ، فوهب له صهره بعض المال والاغنام وسار مع زوجه فى طريق العودة حتى وصل طورسيناء ، وهناك خيل اليه انه ضل الطريق فوقف مترددا ، ولكنه سرعان ما أبصر نارا تشتعل فى جانب الطور الايمن فقال لاهله : « امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » وبدأت بذلك رسالة موسى .

ولم يستجب فرعون لموسى ، ولم يعترف بما عرض عليه من معجزات ، وظل فرعون يعامل بنى اسرائيل بما كان يعاملهم به من القسوة والحذر وهتف بنو اسرائيل بموسى « أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا » واتجه موسى يطلب من فرعون ان يطلق معه شعبه « بنى اسرائيل » ليعبدوا الههم « يهوه » فى البرية ، ولم يستجب فرعون لهذا الطلب ايضا ، اذ رأى من الخسارة أن يعفيهم من أعمالهم التى وكلها لهم ، ثم من الخطر أن يطلقهم فقد يلتقون بأعداء المصريين بالشمال ويتفقون معهم على ما يؤذى المصريين ، ولهذا دبر موسى أن يخرج بهم سرا .

وهناك اتجاه آخر هو أن فرعون أذن لموسى فى الخروج ببنى اسرائيل بيد أن نساء بنى اسرائيل استجابوا لالههم الذى تروى التوراة قوله لهم : حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين وخرج بنو اسرائيل بما سلبوه من المصريين .

وسواء كان خروج بنى اسرائيل سرا أو كان بموافقة فرعون لكن نساء بنى اسرائيل سلبن ثروات المصريات ، فقد كان على فرعون أن يلحق بهم وأن يمنعهم من مواصلة السفر ، ولحق بهم فرعون ومعه فريق من جنده ، فاقترب منهم وقد بلغوا شاطىء خليج السويس « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون ، قال كلا ان معى ربى سيهدين ، فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين »

وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثانى ، وفرعون الخروج هو منفتاح الذى خلف اباه رمسيس،وكان خروج بنى اسرائيل من مصر حوالى سنة ١٦١٣ ق. م.

وقبل ان نتتبع حركات بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ينبغى لنا أن نقف هنا وقفة ندرس فيها الى أى مدى استطاع الدم اليهودى أن يحافظ على نقائه ، وتجمع المراجع التاريخية والابحاث الانتروبولوجية « علم أجناس البشر » .. على أن خروج بنى اسرائيل من مصر كان حدا فاصلا بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم ، يقول غوستاف لوبون : ولحق ببنى اسرائيل عدد من المصريين الساخطين ومن الاسارى ومن العبيد المتمردين ، ولما جاوز بنو اسرائيل بحر القلزم بدوا عشيرة أى جماعة تظهر كأنها نسل رجل واحد ، وان كانت فى الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفرار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها .

وقد يكون فى الموطن الشمالى لنهر الراين اكبر مجموعة يهودية بأوروبة اذ وفد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرحل الذين هاجموا فلسطين اثر احدى هزائمهم ، واختلطوا فى الطريق الى اوربا بعناصر سورية وأناضولية وحطوا رحالهم بالحوض الشمالى لنهر الراين ، وبمرور الزمن دخل عدد كبير من سكان هذه المنطقة ديانة الوافدين العبريين ، وتفرع هؤلاء بعد فترة من الزمن فاستوطن بعضهم بولندا واستوطن آخرون اوربا واتجه فريق منهم الى روسيا .

ويقول العلامة « لامبروزو » : ان اليهود المحدثين هم ادنى الى الجنس الآرى منهم الى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم اليها فى جميع العصور أشخاص من شتى الاجناس ومن مختلف صنوف البشر ، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الافاق فمنهم « الفلاشا » سكان الحبشة ، ومنهم الالمان ذوو السحنة الالمانية ، ومنهم « التامل » أى اليهود السود فى الهند ومنهم « الخزر » وينتمون للجنس التركى ، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الوجه الحسن البديع والشعر الاشقر او الكستنائى وذوى العيون الصافية اللون الزرقاء ، ممن نلقاهم اليوم فى اوربا الوسطى يمتون بصلة الدم الى اسرائيلى ارض الميعاد او يهود فلسطين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الاردن والبلاد المقدسة منذ القدم .

بعد الخروج :

التف بنو اسرائيل حول موسى وهم بمصر لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد المصريين ، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى ، فقد سبق أن قلنا أن بنى اسرائيل ثاروا على الحكم الوطنى بمصر لما أحسوا أنهم فقدوا امتيازاتهم التى كانوا ينعمون بها خلال عهد العماليق وقد كرر بنو اسرائيل موقفهم هذا ضد موسى نفسه لما أفقدهم حياة الرخاء بمصر وجاء بهم الى البرية ، التى فقدوا بها بعض ما كانوا ينعمون به فى مصر من خيرات ، فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء ، ولذلك صاحوا به وبأخيه هارون فيما ترويه التوراه :

ـ ليتنا متنا فى مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ناكل خبزا للشبع ، فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع .

وفى بعض اماكن البرية لم يجدوا ماء ، فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه ، وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش .

وفى الطريق الى فلسطين ترك موسى بنى اسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد الى جبل الطور ويمكث ثلاثين ليلة صائما ليتلقى من الله الوصايا والتعليمات التى يسير عليها هو وشعبه ، وطالت هذه الليالى فبلغت الاربعين لأن موسى استاك فى آخرها ، وهنا يتناسى بنو اسرائيل كل معجزات موسى ويعودون الى طبيعتهم الوثنية الشريرة الآثمة ، تقول التوراه :

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لان هذا الرجل الذى أصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا

اقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب وآتوا بها الى هارون ، فاخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا « هذه رواية التوراة ، أما القرآن فينسب هذا التصرف للسامرى » فقال الرب لموسى : أذهب لانه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ،زاغوا سريعا عن الطريق الذى اوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا .

ونزل موسى من الجبل وغضب غضبا شديدا على قومه لعودتهم للوثنية وعبادتهم العجل ، وكان عقابهم أن تسلط بعضهم على بعض فى معارك طويلة سقط فيها بضع آلاف .

وبدا موسى يسير بقومه تجاه فلسطين ، ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان الذى سبق أن تحدثنا عنهم ، وكان دخولهم معناه الحرب بين بنى اسرائيل وبين هؤلاء السكان ، وكان بنوا اسرائيل يخافون الحرب فقد تمكنت منهم الذلة والصغار ، فصاحوا بموسى : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » وبذلت محاولات لاغرائهم بالدخول ووعود النصر ، ولكنهم أصروا على موقفهم « وقالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » ولم يستجب لموسى احد سوى اخيه هارون فشكا موسى الى ربه قائلا « رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » فنزل عليهم حكم الله « انها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض ، فلا تاس على القوم الفاسقين » .

ويلاحظ بعض الباحثين أن التيه هو الذى حدد سنة وليس التحريم فالتحريم مطلق ابدى ، اى لن يكون لهم بها استقرار ، ومن أجل هذا يوقف فى القراءة بعد « محرمة عليهم »

ومات هارون ثم موسى فى فترة التيه ، ودفن هارون فى جبل هور ودفن موسى فى كثيب احمر حيث كان يرى ارض فلسطين دون أن يدخلها .

وتولى يوشع بن نون قيادة بنى اسرائيل بعد موسى ، وسار اتجاه بنى اسرائيل الى الشمال شرقى نهر الاردن ، ثم بدأ يوشع يعد العدة لعبور الاردن ونزول فلسطين فلما عبروا النهر كانت اولى المدن التى استولوا عليها مدينة أريحا ، وقد أرسل يوشع رسولين للتجسس ، فدخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب كما تقول التوراة وخبأتهما المرأة عندما شاع أمرهما ، وبعد بضعة أيام اقتحم بنو اسرائيل مدينة أريحا وقتلوا كل ما بها من انسان وحيوان وحرقوا المدينة كلها ، ولم ينج من الموت من سكان المدينة الا المرأة الزانية وأهلها ، وكان ذلك أول العهد ببنى اسرائيل فى فلسطين وامتد سلطان يوشع عقب ذلك ، ويصف ول ديورانت أحداث هذه الفترة أدق وصف . استمع اليه يقول :

لم تكن هزيمة العبرانيين للكنعانيين الا مثلا آخر لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرة آمنة ، وقتل المهاجمون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم ، وسبوا من بقى من نسائهم ، وجرت دماء القتلى أنهارا ، وكان هذا القتل ـ كما تقول نصوص التوراه التى بين ايدينا فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ، وكانوا كلما استولوا على احدى المدن قتلوا أهلها واحرقوها وصلبوا حاكمها .

ولسنا نعرف من تاريخ الحروب مثل هذا الاسراف فى القتل والاستمتاع به ، وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والاناة ، أما يوشع فلم يكن الا جنديا فظا ، وقد حكم موسى حكما سلميا لم تسفك فيه دماء ، أما يشوع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذى يقول : ان أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حيا ، وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الارض الموعودة .

وفى الحديث القادم سنتكلم عن بنى اسرائيل فى الاسباط وتركت ست مدن على الشاطىء الايمن والايسر للاردن لتكون ملجأ للمتشردين من بنى اسرائيل المتهمين بالقتل خطأ .

وفى الحديث القادم سنتكلم عن بنى اسرائيل فى فلسطين .

« للحديث بقية »

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

في مؤتمر القمة العربي الثاني

« ان كل ما تحققه أية عاصمة عربية لا قيمة له اذا لم يخدم المصير القومى المشترك ، لا ينفصل عنه بالأنانية أو التعالى » .

(من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى جلسة الافتتاح)

اذا كان اللقاء الأول بين الملوك والرؤساء العرب الذى تم فى مطلع هذا العام قد أثبت قول الرئيس لأعضاء مجلس الأمة المصرى من أن العرب امة واحدة تواجه معركة واحدة لأنها تواجه نفس الخطر ويهددها نفس المصير اذا لانت يوما فى تصميمها ، أو هانت وهان عليها التاريخ والمستقبل ، فان المؤتمر الثانى لقادة العرب والذى انعقد فى سبتمبر - وبعد سبعة أشهر - فى مدينة الاسكندرية قد أكد أن التفرقة الطارئة كانت جسما غريبا مدسوسا فى الكيان العربى الواحد وأن الهدف العربى الواحد يبقى دائما كما هو بغير تحفظ ولا تردد وهو أن الوجود الوطنى لأى شعب عربى هو جزء من الوجود القومى للأمة العربية كلها .

وكما أن اللقاء التاريخى الأول كان نتيجة طبيعية وحتمية لوحدة الهدف والصف العربيين ، فان المؤتمر الثانى كان - أيضا - ضروريا وحتميا لمتابعة ما تم تنفيذه بالنسبة لقضية الوطن العربى - وخصوصا مشكلة مياه

نهر الأردن ـ التى هددت الكيان العربى الواحد ... لأن فلسطين المحتلة ـ كانت ولم تزل وستكون أبدا ـ جزءا لا ينفصل عن الوطن العربى الكبير .

ففى مؤتمر القمة العربى الأول الذى انعقد فى ١٣ يناير سنة ١٩٦٤ ، اتخذ الزعماء والقادة العرب قراراتهم التاريخية باتقاء الخطر الصهيونى الماثل ، وذلك بتبادل التعاون الوثيق فى كافة الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وأيضا تلك القرارات الخاصة بتنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحرير وطنه السليب .. وبالنسبة لموضوع الاجتماع ـ مياه نهر الأردن ـ فقد كفلوا انجاح المشروع العربى المضاد للمشروع الاسرائيلى والخاص بتحويل مجرى مياه النهر .. كفلوا انجاح هذا المشروع بكافة الوسائل والطرق الفنية والعسكرية ... بل والديبلوماسية أيضا . وقد نصت قرارات المؤتمر الأول على زمان ومكان اللقاء الثانى .. اذ قرر المؤتمر أن يجتمع الملوك والرؤساء العرب مرة فى السنة على الأقل، على أن يكون الاجتماع التالى فى أغسطس بمدينة الاسكندرية ، والذى تم انعقاده فعلا ابتداء من يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ بقصر المنتزة حتى اليوم الحادى عشر من الشهر نفسه .

وإذا نظرنا الى قرارات المؤتمر لوجدنا أنها تؤكد الحقيقة القائلة بأن الارتباط بين العمل الوطنى والعمل القومى هو حقيقة الوجود العربى ذاته تاريخا ، ولذلك فهو حقيقته مصيرا ... ومن هنا كان اجماع القادة العرب على تحديد الهدف القومى فى تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى وعلى الالتزام بخطة للعمل العربى المشترك سواء فى المرحلة الحالية التى وضعت مخططاتها أو فى المرحلة التالية التى تقرر الاعداد لها .

وأكد مجلس الملوك والرؤساء العرب فى قراراته وجوب استخدام جميع امكانيات العرب وحشد طاقاتهم ومقدراتهم لمواجهة تحدى الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضى فى سياستها العدوانية ، والتنكر لحقوق عرب فلسطين فى وطنهم .

واتخذ المجلس القرارات الكفيلة بتنفيذ المخططات العربية وخاصة فى الميدانين العسكرى والفنى ومن بينها بداية العمل الفورى فى المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده .

كما رحب المجلس بقيام منظمه التحرير الفلسطينية ، دعما للكيان الفلسطينى وطليعة للنضال العربى الجماعى لتحرير فلسطين . واعتمد قرار المنظمة انشاء جيش التحرير الفلسطينى ، وعين التزامات الدول الأعضاء لمعاونتها فى ممارسة مهامها .

وعنى المجلس بالبحوث السياسية والاقتصادية الخاصة بعلاقات الدول العربية بالدول الأجنبية . ونتائج رحلات وزراء الخارجية العرب وأعرب عن التقدير لمواقف الدول التى أبدت تأييدها للقضايا العربية وخاصة قضية فلسطين، وقرر متابعة الاتصالات واستكمال الدراسات تمهيدا لتنفيذ المبدأ المقرر فى الدورة الأولى والمتضمن تنظيم علاقات الدول العربية بالدول الأجنبية ، على أساس مواقفها من قضية فلسطين والقضايا العربية الأخرى .

وأكد المجلس الارادة العربية فى مواجهة القوى المناوئة للعرب وفى مقدمتها بريطانيا باستعمارها لبعض المناطق العربية واستغلال ثرواتها وبأعمال الابادة التى تمارسها فى الجنوب المحتل متحدية ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها وحق الشعوب فى تقرير مصيرها وقرارات الجمعية العامة ولجنة تصفية الاستعمار .

وقرر المجلس مكافحة الاستعمار البريطانى فى شبه جزيرة العرب وتقديم المساعدات لحركة التحرير فى الجنوب المحتل وعمان .

ووجه المجلس عناية خاصة الى دعم التعاون الاقتصادى العربى وتنفيذ الاتفاقات الخاصة به بوصفه الأساس الأول للقوة والتقدم العربيين وللمقدرة على مواجهة التحديات الأجنبية فضلا عن أنه الهدف الأول للتجمعات الدولية المعاصرة .

وأكد ضرورة مضاعفة التعاون وزيادة الاسناد الاقتصادى لدول المغرب العربى ، وقرر المجلس

تاليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية للأغراض السلمية فى نطاق الجامعة وانشاء محكمة العدل العربية .

كما قرر أن تستمر لجنة المتابعة فى عملها بحيث تجتمع مرة كل شهر على المستويات الموجودة على أن تجتمع كل أربعة أشهر على مستوى رؤساء الوزارات أو نواب الرؤساء فى احدى البلاد العربية . وأن يكون هذا الاجتماع بمستوى رؤساء الوزارات أو نواب الرؤساء هيئة تنفيذية لمجلس الملوك والرؤساء يبت فى الأمور العاجلة تمشيا مع قرارات الملوك والرؤساء العرب . ويتولى مباشرة تنفيذ الخطط المقررة ودفعها كما يقوم باعداد المقترحات التى تعرض على مؤتمر الملوك والرؤساء ، وله أن يطلب اجتماعا استثنائيا للملوك والرؤساء اذا كانت هناك حالة عاجلة أو أى أحداث تستدعى اجتماعا سريعا .

ورحب بانضمام باقى الدول الأعضاء الى معاهدة الدفاع العربى المشترك واستكمال المعاهدة أسباب فعاليتها فى الوطن العربى الكبير من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى.

وأكد الملوك والرؤساء العرب أن أى اعتداء على أى دولة عربية يعتبر اعتداء على الدول العربية كلها تلتزم جميعا برده فورا .

والمجلس فى ايمانه بالتضامن الأفريقى الآسيوى يؤيد ما أسفر عنه مؤتمر القمة الأفريقى الثانى بالقاهرة فى شهر يوليو ١٩٦٤ ويستبشر بنمو الوحدة الأفريقية .

كما يؤكد أن قضايا الشعوب العادلة وحقها فى الحرية وتقرير المصير والتخلص من الاستعمار والتفرقة العنصرية كل لا يقبل التجزئة وأن التعاون العربى الأفريقى قاعدة للسياسة العربية بحكم التاريخ والموقع والمصالح والأهداف المشتركة .

ولهذا يؤيد المجلس كفاح شعوب أنجولا وموزمبيق وروديسيا الجنوبية وغينيا المسماة البرتغالية وجنوب أفريقية فى سبيل الحرية كما يستنكر محاولات التدخل الأجنبى فى الكونغو .

كما أكد المجلس ضرورة تصفية القواعد الاستعمارية التى تهدد أمن المنطقة العربية وسلامتها وخاصة فى قبرص وعدن .

وتعاهد الملوك والرؤساء العرب على العمل العربى الجماعى خدمة لقضايا الحرية والتقدم فى الوطن الكبير وللسلام والتعاون العالميين على أن يكون اجتماع مجلس الملوك والرؤساء العرب دوريا فى شهر سبتمبر من كل عام ، وتلبية لدعوة الملك الحسن الثانى ، قرر المجلس عقد دورته الثالثة فى سبتمبر ١٩٦٥ بالمملكة المغربية .

وبعد :

فان القادة والملوك العرب ، بهذه اللقاءات المتكررة انما يؤكدون الارادة العربية نحو رفع قواعد البناء الراسخ الذى يمكن للعمل العربى المشترك ، سياسيا ودفاعيا واقتصاديا واجتماعيا ، والمضى فى سبيل الوحدة العربية الشاملة تحقيقا للمصالح العليا المشتركة فى الوطن العربى الواحد .. الكبير .

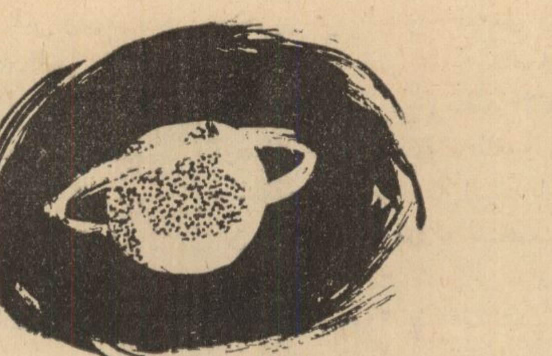

الوحدة الإسلامية

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

تحدث المسلمون منذ زمن بعيد عن الوحدة الاسلامية، وعقدت مؤتمرات مرة فى الاراضى المقدسة فى سنة ١٩٣٦ واخرى فى غيرها من البلاد الاسلامية بحثا عن هذا الموضوع الاسلامى العظيم الاثر . ولا شك أنها كانت موضوع اهتمام زعماء الاسلام .

ان الوحدة ـ فى شكلها العام ـ لاتحدد لونا معينا من الاجتماع الروحى ، فسواء على شكل جامعة اسلامية توحد الفكرة فى خطوات عملية تؤدى الى وحدة فى الاهداف والمرامى او على شكل زعامة اسلامية تقوم على سياسة ايجابية فى تكوين الروح الاسلامية التى توحد الصفوف وتنظم الحياة العامة أو على شكل اتحاد دينى يجمع الشمل ويلم الشعث فى ايجاد كتلة أخوية فى أسرة تعمل جادة فى تيسير المسائل المتعلقة بحياة الشعوب الاسلامية ومصيرها ، وفى تحقيق امانيها .

وليكن ما يكون نوع هذه الوحدة فانما الفرض الاساسى الجوهرى هو تحقيق الروح الاسلامية فى الاخوة تلبية لنداء الله فى قوله سبحانه : « انما المؤمنون أخوة ، فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

فى الحق ان هذه الوحدة ـ فى صورتها الحقيقية ـ من أساس الاسلام ومبدئه ، ونحن فى أشد الحاجة اليها فى أى ظرف من ظروف حياتنا سواء فى فترة السلم أو حين الحرب ، ولا سيما اننا أمة مازالت فى طور التقدم العلمى والثقافى والاجتماعى ، واننا فى دور التكوين السياسى عقب الاستعمار الطويل الذى سلب الكثير من ثرواتنا الفكرية والعلمية ، ومن تراثنا المادى والمعنوى حتى أصبحنا ضعفاء الى حد ما لمقاومة الظروف المحيطة بنا على انفراد .

وقد قال السيد المهندس احمد عبده الشرباصى ، نائب رئيس الوزراء لشئون الاوقاف والازهر فى كلمته التى القاها فى مؤتمر أبى بكر الصديق الخامس . « انالعالم الاسلامى ـ اليوم ـ تجتاحه الفتن فى الداخل وتحيط به المؤامرات من الخارج ، وهذه المحن والمؤامرات هى نفسها التى كانت فى عهد أبى بكر الصديق تحاك للمسلمين فى بلاد الفرس والروم بغية القضاء على الاسلام بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن ابا بكر هزمها جميعا ، من أجل ذلك وجب أن نتخذ من سيرته وايمانه تقويما لحاضرنا ، وتخطيطا لمستقبلنا » .

والحق ، ان العالم الاسلامى ـ فى وقتنا الحاضر ـ يحتاج الى كثير من التفكير الجدى الفعال ، والعملى الحقيقى ، والى وحدة فى ايجاد الخطط للمستقبل ، ولا سيما أن أمامه قضايا حية ماثلة أمام الاعين منها قضية فلسطين ، وقضية الجنوب العربى ، وقضية عمان وغيرها من القضايا التى تهم العالم الاسلامى .

وطالما لم تفكر الزعامة الشاملة فى هذه الوحدة فاننا نرى أنه من اللازم ايجاد عناصر البعث الفكرى ، والزعامة ـ فى الحقيقة ـ عنصر هام فى مثل هذه المسائل ولاسيما ان العالم الاسلامى فى معركة فكرية شاملة يختلط فيها الحابل بالنابل ، ويضيع المنبع الاساسى لهذا التفكير الدينى وخصوصا لم تر للمسلمين زعامة علمانية شاملة .

وفى الحق ، ان للازهر الشريف زعامة دينية : ثقافية وعلمية ، وقد جمع أبناء الاسلام حوله من قديم العهد ليؤدى رسالته القرآنية ووحيه السماوى فى تثقيف هؤلاء الابناء حتى يعودوا الى أوطانهم بكامل العدة لمناهضة ومحاربة الاستعمار بافكاره وثقافاته ، وبأعماله ودعايته ، وليؤدوا واجبهم الدينى المقدس فى الجهاد الشامل فى سبيل الله ، وسبيل الحق ، وفى سبيل الحرية والاستقلال ، وفى سبيل الانسانية والبشرية .

يعلم الجميع مدى امكانيات الازهر الذى أوتى قوة فكريةفى الزعامة الثقافية ، وبالتالى فى الزعامة الروحية وكان صوت الازهر قويا فى فتواه وفى نجواه ، وفى صرخاته وأناته ، وكان علماء الازهر القادة الحقيقيين للاسلام والمسلمين لايخافون فى الحق لومة لائم ، وكان لهم أثر فعال فى الحركات الوطنية .

ولا شك أن الزعماء فى البلاد الاسلامية قد اقتبسوا من الازهر هذه الروح الدينية الوثابة بل كان منهم من اخذ من الازهر العلم والثقافة ، والروح والقيادة بعد ان مكثوا فيه ردحا من الزمن فى طلب العلم بعيدين عن الاهل والخلان والاصدقاء والاوطان .

وكم تحمل أبناء الاسلام فى سبيل تغربهم عن الوطن ولا سيما أن الاستعمار كان العدو اللدود لهم ويمنعهم من الذهاب الى القاهرة المعمورة ، الى الازهر الشريف لطلب العلم ، وهو يعلم تمام العلم خطورة الازهر ،ومدى خطر هؤلاء الابناء اذا عادوا الى بلادهم وهم السهم المسموم فى صدره .

كان من طلاب العلم من خرج من بلاده هاربا الى الاراضى المقدسة مدعيا ارادة اداء فريضة الحج ثم يعرج من هنالك الى القاهرة . ومنهم من يأتى مشيا على الاقدام مارا على ساحة البيداء الى فلسطين حتى يصل القاهرة وهو فرح باللقاء العلمى فى الازهر الشريف .

ولا ريب أن هؤلاء الشباب كانوا عدة الاسلام وهم دعاته وزعماؤه وهم قادة الفكر ، وقد كان منهم من عاد الى وطنه وهو أقوى عودا فى محاربة الاستعمار على انواعه واشكاله ، وقد كان منهم من أسس جمعيات اسلامية سياسية لمناهضة الاستعمار فى داخل بلاده أو فى ارض الغربة كمصر العزيزة .

فى الحق كانت مصر رمزا لهذه الوحدة وتلك الزعامة، وفيها اجتمع قادة الاسلام منذ القدم لتكوين صف وطنى فى الفكرة والعمل والتخطيط حتى وصلوا الى نتيجة مرضية وهو الاستقلال والشرف والعزة والكرامة .

هذه هى الكنانة ، واننا لانريد ذكر الفضل الكبير الذى أسدته فى كل حركة اسلامية بل فى كل حركة استقلالية لتحرير الاوطان ولمناهضة الاستعمار ، ولكننا الان بجانب سرد حوادث التاريخ التى لايمكن ان تتجاهل فيها حق مصر فى هذا التاريخ الاسلامى الطويل ، فهى مصر التى قدمت وتقدم كل مالديها لتوحيد الفكرة الانسانية السامية .

وقد تلقى الازهر مهمة جديدة فى تكوين الفكرة الاسلامية فاتاه الطلاب من جميع أنحاء المعمورة ليلتقوا فى هذه البلدة العزيزة تحت ظل الثقافة والعلم الزعامة الفكرية والدينية ، ليكونوا رسل حق ودعاة سلام .

الان نجد عددا كبيرا من الطلاب الوافدين اجتمعوا تحت ظلال بيت واحد ، بيت العلم ، بيت الاسلام ،بيت الاخوة ، بيت الوحدة الذى برهن عن سماحة الاسلام ، وعن اتساع مدى تفكيره ، وعن مجال عمله ، وميدان اماله .

وقد قال السيد المهندس احمد عبده الشرباصى فى تتمة كلمته السابقة موجها القول الى هؤلاء الطلبة الوافدين :

« ولئن كان شباب الاسلام عدة أبى بكر فى حروب الردة ، وتثبيت كلمة المسلمين فانكم أنتم - ياشباب الاسلام اليوم - عدته فى الذود عنه فى الداخل والخارج وفى تثبيت كلمة المسلمين » .

لا غرو ان هؤلاء الطلاب امام مهمة شاقة صعبة اذا عادوا الى بلادهم لانهم سيلتقون بمشاكل عدة ومسائل كثيرة تحتاج الى تفكير وتدبير ، والى عمل جدى اذ هم عدة هذا الدين . المسئولون عنه ،والعاكفون حياتهم له ولاجله ، ولا سيما أن البلاد الاسلامية - فى وقتنا هذا - فى معمعة فكرية ، وفى نضال دينى ، وفى معركة مبادىء التى قد يصعب على هؤلاء الطلاب الوقوف امامها مكتوفى الايدى لانهم لايستطيعون رؤية المنكر علنا أمام اعينهم على أى شكل كان ، خلقيا كان أم دينيا ، ولانهم يمثلون قول الحق فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، وان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

وقد قال السيد المهندس احمد عبده الشرباصى فى كلمته تلك : « والعالم الاسلامى - اليوم - شبيه بما كان عليه أول ايام أبى بكر . فلا تمروا بالتاريخ مرا عابرا ، ولكنه درس من الايمان والبطولة جدير بالدراسة والعبرة . فلو وهن أبو بكر ماقامت للمسلمين قائمة الى اليوم فعلينا ان نعيد سيرة الرجل ونقتدى بتاريخه واعماله ، وانتم - ياشباب الاسلام - العدة والامل والرجاء » .

فى الحقيقة ، أن هؤلاء الطلاب الوافدين هم العدة ، وهم الامل ، وهم الرجاء ، وعليه يجب عليهم تدريب انفسهم على الخلق الحسن ، وعلى القيادة ، وعلى العمل حتى يستطيعوا القيام بهذا الواجب ، وحتى يستطيعوا اصلاح كل مايلاقون من الامور التى تحطم الكيان الاسلامى سواء فى مبدئه أو فى عقيدته ، وسواء فى روحه أو فى شكله أو فى موضوعه ، فان الاسلام يجب ان يظهر كاملا فى صورته الحقيقية ليكون عنوانا صالحا للاقتداء .

هؤلاء الطلبة يجب أن يعيشوا فى مدينة اسلامية التى تسمى حاليا « مدينة البعوث » فى الحقيقة ان الاسم المناسب لها « مدينة الاسلام » لتكون صورة مصغرة للوطن الاسلامى الاكبر ، ولتكون مدينة تجريبية يدربوا فيها على الحياة الاسلامية الحقيقية ، وليشعروا بالوحدة الحقة على أختلاف جنسهم والسنتهم .

بجانب كل هذا يجب أن يعلموا مهماتهم الاسلامية فى تعليمهم وتعلمهم ويعرفوا الهدف الاسمى لحياتهم المقبلة ، ويشعروا ماذا يجب أن يعملوا لرفع شأن الاسلام والمسلمين ، وكيف توحد آراؤهم وأفكارهم وآمالهم واعمالهم فى المستقبل حتى اذا عادوا الى بلادهم توجد الرابطة التى تربطهم باخوانهم من البلاد الاخرى وهى صلة العمل المشترك ، والامل العام ، والهدف الاسلامى الشامل .

لايمكن التجاهل عما قامت به مصر فى ايجاد سبل الحياة الرغيدة لهؤلاء الطلاب أثناء اقامتهم فى هذه الديار ، ان ماقامت به مصر دين فى عنق هؤلاء الطلاب الذى يجب اداؤه فى صورة عمل اسلامى مشترك وهو الانهاض بالامة الاسلامية وباوطان المسلمين .

والذى يجب التفكير فيه جديا هو :

١ - ماهو الهدف المشترك الذى يجب ان يقوم به هؤلاء الطلاب الان وعند عودتهم الى أوطانهم ؟!

٢ - ماهى نقطة الالتقاء لهؤلاء الطلاب فى مستقبل حياتهم اذا تشتتت بهم الديار وتفرقت بهم الاقطار ؟!

٣ - ما هى الخطوات العملية التى يجب أن يعلموها ويدرسوها ويطبقوها فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة ؟!

٤ - ماهى الدروس التى يجب أن يتلقوها ليقفوا على حقيقة اعدائهم ، وعلى واجباتهم ، وعلى طريقة عملهم ؟!

٥ - ماذا يجب على رجال الازهر ، الاداريين ، معرفته لاعطاء هذه الاخوة الاسلامية صورتها الحقيقية لتكون تطبيقية فى حياة هؤلاء ؟!

يجدر بنا فى النهاية أن نستمع الى كلمة فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، مدير جامعة الازهر فى ذلك المؤتمر اذ قال فضيلته . لقد قرأ قارئكم آية الاعتصام بحبل الله مذكرا العرب بنعم الله اذ كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ، ولعل الخطباء قد تبهوا الى أن الآية الكريمة تحمل نفس الطابع الذى جاءت تحمله كلماتهم . ولقد كان لسبب نزولها أن شيخا يهوديا ماكرا أوقع الفتنة بين الاوس والخزرج بعد ان أسلما فكاد القتال ينشب بينهما وسرعان ما بلغ الخبر الى مسمع الرسول صلى الله عليه وسلم فاقبل اليهم مسرعا يقول لهم : « اجاهلية وانا بين ايديكم ؟! فكفوا عن القتال استحياء من رسول الله فنزلت الآية التى تحمل ماعناه خطباؤكم يذكرون بنعمة الله على وحدة صفوف المسلمين ويعرضون باسرائيل التى امتحن المسلمون بها فكانت فى فلسطين وفى الصميم من قلب الامة العربية » .

أهل السنة في مصر

الدكتور محمد جمال الدين سرور

من عهد الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى الاول

اخذ الصحابة يفدون الى مصر بعد الفتح العربى ، اذ شجعهم على ذلك ما راوه من الخيرات الوفيرة ، وسهولة العيش . وكان علماء الدين منهم يقومون بتعليم المصريين أصول الدين الاسلامى . وهؤلاء الصحابة العلماء كانوا أساس مدرسة مصر الدينية ، كما كان غيرهم من الصحابة اساس المدارس الدينية فى مختلف الامصار الاسلامية .

كان من اشهر من قام بالتدريس فى مصر من الصحابة ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يعتبر بحق مؤسس مدرسة مصر الدينية ، فاخذ عنه كثير من أهلها . وقد اجاد عبد الله بن عمرو قراءة القرآن الكريم ودراسته ، وكتب عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث .

كذلك كان ليزيد بن ابى حبيب شهرة كبيرة فى دراسة الفقه ، حتى قال عنه الكندى فى كتابه « القضاة والولاة » انه أول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام ومسائل الفقة ، وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون فى الفتن والترغيب « اى القصص »

وكان ليزيد بن أبى حبيب - الى جانب ما تقدم - اثر كبير فى تكوين رجلين عظيمين من أعلام مدرسة مصر الدينية ، وهما : عبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد . والأول عربى من حضرموت ، أما الليث بن سعد ، فهو اصبهانى الأصل ، مصرى المولد . وقد طاف بعض البلدان طلبا للعلم ، ويعد ثقة فى رواية الحديث النبوى . وبلغ من نبوغه فى الفقه انه كان يقرن بالامام مالك ، وعلت مكانته بمصر حتى صار القاضى والنائب يستمعان لمشورته ، ويقال ان دخله السنوى الذى بلغ خمسة الاف دينار كان ينفقه فى الصلات والعطايا .

تاثرت مصر بالمذاهب الاسلامية التى ظهرت فى العصر العباسي وهى : مذهب الامام ابىحنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) ، ومذهب الامام مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) ، ويمتاز مذهبه باعتماده على الحديث اكثر من ابى حنيفة ، ومذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى القرشى (ت ٢٠٤ هـ) ، ومذهب الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .

وعلى الرغم من ان مذهب الامام ابى حنيفة اقدم المذاهب السنية الا أن مذهب مالك هو الذى دخل مصر اولا وأنتشر بها ، فيذكر المقريزى ان « اول من قدم بعلم مالك الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح . وكان فقيها روى عنه الليث بن سعد وابن وهب ورشيد بن سعد ، وتوفى بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ ، ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم ، فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبى حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر » .

ولم يزل المصريون يتبعون مذهب الامام مالك الى ان قدم الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى الى مصر سنة ١٩٨ هـ ، واظهر بها مذهبه الجديد ، وجعله يلائم الحياة المصرية ، فمال اليه عدد كبير وصار لكل من مذهب الامام مالك والامام الشافعى أتباع فى مصر ، كما نبغ فيها كثير من فقهاء المالكية والشافعية ، من أمثال : الربيع بن سليمان المرادى (ت ٢٧٠ هـ) واليه يرجع الفضل فى نشر أحاديث الامام الشافعى وفقهه ، وأبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الحداد الذى وصفه ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » بقوله انه « كان متصرفا فى علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر ايام العرب والنحو واللغة » . ، ومن فقهاء المالكية الذين اشتهروا فى هذا العصر : هارون بن محمد بن هارون الاسوانى (ت ٣٢٧ هـ) ، وعلى بن عبد الله بن أبى مطر الاسكندرانى (ت ٣٣٠ هـ) .

كان أهل السنة يكونون السواد الاعظم من المصريين المسلمين فى مستهل القرن الرابع الهجرى حيث شرع الفاطميون فى مد سلطانهم الى مصر ، وأخذوا يبعثون مع جندهم دعاة ، عهدوا اليهم الاختلاط بالناس لتعليمهم المذهب الفاطمى ، فلقى هذا المذهب قبولا عند فريق غير قليل من المصريين ، كانوا خير عون للفاطميين على فتح مصر . فدخل جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الاسكندرية سنة ٣٥٨ هـ دون مقاومة . ورأى ذووا الراى والنفوذ من أهل الفسطاط الذين يمثلون زعماء السنيين فى مصر مفاوضته فى شروط التسليم وطلب الأمان ، وانتهت المفاوضة بكتاب الأمان الذى كتبه جوهر واعلنه للمصريين . وقد بين جوهر فى هذا الكتاب ان جيوش الفاطميين انما قدمت لحمايتهم ، كما عرض لبرنامج الاصلاح الذى سيقوم به كاقامة شعائر الحج ، والعمل على استتباب الأمن ونشر العدل ، كذلك نص فى كتاب الأمان على أن يظل المصريون على مذهبهم أى لا يلزمون بالتحول الى المذهب الشيعى ، وأن يجرى الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد على ما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله » .

لم يعمل الفاطميون بعد أن انتقل المعز الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ بكتاب الأمان الذى التزم فيه جوهر الصقلى اطلاق الحرية للمصريين فى المعتقدات الدينية ، بل تركز اهتمامهم فى تحويل المصريين الى المذهب الشيعى ، واتبعت الخلافة الفاطمية لذلك عدة وسائل منها : اسناد المناصب العليا وخاصة القضاء الى الشيعيين واتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للدعاية الفاطمية وهى وقتذاك مسجد عمرو بن العاص ومسجد احمد بن طولون والجامع الأزهر ، كما عينوا احد كبار المتفقهين فى مذهب الشيعة للقيام بنشر دعوتهم ، وكان يعرف بداعى الدعاة . واشترطوا فيه أن يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت .

كذلك قام الفاطميون فى مصر باظهار شعائرهم المخالفة لشعائر السنيين كالأذان بحى على خير العمل ، والاحتفال باليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بكربلاء ، وعيد الغدير المعروف بغدير خم (وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة) ، وسبب الاحتفال به مايرويه الشيعة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته من حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة نزل بغدير خم فى طريقه الى المدينة وأخذ بيد على بن أبى طالب وقال : الستم تعلمون انى أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، فقال : من كنت مولاه ،

فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ، ويعلق الشيعة اهمية كبرى على هذا الحديث ، اذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول لعلى بن أبى طالب .

رأى السنيون المصريون ازاء اهتمام الشيعيين باظهار شعائرهم أن يتخذوا مناسبة دينية يحتفلون بها مضاهاة لعيد غدير خم عند الشيعة ونكاية لهم ، فاحتفلوا فى سنة ٣٦٢ هـ باليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم غار ثور هو وأبو بكر الصديق وبالغوا فى هذا اليوم فى اظهار الزينات ونصب القباب وايقاد النيران . ورات الحكومة الفاطمية فى عهد المعز الا تمنع اهل السنة فى مصر من احياء هذا العيد حتى لا تثير غضبهم .

لما آلت الخلافة الى العزيز بالله سنة ٣٦٥ هـ عنى كابيه المعز بنشر المذهب الفاطمى ، وحتم على القضاة ان يصدروا احكامهم وفق هذا المذهب ، كما قصر المناصب الهامة على الشيعيين فى مصر ، وأصبح لزاما على الموظفين السنيين الذين تقلدوا بعض المناصب الصغيرة ان يسيروا طبقالاحكام المذهب الاسماعيلى ، واذا ما ثبت على احدهم التقصير فى مراعاتها عزل عنوظيفته. وكان ذلك مما دفع الكثيرين من الموظفين السنيين الى اعتناق مبادىء المذهب الفاطمى .

ولما قبض الخليفة الحاكم بأمر الله على زمام الأمور فى مصر بعد تخلصه من وصية برجوان سنة ٣٩٠ هـ ، عمد الى اصدار كثير من الأوامر والقوانين المبنية على التعصب الشديد للمذهب الفاطمى ، فأمر فى سنة ٣٩٥ هـ بنقش سب الصحابة على جدران المساجد وفى الأسواق والشوارع والدروب . وصدرت الأوامر الى العمال فى البلاد المصرية بمراعاة ذلك . ثم خففالحاكم من مظاهر التعصب للمذهب الفاطمى بعد أن ثارت ثائرة الدوائر السنية ، فابطل سنة ٣٩٧ هـ بعض ما امر به سابقا من لعن الخلفاء الثلاثة الأول وغيرهم من الصحابة، وامر بمحو ما نقش من لعنهم ، كما منع المؤذنين مناضافة عبارة « حى على خير العمل » الى الأذان ، وأجاز لهم أن يقولوا فى أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » ، وسمح الحاكم باقامة صلاة الضحى وصلاة التراويح بعد أن بطلت بأمره بضع سنين ، وانشأ مدرسة لتعليم المذهب السنى ، والحق بها مكتبة .

كذلك أصدر الحاكم مرسوما سنة ٣٩٨ هـ وفق فيه بين السنيين والشيعيين وأطلق لكل فريق منهم الحرية فى اداء شعائره الدينية وذلك على أثر ما حدث بينهم من خلاف على فهم بعض الأحكام وتطبيقها ، فاجاز فى هذا المرسوم للشيعيين صوم شهر رمضان دون أن يتقيدوا برؤية الهلال ، وسمح للسنيين بصوم شهر رمضان اذا ثبت لديهم رؤية الهلال ، وترك الحرية للسنيين فى اداء صلاة الضحى وصلاة التراويح ، كما أباح للشيعيين ان يكبروا فى الصلاة على الميت خمس مرات . اما السنيون ، فاجاز لهم أن يكبروا فى صلاة الجنازة أربع تكبيرات - وكان المعز لدين الله الفاطمى قد ادخل بعد انتقاله الى مصر بعض خصائص المذهب الاسماعيلى التى لم يكن للمصريين بها عهد ، فصار يكبر فى صلاته على الميت تكبيرات تتناسب فى كثرتها وقلتها مع مكانته وقرابته من الائمة ، وهذا يخالف ماذهب اليه السنيون الذين يكبرون على الميت اربع تكبيرات فقط - ، وفضلا عن ذلك فان الحاكم بأمر الله أطلق الحرية للمؤذنين فى ذكر عبارة حى على خير العمل فى الاذان ، ونهى عن سب الصحابة .

ظلت سياسة اللين التى سار عليها الحاكم ازاء السنيين ثلاث سنوات ، غير انها ما لبثت ان تبدلت على حين غفلة سنة ٤٠١ هـ ، ثم اتجهت السياسة الفاطمية الى عدم اثارة السنيين فى زمن الخليفتين الظاهر لاعزاز دين الله والمستنصر بالله ، فتمتعوا بمطلق الحرية فى أداء شعائرهم ، كما أهملت بعض المظاهر الشيعية فصار المؤذنون لا يحرصون على ذكر عبارة حى على خير العمل فى الأذان حتى تقلد بدر الجمال الوزارة فى أواخر عهد المستنصر - وكان مغاليا فى مذهب الشيعة - ، فاظهر روح العداء والكراهية الى أهل السنة سنة ٤٧٨ هـ .

وعلى الرغم من أن الخلافة الفاطمية كانت تحرص على نشر مذهبها الشيعى بين أهالى البلاد التى ضمت الى حوزتها سعيا وراء توطيد سلطانها ، وما يترتب على ذلك من اضعاف النفوذ العباسى فى الدولة الاسلامية ، فانها لم تنجح فى أداء رسالتها الشيعية فى مصر ، فظل المذهب السنى محتفظا بقوته رغم تحول بعض المصريين الى المذهب الفاطمى خوفا من تطبيق القوانين الجائرة التى فرضها الفاطميون على مخالفيهم فى المذهب ويرجع السبب فى ذلك الى أن الفاطميين راوا حين دخولهم مصر واستقرارهم بها ان يتركوا الفسطاطحاضرة المصريين السنيين ويتخذوا لهم حاضرة جديدة ، فاسسوا مدينة القاهرة لتكون مقرا لخلافتهم ، كما انشاوا الجامع الأزهر ليكون مركزا لنشر دعوتهم الدينية ، ومكنوا أهل السنة فى مصر من اظهار شعائرهمعلى اختلاف مذاهبهم، فصارت تعاليم مذاهب الامام مالك والامام الشافعىوالامام احمد بن حنبل تدرس فى دولتهم . أما مذهب الامام ابى حنيفة ، فلم يلق تأييدا من الفاطميين لانه مذهب العباسيين . وظهر فى العصر الفاطمى بمصر بعض علماء مذاهب أهل السنة ، وكانوا يلقون دروسهم على جمهور المستمعين ، فمن فقهاء المالكية محمد بن سليمان المعروف بأبى بكر محمد النعالى (ت ٣٨٠ هـ) ،وكانت حلقته بجامع عمرو بن العاص تدور على سبعة عشر عمودا لكثرة من يحضرها . كذلك كان على بن الحسن بن محمد الفهرى من أعلام المالكية فى مصر ، وقد الف كتاب « فضائل مالك » ، كما شرح الموطأ . ومن فقهاءالشافعية فى ذلك العصر القاضى أبو الحسن على بن الحسن الموصلى ، ولد بمصر سنة ٤٠٥ هـ ، وكان فقيها صالحا ، وله تصانيف وروايات متسعة . واشتهر من علماء الشافعية أبو الفتح سلطان بن ابراهيم المقدس ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ ، ثم رحل الى مصر ، فظل بها الى ان توفى سنة ٥١٨ هـ ، وقد وصفه الحافظ السلفى بقوله : « كان من أفقه الفقهاء بمصر وعليه قرأ اكثرهم » ومما يجدر ذكره ان فقهاء المذهب السنى فى مصر ، كانوا يستنكرون تعاليم الفاطميين ووسائلهم فى نشر دعوتهم ، ولكنهم لا يستطيعون الجهر بذلك خشية أن يتعرضوا لاضطهاد الحكومة الفاطمية .

كذلك كان من بين الاسباب التى جعلت اهل السنة فى مصر يحتفظون بمذاهبهم وتقاليدهم ، تلك التشريعات التى أدخلها الفاطميون وخاصة ما يتعلق بالوراثة ، اذ راوا فيها مايتنافى مع مانص عليه القرآن وما اثر من السنة . فيجيز قانون الشيعة للبنت ان ترث كل ماتركه أبواها اذا لم يكن لهما اخ أو أخت مع وجود ذوى العصبة . وهذا يخالف مذهب السنة الذى يقضى بالا ترث البنت أكثر من نصف الثروة .

وصفوة القول ، ان سياسة الفاطميين التى كانت تنطوى على نشر المذهب الاسماعيلى فى مصر لم تلق تأييدا من المصريين السنيين ، فظلوا متمسكين بمذهبهم رغم ما لاقوه من سوء المعاملة ، كما أن بعض وزراء العصر الفاطمى الأخيرانصرفوا عن تأييد مذهب الخليفة الفاطمى واهل دولته ، بل عمل بعضهم على اضعافه مما كان له اثر بالغ فى زوال الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ .

القرآن الكريم بين شاعرين

الأستاذ علي الجمبلاطي

اما الشاعر الأول فهو شاعر العروبة والاسلام المغفور له حمد محرم الذى ملكت عاطفته الدينية الغلابة جوانب نفسه وسيطرت على أحاسيسه ووجدانه وكانت عواطفه السامية تتوقد غيرة على الاسلام وتتفانى فى الدفاع عنه وترى فيه المنقذ للشرق من وهدته فاتخذ موقفا ايجابيا من الأحداث العربية وهتف بالأمة الاسلامية فى شعره الخالد ان تلتمس الشفاء فى هديه وتغرف النور من فيضه علها تمضى مع قافلة النور الى ما تصبو اليه من حق وما ترجوه من خير وحسبه فى اعلاء راية الاسلام ديوانه الضخم « مجد الاسلام » أو « الالياذة الاسلامية » الذى سجل فيه سيرة رسول الله عليه السلام وأشهر غزواته وبطولات أصحابه وما حفلت به حياتهم من أحداث فى أربعة أجزاء هذا ولو جمع ما نظمه الشاعر المؤمن « محرم » فى المناسبات الاسلامية وأحداث الاسلام لكان لنا منه ديوان عظيم يزخر بالآيات الفنية الرائعة .

اما الشاعر الثانى فهو الشاعر الصوفى الكبير المغفور له أبو الوفا محمود رمزى نظيم الذى يرتفع نسبة الى الحسين السبط رضى الله عنه فكانت فيه من السجايا ما نراه فى آل البيت الكريم وقد أذكى هذه الصفات انه كان ناسكا متصوفا من أبناء الطريقة الشاذلية فاقترن فيه الخير بالخير وكان وفاؤه لدينه وعروبته ووطنه ومبادئه لا تحده غاية فكان سرعان ما يستحيل هذا الصوفى الناسك المتبتل الى ثورة عاتية اذا اعتدى على الاسلام أو ضيمت العروبة أو نجم فساد خلقى أو استعلن طغيان حاكم وقد أملت عليه نزعته الدينية الحادة وحبه العميق للاسلام ما نظم من شعر دينى وتصوفى خالد شغل جل ديوانه الضخم (الرمزيات) الذى ضم بين دفتيه ثلثمائة وأربعا وثمانين صفحة وقد نظم هذا الشاعر العلوى الالهام القدسى النغمات فى اراجيزه وموشحاته وقصائده سيرة النبى العطرة وحياته الكريمة وما حفلت به من احداث وما احاط بها من مناسبات اسلامية باقية فى سنين متتابعة .

والذى يعنينا هنا ان نختار من شعر الشاعرين السمحين ما نظمه كل منهما فى القرآن الكريم ، هذا الناموس الالهى الذى نزل به الروح الأمين على قلب خاتم المرسلين وفيه من امارات السمو وعلائم الكمال ما هو خليق بالدرس والتأمل ، فمن أنواره السماوية تنبعث هواتف الحق معلنة كلمة الفضيلة ناطقة بقداسة العدالة وكرامة الانسان لتقود الى الحرية والسعادة بل الى الرفعة والسيادة . ولعل خير ما نقدمه بين شعر الشاعرين فى الذكر الحكيم هى الكلمة الجامعة التى وصف بها نبينا عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم فقال « ان الله أنزل القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ولا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن اقسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم » وفى ضوء هذه السمات العليا التى وصف بها نبينا عليه السلام كتاب الله الكريم سار كل من الشاعرين حين تناولا الحديث عن « القرآن الكريم » فى قصائد مستقلة وفى أبيات من قصائد كثيرة .

واننا نلاحظ فى شعر كل منهما الاسلامى ولاسيما عندما يتحدثان عن كتاب الله الحكيم أنهما قد رزقا شفافية روحية خاصة وأشربت روحهما مبادىء القرآن وتعاليم الاسلام فكنا امام شاعرين مؤمنين تنبعث من شعرهما هواتف الايمان العميق .

وها هو ذا الشاعر « محرم » يرى قومه كأنهم الأنعام المشردة أو كأنهم عمى فلا يبصرون كتاب الله وما ضمه من

نور يهدى الحيارى ويضىء الظلام للمدلجين ولا غير كتاب الله الهادى يداوى حيرتهم ويشفى عمايتهم فيقول من قصيدة طويلة فى الجزء الثانى من ديوان محرم :

يا داعى الله ان القوم قد لبسوا
ليل العماية فابعث فيهم النورا
اطلع لهم من كتاب الله بينة
تجلو اليقين وتمحو الشك والزورا
يا قوم لا تذهبوا فى الامر مذهبكم
انى أرى الحق فى القرآن مسطورا

ويقول فى قصيدته « حكم الله » داعيا الى العودة الى كتاب الله فهو النور المبين والهدى المشرق بالرحمة والسلام وهو الميثاق الذى يوشج ما بين العالم وبين ربه ذى الجلال وهو القوى المتين الباقى على الدهر :

مهلا بنى الغبراء قد وضح الهدى
فخذوا الحقائق وانبذوا الأوهاما
نأتم بالنور المبين وحسبنا
بالبينات من الكتاب اماما
ملأ الزمان هدى وأشرق حكمة
للعالمين ورحمة وسلاما
نزل الامين به فكان حكيمه
لله عهدا بيننا وذماما
الله أمن ركنه وأحله
ركنا يهد الدهر والأياما

ثم يعود فيعتب على الأمم الاسلامية لتجافيها عن هذا الكتاب الذى هو أساس كل خير وسعادة وهو العاصم مما نخاف والملاذ مما نحذر وأخيرا هو قوة الاسلام التى لاتقهر ولذا فهو يدعو المؤمنين الى ظلاله الوارفة فيقول :

يا قومنا : هل تعلمون كتابكم
أم ليس فيكم مؤمنا يتذكر ؟
ان تجهلوه فانه السر الذى
يحيى النفوس اذا تموت وتقبر
وهو الحمى المأمول يعصمنا اذا
جرت الامور بما نخاف ونحذر
ماذا نخاف وكل حرف معقل ؟
ولمن ندين وكل سطر عسكر
هو قوة الاسلام ما من قوة
ترمى بها الا ترد وتقهر

وهو لا ينسى قومه فيمحضهم النصح أن يستعصموا بكتابهم الكريم ليهتدوا الى الجادة ويشفوا من السقام ويعيشوا تحت ظلاله فى سلام ويدعوهم الى أن يقيموا الحق بسوره الغوالى فهى الذخائر التى لا تنفد ولا نصيب من مثوبة لغافل عنها مهما بذل فى التعبد وأخيرا هى الآيات العظيمة التى تبعث الهمم العظام فيقول :

كتاب الله لولا أن هدانا
لما وضح السبيل ولا استقاما
كفى بكتابكم يا قوم طبا
لمن يشكو من الأمم السقاما
كتاب يملأ الدنيا حياة
وينشر فى جوانبها السلاما
اقيموا الحق بالسور الغوالى
فان الله يأمر أن يقاما
واوصوا المسلمين بها فانى
أراهم عن ذخائرها نياما
وليس لغافل عنها نصيب
من الحسنى وان صلى وصاما
تعالى الله أنزلها علينا
عظاما تبعث الهمم العظاما

ولعل خير ما نختتم به هذه السبحات العلوية التى تمجد كتاب الله وتعلن ما تضمنه من مبادىء سامية فى التشريع والآداب العامة والاخلاق الرفيعة ـ هى تلك الأبيات التى أشاد فيها شاعرنا بالقرآن الكريم فى ذكرى مولد سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم من قصيدة عصماء يتراءى فيها وحى السماء وما فى كتابنا العظيم من سر البقاء فيقول موجها الحديث الى صاحب الذكرى الخالدة :

أوتيت بالقرآن مشرع حكمة
ما زلت توردده النفوس الهيما
خرف الزمان وأخطأت حكماؤه
سبل السداد وما يزال حكيما
لولا بلاغته وروعة نظمه
جهل الرجال اللؤلؤ المنظوما
كنز البيان فمن تطلب للغنى
كنزا سواه قضى الحياة عديما
فضت علوم الدهر منه جانبا
وغدا تفض الجانب المختوما
متجدد فى كل عصر يبتغى
أمما تجىء جديدة وعلوما
دستور حق فى يمين (محمد)
يحمى الضعيف وينصر المظلوما

والآن ننتقل بالحديث الى ما نظمه الشاعر الصوفى فى أخلاد كتابنا الكريم وأول ما نقدمه للشاعر محمود رمزى نظيم ما هتف به فى قصيدته « تجلى الهلال » وقد ذكرفيها أن القرآن العظيم ينتظم القصص الحق الذى يكشف فيها الأستار عن الأمم البائدة وما كان لها من حضارة وفيها من ازدهار وهذه احدى معجزاته :

وكفى بالكتاب معجزة كبرى
تضىء القلوب والابصارا
قصص السابقين فيه توالى
كاشفا للمحقق الأستارا
من قرون عاشت وبادت وكانت
تملأ الأرض زينة وازدهارا
زعموا أنه خيال فضلوا
واضلوا وسمموا الأفكارا
هل نسيتم بانه (القصص الحق)
وأن الكتاب ليس يمارى
قاتل الله من تعامى عن النور
ومن كان فاجرا كفارا

وفى قصيدة « من نفحات المصطفى » يتحدث شاعرنا عن القرآن المبين المعجزة الكبرى للنبى الأمين وأنه قد حمل الينا نظاما كاملا للبشرية جمع بين نظام الدين والدنيا ولم يفرط فيه من شىء فيقول فى شعر هو قدس الطهارات:

فحسب أحمد بالقرآن معجزة
أغنت بآياتها عن كل آيات
هذا الكتاب الذى أوحى الاله به
فكان ملجم أرباب البلاغات
ما فرط الله فى قرآنه أبدا
فكل شىء بمقدار وأوقات
اقبل على الله بالقرآن مقتبسا
من ذلك النور تحيا بالمناجاة
الله فصل فيه كل حاجتنا
دنيا وأخرى بميسور الهدايات
بذلك النور جاء المصطفى وبه
كانت لنا عزة بين البريات

وفى موشحته « مبدأ السلام » ينظم ما قاله سيدنا رسول الله عليه السلام عن القرآن ومن أنه لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل » ثم يقتبس تكملة نظمه من قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له »

وحسبه معجزة القرآن
وحسبه بيانها الرحمانى
فانها جلت عن التبيان
وجمعت ما كان فى الاكوان
وما يكون بعد كل عصر
تتلى فلا تملها الاسماع
كأنما تكرارها ابداع
فيها الهدى والحق والاقناع
وتهتدى بهديها الطباع
من كل فاجر وكل بر
استغفر الله فليست شعرا
استغفر الله فليست نثرا
لكنها سمت وجلت قدرا
وكل من جادلها واغترا
يبوء من غروره بالخسر
فانها محكمة التنزيل
وانها الشفاء للعليل
انها من كلم الجليل
هداية لأقوم السبيل
ناهية عن ارتكاب الشر

ثم يعود فى موشحة « رسل الرحمة » فيمجد كتاب الله الكريم على أنه دستور فيه الكلمة الفاصلة فى جميع التشريعات الفردية والجماعية وهو مذهب أخلاقى وفيه تاريخ وفيه لفتات علمية عجيبة وفيه رفع للنفس البشرية الى أعلى أجواء الطهر والعبقرية والعظم :

فيه ما كان وما سوف يكون
فيه أشتات الذى تخترعون
ما علمتم ثم ما لا تعلمون
انه قرآنكم هل تبصرون
انه يجلو غشاوات العيون
والبصيرات التى لم تبصر
انه النور من الحق تعالى
وهدى الله الذى يمحو الضلالا
يملأ النفس خشوعا وجلالا
وهو التشريع كم فك عقالا
عندما حلل للناس الحلالا
وأتت آياته بالنذر
معجز فى كل شىء جاء فيه
جمع الماضى وما سوف يليه
لا يمل السمع يوما قارئيه
وكتاب الله يحيى سامعيه
وهو نور كل روح تجتليه
جنة الارواح ذات الثمر

ولعل اجل ما نختتم به هذه الالحان العذاب فى تمجيد الشاعر أبو الوفا رمزى نظيم لكتاب الله المنزل رحمة للعالمين وهداية للبشرية ـ هو ما اورده الشاعر فى ارجوزته الفذة « يوم جليل الشان » يؤكد ما قاله قبل فى قصائده وموشحاته من أن القرآن الكريم رسم سياسة المجتمع الاشتراكى البشرى على أحكم خطة وأحسن تقويم بمبادىء ترمى الى دعم بناء المجتمع ووقايته والى علاج ما ينتابه من أمراض وعلل والأرجوزة طويلة نجتزىء منها ما لم يكن قد ذكر مفصلا :

وحسبه ما جاء فى القرآن
من شرف أبقى على الزمان

ارسله الله لكل الخلق
يهدى به الناس لدين الحق

مؤيدا بعزة القرآن
فانه نور من الديان

معجزة من كلم الرحمن
قد جمعت عوالم الأكوان

وفصلت عوالم الحياة
وما خفى من الوجود الآتى

وواجب الانسان نحو ربه
ونحو قومه ونحو قلبه

وكيف يحيا آ منا سعيدا
وكيف يلقى ربه حميدا

وهذبت من سالف الاديان
مجموعة فى محكم القرآن

وحللت ما يرفع الانسانا
وحرمت ما يجلب الهوانا

وبعد فما قصدت الى تقديم هذه النماذج من الاشراقات الروحية وخلجات الضمير المؤمن التى تضمنت أنبل المعانى وأسماها عن كتاب الله الا ليسهم معنا هذان الشاعران الملهمان فى الرد على أنصار المدنية المادية وأشياع الحرية الزائفة بما انتظم كتاب الله من هواتف الحق التى ترسم الوسيلة والغاية لصلاح واصلاح الناس والحياة ثم أردنا أيضا أن يشتركا معنا بهذه النفحات الخالدة فى الدعوة الى العودة الى القرآن الكريم الذى جعل الواعين لمبادئه أولى قوة وبأس شديد لا تلين قناتهم ولا يستذلهم انسان بل يعيشون دائما فى اطار الحرية والعزة القومية أمة واحدة متراصة مترابطة فى كل ما يقف سدا منيعا فى وجه الشر والبغى والعدوان

وفى نهاية هذه الجولة الصافية الطاهرة نردد :

أنزلت يا ربى كتاب الهدى
فى رمضان الخير فرقانا

أنار دنيا الخلق حتى اذا
ما هجروه كان ما كان

واليوم قدرت وجودى وقد
ران على الأيام ما رانا

فانزلن ربى على الهدى
من نور قرآنك قرآنا

لا سبيل إلا الإسلام

الأستاذ إبراهيم على أبو خشب

العالم ـ الآن ـ طغى عليه السعار ، وتمكنت فيه الانانية ، واشتد به الصراع على العيش ، بشكل لايبعث على الطمأنينة ، ومعنى لا يحمل على الاستقرار . وقد جعل الناس يسلكون فى سبيل ذلك طرقا ملتوية ، ويتخذون أساليب ليست مشروعة ، ومن جراء ذلك كله يكثر فيهم الاجرام ، ويتفشى فيهم الاغتصاب ، ويسود العدوان والفتك ، ولم تكن لهم فى قمع هذا حيلة ناجحة ولا علاج نافع ، ولا تهذيب ناجع ، ولا تربية سليمة ، وربما حار تفكير المفكرين ، وألقت سلاحها الفلاسفة ، وأخذ العقلاء الدهش فى أن تكون لهم تلك المدنية الجبارة أو الحضارة النادرة ، والتقدم العلمى الباهر ، وهم يعيشون فى هذه الدنيا عيشة الحيوانات التى تأصلت لديها الضراوة ، واستولى عليها الاسفاف والانحدار ، واستقر بين جوانحها ذلك السقوط المعنوى الشنيع .. ولم يدر بخلدهم ـ أبدا ـ أنهم ضلوا القصد ، وفقدوا الدليل ، وأعوزهم الرشد الصحيح ، والهداية الحقة ، وجهلوا أن للانسان نزوعا فى الحياة يباين نزوع العجماوات التى ينحصر ميلها فى الاكل والشرب ، والصراع والفتك ، والقتل وسفك الدم ، فلا تفكر فى أن تشبع روحها ، أو ترضى عقلها ، أو تنمى احساسها بالخير ، وميلها الى الاطمئنان والامن ، والهدوء والاستقرار ، أو التطلع الى ما وراء المادة الفانية ، والحطام الحقير .. واذا كان من حق العجماوات أن تسلك فى العيش هذا السبيل ، وتزن الحياة بميزان الطعام والشراب ، وقوة البنية ، وضخامة الجسم ، والقدرة على الاعباء والمشقات ، والانتصار فى المعارك ، أو الدفاع عن الحوزة ، والذود عن الحمى ، فان الآدمى الذى خلقه الله لحياة أسمى من تلك الحياة ، وجمله بالعقل ، وكرمه بالشعور ، وسخر له الكون ، لم يكن ليستقيم له أمر ، أو يسعد له حال ، أو يطيب له عيش ، أو تهدأ له نفس ، أو يقر له قرار ، الا اذا كان له نزوع يتغلب على هذه النزوات ، وينتصر به على ذلك الطيش ، ويحتقر به المادة الرخيصة ، والحطام التافه ، فلاترتبط به عجلته ، ولا ينتهى اليه مصيره ، وبهذا النزوع ـ النبيل ـ يسود السلام ، وتزول الفوضى ، وترتفع راية المحبة بين الناس ، ويختفى هذا المعنى الذى طغى على العالم فصيره الى ما هو عليه من القلق والخوف ، أو الخصومة والخلاف ، والحروب الباردة أو الساخنة .

لأن الاسلام يملأ نفس المسلم بالخير ، ويعمر قلبه بالرحمة ، ويرفق شعوره بتقوى الله ، ويقلم أظفاره بترقب المصير ، ويهذب عواطفه بالزهد ، وينمى ذوقه بالطاعة ، ويعوده على الشفقة بفضيلة الاحسان .. وهذا العلاج انما يكون بالمعانى الروحية التى يغرسها فيه ، بما يرغبه فيه من الصدقة ، وما يدعوه اليه من الجود ، وما يروضه عليه من الاخوة ، وما يطبعه عليه من خصال البر والمعروف ، وبهذه كلها تحلق نفسه فى سماء القناعة لا الشره ، وتطير بأجنحة الطاعة لا المعصية ، وينظر الى هذا الكون نظرة ليس فيها غدر الذئاب ، ولا سعار الكلاب ، ولا تهافت الذباب ، ولا اسفاف الاطفال ، ولا طيش المجانين ، ولا عربدة السكارى ، ولا سفه الحمقى ، ولا جهل أولئك الذين يعيشون فى الغابات ، أو يجرون وراء الشهوات ..

ولو أننا رحنا نتقصى النواحى الروحية فى تكاليف الاسلام كلها ، وفى تربيته المختلفة ، وفى الحدود التى أقامها ، والمعالم التى رسمها ، لطال بنا المطاف ، وشق علينا الطريق ، وبعدت مسافة القول ، لكننا لا نشك فى أن المسلم الذى يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى يحاسبه على النية التى يضمرها ، والهاجس الذى يخفيه ، ويؤاخذه على ما يكنه لأخيه المسلم من سوء أو أذى يدرك تمام الادراك قيمة هذه الناحية فى دينه الذى يدعوه الى أن يفنى فى الجماعة ، ويذوب فى الامة ويجعل حياته وقفا خالصا لنفع الانسانية بما يغرسه فيه من خلال الخير ، وخصال البر ، وسجايا البذل والاحسان .. ولذلك لم يكن الاسلام يعرف فى عصور ازدهاره ما تشكوه المجتمعات الحديثة ـ الآن ـ من تخاذل وتفكك ، وهزال ومرض ، وفرقة ونفور ، وانحدار واسفاف ، وشرور وآثام ..

والعالم ـ فى الغرب والشرق ـ قد أصبح يغلى بركانه بما يملأه من الخنا والفجور ، وكان من جراء ذلك أن ذهب الحياء من الوجوه ، والخشية من القلوب ، الى حد أن صار للشر مذاهب كالوجودية والابيقورية وما شاكلهما من مبادىء التحلل ، أو عدم المبالاة ، وهذه هى صيحات الاصلاح لا تجد من يؤمن بها ، أو يدافع عنها ، واذا ما تيقظ الوعى فى ضمير داع الى الخير ، فاستنكر ما تعانيه الجماعات من هذا الفساد العام كان مصير صياحه السخرية والاستهزاء ، ونظر اليه من حوله نظرا يشبه نظرهم الى الهارب من مستشفى المجانين .

وأظننا نذكر أنه بعد الحرب العالمية ـ الاخيرة ـ التى أذل فيها هتلر الالمانى كبرياء فرنسا ، وهزم جيوشها هزيمة منكرة ، وقف واحد من قواد هذا الجيش المنهزم يعلن أن فرنسا لم تؤت من قلة فى عددها ، أو ضعف فى استعدادها ، ولم يصبها ما أصابها لتخلف مصانعها ، أو عدم الانتاج فيها ، وانما هو تدهور الاخلاق ، واسفاف الاهداف ، وضياع المثل ، وموت الضمير ، ثم بعد ذلك كله الاستهتار بالغايات النبيلة ، ومن حقنا أن نجنى الحنظل ، أو نحصد الندامة ، أو أن نبوء بالخزى والهوان ، فلم تترك كلماته ـ هذه ـ أثرا فى نفوسهم ، ولا وخزا فى أفئدتهم ، ولا دويا فى آذانهم ، ولا صدى خافتا فى شعورهم .. وذلك لأن الحديث عن الفضيلة ، والكلام فى الاخلاق ، والدعوة الى المثل العليا ، له فى هواتف رؤوسهم ، وطنين أفكارهم ، هم ومن على شاكلتهم من الامم التى لا تؤمن بالله واليوم الآخر ، رنين اللغو ، وصياح الرعد ، ومواء السنانير ، أو نباح الكلاب لا تهزهم فيه نبرات ، ولا تروقهم منه كلمات ، والسبب

الاصيل فى هذا انهم لا يجدون بين ايديهم ما فى الدين من الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، والارشاد والتوجيه ، والهداية والنصح ، والتربية الصحيحة ، والتهذيب النافع ، والترميم والبناء ، وبخاصة الاسلام الذى يضع الخطوط العريضة لصلة الانسان بالانسان ، وسيادة الاستقرار فى الارض ، وكراهية الناس للشر وبغضهم للفحش ، وتعاليهم عن النزول الى المستويات الحقيرة .

وهكذا يؤمن المسلم أن دينه دستور السعادة ، وقانون الاصلاح ، ونظـــام العمران ، ونبع الخير ، ورباط الفضيلة ، والمعراج الى الكمال ..

والعالم فى هذه الآونة يتسابق فى الدمار ، ويتبارى فى الهلاك ، ويركز جهوده فى التسلح استعدادا للحرب المدمرة من غير أن تاخذه الشفقة ، أو تهزه العـــاطفة الرحيمة ، لانه لا يؤمن الا بوجود نفسه هو ، ولا يذعن الا لما تمليه عليه شهوة الانتقام ، ورغبة السيطرة ، وحب السيادة ، ونزعة الاثرة ، أو داعى القهر والغلبة ، ومن أجل تلك الروح الخبيثة ، والميل الظالم ، والفرم الاهوج الى الاســـفاف المرذول ، يتحول هذا الكون ـ شيئا فشيئا ـ الى جحيم بغيض ، تلتهم ناره الامانى والآمال ، والخير والمعروف ، والصفو الذى يحلم به الآدمى فلا يجده الا فى الخواطر والاوهام ، وذلك يرجع فى أصل الوضع الى أن هذه المجتمعات تمكنت لديها المعـــانى الفردية تمكنا أنساها أنها تعيش مع الناس ، فغلبت عليها شهوة الانانية ، وصار الواحد منها لا هم له الا أن يكون مثل « نيرون » الذى أشعل النار فى روما امتاعا لخاطره وارواء لظما ميله الى الشر ، وحبه للتخريب ، ولا يعنيه بعد هذا وهذا أشلاء الموتى ، وعويل الباكين ، وبؤس اليتامى ، وتعذيب البشرية ، وآلام المنكوبين ، لانه لاينطبع فى ذهنه من كل ما حوله سوى طيوف العدوان ، ولم يستقر فى فهمه الا دخان النار ، ولم يالف غير الحياة فى هذا الجو الملبد بالغيوم والصواعق ، ولا يفكر هؤلاء فى أن الشرائع تحد من هـــذا الصراع ، وتقف من ذلك النزوع ، وتعالج فى حكمة ورفق ما يهيمن على النفوس من الظلم الكالح ، والاسفاف الاحمق ، والجهل الفاضح ، وأن الاديان السماوية لا تحب بحال من الاحوال أن تتحول الحياة بالناس الى بركان يقذف بالنار والحجارة ، والفناء والموت ، وأن الاسلام الذى قامت دعوته على الســـلام والامن ، كان منصـــفا الى أقصى مدى حين كان يتوعد الذين يفسدون فى الارض بغير الحق ..

والواقع الذى لا شك فيه أن هـــذه الصورة المشوهة للانسانية الرخيصة ، أو الآدمية الضالة ، أو الحيوانية النازلة ، لا نجد لها مثيلا فى التاريخ ، ولا ضريبا فى الشعوب ، الا فيما قصه علينا سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم عن بنى اسرائيل الذين كانوا وبالا على العالم ، وشرا على الخليقة ، وشؤما على الدنيـــا ، ونكدا على الناس ، وفوضى على الارض ، وعدوانا على الشرائع ، وخصوما للانبياء والمرسلين ، وان حديثا واحدا عنهم مما جاء فى سورة البقرة ليدلنا على مقدار ما عانت منهم الحياة والاحياء .. وذلك فى قوله ـ جل جلاله ـ «واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثـــاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقـــا منكم من ديارهم تظـــاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم أسارى تفـــادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغـــافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطـــور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » .

والقرآن الكريم بهذا الذى قدمناه يرسم صورة واضحة لانحطاط أخلاقهم ، ومرض نفوسهم ، وفساد ضمائرهم ، وتلاعب أهوائهم ، ونزق غرائزهم ، وطيش عقـــولهم ، وخبث طويتهم ، وزعزعة يقينهم ، وميلهم للشر ، وولوعهم بالخلاف ، ورغبتهم فى سفك الدم ، وعدم ايمانهم بالكتب المنزلة ، وقتلهم الانبياء بغير حق ، ثم تلاعبهم بالاديان « قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه » وكانما هم مغرمون بتمثيل المهازل ، وتصوير المخازى ، ورسم خطوط الشر فى هذه الحياة ، ولو أننا ذهبنا نبحث وراء الشر الذى يملأ آفاق العالم ، والآثام التى تفيض بهـا الدنيا ، لما وجدنا المحرك لها الا تلك الاصابع الملعونة ، والنفوس الحقيرة ، والافئدة المريضة ، والنوايا الوضيعة التى يحملها فى جنباتهم أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم .. واذا كان صلاح النفوس بالايمان بالله ، وامتلاء القلوب بالخشية منه ، والخوف من عقابه الذى توعد به العصاة المذنبين ، فان تلك الحيوانات الضارية لا ايمان لها بالله ، ولا خشية عندها منه ، ولا خوف لديها من بطشه الشديد ، مع أن ضلال أسلافهم فى وادى التيه أربعين سنة ، وتشريدهم فى الارض ، ومسخهم قردة وخنازير ، وغضب الله الذى توالى عليهم ، كان من حقه أن يعظهم فيرتدعوا، ويذكرهم فيعتبروا ، ويوقظ ضمائرهم فينتبهوا ، ولكنهم ماتت عواطفهم ، وتبلدت حواسهم ، ومرضت نفوسهم ، وفقدوا وسائل الادراك التى حالت بينهم وبين الايمان بالله الذى تهتز لهيبته السماوات ، وتندك بقدرته الجبال ، وتميد من سلطانه الارض ، وتتزلزل القوى والقدر ، وفى كل يوم تعصف بهم العواصف ، وتلطمهم على وجوههم الحوادث ، وتمر بهم الامثال ، فلا يكون لوقعها لديهم الا ما يكون فى الحديد البارد من الصدا والكلاحة ، والوسخ والصلابة ، فهل يقدر الله الذى بيده ملكوت السماوات والارض لهذا العالم أن يستريح من عنائهم ، وينجو من شرورهم ، ويســـلم من أذاهم ، ويتخلص من كيدهم ، ويتجنب ما يدبرونه له من هلاك ودمار ، وحينئذ تسود الشريعة ، ويتمكن الدين ، وتعلو كلمة الحق ، وترفرف راية السلام فى الارض ، وتقوم المحبة بين الناس مقام القانون ، ويصبح الاسلام دين الشعوب ، ودستور الامم ، ونظام الحياة ، ورباط الافراد والجمـــاعات ، وميزان الحق والباطل ، والخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والآداب والسلوك ، فانه الكفيل بسعادة البشرية التى لو تركت لفطرتها لم تشك فى أنه لا سبيل الا الاسلام .

حاجة المجتمع الى الدين

للأستاذ محمود شوكت العدوى

« يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » قرآن كريم

من القواعد الأساسية الهامة ، التى عنيت جميع الأديان السماوية باقامتها وتشييد أركانها ، وأرشدت بكافة الطرق، الى الوصول اليها ، (حماية الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة)

وقد كان الدين الاسلامى ـ بطبيعة الحال ، نظرا لكونه خاتم الأديان ـ أكثر هذه الأديان ، عناية بتطبيق هذا المبدأ الهام، فارسى قواعده ، وأحكم بنيانه ، وشيد أركانه ، فنظم علاقة الفرد بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بالناس أجمعين ، بل نراه تجاوز هذا النطاق ، ووضع الأسس والقواعد ، التى لا يجوز للفرد ، أن يحيد عنها فى معاملته لسائر الحيوانات ، حتى معاملة الأعداء ، لم يوكل الاسلام الأمر فيها ، الى طبيعة البشر ، النزاعة الى الانتقام ، وتجاوز الحدود فيه ، بل رسم الحدود ، وبين القواعد، التى يجب ان تراعى فى معاملتهم .

وبهذا أنقذ البشرية ، من الفوضى والاضطراب ، والهمجية البربرية ، التى لا تخضع لقانون ، ولا تدين بالمثل العليا .

حقا : ما أعظم الاسلام ، وما أنبل تعاليمه ، وما أجمل توجيهاته !

والكلام عن توجيهات الاسلام ، فى جميع فروع الحياة ، امر عظيم ، لا تتسع له هذه العجالة ، بل يحتاج الى اسفار ضخمة ، ومجلدات كبيرة ، وذلك لان التعاليم الاسلامية ، لم تترك صغيرة ولا كبيرة ، الا تحدثت عنها ، وبينت باجلى بيان ، السلوك الصحيح ، الذى يجب علينا اتباعه . ولا يجوز لنا مجاوزته .

ولكنى ساشير بايجاز ـ الى ظاهرة خطيرة ، فشت فى مجتمعنا ، وشكلت خطرا كبيرا ، لو غضضنا النظر عنه ، لأدى الى عواقب وخيمة ، لا يعلم مداها الا الله ، عالم الغيب والشهادة .

هذه الظاهرة ، التى أتحدث عنها ، هى بعد مجتمعنا عن تعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، تلك التعاليم . التى تكفل لنا السعادة والعزة ، وتحقق ما نصبو اليه من تقدم ورخاء، فى ذلك العصر الذهبى ، الذى اقتلعت فيه ثورتنا الحبيبة، بذور الشر ، التى كانت تجثم على صدورنا ، وتكاد توردنا موارد الهلاك والدمار .

لم تقتصر حكومتنا الثورية ، فى وضع المبادى والقوانين، التى تهدف الى اقامة حياة اجتماعية سليمة ، قوامها العدل ، ومحاربة الظلم والطغيان فى جميع صوره وأشكاله، فسارعت الى محاربة الاقطاع ، حربا لا هوادة فيها ، وتمكنت من القضاء على الاحتكار ، واستغلال رأس المال ، استغلالا سيئا ، يعود بالنفع على فئة قليلة ، بينما تعيش الكثرة الغالبة من الشعب ، فى فقر مدقع ، وذل مقيم ، كما وضعت من التشريعات والقوانين ، ما يكفل اشراك الشعب فى تحمل مسئوليات الحكم ، الى غير ذلك من المبادىء، التى تعود فى جوهرها ، الى تعاليم الدين الاسلامى الخالد ، ذلك الدين الذى يقوم على العدالة والانصاف ، ويعمل على تكريم الانسانية ، والنهوض بها ، واعلان حقوق الانسان .

هذا قليل من كثير مما حققته الثورة المباركة ، ولكن ما مدى استجابة الشعب لهذه التعاليم ؟

نرى ـ والأسف يملأ جوانحنا ، والأسى يعتصر قلوبنا ـ ان جمهرة كبيرة من الأمة ، لا زالت تعيش فى واد سحيق، تائهة فى مفاوز من الضلالات والأوهام غارقة فى بحار من الجهالات والسفاهات .

قف معى ـ أيها القارىء الكريم ـ وتأمل ما عليه شبابنا ، الذى نعده لحمل رسالة المستقبل ، فماذا ترى؟ ترى شبابا عابثا لاهيا ، مستهترا بالمبادىء الخلقية ، والقيم الانسانية ، ترى شبابا ، يتسكعون فى الطرقات ، ويخدشون حياء العذارى ، بعبارات جارحة ، يندى لها الجبين خجلا ، ويقضون جل أوقاتهم فى المقاهى ، ودور السينما ، والملاهى، ناسين أو متناسين ، أنهم بهذه التصرفات الماجنة ، انما يصبحون معاول هدم فى بناء أمتنا العظيمة ، التى يعمل المصلحون ـ بجد ومثابرة على تشييد أركانها ، واقامة أسسها ، وتدعيم قواعدها .

ثم انظر معى الى فئة اخرى من الشعب ، ائتمنتهم الحكومة ، وجندتهم لرعاية مصالح المجتمع ، وحماية حقوقه، فهل قاموا حقا بحمل الأمانة واداء الرسالة ؟ كلا ثم كلا ، فان ما نسمعه ، وما تطالعنا به الصحف ، بين الحين والآخر ، يجعلنا نقف حيارى مشدوهين ، أمام هذه التصرفات العابثة ، التى لا تقتصر على حرمان الشعب من حقوقه ومقرراته ، بل تتجاوزها الى اصابة مالية الدولة والارهاق ، ولو تدبروا قوله عز وجل : « يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء

مسلم الا بطبيب من نفسه » لو تدبروا هذا ؟ لما وقعوا في هذا الخطأ الفاحش .

وهكذا لو أردت أن أضرب الأمثال ، لما يجرى بين طبقات الأمة المختلفة ، من تجار وعمال وفلاحين وموظفين ، لطال بى الكلام ، ويكفى أن أشير اشارة بسيطة ، لهذه العلل والأمراض المتفشية فى مجتمعنا ، وعلينا ـ اذا أردنا علاجا ناجعا ، يقتلع هذه الأمراض من جذورها ـ أن نبحث عن السبب ، أن نكتشف هذه الجـرثومة الخبيثة ، التى تسللت الى المجتمع ، فنفثت فيه سمومها ، وافقدته الوعى ، حتى بات لا يفرق بين الطيب والخبيث ، ولا يستطيع التمييز بين الحسن والقبيح ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وصاروا كالانعام ، بل هم أضل سبيلا .

والسبب فى هذا ـ أيها القارىء الكريم ـ واضح جدا . لا يحتاج الى تأمل ، وأعمال فكر ، ودقة نظر ، فكل انسان يعلم ـ بالبداهة ـ أن ما نحن فيه من أزمة اخلاقية ، انما يرجع الى البعد عن تعاليم الدين ، فالطفل الذى ينشأ فى بيئة ، لا تعرف من الدين الا اسمه ، يكون ـ بطبيعـة الحال ـ جاهلا بالقيم الأخلاقية ، بعيدا كل البعد عن سلوك الطريق السوى ، وينعكس هذا على سـلوكه وتصرفاته ، فيطلق العنان لغرائزه ، يفعل ما يشاء ، ويرتكب ما يريد .

ورب قائل يقول : ان انتشار التعليم بين طبقات الشعب ، كفيل بتهذيب النفوس وتقويم المعوج من الأخلاق .

واقول ردا على هذا : ان التعليم وحده ـ ما لم تنضم اليه التربية الدينية الصحيحة ـ لا يصلح اساسا لتقويم السلوك ، وتهذيب الملكات ، والواقع خير شاهد على صحة ما أدعيه ، ولا يمكن لأى قانون آخر ـ غير قانون السماء ـ أن يحيط احاطة كاملة بجميع التصرفات والاعمال الصادرة من الفرد ، فهو الكفيل بصيانة المجتمع من شتى الانحرافات ، التى تودى به وتبعث الفوضى والاضطراب فى أرجائه .

وان مجتمعنا يقوم أفراده ، برعاية حقوق الله تعـالى ، واقامة شعائر الدين ، والتحلى بمكارم الأخلاق ، من صدق وامانة وعفة ووفاء بالعهد ومروءة وصبر على تحمل المكاره ، مع التخلى عن المنكرات ، المشتملة على الشرور والآثام ، فلا كذب ولا غش ولا خديعة ولا نفاق ولا خيانة ...

ان مجتمعا ، كهذا لهو مجتمع فاضل ، تدين له الدنيا بالخضوع والطاعة ، ويرقى فى مدارج الرقى والعزة ، ويمضى قدما نحو غايته المنشودة ، فلا عوائق تعوقه ، ولا حواجز تمنعه .

وانى أرى ـ اذا أردنا تطهير مجتمعنا مما حل به ـ ان نعمل على تنفيذ الخطوات الآتية :

أولا : أن تقوم الوحدات الاساسية للجان الاتحـاد الاشتراكى العربى ، بتنظيم ندوات ثقافية عامة ، يحضرها طوائف الشعب ، لتوعيتهم توعية دينية ، وتبصيرهم بمـا يجب عليهم أن يسلكوه ، وتنفيرهم من الانحراف المشين ، الذى يعود عليهم وعلى وطنهم بأوخم العواقب .

ثانيا : ان يدرس الدين فى جميع مراحل التعليم ، دراسة واعية شاملة ، مع العناية بغرس المبادىء الخلقية السامية ، وضرب الأمثال بما كان عليه السلف ، من نبل الاخـلاق ، وصدق العزيمة ، وقوة اليقين ، مما كان له الاثر الفعال ، فى نشر الرخاء ، وتوفير السعادة ، والتقدم على سـائر الأمم ، فى مجالات العلم والمعرفة .

ثالثا : انشاء جهاز محكم للرقابة ـ يتكون من رجالات التربية والاخلاق وعلماء الدين ـ يختص بالاشراف على كل ما ينشر فى الصحف والمجلات والمطبوعات ، فلا يسمح بنشر الصور الخليعة ، او المقالات المثيرة للغرائز ، أو القصص التى تحتوى على الشرح والتفصيل لانواع الجرائم ، خلقية كانت أو غيرها ـ وذلك لما جبل عليه الانسان من حبـه للتقليد والمحاكاة ، كمايجب أن يراقب هذا الجهاز ، الافلام السينمائيـة ، والاغانى ، والتمثيليات الاذاعيـة ، أو التليفزيونية ، التى فيها خروج على الفضـيلة ، وذلك كتصوير المواقف الغرامية المثيرة للفتنة ، أو بيان الطرق والحيل ، التى يتعلل بها الشبان والفتيات ، فى التقائهم بعيدا عن أعين الرقباء ، ففى هذا يكمن الخطر الاكبر ، الذى يتعرض له جيلنا الناشىء ، فيتوه فى بيداء الضلالة ، ويغرق فى بحار الرذيلة .

(وبعد) فهذه بعض الحلول ، التى ارى أنها لو اتبعت ، لكانت كفيلة بانقاذ مجتمعنا من السقوط والانحلال ، وأملى كبير فى ان يستجيب ولاة الامور لهذه المقترحات ، وبخاصة ونحن نرى حكومتنا الثورية الرشيدة ، تبذل اقصى جهدها ، فى بناء أمة قوية ، عزيزة الجانب ، يحتـرمها الأصدقاء ، ويرهبها الاعداء ، تحمى الضعفاء ، وتشد أزر الأمم التى نعمت حديثا بالاستقلال ، وتقف فى المحافل العامة ، تدعو الى العدالة ، وتندد بالأساليب الوحشية للاسـتعمار ، وتبشر بالسلام .

ومما لا شك فيه ان حماية اخلاق الشـعب ، وبث الاخلاق الفاضلة فيه ، سيكون له أثر كبير فى قيام كل فرد بما عليه من واجبات ، فتسعد الامة ، ويعلو شانها ، وتاخذ المكان اللائق بها تحت الشمس ان شاء الله تعالى .

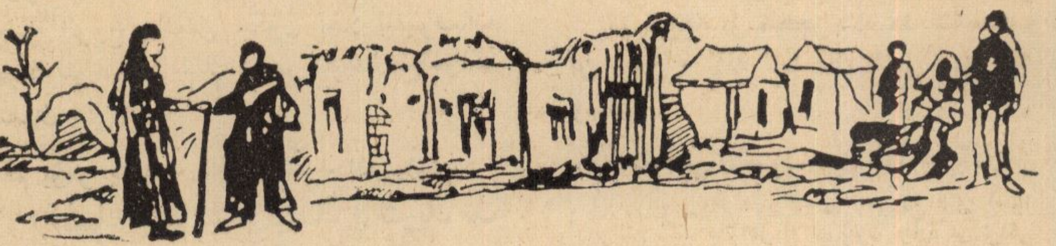

حكمة الحج

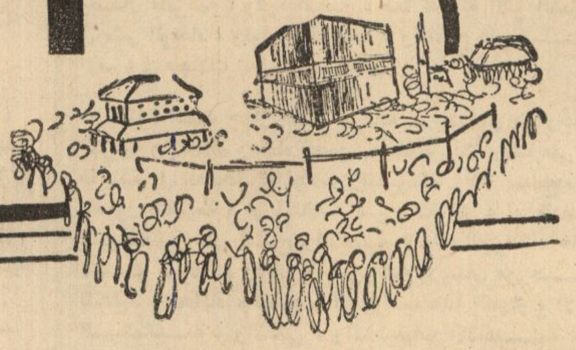

الأستاذ عبد الحكيم على مصطفى

ان الله تعالى جلت حكمته قد أوجب الحج على القادر المستطيع ليعلمه أن ماله وجاهه ومنصبه لايلهيه عن تلبية أوامر خالقه ، فهل يجيب فتتم عليه النعمة وتزيد ، أو يتخلف فيحق عليه الوعيد • فاذا ما أجاب ، ويجب أن تكون الاجابة صادقة خالصة لوجه الله الكريم •

عند ذلك تتجرد النفس من المظاهر الكاذبة وتتأهب للسفر الذى يسفر عن الوجوه •

فاذا ما وصل الى الميقـــات تطهر وخلع الملابس المخيطة والمحيطة ولبس ازارا ورداء نظيفا جديدا ليعلم أن القدوم على الله لا يكون الا بالتجرد خصوصا يوم الحساب •

((يوم لاينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم))

وليتعلم اماتة النفس الأمارة بالســـوء (*) واحياء الروح والعقل ليكون أهلا للفيوضات ومهبطا للرحمات بذلك المظهر الموحد مع اخوانه المسلمين •

ثم يؤمن بترديد ذلك النشيد السماوى :

((لبيـك اللهم لبيك لبيـك لا شريك لك لبيك • ان الحمد والنعمة لك والملك))

هذا النشيد تستيقظ به روح النشـــاط والاستسلام للخالق جل وعلا ، وتحمل المتاعب والمشاق •

وان الدين الاسلامى قد سبق الأمم التى تعد نفسها راقية • فانهم تنبهوا أخيرا وعلموا فضل النشيد القومى فعملت كل أمة لهـــا نشيدا •

ثم بعد ذلك يتوجه الى البيت الحرام غير مبال بحر ولابرد لأن المحب يستعذب العذاب فى سبيل الوصول الى محبوبه فاذا ماوصلت الى البلد الحرام • وقد جد بك الشوق والهيام اندفعت نحو الكعبة المشرفة من باب الســلام قائلا :

((اللهم أنت السلام ومنك السلام واليـك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنـــا الجنة دار السلام بسلام))

ثم تتوجه الى الحجر الأسعد فتلمسه وتقبله أن أمكن • لأنه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم •

((الحجر الأسود يمين الله فى الأرض))

وبقدر مافى قلبك من ايمان يكون ذلــك الاستلام

انظر الى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين استلم الحجر الأسود فقبله وبكى ثم نظر خلفه فوجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبكى فقال صلى الله عليه وسلم •

« ياعمر • هاهنا تسكب العبرات »

ثم تطوف بالبيت طالبا المغفرة ، ومن دخل بيت الله لايحرم الجائزة •

وفى هـذا البيت الحرام تستيقظ النفس وتقول

كنا على البعد نصلى الى جهة واحدة • جهة الكعبة •

واما على القرب فنصلى الى كل الجهات حول الكعبة •

ثم تحولت عبادتنا فى الطواف الى جهات أخرى غير التى ألفناها فى الصلاة • ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم

« الطواف صلاة الا أن الله أباح فيه الكلام »

ثم تكون قبلتنا فى الدعاء الى السماء وفى السجود الى الأرض اذن الذى نعبده ليس فى جهة

« أينما تكونوا فثم وجه الله »

يذكرك البارى جل وعلا • بما اعتاده بعض الأغنياء من الذهاب الى المياه المعدنية للاستشفاء بها من الأمراض الجسيمة • فيقـول لك المصطفى صلى الله عليه وسلم •

« تضلع من زمزم فانها تشفى الأمـراض الجسيمة والروحية » ويأمرك بأن تقول عند شربها •

« اللهم أنى اسألك علما نافعا وقلبـا خاشعا ورزقا واسعا وريا وشبعا وشفاء من كل داء »

ثم بعد ذلك تخرج من باب الصفا للسعى بين الصفا والمروة تذكر بعملك هذا من كانت سببا فى عمارة هذا البلد الحرام لما تركها زوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع وليدها اسماعيل صلى الله عليه وسـلم • أمسكت بتلابيبه وقالت الى من تكلنا • فقال • الى الله فقالت • آلله أمرك بهذا • قال نعم قالت : اذن لايضيعنا •

ونفد ما كان معها من الماء وقـد عطشت فصعدت على الصفا علها تجد الماء أو ما يدل عليه ثم هرولت ورقت المروة وكررت ذلـك ثم حانت منها التفاتة نحو وليدها فاذا الماء ينبع من تحته •

هاجر رضى الله عنها قد عملت هذا العمل طلبا للماء الحسى وأنت تعمل هذا العمل طلبا للرى المعنوى وسيستجيب لك رب السمـاء كما فجر لها الماء •

وهذا توجيه الهى نحو تمجيد الأمومة الحقة التى لها من الآثار النافعة والخير الكثير •

ولتكون منارا تستضىء به الأم العربيـة فتنفض عنها رداء الكسل وتكون مع زوجها حينما قام • ولنعلم أن قضاء الحاجات لايكون الا بالطواف والسعى وفق الأوامر الالهية بعد ذلك نحلق أو نقصر فتتم النعمة بالعمرة ويصير حلالا ما قد حرم بالاحرام •

يأتى الحجيج الى مكة من كل حدب وصوب فأذا ماوافى اليوم الثامن من ذى الحجة أهل بالحج من لم يكن أهل به من الميقات ثم توجهوا الى عرفات وياله من مسمى له من اسمه أوفى نصيب ، هناك يتعرف الانسان على نفسه ويعلم صغرها وضعفها فى الانفراد وانها قوة اذا ما اجتمعت بغيرها لاسيمـا اذا كانت النفوس مجتمعة قبل اجتماع الأجسام •

هنالك تستفيد بقوتها الروحية والفيوضات الالهية المستمدة من قوة الدين وثبات اليقين ومرضات رب العالمين • يجتمع الحجـاج ويتشاورون فى شئون المسلمين الخاصـة والعامة ويتعرفون على مالم يعرفوه بأنفسهم •

من ذلك تنبعث الطاقة الهائلة والقـوة المعتصمة بحبل الله والتى خرجت لاتبغى الا وجه الله ورضاه •

ان قوة المسلمين فى وحدتهم مع قوة ايمانهم وثبات جنانهم وحبهم لنبيهم وعلمهم بأن كل شىء بقضاء وقدر •

هنالك يهون الصعب وتنحل العقد ولو راموا السماء لنـــالوها ثم يتوجهون الى مزدلفـــة ليقفوا بالمشعر الحرام كما وقف المصطفى عليه الصلاة والسلام حيث الذكر والدعاء لبارىء الارض والسماء •

وهم بتلك الأسفار يحققون نظام الكشافة والجوالة ، وهو نظام ظن القوم أنهم استحدثوه ولم يعلموا أن الاسلام قد سبقهم اليه بأربعة عشر قرنا •

هذا النظام يخلق قوة الشخصية ويعـود صاحبه الاعتماد على النفس ومساعدة الغير والمبيت فى الصحراء والنوم فى العراء وتحمل البرد والحر ومشاق الأسفار ويعود على النجدة والشهامة وبعث روح الجماعة • وكل ذلك من مقومات الشخصية المجاهدة • ثم يلتقـــط الحصيات التى يرمى بها الجمار •

وما الجمرات الا رمز لقوة الشر • ودفـــع الشر انما يكون باتباع الأوامر •

وقد علمنا الشرع أن نحدد الهدف ونصيبه وهى الروح الحربيـــة • ويأمرك بذبح الهدى ويقول لك من السنة أن تباشر ذبحها بنفسك حسب الأوامر • وبذلك ستنشأ شـجاعا غير هياب ولا وجل •

فاذا ما دعا داعى الجد • شمرت عن ساعد مفتول • وعقل مصقول • واستبسال معروف • وحرص على الموت فى سبيل الله • عند غير المسلمين غير مألوف •

وعلى أكتاف هؤلاء تقوم الدعوات الصالحة والأنظمة الصحيحة •

وما ساد المسلمون الاولون الا بهذا الامتثال وتلك الروح العالية والشهامة النـــادرة والاستبسال المنقطع النظير • وبمثل هذا يسود السلام فى ظل الاسلام

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشدا »

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

قلنا ان الدين من وحى الهى ، وهو لغة السماء وغذاء القلوب ومصدر الاوامر والنواهى ، فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التى هى من صنع الفكر البشرى ، ومجال للاخذ والرد والبحث والتعليل ؟

كيف نوفق بين الحقيقة الدينية التى مصدرها الوحى الالهى والحقيقة الفلسفية التى تبنى على الشك لتصل الى اليقين بالترجيح ، ثم قد تشك فيما رجحت ، بل قد يشك العقل فى نفسه وفى قوة دليله المنطقى احيانا ، كيف نوفق بين العقليات المترددة واليقينيات الصادرة عن مطلق الايمان بنفس العقل المتردد ؟

حقا انها محاولة عسيرة جدا ، ولكن يبدو انها كانت ضرورية لقوم من امم مختلفة عاشوا فى العالم الاسلامى ، واعتنقوا الاسلام ، وكانت دراستهم بل حياتهم كلها خاضعة للجو المحيط بهم ولمختلف العوامل والظروف الدينية التى عصفت بعصرهم ، فلم يروا بدا من محاولة التوفيق بين معتقداتهم الدينية وأبحاثهم الفلسفية فمهدوا بذلك للفلسفة أن تنفذ الى صميم الدراسات الاسلامية .

وكان أول من حاول ادخال الفلسفة الى الجو الاسلامى العربى أبو سيف يعقوب بن اسحاق الكندى النصرانى ، الذى لقبوه بفيلسوف العرب لانه أول من تكلم فى الفلسفة منهم ، وكان يعرف اليونانية ، وقد ترجم لافلاطون وأرسطو ولا سيما انه ترجم علم المنطق الذى وضعه أرسطو ، ومن أقسامه القضايا الجدلية والسفسطية .

وكان أول من اتجه نحو الفلسفة اليونانية من العرب المسلمين بعد الكندى أبو النصر الفارابى ، وهو أبو النصر محمد بن طرخان ، المولود بفاراب من بلاد الترك ونشأ بها ثم رحل الى العراق ، وهناك التقى بأبى بشر متى بن يونس ، وهو شيخ نصرانى أيضا فأخذ عنه مبادىء فلسفة أرسطو ، وكان من الشراح المهمين لتلك الفلسفة .

وكذلك ابن سينا أخذ عن أبى عبد الله الناتلى وعن أبى سهل المسيحى الطب وقرأ عليهما ايساغوجى والماجسطى واقليدس .

وكذلك السهروردى المقتول ، وهو أبو الفتوح يحيى ابن حبيش أخذ عن النساطرة ونقل مناظراتهم فى عقائدهم والجدل الذى كان دائرا بينهم حول معتقداتهم الدينية التى مزجوها بآرائهم الفلسفية ، والسهروردى هذا غير أبى النجيب السهروردى صاحب « عوارف المعارف » .

وكذلك ظهير الدين الطوسى ، جعفر بن محمد بن الحسن ، أخذ عن اليونان وعن السريان من علومهم ومعارفهم وكان بارعا فى علم الفلك وابتنى فى المراغة مرصدا عظيما بأمر هولاكو .

وكذلك عمر الخيام، وكان أكثر اشتغاله بالرياضيات والفلك والموسيقى ، وقد أخذ علم الفلك وعلوم الرياضة عن الصابئة .

وكل أولئك وتلك خلطوا بين معتقداتهم الاسلامية الخالصة وتلك المذاهب اليونانية والصابئية ، وعزفوا لآذانهم فى الفلسفة اليونانية القديمة ومهدوا لاهل الفرق الاسلامية من بعدهم تلك الفرق التى أخذت عن المنطق الارسطوطاليسى وقضاياه العلم الذى أسماه المعتزلة « علم الكلام » وبنوا عليه منطقهم الجدلى الذى ناظروا بمقدماته ونتائجه غيرهم من الفرق الاسلامية ، كالشيعة والخوارج والاشاعرة .

وقدمنا أن هذا المنطق يجمع بين الشك واليقين والسفسطة فى جعبة واحدة ، وهو وان مزجه أهله بالمسائل الدينية الاسلامية فانه راجع بأصله وموضوعه الى الفلسفة اليونانية ـ تلك الفلسفة ـ القديمة السابقة على الاسلام والمسيحية بالجدل والمناظرة فى الذات والصفات والعرض والجوهر ، والعلة والمعلول الى غير ذلك .

وجل ما وصلت اليه فلسفتهم هو اثنينية العلة على يد أفلاطون بين الاله والمثل ، أو أرسطوطاليس بالهيولى والصورة ، وخصصنا أفلاطون وأرسطو بالذات ...

أولا : لان عصرهما مضافا اليه عصر سقراط العظيم هو عصر الفلسفة الاغريقية الذهبى .

وثانيا : لان فلسفة افلاطون وأرسطو مضافا اليهما

الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، كانت النبع الاعظم الذى استقت منه فلسفة الاسلاميين والمسيحيين واليهود والرومانيين جميعا .

وكان مدار تلك الفلسفات اما على كفاية الحواس كما عند ارسطو واما على الخيال المثالى كما عند أفلاطون واما على مجرد الشعر والرتق والتلفيق كما عند أفلوطين ، فبمثل هذه الفلسفات وعلى مثل هذه الصورة ، لايمكن التوفيق بينهذا الخليط من التفلسف وبين الايمان الاسلامى المرتكز فى الفطرة وفى الكون على صريح آى القرآن وهدى الوحى الموحد للحقيقة المطلقة الا بخسائر جسيمة من تراث الفطرة وهدى القلب والبصيرة والحقائق الثابتة فى الكون التى يعتمد عليها القرآن وان كان بعد ذلك يعتمد أيضا على العقل - العقل المؤمن وعلى النظر الحسى معا - النظر الى آيات الله وفى خلق السموات والارض ، وفى النفس كيف انشئت ولماذا ادركت واتصلت بأسرار بارئها وحكمته فى خلقه ، وهذا النظر يؤدى حتما الى الحكمة الاسلامية التى قصدها القرآن فى آيات كتابه، لا ما قصدته فلسفة اليونان التى استقى منها أولئك المسلمون الموفقون بين الدين الاسلامى وفلسفة اليونان وذلك فى عصر طفولة الفلسفة وطفولة علوم الدين معا .

ويعد ابو النصر الفارابى اول من سلك سبيل هذا التوفيق ، وأظهره فى شكل منسق مهذب ، وان كان الكندى النصرانى العربى قد غرق الى رأسه فى بحر الفلسفة اليونانية المتلاطم ، ثم أتى من بعدهما ابن سينا فاهتدى بهدى الفارابى ، ووسع طريقته وكمل ما فاته وعقب عليهما فيما بعد ابن رشد الاندلسى بطريقة اوسع .

الا أن محاولة التوفيق التى قام بها أولئك الفلاسفة لم ترق لدى الغزالى فشن عليها الغارة ونقض اصولها وفروعها وأعمل معوله فى هدم بنائها الفخم بكتابه « تهافت الفلاسفة » .

وبديهى أن التوفيق يستلزم على الاقل جانبين متقابلين وطرفين متنافرين ، ومهمة الموفق أن يبعد أسباب الخلاف ثم يقارب بين الشقين المتباعدين ،وهذا ما لم يحاوله المتفلسفة المسلمون ، ولا كان ثمة خلاف حقيقى اذا صحت الفلسفة ، ولم يكن أمامهم غير تراث الاغريق يقبون فيه ويفيضون على قواعد الدين المنزلة ليصبغوها بصبغة الفلسفة الاغريقية التى نبتت فى عصور طفولة الفلسفة والعلوم الدينية ولم تكن منتجة نتائج دينية كاملة حتى جاء القرآن فوضح السبيل السوى للصراط المستقيم .

وان كان ما وصل اليه اليونان اذ ذاك هو صورة كاملة لما انتجه العقل الانسانى فى ذاك الزمان ، وهو انتاج محدود لا يعدو الظواهر ووحى الحواس .

ففى فلسفة أرسطو نواح تتناقض مع أصول الدين الاسلامى ، كما أن فى الاسلام تعاليم قد لا تتفق ظواهرها ولا بواطنها مع أساليب الفلسفة الاغريقية ، فاحتال المتفلسفة المسلمون ليصبغوا المذهب الارسطى بصبغة دينية اسلامية وان يكسوا الدين بثياب فلسفة اغريقية ، ولهذا اخفق التوفيق وظل الاسلام اسلاما والفلسفة الاغريقية هى الفلسفة الاغريقية .

أما الفلسفة الصحيحة - اذا قدرنا أن كلمةفيلسوف اليونانية المشتقة من كلمة « فيلو وكلمة سوفيا » هى بمعنى كلمة حكيم العربية - وتكون الفلسفة على هذا بمعنى الحكمة ، وبعبارة اخرى النظر الصحيح والتفكر المستقيم الذى عناه القرآن ، الفلسفة التى يسعمنطقها سائر كتابات الفطرة من الذوق والبصيرة ونور القلب مضافة الى كفاية العقل وكفاية الحس فى النظر الى خلق السموات والارض استدلالا على وجود واجب الوجود وعلته وسببه الاول .

ولم يدرك أولئك الذين يريدون التأليف بين الدين والفلسفة أن غرض الدين هو نفس غرض الفلسفة الحقيقية ، وهو غرض واحد البحث عن علة هذا الوجود ومبدعه وان كان قد سلك كل من الدين والفلسفة على ما وصفنا منهجا مغايرا لمنهج الآخر ، وهذا لا ينفى قط أن تكون الغاية واحدة على كل حال اذا كانت الفلسفة بمعنى الحكمة وهى التعرف الى مبدع هذا الوجود وهو غرض الدين الحق والفلسفة الصحيحة .

فلو صح الدين بصحة المعتقد الذى أمر الله به ، وصحت الفلسفة التى رائدها العقل السليم لتلاقيا رجوعا الى حقيقة واحدة هى « أن لا اله الا الله » بيده الخلق والامر ، وله وحده الملك والحكم ، وهنا فقط يلتقيان كتوأمين متشابهين فى صعيد الحقيقة المطلقة .

وهذا نفسه الذى يجعلنا لا نعتقد أن هناك فلسفة اسلامية بالمعنى الصحيح ، اذ أن أولئك الفلاسفة الاسلاميين الذين عددناهم كانوا عيالا على فلسفة أفلاطون وارسطو ثم أفلوطين السكندرى ، ولذلك سلقهم الامام الغزالى - رضى الله عنه - بألسنة حداد فى كتابيه « مقاصد الفلاسفة » وكتاب « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » بعد أن جرحهم بكتابه « تهافت الفلاسفة » .

ونحن كذلك لا نعتقد أن فى العرب سوى متفلسفة مسلمين لا فلسفة اسلامية بالمعنى الصحيح ، ان مستمد الدين الوحى لا فلسفة اغريق ، والوحى يهبط منآفاق يقصر العقل بطبيعته المحدودة عن التحليق اليها فضلا عن ادراكها ، وقد كان مستمد الفلاسفة الاسلاميين - والاسلام شعاره التوحيد - أثنينية افلاطون وأثنينية تلميذه أرسطو ، ثم التشتيت الململم من الفلسفة الوثنية والجدل الدينى بين يهودى ومسيحى الذى استقوه من السريان عن فلسفة اليونان ثم الافلاطونية الحديثة ، تلك التى تعدد فى الاله وتشرك معه العقل الاول ، ووسطت العقول والنفوس المتعددة بين الله وبين مخلوقاته كما جاء فى الفلسفتين الافلاطونية القديمة والحديثة معا .

وفى الافلاطونية الحديثة : ان أول ما خلق العقل الكلى للجمع بين فلسفة أفلاطون وأرسطو ثم العقل الاول خلق النفس الكلية ، والنفس الكلية خلقت نفوس الافلاك ، ونفوس الافلاك أخيرا خلقت الطبيعة الدنيوية التى يستنكف الاله فى زعمهم من انتسابها اليه ويتعالى فى كماله عن أن يخلقها ، هذا ما تقوله الافلاطونية الحديثة ، وما دام الاله فى الافلاطونية القديمة مثال الخير الأعظم الذى لا عمل له الا انشغاله بكماله ، وقد ترك الخلق والابداع للمثل وجعل من عالم الاشياء أوهاما وأشباحا لا وجود لها .

وما دام الاله عند أرسطو أيضا هو المحرك الاولالذى حرك الهيولى والصورة فى أول دفعة فقط ثم تركهما يتوليان مداولة شئون العالم خلقا وابداعا بانضمام الصورة الى الهيولى ، وقد تبعهم المتفلسفة المسلمون فى ذلك هذا مع قول الله تعالى فى كتابه العزيز : «والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

فيتعالى الله عز وجل ، ويتنزه الاسلام عن تلك الآراء الفاسدة ولو عزوها الى المنطق العقلى الذىطالما أفسد من فطر سليمة وعقول لولاه لكانت سوية - بالجدل والسفسطة - منذ ابتدعه أرسطو الى الآن .

حب الله لبعض عباده

الأستاذ محمد محمد فهيم

عن سعد بن ابى وقاص ـ رضى الله عنه ـ انه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » رواه مسلم .

محبة الله تعالى للعبد هى ارادة الفعل النافع فى الدارين ، من اكرامه وتوفيقه وهدايته ومدحه له وثنائه عليه بالجميل .

ومحبة العبد لله تعالى هى طاعته والرغبة فيما يقربه اليه .

والتقوى هى وقاية النفس من عذاب الله وغضبه ومن النقص واجلال للحق وأصلها وقى يقى « قوا انفسكم وأهليكم نارا » فهى رعاية الحق للحق مع الغيبة عن الجزاء .

وقد قال الله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم» وجاء رجل الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال يا نبى الله أوصنى . فقال : « عليك بتقوى الله ، فانه جماع كل خير ، وعليك بالجهاد ، فانه رهبانية المسلم ، وعليك بذكر الله ، فانه نور لك » .

وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات .

وللتقوى ظاهر وهو محافظة الحدود ، فتترك النواهى المتعلقة بالظاهر وهى المعاصى :

يغض عينه عن المحارم
يكف سمعه عن المآثم

وباطن وهو النية والاخلاص ، وذلك بترك المعاصى المتعلقة بالباطن من الاشياء المبعدة عن الحق سبحانه كالغل والحسد والعجب والرياء وحب المحمدة وما آل الى ذلك .

يطهر القلب من الرياء
وحسد وعجب وكل داء

وقد قال الامام على ـ كرم الله وجهه ـ : سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وفى الآخرة الاتقياء . ووصف التقوى بأنها الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال فى وصف المتقين أنفسهم منهم فى عناء والناس منهم فى راحة .

ويستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات . وما نجا من نجا الا بالتقوى « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم » .

وقوله تعالى : ! اتقوا الله حق تقاته » اى يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

وللتقوى ثلاث مراتب .

تقوى عامة المؤمنين وهى التقوى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك فهى الايمان والتصديق .

وقد قال تعالى : « والزمهم كلمة التقوى » .

تقوى الخواص :

وهى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع ولا يتم هذا الا بالاخلاص عن الشرك والرياء والنفاق . وقال تعالى: « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » أى ممحضين له الدين والطاعة من الشك والرياء والسمعة

وقال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض »

تقوى أخص الخواص :

وهى التنزه عما يشغل العبد عن مولاه اى يؤثر مرضاة الله على كل شىء ، فكل شىء هالك الا وجهه . وقال تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » .

واذا من الله على عبده بالتقوى نقله الى النور فاصبح فى حصن القداسة الربانية لان التقوى المعنى الجامع للعبادة وزينة العبادة الخوف .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس » وهو تحقيق مقام الاستقامة ومنه يرتقى الى مقام التقوى ففى مقام التوبة يخشى العبد العقوبة الحسية بالمصائب والنار أو المعنوية بعدم الرضا .

وفى مقام الاستقامة يخشى العبد النقص فى القيام بما يليق بالربوبية على أكمل الوجوه .

ومقام التقوى يخشى الله عز وجل اجلالا لذاته بحيث اذا أمن من العذاب والغضب وقيل له افعل ما شئت قد غفرت لك فانه لا يأتى الا محاب الله ومراضيه ولا يزال حياؤه من الحق محيطا به ، فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « دعه فان الحياء خير كله » . ولعل هذا فى معنى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أهل بدر ، ان الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فحياؤهم واجلالهم للحق حاجز بينهم وبين المخالفة ومقامهم رعاية

حرمة الذات لذاتها فانه ـ سبحانه ـ حقيق أن يطاع فلا يعصى لذاته لا لعقابه .

والغنى ضد الفقر ، والمراد هنا غنى النفس . وقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس» فغنى النفس يغنى النفس حتى يكفها ، وهو القناعة والرضا بما قسمه الله والاكتفاء بقدر الضرورة أرض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس . فالغنى هو الامن بالله تعالى واذا صح الافتقار الى الله تعالى فقد صح الاستغناء بالله عز وجل واذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به .

ولقد استعاذ النبى من الفقر لما يترتب عليه من الجزع بقلة الصبر وعدم الرضا بالقضاء . وليس المراد بالرضا والاستغناء عدم العمل والاخذ فى أسباب الحياة بالرضا والاستغناء هم عدم العمل والاخذ فى أسباب الحياة .. فالعمل والسعى مطلوبان انما فى حدود الشرع مع عدم التطلع الى ما فى أيدى الناس « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

فالعبد عليه أن يسعى ويعمل ويتوكل على الله فى تسديد خطاه وتوفيقه ، فاسع الى كسب الرزق من جرن اللطيف الخبير وأجمل القناعة من كسبك والرضا أفضل رزقك .

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب من أصحابه العمل ويكره لهم البطالة .

وقد يكون المراد غنى المال ، والمال غير محذور لعينه بل لكونه يعوق عن الله ، فكم من غنى لم يشغله غناه عن الله ، وكم من فقير شغله فقره عن الله . ومعنى أن الله يحب الغنى بالمال اذا كان الغنى شاكرا لله بما يليق بلطفه وكرمه ويعطى الجزيل من ماله اذ لا يتوصل الى ثواب الله فى الآخرة بالغنى انما يتوصل اليه بالشكر .

فكل وعد فى كلام الله مقرون بالمشيئة الا الشكر حيث قال « وان شكرتم لازيدنكم »

وانما خص الله الغنى بالذكر لكثرة منافعه وبانفاقه فى سبيل الله وفى سبيل الخير وفى الغنى الذى ينفق فى سبيل الله من النفع ما ليس فى الفقير .

وقد يشمل الغنى الغنى بقوته وعمله فى الصناعات بما يفيد المسلمين قوة فهو غنى بنفعه وعلمه .

واما الخفى فهو من الخفاء والانفراد عن الناس « لانه من الافلاس الاستئناس بالناس » أى الخامل الذكر المعتزل عن الناس الذى يخفى عليهم مكانه ليتفرغ للتعبد ولا يسعى للشهرة :

ليس الخمـول بعـار
على امرىء ذى كمـال
فليلة القـدر تخفى
وتلك غيـر الليـالى

وقد وصفهم الامام أبو بكر الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠ م :

سبقت لهم من الله الحسنى والزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة خلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم فاكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم وأنكرت أعلامهم فهموا عن الله وساروا الى الله وأعرضوا عما سوى الله . خرقت الحجب أنوارهم وجالت حول العرش أسرارهم ، وجلت عند ذى العرش أخطارهم وعميت عما دون العرش ابصارهم فهم أجسام روحانيون وفى الارض سماويون ومع الخلق ربانيون . سكوت نظار غيب حضار ملوك تحت أطمار نزاع قبائل وأصحاب فضائل وأنوار دلائل . آذانهم واعية وأسرارهم صافية ونعوتهم خافية صفوية صوفية نورية صفية ودائع الله بين خليقته وصفوته فى بريته ووصاياه لنبيه وخباياه عن صفيه هم فى حياته أهل صفته وبعد وفاته خيار أمته لم يزل يدعو الأول الثانى والسابق التالى بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله .

وقد كان أويس القرنى ـ رضى الله عنه ـ من الاخفياء ، فقد روى أحمد فى مسنده وذكره مسلم فى صحيحه أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أويس القرنى خير التابعين باحسان » .

وعن أسير بن عمرو ويقال ابن جابر قال : « كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ اذا أتى عليه أقداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس رضى الله عنه فقال له : أنت أويس ابن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن . قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : ألك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ياتى عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ـ قبيلة ـ ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لابره .. فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى » فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك الى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحب الى .

فلما كان من العام المقبل حج رجل من اشرفهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم . له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لابره . فان استطعت أن يستغفر لك فافعل. فاتى أويسا فقال : استغفر لى . قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر . قال : نعم . فاستغفر له ، ففطن له الناس فانطلق على وجهه « رواه مسلم » .

وقد فضل السلف الصالح العزلة فقال الجنيد ـ رضى الله عنه ـ من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة . والعاقل من اختار فيه الوحدة .

وقال الشبلى الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت .

وقال الشبلى الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم
وقيل اذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة .

إناء مشترك

الأستاذ أحمد محمد بريري

انى امرؤ عافىٰ انائى شركة
وأنت امرؤ عافى انائك واحد
اتهزأ منى ان سمنت وأن ترى
بجسمى مس الحق والحق جاهد
افرق جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسوا قراح الماء والماء بارد

عافيك أو عافى انائك انما هو ضيفك . فهذا الواحد على انائه ليس عافيا فى الحقيقة الا أن يكون ضيف نفسه فتسعه الكلمة على ضيقه ، لأنها على خلافه واسعة . فانت تعرف العفو عفو الله ، جل وعز عن خلقه والصفح وترك عقوبة المستحق .. وهو أيضا المال الحلال أو أحله وأطيبه وخيار كل شىء وأجوده والفضل والمعروف . يسألونك ماذا ينفقون قل العفو أى الفضل . واعفى الرجل : أعطى دون مسألة وعفا الله عنك وعافاك : دفع عنك البلاء والمكروه ووهب لك العافية ..

وهكذا أينما وجهت الكلمة وصرفتها ففى خير مصرف والى أيمن الوجوه حتى فى الاحوال السلبية ، فالعفو محو الذنوب وامحاؤها .

واذا عفت الديار بمعنى درست ، فذلك بانها غنيت أو غنى بها فاعطت خير ما فيها وأنفدته هناء بقيت رسومه وآثاره دالة عليه ، تهيج الشعور وتبعث فى نفوس الشعراء جميل الذكريات ولا تؤاخذنى أن وقفتك على ذلك العافى الاناء الواحد المنفرد فى أسوء أحوال الانفراد ياكل فيمتلىء ويطبق لحما على شحم فى غير حياء تطبيقا للقول المأثور : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولقد شاء الرقاعة فى أسمج صورها فيفخر ببدنه وسمنه ويسخر من الرجل الضامر صاحب الاناء المشترك الذى يابى الا أن يقيمها هو اشتراكية عفوية . انه يعبر بالاناء عن ماله يفرقه على الناس فكأنه يوزع جسمه عليهم أفثم عبارة أصدق وأروع من قوله أفرق جسمى فى جسوم كثيرة ؟

وبقدر ما هو سخى مع بنى جنسه تجده شحيحا على نفسه لا يرضيه الا أن ياخذها بهذا الادب الصارم حتى فى شربه الماء يتحساه قليلا قليلا على أنه صاف بارد وهو صاد حرى أن يجرعه فى شراهة كى ينقع غلته .. كلا فان من دأب السرى أن يكون زاهدا قانعا يكفيه من كل شىء أقل القليل : تكفيه فلذة لحم ان ألم بها من الشواء ويروى شربه شربة الغمر .. والغمر هو القدح الصغير أصغر الاقداح .

وأعجب ما فى الامر بل المثالية فى أتم مظاهرها أنه لا يعد نفسه متطوعا أو متبرعا ولكنها واجبات يقضيها او على حد عبارته حقوق يؤديها .

والحق جاهد .. يتبين أثر جهده أو مسه فىٰ جسمه المنهوك المهزول . ان الحق فى لغة العرب ـ على غير ما تعرف من لغة القانون المدنى ـ تكليف أو التزام يؤدى وليس منفعة أو امتيازا يستأوى .

ومن اجل هذا تجده دائما قرين الملتزم المؤدى لا قرين المنتفع المستأوى .

يقول سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « وآتوا حقه يوم حصاده » والخطاب لأصحاب الملك عليهم أن يبادروا باخراج الحقوق لاصحابها غير المالكين . فالمالك مدين مكلف أن يقضى دينه .

ويقول فى كتابة الدين « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا

فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لايستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل » وكذلك الحق يحق عليك لا لك فهو والواجب سيان مترادفان لا متقابلان متضادان كما فى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات التى لا تترادفان فيها كما هى الحال فى لغتنا التليدة .

يقول صاحبنا الذى صورنا بشعره هذه الكلمة :

أليس عجيبـــا أن تلم ملمــة
وليس علينــا فى الحقــوق معول

يستنكر ان يلم بالناس بعض ما ينوبهم من صروف الدنيا ولا يكون عليه وعلى أمثاله الاعتماد فى أداء الواجب او قل ان شئت قضاء الحقوق . نعم فلقد فقه الرجل العدالة الاجتماعية فقها فطريا وحققها تحقيقا مثاليا حين نظر فلم يجد دولة تقيم هـذا العدل الذى أقامه بحد السيف دون مغالاة فى التعبير فسمى بجدارة أبا الصعاليك أو عروة الصعاليك ولست اشك فى أنه واضرابه ـ وان كان قد عـز فى الرجال ضريبا ـ قـد أشربوا روح القرآن اردت أن أقول روح الاسلام ولا ضير قبل أن يوحى الى محمد عليه الصلاة والسلام .

لقد ملأت فكرة الانسانية والتكافل الاجتماعى والايثار راس عروة وعبأت قلبه فكان يسمى الاثرة عقوقا أو بخلا يحملان العاق البخيل على أن يهرب بوفره وثروته من حقوق الناس ولم يكن يرى بأسا فى أن يتعقب العاقين الباخلين فيخلص الانسانية من شرهم وشرهم . واسمع الى أبى الفـرج الأصفهانى صاحب الأغانى فى حديث له عنه رواه بسنده قال :

كان عروة بن الورد اذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا فى دارهم المريض والكبير والضعيف وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشـدة ثم يحفر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكنف ويكسبهم ومن قوى منهم ـ اما مريض يبرأ من مرضـه أو ضعيف تثوب قوته ـ خرج به معاه فاغار وجعـل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبا ، حتى اذا أخصب الناس والبنوا وذهبت السنة الحق كل انسان باهلـه وقسم له نصيبه من غنيمة ان كانوا غنموها فربما أتى الانسان منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمى عـروة الصعاليك فقال فى ذلك بعض السنين وقد ضـاقت حاله :

لعل ارتيادى فى البــلاد وبغيتى
وشـدى حيازيم المطية بالرحـل
سيدفعنى يوما الى رب هجمــة
يدافع عنهــا بالعقوق وبالبخـل

فزعموا ان الله عز وجل قيض له وهو مع قوم من هلاك عشيرته فى شقاء شديد ناقتين دهماوين ، فنحر لهم احداهما وحمل متـاعهم وضعفاءهم على الاخرى وجعل ينتقل بهم من مكان الى مكان وكان بين النقـرة والربذة فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : ماو ان . ثم ان الله عز وجل قيض له رجلا صاحب مائة من الابل قد فر بهما من حقوق قومه ـ وذلك أول ما ألبن الناس ـ فقتله واخذ ابله وامرأته وكانت من أحسن النسـاء فاتى بالابل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها ، حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابل منهم ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه ان فعل ذلك أفسـد ما كان يصنع فافكر طويلا ثم أجابهم الى أن يرد عليهم الابل الا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق باهله فأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه فقال عروة فى ذلك قصيدته التى أولها :

الا ان أصـحاب الكنيف وجدتهم
كما النـاس لما أمرعوا وتمولوا
وانى لمدفـوع الى ولاؤهـم
بمـا وان اذ نمشى واذ نتململ
وانى وايـاهم كذى الأم أرهنت
له ماء عينيهـا تفـدى وتحمـل
فلما ترجت نفعـه وشـبابه
أتت دونه أخرى جديد تكحـل
فباتت بحـد المرفقين كليهمـا
توحوح ممـا نالهـا وتولول
تخير من أمرين ليسـا بغبطـة
هو الثكل الا أنها قد تجمـل

ان السبايا فى حياة عروة لكثيرات فلست تدرى أتلك المرأة التى سباها فى غزوته هى التى يحدثنا عنها الرواة لمناسبة اجلاء بنى النضير اذ تقرأ فى أكثر من مرجع أنه « لما غزا النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير وأجلاهم عن المدينـة خرجوا يريدون خيبر يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير وعلى النسـاء المعصفرات وحلى الذهب مظهرين لذلك تجلدا ومرت فى الظعن يومئذ سلمى من بنى غفار فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولادا وكان شديد الحب لها وكان ولده يعيرون بأمهم ويسمون بنى الاخيـذة ـ أى السبية ـ فقالت : ألا ترى ولدك يعيرون ؟ قال : فماذا ترين ؟ قالت : أرى أن تردنى الى قومى حتى يكونوا هم الذين يزوجونك فأنعم لها فارسلت الى قومها أن ألقوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويثمل فانه لا يسأل حينئذ شيئا الا أعطاه فلقوه وقد نزل فى بنى النضير فسقوه الخمر فلما سكر سالوه سلمى فردها عليهم ثم انكحوه بعد . ويقال : انما جاء بها الى بنى النضـير فسقوه صعلوكا يغير فسقوه الخمر فلما انتشى منعوه ولا شىء معه الا هى فرهنها ولم يزل يشرب حتى غلقت ، فلما قال لها : انطلقى قالت : لا سبيل الى ذلك قد أغلقتنى » . فبهذا صارت عند بنى النضير . فقال فى ذلك :

سـقونى الخمـر تكنفـونى
عـداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعـد فداء سلمى
بمفن ما لديك ولا فقيـر
فلا والله لو ملكت أمـرى
ومن لى بالتـدبر فى الامور
اذا لعصيتهم فى حب سـلمى
على ما كان من حسك الصـدور
فيا للنـاس كيف غلبت أمرى
على شىء ويكرهـه ضـميرى

والرواية انما تستقيم وتصبح بهذا الشعر الذى يشير فيه الى الفدية التى عرفها أهل سلمى حين فادوها .

والظاهر انها كانت شيئا ضخما حتى ليروى أن أخاه وابن عمه قالا له انه لن يرى الفقر بعد .. ولكن أعداء الله .. هؤلاء اليهود ، استطاعوا بوسائلهم الخاصة ، ومنها الخمر والميسر أن يقلبوه على الامر كله .

فيندم لات ساعة مندم .. لقد سكر ، ومن سنن قومه انهم اذا سكروا استهلكوا ما لهم وبقى العرض وافرا لم يكلم ، كما قال ابن عمه عنترة بن شداد فى معلقته المشهورة .

على ان الجدير بالملاحظة حقا أن عروة لم يكره امرأة قط اكراها ، ولقد وصفته سلمى هذه بانه أكرم رجل وأعفه وأطهره وأغضه طرفا عن الحرمات .

يروى عن عبد الملك بن مروان أن قال " ما وددت أن أحدا ممن لم يلدنى ولونى الا عروة بن الورد ثم أنشد شعره الذى تحدثنـا فيه عن اشتراكيته أو أنانه المشترك .

حديث السيف

غزوة بنى قينقاع ..

الأستاذ محمد فرج

مقـدمة :

يحتل شهر شوال مكان الصدارة بالنسبة للشهور العربية لكثرة المعارك التى خاضها المسلمون الاوائل ضد قوى قريش وقوى اليهود ..

ففى هذا الشهر وحده وقعت تسع غزوات هامة فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى سرية عبيدة بن الحارث وغزوة بنى قينقاع وبنى سليم وبنى قريظة وأحد وحمراء الاسد والخندق وحنين والطائف .

ونحن فى هذا المقال نتناول حرب الرسول ضد بنى قينقاع أشد اليهود فى المدينة ، وهى أول التحام يقع بين المسلمين واليهود منذ ظهور الاسلام .

اليهود والدعوة الاسلامية :

عاش اليهود فى المدينة وكان لهم بها نفوذ كبير ، فقد اشتغلوا بالتجارة والبيع والشراء وتوفرت لديهم الاموال الكثيرة .. وبدأ أول اتصال مباشر لهم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد هجرته الى المدينة ..

وقبل الهجرة لم يهتم اليهود بالدعوة الاسلامية لانه لم تكن الصورة عن الدين الجديد قد وضحت لهم على حقيقتها ولم تكن المبادىء التى نادى بها ودعا اليها قد تبلورت أمامهم ..

وعندما انتقل الرسول - عليه الصلاة والسلام - الى المدينة بدأ الصدام بين المسلمين واليهود يدخل مرحلة حاسمة حين تبين لليهود أن الامر فى المدينة سيفلت من أيديهم وأن الرسول والمسلمين ليسوا كبقية رجالات العرب يسهل قيادهم وان تعاليم الاسلام ستفسد العرب عليهم ولا سيما بعد أن حرم القرآن الربا - وهو مورد هام يدر ربحا عظيما عليهم - وكان هذا التحريم ضربة قاصمة لظهورهم .

ولم تكن علاقة المسلمين باليهود فى الايام الاولى من الهجرة سيئة ، وخاصة أنهم وجدوا أن الاسلام يعترف بالانبياء وأنه دين توحيد وأن أحكامه قريبة من أحكامهم وأنه يناهض الاوثان وأنه أشاد بفضل بنى اسرائيل وانه جعل قبلة المسلمين القدس وانه أباح للمسلمين طعام اهل الكتاب .

وعندما انتشر الاسلام ودخل أهل يثرب فيه أفواجا وجه الرسول الدعوة الى اليهود للدخول فيه ولمشاركة المسلمين عقائدهم باعتبار أنهم أهل دين يقول بالوحى ويؤمن بالكتب المنزلة فرفضوا وان كانوا قد أبدوا استعدادا لعقد حلف سياسى يقضى بوقوفهم موقف ود من المسلمين فلا يعاونون أعداءهم ضدهم .

وعندما استمر الاسلام فى الانتشار والتوسع رأى اليهود فيه قضاء على عقيدتهم التى ورثوها وهى عقيدة لا تعترف بقيام نبى من غير بنى اسرائيل ولا بكتبغير التوراة .

ومن هنا بدأت معارضتهم للاسلام فقد أحسوابخطورة انتشاره وأدركوا أن اتساع دعوته خطر على وجودهم وزوال لكيانهم وتهديد لعقائدهم ..

ومن أجل الوقوف ضد الاسلام اتصل اليهود بكل من وجدوا فيه حقدا على الاسلام وبغضا للرسول وأبدوا الرغبة فىالتعاون مع قريش للقضاء على الاسلام وشاركوا فى وضع خطط مناهضة الدعوة ، وفوق ذلك كله طالبوا قريشا بمهاجمة يثرب على أن يتعاون اليهود جميعا معها ..

وبدأ النزاع سافرا واتخذ مظاهر كثيرة كان فى مقدمتها امتناع اليهود عن امداد المسلمين ببعض المال حين احتاجوا اليه ليواجهوا به حياتهم الجديدة بعد الهجرة ، فقد بعث الرسول بأبى بكر الى اليهود ومعه رسالة ليستقرض منهم مالا ورفض اليهود طلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - متسائلين « يا محمد .. فقير ربك يسأل عباده القرض » .

وحاول اليهود اثارة الفتنة بين الاوس والخزرج ، مستغلين ما كان بينهما منذ أيام الجاهلية ، وكادوا ينجحون لولا أن أنقذ الرسول - عليه الصلاة والسلام - الموقف وكشف نواياهم .

وبذل اليهود محاولات ليضعفوا الايمان فى نفوس المسلمين وليزعزعوا ثقتهم بالاسلام باثارة الشكوك فى قلوبهم فقالوا ان ما فى الاسلام تحريف لبعض ما جاء فى التوراة ، وان هناك تناقضا فى القرآن وان أحكام القرآن يلغى بعضها بعضا .

وزج اليهود ببعض منهم الى صفوف المسلمين فأعلنوا اسلامهم وكانوا يستمعون الى أحاديث المسلمين ويظهرون الاسلام ولكنهم كانوا يبطنون الكفر وكان اسلامهم للتجسس عليه ولنقل أخبار الرسول - عليه الصلاة والسلام - اليهم والى حلفائهم المشركين وكان جلوسهم الى المسلمين لاثارة الشكوك فى قلوب المستضعفين منهم ومن هؤلاء سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ، وقد كشف المسلمون أمرهم ونزلت فيهم بعض آيات سورة آل عمران « ١١٨ وما بعدها » .

واغاظ اليهود تحويل قبلة المسلمين من القدس الى مكة وحاولوا أن يبقى المسلمين على قبلتهم الاولى وبعثوا بوفد الى الرسول يقول :

« يا محمد .. ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه ؟ ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك .

وبعد الانتصار العظيم للمسلمين فى بدر فزع اليهود وادركوا ان قوة محمد التى قضت على قوات قريش تشكل خطرا عليهم واسرع احد كبرائهم وهو كعب بن الاشرف الى قريش يواسيها فى نكبتها ويرثى قتلاها فى شعره ويدعو الى تجميع القوى من جديد للثار والانتقام .

واخذ كثير من اليهود فى ايذاء المسلمين وفى اثارة المشركين وحثهم للقضاء على المسلمين .. ثم قرر اليهود مقاطعة المسلمين اقتصاديا ، وامتنعوا عن دفع ما يجب دفعه من ديون أو بيوع أو أمانات الى من بدل دينه من المشركين بحجة أن ما كان لهم من حق انما كان لهم قبل الاسلام وان دخولهم فى الاسلام قد أبطل حقهم وانهم لذلك فى حل من دفعه .

واضطر المسلمون ازاء كل ما أقدم عليه اليهود الى مخاطبتهم فى شان موقفهم منهم ليتعقلوا وليتبصروا فى موقفهم من الاسلام فيمتنعون عن التعاون مع المشركين.. وتوجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى سوق بنى قينقاع وجمع اليهود وتحدث اليهم فقال :

«يا معشر اليهود .. احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله اليكم » .

بنو قينقاع :

كان بنو قينقاع يسكنون المدينة وكانت منازلهم بين احياء المسلمين .. ولهذا وقع الصدام بين المسلمين واليهود - أول ما وقع - مع بنى قينقاع .

وكان بنو قينقاع على ما ذكره الاخباريون أشجع اليهود .. وكانوا أصحاب صاغة وسلاح .. وكانوا حلفاء رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول .

وكلمة قينقاع من الكلمات التى يدل مظهرها على أنها غريبة الاصل اعجمية ليس فى شكلها ما يدل على أنها عربية ..

ولم يذكر المؤرخون متى دخل بنو قينقاع يثرب ومتى سكنوا فيها .. كان أفرادها يسمون بأسماء عربية وسمى بعضهم بأسماء عبرانية معروفة عند اليهود وشائعة ولكن هذا البعض كان قليلا .

ولم يكن عدد بنى قينقاع كبيرا .. ان عددهم لم يتجاوز الالف .. كان أكثرهم صياغا واصحاب تجارة كونوا ثروة كبيرة جعلت لهم مكانة ممتازة فى يثرب واستعانوا بمالهم على مد نفوذهم اذا اشتروا قلوب الرؤساء وتدخلوا بذلك فى شئون الناس وفى مصالح المدينة .

وكانوا عند ظهور الاسلام فى حلف مع الخزرج ضد الاوس ، وكان الاوس والخزرج هما الحزبان السياسيان المتنافسان فى المدينة وحاول اليهود ككتلة أن يكونوا فوق الحزبين فيسيطرون عليهما معا ..

ولما اشتد النزاع بين الحزبين انضم بنو قينقاع الى الخزرج وانضم غيرهم من اليهود الى الاوس .. وكان كل فريق من اليهود يسعى فى حالة النزاع بين الحزبين الى الحصول على شروط سمحة بالنسبة لاخوانه فى الدين المنضمين الى الحزب المغلوب ..

ومن هنا كانت سياسة يهود المدينة عدم الاشتراك فى الخصومات اذا تحولت الى حرب الا اذا أكرهوا على ذلك ، وهكذا اضطرت الخصومات بين الاوس والخزرج اليهود الى الانقسام ، ولكن على حساب الحزبين وحدهما دون أن ينال اليهود الضرر . وادت هذه السياسة الى خلق جو من الاذى والشر فى داخل المدينة .

وكانت سوق بنى قينقاع سوقا شهيرة يقصدها الناس من أماكن بعيدة للتجارة وللشراء ، وكان الناس يجدون فيها كثيرا من مصنوعات بلاد الشام ، كما كانوا يجدون فيها انواع التمور والحبوب .. وكانت هذه السوق تدر على المشتغلين فيها أرباحا عظيمة .

مصرع كعب بن الاشرف :

قلنا ان انتصار المسلمين فى بدر كان بداية للنزاع بين المسلمين واليهود فما ان انتصر المسلمون حتى أخذ اليهود يتغامزون ويتآمرون ويرسلون الاشعار فى التحريض عليهم .

وكان المسلمون حتى انتصارهم فى بدر يخشون أهل المدينة من اليهود ، ولم تبلغ منهم الجراة الى الاعتداء على يهودى يعتدى على مسلم منهم ..

فلما عادوا منتصرين قرر سالم بن عمير أن يقتل احد بنى عمرو بن عوف وهو أبو عفك لانه كان يرسل الاشعار يطعن بها على الرسول والمسلمين ، ويغرى الناس بالمسلمين ويحرضهم على الخروج عليهم .

وذهب سالم الى بيت أبى عفك فوجده نائما بفناء داره فقتله ، ثم قتل عمير بن عوف عصماء بنت مروان لانها كانت تعيب الاسلام وتؤذى النبى وتحرض عليه..

ودفع الحادثان أبا نائلة الى التفكير فى قتل كعب بن الاشرف وهو الذى قال حين علم بمقتل سادات مكة فى بدر : « هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها » .

وذهب كعب ، وهو من كبار اليهود فى المدينة ، الى مكة يحرض على الرسول وينشد الاشعار ويبكى أصحاب القليب ، وعاد الى المدينة وجعل يشبب بنساء المسلمين ..

وبعث أبو نائلة بواحد من المسلمين الى كعب يستدرجه بالطعن على محمد وقال له :

« كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ... عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس ؟

واستطاع أصحاب ابى نائلة أن يخرجا بالرجل فى ليل وبعدوا به عن داره .

قال أبو نائلة لاصحابه وهو يضع يده على شعر كعب ويأخذ بفوديه :

« اضربوا عدو الله »

فضربوه بأسيافهم حتى مات .

وبموت كعب ازدادت مخاوف اليهود ، ولم يبق منهم الا من يخاف على نفسه ، ومع هذا فلم يسكتوا عن محمد ولا عن المسلمين حتى فاضت النفوس ولم يعد هناك مفر من القتال .

السبب المباشر للحرب :

قدمت امرأة مسلمة من الانصار الى سوق بني قينقاع ومعها حلية تريد بيعها وجلست الى صائغ منهم فجاءت جماعة من اليهود واخذت تراودها عن كشف وجهها وهى تأبى ، فجاء يهودى من خلفها وأثبت طرف ثوبها بشوكة الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها ، فصاحت ، وقام رجل من المسلمين فوثب على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع الذين لجأوا الى حصونهم يحتمون بها .

وبلغ الخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال: « ما على هذا أقررناهم »

وطلب من اليهود أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش .. واستخف بنو قينقاع بوعيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأجابوه : « لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة .. انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » ..

لقد كان ردهم فيه شدة وغلظة وتحد .. واتخذ قرارا حازما بغزوهم وتخييرهم بين الاسلام أو ترك المدينة والهجرة منها .. وكان الرسول من قبل متهيبا من حربهم حتى نزل قوله تعالى فى سورة الانفال «٥٨» « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » فقال الرسول : « انما اخاف من بنى قينقاع » ثم قرر حربهم ..

الحرب :

١ - قوات الطرفين .

كافة مسلمى المدينة بقيادة الرسول وكافة بنى قينقاع الساكنين داخل المدينة .

٢ - الهدف :

القضاء على بنى قينقاع فى المدينة ليستقر الامر فيها للمسلمين حتى تصبح المدينة قاعدة للمسلمين يرتكزون عليها فى عملياتهم المستقبلة .

٣ - الخطة :

محاصرة بنى قينقاع فى قلاعهم وبيوتهم حتى يقبلوا التسليم .

٤ - التنفيذ :

خرج المسلمون من ديارهم وتجمعوا حول ديار بنى قينقاع وحمل لواءهم حمزة بن عبد المطلب وخلف الرسول على المدينة أبا لبابة الانصارى ووقعت الحرب فى منتصف شوال .

وكان اليهود حين علموا بمسيرة المسلمين قد تجمعوا فى ديارهم وحصونهم وقبعوا فيها ورفضوا الخروج لملاقاة المسلمين .

وكان بنو قينقاع حلفاء للخزرج ، فلما علم عبادة ابن الصامت - أحد رؤساء الخزرج - ما كان من الاذن فى حربهم تبرأ من حلفهم وقال « أخشى الدوائر » ولكن عبد الله بن أبى تمسك بالحلف .

وظل بنو قينقاع فى داخل حصونهم خمسة عشر يوما متتابعة لا يخرج منهم أحد ولا يدخل أحد عليهم بطعام .. ولم يبق أمامهم سوى النزول على حكم الرسول فأعلنوا استسلامهم .

وقرر الرسول - بعد مشورة كبار المسلمين - قتلهم جميعا ..

وسمع بذلك عبد الله بن أبى بن سلول وكان حليفا لليهود وللمسلمين فأسرع الى الرسول - صلى الله عليه وسلم قائلا :

« يا محمد احسن فى موالى »

فابطأ عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - فكرر الطلب ، فأعرض النبى عنه فغضب وقال :

أربعمائة حاصر وثلثمائة دارع قد منعونى من الاحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة »

وجاء عبادة بن الصامت وحدث الرسول فى أمر بنى قينقاع .

وقبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - رجاء الرجلين وقال لابن أبى : « هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها »

فأراد ابن ابى أن يتحدث مرة أخرى فى بقائهم ومقامهم ، ولكن أحد المسلمين حال دون ابن أبى ولقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - واشتجرا حتى شج عبد الله بن أبى ، فلما علم بنو قينقاع بما حدث لعبد الله قالت : « والله لا نقيم ببلد تشج فيه يا ابن ابى ولا نستطيع عنك دفاعا » .

الجلاء :

نزل يهود بنى قينقاع على أمر الرسول وقضائه .. وغادروا المدينة بعد أن تركوا بها سلاحهم وأدوات الذهب الذى كانوا يصوغون ..

وخرج بهم عبادة حتى بلغوا وادى القرى حيث أقاموا زمنا ثم ساروا بعد ذلك شمالا حتى بلغوا حدود الشام فأقاموا فى اذرعات .

نتائج الحرب :

قوى نفوذ المسلمين بالمدينة بعد جلاء يهود بنى قينقاع وضعفت فى الوقت ذاته شوكة اليهود ، فقد كان أكثر اليهود المنتسبين الى المدينة يقيمون بعيدا عنها بخيبر وبأم القرى ..

وكان طبيعيا أن ينكمش غير المسلمين من أهل المدينة بعد جلاء بنى قينقاع عنها وأن تبدو المدينة هادئة ساكنة .

وكان طبيعيا أن يفكر اليهود فى موقفهم من الاسلام ومن محمد وأغضبهم انتصاره على طائفة منهم فاصروا على الوقوف فى وجهه ومحاربته فكانت معارك كثيرة بينهم وبينه انتهت كلها بانتصار محمد - صلى الله عليه وسلم - على اليهود جميعا .

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد أبى بكر الصديق

فتح الشام

خالد ينسى الروم وساوس الشيطان

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

هاب المسلمون قوات الروم التى تقدمت لقتالهم حين راوا كثرة عددها وقوة عدتها ، ففزعوا بالكتب الى ابى بكر يصفون له الحال ويستمدونه ، وكتب اليهم ابوبكر يامرهم بالتجمع فى عسكر واحد ، ليلقوا جموع الروم قوة متحدة موحدة القيادة تحت امرة ابى عبيدة ابن الجراح ، ومما قال لهم « اجتمعوا عسكرا واحدا والقوا زحف المشركين بزحفكم فانتم اعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ٠٠ ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وانما يؤتى العشرة الآلاف والزيادة عليها بذنوبهم • فاحترسوا من الذنوب ، والله ناصركم »

لكن الموقف جمد طويلا ، مدة لاتقل عن الشهرين ، ايقن المسلمون خلالها ان لابد لهم من مدد يعينهم • وضاق ابو بكر ذرعا بجمود قواته ، فلم يدر قط بخلده ان يقف ابو عبيدة وزملاؤه هذا الموقف ، ولم يحسب ان أصحاب يوم بدر الذين غلبوا على قلتهم اهل مكة من المشركين يطيقون هذا المقام امام الروم دون ان يقدموا على منازلتهم فيقتلون فى سبيل الله ويقتلون • وطال تفكير الخليفة فى هذا الامر ، وجعل يشاور عمر ابن الخطاب وعلى بن ابى طالب وسائر اولى الراى المقيمين حوله فى المدينة • وبينما هو يفكر ويجهد فى تقليب الراى اضاءت امامه الحقيقة واضحة :

ان المسلمين لم ينتصروا يوما بكثرة عددهم ، وانما انتصروا دائما بعاملين : مهارة القيادة ، وقوة الايمان ٠٠ والايمان لاينقص جيوش المسلمين بالشام وفيها السابقون الاولون من اصحاب رسول الله مهاجريهم والانصار ، وفيها مائة من اهل بدر ، وفيها الف ممن صاحبوا رسول الله وسمعوا له وعملوا تحت قيادته ، ومن فتحوا مكة ومن ا نتصروا على الردة واعادوا للعرب الوحدة ، وكل هؤلاء لاينقصهم الايمان ولا تنقصهم التجربة • واذا فلابد ان تكون العلة فى القيادة • فهذا الموقف يحتاج الى القائد الجسور الذى لايعرف الهوادة ولا الاحجام ولا يهاب الموت • وأبو عبيدة على مقدرته رجل رقيق القلب • وعمرو بن العاص على دهائه فى السياسة هياب غير مقدام • وعكرمة بن ابى جهل مداور مقدام الا انه تعوزه دقة التقدير • وسائر القواد الآخرون لم يخوضوا بعدد المعارك الكبرى • ثم ان هؤلاء جميعا لا يقرون لواحد منهم بالتفوق على سائرهم تفوقا يكفل بسلطانه وحدة القيادة والاطمئنان الى قدرة القائد العام •

تكشفت هذه الحقيقة واضحة لابى بكر ، فقال لاصحابه وهو يشاورهم « والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد »

لم يعترض احد راى الخليفة هذا ، فقد بلغ الموقف فى الشام حدا من الحرج ترددوا جميعا فى احتمال تبعته ، وكتب ابو بكر الى خالد يقول : « اذا جاءك كتابى هذا فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه ، وامض متخففا فى اهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز ، حتى تاتى الشام فتلقى ابا عبيدةبن الجراح ومن معه من المسلمين ، فاذا التقيتم فانت امير الجماعة » « فانهم قد شجوا وأشجوا • واياك ان تعود لمثل مافعلت • فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجا من الناس نزعك • فليهنئك ابا سليمان النية والخطوة • فاتمم يتم الله لك • ولا

يدخلنك عجب فتخسر وتخذل • واياك ان تدل بعمل ، فان الله عز وجل له المن وهو ولى الجزاء »

لقد برم خالد بكتاب الخليفة حين وصله وقبل ان يقرأه ، وظنه من عمل خصومه في المدينة ، واتهم عمر بن الخطاب بانه حسده ان يكون فتح العراق على يديه ، ولعله توقع أن ياتي عمر ليكمل الفتح ويدخل عاصمة الاكاسرة بعد ان تمهدت الطريق اليها ، فينال فخار اقتحام العاصمة التي يتطلع اليها العالم من كل نواحيه • واذا كان هذا الظن قد دار بخاطر خالد فلعله لم يكن مخطئا ولا آثما فيه ، فقد روى عن الصديق انه قال وهو في مرضه الاخير : « وددت انى كنت اذ وجهت خالد بن الوليد الى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب الى العراق ، فكنت قد بسطت يدى كلتيهما في سبيل الله »

ولقد توقع ابوبكر أن تدور كل هذه الخواطر بنفس خالد فيكون لها اثر في تصرفاته ، ولذلك نراه يقول له في كتابه محذرا : « اياك ان تعود لمثل مافعلت » يشير بذلك الى حجه دون استئذان • وينبهه الى ان واجبه الاول ان ينفذ امر الخليفة اليه والا يقوم بعمل لايرضاه • واكبرالظن ان ماتوقعه الخليفة من برم خالد بترك العراق وماكان ينتظر فيه من اتمام الفتح ودخول عاصمة كسرى والتربع على عرشه ، هو الذى جعله يفرغ كتابه في هذه الصيغة وفيها مافيها من تمليق خالد وكبريائه ، وكذلك فيها مافيها من تحذيره وتخويفه الخسارة والخذلان ان دخله العجب او دل بعمل « فان الله عز وجل له المن وهو ولى الجزاء »

ولقد أراد ابو بكر فوق ذلك ان يزيل من نفس خالد كل مظنة ، فامره ان يخلف المثنى بن حارثة على العراق • ثم اضاف في آخر كتابه : « فاذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع الى عملك بالعراق » ، على ان خالد حين قرا كتاب الخليفة ورآه قد ولاه على ابىعبيدة وعلى الشام كله اطمان وقال « اما اذ ولانى فان فى الشام خلفا من العراق » • ثم لعله قد راى الخليفة قد جمع له الحسنيين : فاما العراق فهى باقية له لاخوف من ان يجيء عمر او غير عمر اليها ، فالمثنى هو الذى سيخلفه ، فاذا فتح الله عليه الشام عاد الى العراق فاكمل مابدا • وهو لم يكن فى ريب من ان الله سيفتح عليه الشام ، وعلى الرغم مما بلغه من انباء المسلمين هناك ، فقد كان مطمئنا الى انه سيف الله ، ومتى كان سيف الله يغلب امام عدو وان كثر عدده وعظمت عدته •• واذن فلماذاالغضب ولماذا البرم من خير ساقه الله اليه وفخار اراد الله ان يضيفه الى مفاخره من قبل •

فليمتثل اذن امر ابى بكر وليذهب الى الشام للقاء الروم ، وليحرص كما بلغه قول الخليفة « ان ينسى الروم وساوس الشيطان » • ويوم يهزم الروم فذلك يوم الفصل الاكبر ، يومئذ لايقول عمر بن الخطاب ولا غيره مثل الذى قالوا فى اعقاب مقتل مالك بن نويره ، وفى اعقاب غزوة اليمامة • يومئذ لايكون لطامع فى العراق مطمع ، بل يرجع خالد الى عمله مسبوقا باخباره تملا قلوب العدو فزعا على فزعه وتزيد ايمان المسلمين بعبقرية خالد وقدرته ، فيسرع الى المدائن يفتض ايوان كسرى على من فيه ثم يسير بعد ذلك غازيا فى بلاد العجم ماشاء الله ان يسير •

واعد خالد للامر عدته فى كلتا الجبهتين : فاما فى توجهه الى الشام ، فقد قدر ماسيواجهه بارض الروم ، فاحضر الذين كانوامعه بالعراق من اصحاب رسول الله فاستاثر بهم لنفسه ، وترك للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول صحبة ، ثم اختار من كان قدم على الرسول وافدا او غير وافد واعاض المثنى عن هؤلاء من ارضاه بهم من الابطال واهل التجربة •

واما عن جبهة العراق ، فقد خشى ان يصيب المسلمين بعد مغادرته اياهم شر ، فرد الضعفاء والنساء منهم الى المدينة حتى لايشغل المثنى بهم اذا اراد الفرس مناجزته • ولما اطمان الى الوضع من جانبيه تجهز فيمن معه من الجند للسفر الى الشام ، وخرج المثنى فى كتيبة من الجند فشيعه الى تخوم الصحراء •

لقد كان امام خالد ليصل الى الشام عدة طرق ، فايها يسلك لينزل على الروم فجاة فينسيهم وساوس الشيطان ؟! امامه طريق قصير عبر البادية من الشمال بين عين التمر وماحاذاها من بلاد الشام • لكن قبائل العرب النازلة على جنبات هذا الطريق على تخوم الشام موالية كلها للروم ، ثم ان لقيصر جنود مرابطون قد يلقونه فيقطعون عليه طريقه ويعيقونه • و امامه طريق آخر هو ان ينحدر الى بلاد العرب ثم ياخذ الطريق المعروف الذى سلكته جيوش عكرمة وابى عبيدة وسائر الامراء قبله • وهذا طريق بعيد ان سلكه لم يصل جيوش المسلمين الا بعد أمد طويل ثم هناك طريق ثالث هو اشد هذه الطرق صعوبة وسلوكه اشدها مخاطرة ولكنه يطلع بالقائد العبقرى علىخصومه دونأن يحولوا بينهوبينغايته ودون ان تقوم امامه عقبات الا عقبات الطبيعة الكاداء •• والطبيعة عدو شديد المراس ، ولكن متى كانت الطبيعة عائقا امام تفكير العباقرة من الناس ، وتفكير هؤلاء لايوجهه المنطق وانما يهديه الالهام • وهكذا عزم خالد على سلوك هذا الطريق : فانحدر بجيشه الى دومة الجندل ثم من دومة سلك طريق وادى سرحان حتى اذا بلغ قراقر (قراقر = واد بالسماوة من ناحية العراق عند ذى قار) اغار على أهلها من بنى كلب • ولو انه تابع مسيرته فى طريق الوادى لوصل بصرى (عاصمة الغساسنة) فى أيام ولا تصل بجيوش ابى عبيدة وزملائه من القواد • لكنه قدر انه ربما لقى من جيوش الروم قبل بصرى من يصده عن غايته او يطيل مكثه دونها • لذلك قال لاصحابه « كيف لى بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم ، فانى ان استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين » واجابوه « لانعرف الا طريقا لايحمل الجيوش وانما ياخذه الفذ الراكب • فاياك ان تغرر بالمسلمين » • لكن خالدا كان قد عزم على سلوك هذا الطريق • فقال لاصحابه « لايختلفن هديكم ، ولا يضعفن يقينكم • واعلموا ان المعونة تاتى على قدر النية والاجر علىقدر الحسبة • وان المسلم لاينبغى أن يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله » •

وهكذا سلك خالد هذا الطريق ، وتلك مغامرة جريئة لانكاد نعرف لها مثيلا ، وانها لتعد كالاساطير لولا تضافر الروايات عليها ، ولشدة المغامرة يقف منها بعض المؤرخين موقف الحذر ويحجم كثير منهم عن ذكر تفاصيلها • ونحن ليس من غرضنا ان نفصل هذه المغامرة ، وليس كذلك من غرضنا ان نمحص الامر فيها ، فان غايتنا ان نصل بخالد الى الشام سالكا الطريق الذى سلك ، ولا نستبعد على عبقريته ان يخالف الناس وان يسلك بهم طريقا لايسلكه غيره ، فتلك سنة العباقرة فى كل زمان •

خرج خالد وجيشه من المغارة سالمين ، فبلغ مفاتح الشام فاغار على سوى فاذعن له اهلها طوعا أو كرها ، وسلم اهل تدمر بعد مقاومة يسيرة ولم ير ان يهاجم دمشق وانما انحدر الى اذرعات واغار على غسان بمرج راهط ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها ابوعبيدة وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فالتقى بهم وتقدمهم فاقتحموا بصرى وفتحها الله عليهم ، ثم ساروا جميعا الى العربات حيث كان عمرو بن العاص وبذلك اكتمل عددهم أمام جمع الروم .

وتضطرب الروايات في ترتيب حوادث الفتح في الشام ، فالطبرى وابن الاثير وغيرهما يجعل هذا الموقف فى اليرموك فيقدم اليرموك على غيرها من الوقائع والازدى والبلاذرى والواقدى - يقدم أجنادين ويجعل اليرموك آخر الوقائع بالشام . ونحن نرجح القول الاخير فنرى ان خالد بن الوليد التقى بقوات المسلمين مجتمعه في هذه المرة بالروم فى اجنادين سنة ١٣ هـ وان اليرموك كانت فى عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ وبعدها رجعت الفرقة التى صحبت خالد من العراق الى مكانها فشاركت فى موقعة القادسية سنة ١٦ هـ بقيادة سعد بن ابى وقاص . ولكل من الرايين مرجحات ، فالذى يؤيد رأى الطبرى أن واقوصة الواقعة على اليرموك والتى حدثت المعركة عندها قريبة من بادية الشام ، ومن تخوم العرب ومن طريق وادى سرحان وانها كانت لذلك ادنى الارض لجيوش المسلمين حين التقائها بعد ان جاءت من المدينة لغزو الشام . والذى يؤيد راى البلاذرى ماذكره الطبرى نفسه من ان الروم تراجعوا منذ بداية الحرب نحو دمشق مطمئنين الى حصونها والى قوة المدن الحصينة حولها ، وانهم ارادوا بتراجعهم ان يستدرجوا العرب الى المواقع القوية ليوقعوا بهم ويردوهم منهزمين ، كما فعلوا بجيوش خالد بن سعيد من قبل .

هذا الى ان العرب فتحوا الشام مرتين : مرة بعد النصر فى اجنادين فقد اندفعوا فاحتلوا دمشق وغيرها من المدن . ثم جيش الروم جيوشا قوية بعد سنتين (سنة ١٥ هـ) فانسحب العرب ولقوا الروم للمرة الثانية . وقد حدث لهذا مثل فى العراق فقد فتح فى ايام خالد حتى سنة ١٣ هـ ، ثم لما جيش الفرس جيوشا قوية سنة ١٦ هـ انسحب العرب فالتقوا بهم فى القادسية سنة ١٦ هـ ، فلما دحروهم استعادوا العراق وفتحوا المدائن .

التقى خالد بجيوش الروم القوية فى اجنادين فالحق بهم هزيمة هائلة ، لم يستطيعوا ان يفيقوا بعدها الا بعد مرور سنتين ، فلم تقو قواتهم على الصمود للعرب أو مواجهتهم فى معركة مكشوفة كبيرة الا بعد سنتين فى اليرموك ، فلما هزموا فى هذه ركبهم الجبن فلم يواجهوا العرب بعد ذلك قط فى معركة مفتوحة الا بعد مائة عام .

ولقد كانت اجنادين بالنسبة للعرب فى الفتوح الكبرى مثل بدر بالنسبة للمسلمين فى ايام النبى . فقد عدوا هذا النصر تاييدا من عند الله وحكما لهم باعتبارهم حزب الله على من تعرضوا لهم من اهل الكتاب . واعتبروا هذا النصر انجازا لوعود الله لهم من قبل انهم اذا اخلصوا للاسلام واجتمعوا عليه بدلهم الله بعد خوفهم امنا ، ومكن لهم ومنحهم مواريث الامم فهذا النصر قد احدث دويا لافى بلاد الروم وحدها ، ولا فى بلاد العرب وحدها . وانما احدث دويا فى النفوس وفى نفوس العرب بخاصة ، فنسبوا فضل النصر الى الله لا الى انفسهم والى الاسلام لا الى سيوفهم .

واصبحوا بعد هذا النصر يتصرفون بعقلية جديدة . فهذه الوقعة تعتبر مفتاح الفتوح فهى أول وقعة كبرى بين العرب بعد ا تحادهم وبين أقوى الامبراطوريتين المعاصرتين . فبدأوا بعد ذلك ينظمون نشاطهم وينظرون الى المستقبل نظرة جديدة بعين اخرى وثقة أخرى .

اما الروم فقد نسوا حقا وساوس الشيطان وزايلتهم ثقتهم بأنفسهم وركبهم جبن لم يذهب عنهم حتى ذهب العرب بأفضل ماتحت يدهم من بلاد : بالشام ومصر والجزيرة والشمال الافريقى .

حقا لقد صدق تقدير ابى بكر فانسى الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد .

ولسيف الله من بعد مواقف كبرى تبدو فيها قوة عبقريته متكافئة مع قوة نفسه . فالى اللقاء فى عهد الخليفة الثانى الفاروق عمر بن الخطاب .

الأستاذ محمد عبد العزيز حسن

ان الضمير الانسانى ليدمى وهو يرقب هذه المأساة المرة ، وتلك الوحشية التى لم يسبق لها مثيل .

وان الغضب الانسانى ليتفجر بالغيظ المحموم وهو يرى أرضا تنتهك حرماتها ، وتداس مقدساتها ، ويطرد أهلوها ، لينعم بخيراتها شذاذ آفاق .. من كل جنس ، ومن غير جنس .

ولقد عاش الاستعمار ما عاش - منذ كان حتى الآن - وأساليبه المدمرة تتعدد جوانبها ووحشيته القاسية تنال بلا هوادة ، وايذاؤه للآمنين يعجز الوصاف عن بلوغ مداه ، ولكن ارادة الابادة لشعب بأكمله ، وتشريد أمة بأسرها، لم يكن أمرا متصورا ، ولم يكن بالأمر الذى يدرك حتى بالخيال .

ولكنه كان .. كان فى فلسطين .

***

كانت فلسطين محتلة، وكانت البلاد العربية محتلة كذلك ، وكانت الامة العربية بأسرها ترقب يوم الخلاص ، وتتطلع بكل آمالها الى فجر الحرية ، الذى يزول فيه الكابوس الجاثم على صدرها ، ويفارق الدخيل ، وتطلع الشمس بالحرية والرخاء والسعادة ، وكانت الأمة العربية تعمل لذلك وسعها ، وتسعى جهدها ، لا تدخر فى سبيل حريتها نفيسا ولا غاليا ، على عقبات تقيمها الرجعية وأسنادها ، وأصحاب المصالح من صنائع الاستعمار .

***

وكانت الأمة العربية تسعى سعيها الحثيث الى الحرية وتعد ليومها ، وطبيعة الحياة .. الا يبقى الضعيف ضعيفا، اذا أراد القوة وسعى لها سعيها ، والا يبقى الظلم ، اذا صادف من يدفعه ، ووجد من يرفضه .

***

وبدات الأمة العربية جزءا من وراء جزء تنال حريتها قطعة من وراء قطعة ، على قدر ما تبذل ، وبقدر ما تصر ، وكانت المؤامرة تدبر ، والمكيدة تحكم خططها ، ويجمع لها الأمر بليل .

***

وخرج الانجليز من فلسطين بعد أن أمضوا جريمتهم البشعة التى لن ينساها لهم التاريخ ووضعوا بذلك فى صفحتهم أسود ما يوضع ، وكتبوا فى حياتهم أحط ما يكتب .

باعوا شعبا بأسره ، وشردوا أمة بأجمعها ، وقبضوا الثمن .. قبضوه وبالا .. وقبضوه لعنات ..

وبدأت معركة الابادة ، واستبسل الشعب الفلسطينى الأعزل ، وسارعت القوى المؤمنة ـ من جميع أجزاء الوطن العربى ـ يدفعها حرصها على كرامة الانسان ، وحقه فى الحياة وفى الحرية ، وحقه فى ألا يطرد من أرضه ، ويخرج من وطنه ، ومن قبل ذلك يدفعها الدم العربى فى سبيل نصرة الدم العربى .

***

وسارعت هذه القوى لنجدة الشعب الأعزل امام المؤامرة المجرمة ، ولكن هذه القوى كانت تنقصها العدة ، كما كان ينقصها الاعداد .

كان سلاحها فاسدا ، وكان ظهرها غير آمن ، وكانت أكثر قياداتها ، يحرك خيوطها ويدبر خططها استعمار ، سافر أو مقنع ، وضاعت فلسطين .. ولكن الى حين ..

***

قاتل من قاتل فى فلسطين ، من أبنائها ومن ابناء البلاد العربية اشقائهم ، واستشهد من استشهد على اثرها من ابنائها ومن أبناء البلاد العربية على سواء ، وانجلت المعركة عن اسم كريه جديد ، يتربع مكان اسمها القديم الشريف .. يعرفها به العالم المتحضر ـ فى غير البلاد العربية ـ ويطلقونه عليها من غير خجل ومن غير ندم .

أما من بقى من أهل فلسطين ، فعلى مرار ، وبقلوب يدميها فراق الوطن ، أقاموا الى حين فى ربوع الوطن العربى يرتقبون العودة .

***

وآزر الاستعمار وليده اللقيط ، ولم يدع وسيلة من وسائل التدليل الا احاطه بها ، ولم يحجب عنه رغبة ، ولم يرد له سؤالا .

وتدفقت الأموال والأسلحة للوليد اللقيط من كل مكان ، وبدأت اطماعه تتسع ، وبدأ الوليد يعبث ، وبدأت الحدود العربية تهتز أمام الوليد ومن ورائه صانعوه ، وجاعلوه فى أرضنا معبرا لهم وجسرا .

***

وقامت فى مصر ثورة خاض قائدها فى فلسطين المعركة ، ولا تزال على جبينه قلادة شرف من هذه المعركة ، تذكرة ـ وهو غير ناس ـ أن دمه الذى غسل أرض فلسطين مع دم زملاء له هنالك يدعوه الى الثأر .. الثأر بالحق وبالعدل ، لا بالظلم ولا بالباطل .

***

وعاشت فلسطين فى عقل البطل كما عاشت فى عقل كل فلسطينى ، ولم يكن يحلم بالعودة كما يحلم النائمون ، ولم يكن يأمل أن تعود لاصحابها على رجاء أو تمن ، وانما كان يفعل ليل نهار فى صمت وفى اصرار ليصبح العود حقيقة ، ولتكن الرجعة عملا .

***

وكانت أمام البطل معارك عديدة ، لم تشغله واحدة منها عن غيرها ، وكان يعمل دائبا ، ومعه ايمان لا يفتر ، يدخل به من نصر الى نصر ، ويدك فيه معاقل لعدو من وراء عدو ، حتى جاء دور فلسطين .

***

لم يعد حديث العودة لحنا حزينا ، يقف على حدود الذكريات ، وانما صار رعدا يصم آذان الغاصبين .

وتجمع العرب مرة ثانية ليبدأوا العمل ، حين ناداهم قائد ثورتنا ، وهم فى هذه المرة أحرار ثوار ، وأجمعوا أمرهم ، وحددوا الطريق ، وأصبحت أرى على الطريق مصرع البغى وانتصار الحق .

أصبحت أرى على القرب أهل فلسطين فى أرضهم أعزة أقوياء يقولون لمن وقف بالأمس منهم موقف الخذلان : عدنا لأرضنا وانا لها لحافظون .

حياة
المقر الشهابي
"ابن فضل الله العمري"
- ١٠ -

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

(١٠)

تتمة الوصف الرائع الشافي ، والبيان التاريخي الوافي عن « مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الاقصى »

وصف صحن الصخرة ومساحته :

واما الصحن المحيط بها ، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعا ، ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع .

وذرع مابين الرواق الذى قبل الباب القبلي من ابواب الصخرة الى راس السلالم الموصلة للجامع ، ثلاثة وخمسون ذراعا ومن رأس السلالم الى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعا ونصف وربع .

وباعلى هذه السلالم اربع قناطر محمولة على ثلاثة اعمدة وركنين من البناء : منها عمودان صوان احمر ، والوسطانى رخام ابيض فيه نقر مربع .

ذكروا فى التواريخ ان الدعاء عنده مستجاب .

وشرقى هذه القناطر على مسافة اربعين ذراعا قناطر مثلها . اعمدتها اثنان اخضر مرسينلى . وفيما بين هاتين القنطرتين فى سفل الحرم صفة كبيرة تسمى صفة السبع درج ، يقال انها مأوى الصالحين والسياح فى الليل ، وعلها يتركعون .

وبجانب القنطرة المذكورة أولا ، مدهون صورة محراب بخديه عمودا رخام لطاف .

قبة الميزان :

وفى ركنها الغربى قبتان من رخام واحدة تعلو الاخرى : كل منهما قطعة واحدة ، تسمى « قبة الميزان » ، محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام « الشحم واللحم » بقواعد « شمعية » .

قبة النجو :

والقبة التى عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكمالها : ثمانية اذرع وثلثان . وارتفاع العمد السفل ذراعان وسدس ، وارتفاع العمد الفوقانى ذراع ونصف وربع . وتعرف ايضا « بقبة النجو » .

المدرسة المعظمية :

وبالقرنة القبلية من جهة غربى الصحن موضع يعرف « بالمدرسة المعظمية » ، طولها من ظاهرها اربعة وثلاثون ذراعا ، وعرضها من القبلة للشمال سبعة اذرع ، لها بابان يفتحان للشمال ، نجدهما ثلاثة اعمدة من الرخام كل عمود به اربعة فى جسد واحد ، ملفوفة « مشعبة » وتلو ذلك عمودان لطاف ، وارتفاع بنائها تسعة اذرع من ارض صحن الصخرة .

ويدخل من البابين المذكورين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع فى عرض ستة ، بسقف شامى مذهب ثلاثة عشر مربعا ، بصدره القبلى ثلاث طاقات مطلة على الحرم وابواب الجامع .

وبالجهة الغربية منه قبة « معقودة » . بكل جهة من جهاتها القبلية والشمالية والغربية ثلاث طاقات . ولجهتها الغربية باب للدخول اليها من الرواق المذكور، وطاقة تطل على الرواق المذكور .

قبة الملك المعظم :

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة الطف من هذه . سكن الامام ، وقيم المكان ، وحاصل الزيت .

الامام والطلبة احناف بهذه المدرسة :

ورتب الملك المعظم لها اماما مفردا يصلى الصلوات الخمس . ورتب بها خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم . وشرط ان يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته الى خارج الحرم

القرية الموقوفة عليها :

ووقف على ذلك قرية تسمى : « بيت لقيا » من عمل القدس الشريف . وعلى سقفها مكتوب انه اهتم بعمارة ذلك فى سنة ثمان وستمائة .

وامام الشبابيك الشمالية التى بالقبة الغربية من هذا الرواق، على تقدير خمسة اذرع ، ممشاة معقودة عدتها سبع عشرة درجة ، عرض كل درجة ذراع ، يتوصل منهن الى سفل الحرم .

مزولة المدرسة :

وامام القبة الشرقية من هذا الرواق صفة عليها رخامة منقوشة مزولة لاخراج ساعات النهار ، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان ، وعرضها ذراع وثلث ، وارتفاعها ذراع ونصف .

قبة للمتصدرين بالحرم المقدس :

ويقابل هذه المدرسة فى القرنة الشرقية من هذا الصحن فيه لطيفة مكسوة من ظاهرها بالبياض . خلوة لبعض بالحرم الشريف ، يفتح بابها للشمال ، وتتمة جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مطلة على الحرم .

وفى حائطى هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو احداهما قبة من الغرب والاخرى فى الشمال سقف على عمودين من رخام ، يصلى عليها المبلغون فى الصلوات الخمس .

وذرع مابين عتبة الباب الشرقى الى حد الدرج ، نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق ، ستة وسبعون ذراعا

خلوتان للفقراء :

وباعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على اربعة اعمدة وساريتين ، بخدهن القبلى والشمالى خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم . وارتفاع عقد هذه القناطر عشرة اذرع ، اسوة ارتفاع القناطر التى على سائر السلالم .

درج البراق :

وبقى ثلاث قناطر منهن مفتوحة ، يخرج منهن الى هذه الدرج المسماة « بدرج البراق » . وعدتهن ست وثلاثون درجة . وذرع مابين اول درجة من هذا الدرج الى حد السور الشرقى مائة وستة وخمسون ذراعا وثلث . وذرع مابين البا بالشرقى البرانى وقبة السلسلة خمسة اذرع ونصف وربع .

اعمدة القبة :

وهذه القبة محمولة على اثنى عشر عمودا اخضر مرسينى و « شحم ولحم » . طول كل عمود ، خارجا عن قواعده ، ثلاثة اذرع وثلث وربع وثمن ، وارتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية اذرع .

جميع مابين الاعمدة محروق . وما بين العمود والعمود متكاية من الحجر الصوان المنحوت المجلى ، تقدير شبر لاغير . طول كل قطعة من هؤلاء اربعة اذرع ونصف ذراع . وعرض مابين عمودى المحراب خمسة اذرع مسدود بالرخام الملون . بخدى المحراب عمودان رخام ابيض . وباعلى هذه الاعمدة قناطر ملبسة بالفص الذهب والاخضر المختلف الالوان . ارتفاع القناطر ذراعان وربع ذراع . وسعتها من المحراب لاخرها ثمانية عشر ذراعا . وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة اعمدة اخضر مرسينى ، و « شحم ولحم » . مابين العمود والعمود اربعة اذرع ، سعتها ثمانية اذرع ونصف ذراع . باعلى الاعمدة قناطر ملبسة بالفص ، طول اربعة اذرع ونصف . والقبة الخشب من اعلى ذلك .

السلسلة المعلقة بين السماء والارض :

روى ابو بكر محمد بن احمد بن محمد المقدسى الخطيب ، بسنده الى ابى مالك بن ثعلبة ، قال : سمعت ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث عن ابيه عن جده « يرفعه » : ان سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء الى الارض ليتبين المحق من المبطل ، فالمحق ينالها والمبطل لاينالها ، وان يهوديا استودع مائة دينار فجحدها ، فجاؤوا الى السلسلة ـ وقد سبك اليهودى الذهب فى عصا ـ وناولها صاحب المال وحلف : لقد اعطيته دنانيره ـ وحلف الآخر انه لم يأخذ . فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم » .

ويقال ان السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالى اعلم .

وذرع مابين الباب الشمالى من ابواب الصخرة « المسمى بباب الجنة » الى منتهى الصحن المحيط بها الى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وساريتين مائة وثمانية اذرع .

المشاة الموصلة للحرم :

وينزل من هذه القناطر فى ثمان درج الى الحرم الشريف . وامام الدرج ممشاة مستطيلة مفروشة بالبلاط ، ، عرضها خمسة اذرع وربع وينتهى متشاملا الى باب الحرم المعروف بباب شرف الانبياء وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا . وسياتى « ان شاء الله » ذكر هذا الباب عند ذكر ابواب الحرم .

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه فى منتهى شمالى الصحن مسطبتان . طول كل منهما ثمانية اذرع ونصف ذراع ، من الشرق الى الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع . يصلى الناس عليهما .

قبة المعرا ج:

ومن هذا الباب الشمالى على مسافة اثنين واربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلث ذراع ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة اذرع . بنى عليها قبة مثمنة ، تسمى « قبة المعراج » بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلث ذراع وطوله ذراعان وثلث ، بظاهر القبة المذكورة حاملا لاركانه من الاعمدة الرخام الابيض ثلاثون عمودا . طول كل عمود ، خارجا عن القواعد ، ذراعان وثلثا ذراع .

والتثمينة التى بين الاعمدة ملبسة الواح رخام ملكى مشجرة بازرق . يصعد الى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل الى داخلها بمثلهن .

ارضها مفروشة بالرخام الابيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . باطنها من الاعمدة ايضا ثمانية عشر عمودا . وباعلى الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس « المكندج » ثلاثة ، وزجاج اربعة . وباعلى الطاقات كرسى القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة اذرع ، ومن القبلة للشمال ستة اذرع وربع ذراع . سعة محرابها ذراع وثلثا ذراع ، وهو باول المسطبة لجهة القبلة .. والباب والسلالم باخرها لجهة الشمال . وتتمة المسطبة يصلى عليها الناس .

ومن قطب القبة لارضها ارتفاع ستة عشر ذراعا . وبظاهرها فى اعلاها قبة لطيفة مكان الهلال ، محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية ، طول كل واحد منها تقدير ذراع .

وذرع مابين الباب الغربى الى راس القنـاطر التى امامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعا وثلثا ذراع . وهى اربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالازرق وساريتين . وينزل من هـذه القناطر باربع وعشرين درجة الى الحرم . ومن حد هذه الدرج الى السور الغربى (وهو الذى فيه الباب الجديد المعروف الآن ـ بباب القيسارية « اى فى عصر بن فضل الله العمرى » وفيه با الميضاة وسـائر الابواب الغربية الآتى ذكرها ان شاء الله عند ذكر ابواب الحرم) خمسة وثمانون ذراعا وثلث ذراع .

الآبار والصهاريج بصحن الحرم :

وبظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على فوهة كل منهن حرزة رخام او حجر منحوت سبعة . لهن تسعة ابواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذى بالصحن ، وباب بسـفل الحرم امام الجامع ، وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف احدهما بالشوك ، ويعرف الآخر ببئر الورد ، له بابان جميعهما من صحن الصـخرة الشريفة . وبالجهـة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربيـة ثلاث آبار : احداها يعرف بالكاس لان على فوهته كاس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر بغرد فم .

واذا ذكرنا مافى هذا الصحن من الصـهاريج ، فلنذكر مافى سفل الحرم من الصهاريج ، فنقول : الصهاريج فى سفل الحرم المقدس :

فى سفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجا . بالجهة القبلية ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد ، وبباب الجامع واحد وداخل باب الجامع الشرقى واحد ، ويسمى ببئر الورقة ، وله بابان احدهما هذا الذى داخل باب الجامع ، والآخر يعمل فيه نجارة الحرم ، والبئر الاسود ، وله ثلاثة ابواب : احدها ينزل اليه بدرج ، وبئر يعرف بالبحيرة ، له بابان ، وبئر فى الحاكورة التى عند الباب الشرقى ، وله بابان : واحـد فى الحاكورة ، وباب خارج عنها .

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار منها بالقـرب من باب الرحمة واحد له بابان

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر بركة بنى اسرائيل وبئر بباب شرف الانبياء ، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الاسعردى

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر بركة بنى اسرائيل والآخر عند باب الرباط المنصورى ، وله بابان : باب فى الحاكورة ، وباب خارج عنها ، يعرف بابن عروة ، وبئر عند الباب الحديد مغطى بحصر الاروقة .

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك ايضا غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان ، والثانى عند محراب عمر ، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم .

وقد استوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما اشتمل عليه .

فلنذكر مابباطن الحرم من المساجد والمزارات والابنية وغير ذلك .

ونبتدىء اولا بذكر السور المحيط بذلك جميعه فى المقال التالى .

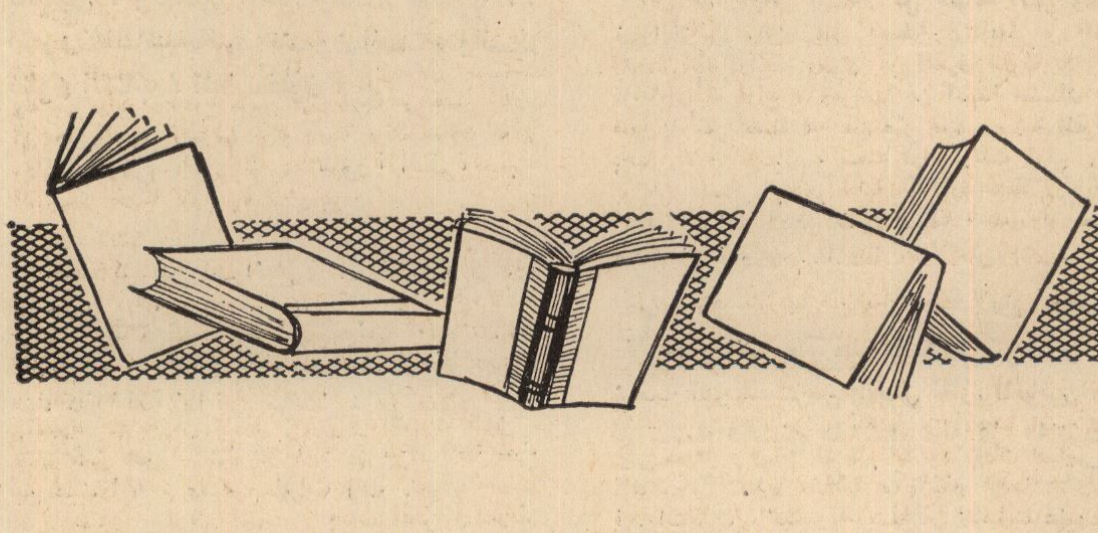

القرآن الكريم وصحائف اليهود

الأستاذ حسن الشيخة

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ، واياى فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم، ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، واياى فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون .. أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ؟ أفلا تعقلون ؟ »

سورة البقرة

جاء ذكر بنى اسرائيل فى القرآن الكريم بما يطول احصاؤه بالدقة والعد ، وكله تسجيل لتاريخهم ، وكتابة لصحائفهم فى لوح الزمن ، منذ كانوا أمة لها نبى مرسل ، هو عيسى عليه السلام ، الى أوقات نزول القرآن على محمد ابن عبد الله ، عليه صلوات الله .

كتب القرآن الكريم صحائف اليهود بالمداد الأسود ، وكل صحيفة كتبها عنهم هى فى مناسبة من المناسبات التى انحرفوا فيها عن الطريق السوى ، وكل تاريخهم وسلوكهم وجبلاتهم انحراف صارخ ، ومن أصدق من القرآن الكريم اذا قال .

هذه الآية التى توجنا بها هذه الكلمة ربما كانت من أخف الآيات التى نزلت فى حقهم ، فيها تقريع بالغ جاء على صيغة النهى عما غرقوا فيه الى الأذقان ، يوم نزول القرآن ، مما يدلنا بأصدق بيان على أن فيهم غلظة منذ تكوينهم كأمة ، وفيهم افساد وعناد ليس لسواهم من العاملين ، وكان هذا الحمق المتأصل فيهم من أسباب تشريدهم وبعثرتهم التى اختصوا بها من بين الخلائق أجمعين ، على حين انهم مع هذه النكبات يزعمون أنهم شعب الله المختار ، **ويقول المثل العربى « اذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، أو قل ما تشاء »** يقولون هذا ويدعونه على حين انهم سبة الأمم فى التفرق والتشريد ، لولا أن منت عليهم السياسة المغرضة باغتصاب وطن لهم هو فلسطين ، وسينتزع منهم اليوم أو غدا ، **وان غدا لناظره قريب** .

هذه الرذائل فى الآية الكريمة أجعلها فى قوالب واضحة :

١ ـ تناسيهم عمدا نعم الله عليهم .

٢ ـ نقضهم ما عاهدوا الله عليه .

٣ ـ عدم رهبتهم الله تعالى .

٤ ـ جحودهم وكفرهم بما جاءهم من الهدى والبينات مما لم يكونوا يجهلونه من قبل .

٥ ـ ان الزعماء من احبارهم على علمهم واطلاعهم ، ودوام تلاوتهم كتابهم ، هم اول من كفر بما جاءهم ، مصدقا لما بين أيديهم بغيا وعنادا .

٦ ـ يعمدون الى آيات كتابهم فيؤولونها ويصرفون نصوصها الى ما يطابق عقول الناس وشهواتهم ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء الرشوة ، وازدلافا الى أرباب المكانة والجاه من اقوامهم ، ولهذا كانوا تارة يكتمون الحق على علمهم به، وأخرى يشوبون الحق بالباطل ، فى مجادلاتهم، حتى لا يتهموا بنصرتهم للباطل ، واستمساكهم به ، فيلتبس بذلك امرهم، وتنبهم على السذج من اقوامهم ـ نياتهم .

٧ ـ يامرون بالبر وينسون انفسهم ، وينهون عن المنكر وهم لا ينتهون ، على أنهم ما كانوا بالجاهلين لحدود الله ، ولا بالبعيدين عن كتابه وآياته ، ولا بالمجردين من العقل الذى هو مشكاة الهداية ، ومناط التكليف .

هذه بعض جبلات اليهود التى جاءت فى آية واحدة من القرآن الكريم ، فما بالنا لو أحصينا ما فى هذا القرآن فى حقهم من آيات؟؟ انه يؤخذ من مجموعها انها امة تكونت على الشر ، وخلقت على الضر ، من يوم أن صار لهم عديد ، ولهم فى الحياة قديد .

أما النعمة التى انعمها الله عليهم ، وجاءت فى صدر الآية الكريمة، فهى ماتؤخذ من قوله تعالى فى آية أخرى من سورة المائدة .

« واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ..» وكان ذلك التذكير من موسى عليه السلام قبل ان يتيهوا فى الارض ، وقبل أن تكتب عليهم مذلة التشرد والتفرق ، وقبل أن يصيروا كمرض السرطان ، يمتد فى كل بلد منهم شعبة ، وفى كل قطر منهم سلالة .

* * *

غير ما قدمته من الآية الكريمة ، وما كونته على هوامشها من القول، اقول انهم لم يخلصوا فى شىء وضعوا فيه ايديهم ، او دسوا فيه انوفهم ، واضرب لذلك بعض الامثلة

١ ـ ان النفاق خلق لهم ، او بالحرى خلق منهم ، فلقد كان بنو قريظة ، وبنو النضير من يهود المدينة يظهرون التصديق برسول الله صلوات الله عليه، ولكنهم مستبطنون الكفر به، وكان أكثرهم يقول محمد مبعوث اذ أنه مبعوث الى غيرنا ، زاعمين انه ما بعث الا للاميين من العرب ، يقولون ذلك وهم يعلمون علم اليقين انه مبعوث الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، مما نزل به القرآن الذى جاء بعد التوراة بازمان وأزمان ، وما وصف به صلوات الله عليه فى كتابهم التوراة، كما أجمع عليه المفسرون فيما أعلم من أن محمدا انما ذكر فى الكتب السماوية بأوصافه لا غير .

٢ ـ **الاسرائيليات** التى ابتدعها واضعوها فى تفسير القرآن ، من المتأويلات ، وغريب الروايات ، فهى مضللة للعقول ، مبعدة لها عما قصده كتاب الله الحكيم ، وهى معروفة فى كتب التفاسير بأنها كالبقعة السوداء فى الثوب الأبيض ، ولا اكثر بذكر الكثير منها اعتمادا على انها لا تخفى ، مثل ما سرده بعض المفسرين من اللفظ فى أمر الملائكة، كالبحث فى أجناسهم، وكيف خلقوا ، وكيف جاءهم العلم بما سيفعله البشر فى الأرض ، وهل أجرم الملائكة اذ سألوا ربهم وجادلوه ، وهل تقع منهم الخطيئة ، ومن اى صنف كان ابليس ؟ وصورة ما دار بينه وبين الله من الجدل والمناقشة ، واستهجان ابليس لعنة الله اياه ، مع انه الذى أقدره على ما عمله ، وكتب عليه الشقاء والعصيان لأوامره ، وأيضا مثل تفسير قوله تعالى : « **تنزل الملائكة والروح فيها** » فى سورة القدر ـ ان الروح هو ملك لو التقم السموات السبع والأرضين كانت له لقمة واحدة ، أو

« البقية ص ١٢٨ »

الإسلام يدعو الفرد إلى المثل الأعلى

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

يراد بالمثل الاعلى : اسمى درجة من الكمال يمكن ان يصل اليها الانسان فى اعتقاد أو قـــول أو فعل .. والاسلام لانه دين المستوى الفاضل للانسانية يوجـــه النفوس الى الكمالات المختلفة ، ويعلى من شأن هـــذا الانسان الذى كتب الله له أن يكون مكرما عزيزا فى هذه الحياة قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

والمتتبع لتعاليم الاسلام يجدها كلها تعمل على تكوين الرجل الفاضل ، والمسلم المثالى ، الذى تسعد به أمته ، ويكون خير قدوة يقتدى بها غيره ، وقد فهم أسلافنا السابقون هذه التعاليم وتمسكوا بها وعملوا بمقتضاها فاستقامت لهم الدنيا ، وعاشوا أعزة فى دنيا النـــاس ، يضربون أنبل الامثال للخلق الفاضل الكريم .

كان الرجل قبل أن تسعد الانسانية بهـــذا الدين الحنيف يعانى انحرافا فى عقيـــدته ، فهو يتجه الى صنم من حجر لا ينفع ولا يغنى عنه شيئا ويقدم له فروض الطاعة والولاء ، ويعفر جبهته بالسجود تحت قدميه .. ولمـــا جاء هذا الدين نعى على هؤلاء ســوء تصرفهم هذا ووجههم الى عبادة الواحد الاحد الذى بيـــده الملك يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير (ذلـكم الله ربـكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل) (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ، وعقيدة التوحيد تسمو بالانسان الى أرفع مستوى ، وترفع من شأنه وتعلى من قدره .. وتجعله يتصف بمجموعة من الصفات الحميدة والسجايا الطيبة ، ومن هذه الصفات : صفة الثبات على الحق وقـــد اتصف المسلمون الاول بثبات أعيا القوى ، وفكك العرى ، وترك الاعداء يتخبطون ، وهذا هو صاحب الدعوة محمـــد صلى الله عليه وسلم يؤذيه المشركون بأقسى أنواع الايذاء ، فما أجدى عليهم ، ولا هز شيئا من ايمانه وعقيدته ، ولهذا وجهوا أفكارهم الى ترغيبه بشتى مغريات الحياة ظنا منهم أن الدعاة يطلبون بدعوتهم جاه الملك أو كنـوز المال أو سؤدد الجاه ولا شىء غير هذا ، الا أن يكون بهم مس من الجن فيعالجوا من مسهم ، وقد أرادوا أن يجربوا ذلك مع صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام ، وما علموا أن عزة الفضيلة وجاه الحق وسؤدد الدين وكنوز الخير هى وحدها مرامى الدعوة المحمدية ، أما مالهم وجاههم فهى أعراض زائلة لا تغنى فى عـــالم المثل والاخلاق شيئا ماذا فعل المشركون معه ؟ اجتمعوا بعد أن سئمـوا من كثرة ايذائه ، وقال سيدهم المطاع فيهم وهو عتبة بن ربيعة: يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضـــها فنعطيه اياها ويـــكف عنا ؟ قالوا يا أبا الوليد قم اليه فكلمه ، فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد وقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت ، من خيارنا حسبا ونسبا ، انك قد أتيت قومك بأمـــر عظيـــم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها ، فقال عليه الصلاة والسلام. قل يا أبا الوليد ، اسمع فقال: يا ابن أخى : ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد

شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع امرا دونك . وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه من اموالنا حتى نبرئك منه ، فقال عليه السلام : لقد فرغت يا أبا الوليد ؟ فقال نعم ، قال فاسمع منى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون) ومازال عليه السلام مسترسلا فى كلام رب العزة حتى قام عتبة ووضع كفه على فمه يمنعه من الكلام .. هذا الحادث الرائع يضع الانسانية امام صورة مشرقة ومثل أعلى للثبات على الحق .. فهو يدل على أن أصحاب العقائد والدعوات يعيشون من أجل عقيدتهم وحدها ، أما نعيم الدنيا وزينتها فلا تساوى بجانب العقيدة هباء . ولهذا عزت دعوة الاسلام وقويت ، واخذت تشرق فى طول الارض وعرضها ، تفتح القلوب المغلقة ، وتدفع بالباطل الى وادى سحيق من النسيان (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

ممن تربى فى هذه المدرسة النبوية ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان اول ما ظهر من ثباته وصدق عزيمته ما كان منه فى بعث أسامة بن زيد ، قبيل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هيأ بعثا ليرسله الى مشارف الشام حيث قتل زيد بن حارثة واصحابه فى مؤتة ، وكان فى هذا البعث ابو بكر وعمر وكثير من كبار الصحابة ، وما كاد البعث يبرح المدينة حتى مرض الرسول فتوقف خارجها حتى كانت الوفاة ، وبويع ابوبكر بالخلافة ، وحينئذ بلغه أن الاعراب ارتد كثير منهم عن الاسلام ، فكلمه الصحابة ليؤخر بعث أسامة ليكون عدة على المخالفين ، فأبى وصمم على تنفيذ البعث مهما تكن النتيجة ، ولو كان قد تردد فى الامر او أخر البعث لكان قد شرع للناس لاول مرة مخالفة ما امر به الرسول امرا حتما ، ثم تكلم معه فى أن يغير أسامة برجل أسن منه يقود الجيش فغضب غضبا شديدا وقال : أيوليه رسول الله ويعزله ابو بكر ؟ واشتد فى الكلام مع عمر الذى كان يكلمه فى ذلك عن بعض الانصار ، حتى قام واخذ بلحيته وقال : عدمتك أمك وثكلتك يا ابن الخطاب لقد أستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامرنى فى ان أنزعه ؟ ولما كان عمر من ضمن ذلك البعث وكان من الضرورى وجوده بالمدينة ليعين أبا بكر ، لم يشأ الخليفة ان يستبد على رئيس السرية ويبقيه بدون اذن منه ، بل قال لاسامة : ان رأيت أن تعيننى بعمر فافعل ، فاذن له ، وهذا مقام كبير فى احترام ذى السلطان فى سلطانه ولما ودع ابو بكر هذا البعث كان يمشى واسامة راكب راحلته ، ويابى أسامة أن يركب وخليفة المسلمين يمشى فيحاول النزول ليركب أبو بكر ، الا أن الخليفة قال له :

والله لا تنزل ، ووالله لا اركب ، وماعلى أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .. وقد اوصى ابو بكر هذا البعث بوصية جامعة تعتبر دستورا لكل من يتولى قيادة جيش من الجيوش ، هذه الوصية هى :

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امراة ولا تغدروا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم ياتونكم بانية فيها اكوام الطعام ، فاذا اكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون اقواما قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا يدفعها باسم الله ..

سار أسامة وشن الغارة على بلاد قضاعة واخافهم وغنم منهم ، واستمر فى بعثه اربعين يوما ، ثم عاد ، بعد ان أسمع الناس بقوة هذه الدعوة وشجاعة أبنائها وصدق عزيمتهم وثباتهم على الحق .

ونمضى مع التاريخ ليوقفنا أمام صورة مشرقة من شجاعة المرأة المسلمة ، وثباتها على الحق ، وصدق عزيمتها . نعم ان هذا هو ما حدث أيام أن حاصر الحجاج ابن يوسف الثقفى مكة وكان واليها عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، ولما طال الحصار تفرق كثير من اتباع عبد الله وخرجوا يطلبون الامان من الحجاج وكان ممن فارقه ابناه حمزه وحبيب ، ولما راى ابن الزبير أنه لم يبق معه الا قليل لا يغنون عنه شيئا دخل على أمه اسماء بنت ابى بكر فقال : يا أماه ، خذلنى الناس حتى ولدى ولم يبق معى الا اليسير ، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما اردت من الدنيا فما رايك ؟ فقالت : أنت أعلم بنفسك ، ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك من يلعب بها من غلمان بنى امية ، وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت ، اهلكت نفسك ومن قتل معك ، فقال يا أماه ، اخاف ان قتلنى أهل الشام ان يمثلوا بى ويصلبونى ، قالت : يابنى ان الشاة لاتتالم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله ، فقبل رأسها وقال : هذا رأيى والذى خرجت به دائبا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله ، وأن تستحل حرماته ، ولكنى أحببت ان أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة ، فانظرى يا أماه فانى مقتول يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر الى الله ، فان ابنك لم يتعهد ايثار منكر ولاعمل بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شيء آثر عندى من رضا ربى ، اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسى ولكننى اقوله تعزية لامى حتى تسلو عنى ، فقالت أمه : لارجو ان يكون عزائى فيك جميلا ان تقدمتنى احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك ، اخرج حتى انظر الى ما يصير اليه أمرك ، فقال : جزاك الله خيرا ، فلا تتركى الدعاء لى ، ثم خرج فقاتل حتى قتل ، بعد أن ترك أروع الامثال للشجاعة والاقدام ، وضربت امه انبل المثل فى الثبات والتضحية وسمو النفس وفداء العقيدة باعز ما يملكه الانسان .

هذا هو المثل الاعلى فى الاعتقاد ، وهناك كمال فى الاقوال ، كما أن فيه كمالا فى الافعال ، أما كمال الاقوال فهو أن ينزه الانسان لسانه عن الاشراك بالله وعن قول الزور والكذب والغيبة والنميمة ، فهو اما أن ينطق بخير أو فليصمت (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما .

ومن أجمل ما قيل فى حفظ اللسان

اذا شئت ان تحيا سليمان من الاذى
وذنبك مغفورا وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس السن

وعينك ان ابدت اليك مساوئا
فصنها وقل ياعين للناس اعين

وهناك كثير من المراتب تتطلب من الانسان أن يجهر بكلمة الحق ، ولا يبالى أغضب الناس أم حمدوا ، ومن الشجاعة ألا يكتم الانسان رأيه وما يعتقد أنه صواب ، بل ان الدين يحث على أن ينطق الانسان بالحق ولايكتم شهادة شهدها مهما لاقى فى سبيل ادائها من صعاب (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) .

والذى يجهر بكلمة الحق رجل فاضل ، وصاحب مثل اعلى فى الحياة ، وتسعد به الجماعة الاسلامية ويسعد بأخلاقه مواطنوه .

وأما الكمال فى الافعال ، فهو ألا يصدر عن الانسان الا كل ما هو خير ونافع مما يرفع شأنه ويسمو بمنزلة الى الكمال البشرى ، وأن يكون هذا العمل من الاعمال التى تدفع بمجتمعه الى الامام فى سبيل الرقى والتقدم وكم سعدت الانسانية بأفعال بعض أبنائها الذين سجلوا لها مفاخر تباهى بها الأمم وتزهو بها بين الناس،والمخترعات الحديثة ما هى الا نتاج الاعمال الكاملة ، هذه المخترعات ساهمت فى رقى البشرية وتقدمها ، فعلى الانسان الذى يتعشق الكمال وينشد المثل الاعلى أن يترك جانبا الافعال التى تضر به أو بامته ، وليعمل عملا صالحا بعزيمة صادقة واخلاص مبين فى خلال حفر الخندق كان سلمان الفارسى يأخذ مكانه مع المسلمين وهم يحفرون ويدابون ، وكان الرسول يحمل معوله ويضرب معهم ، وأثناء العمل اعترضت سلمان صخرة عاتية لم يقدروا على كسرها ، وذهب سلمان الى الرسول يستأذنه فى أن يغيروا مجرى الحفر تفاديا لتلك الصخرة العتيدة ، وعاد الرسول مع سلمان يعاين بنفسه المكان والصخرة ، وحين رآها دعا بمعول وطلب من أصحابه أن يبتعدوا قليلا عن مرمى الشظايا ، وسمى الله ورفع كلتا يديه القابضتين على المعول فى عزم وقوة ــ وهوى به على الصخرة فاذا بها تتثلم وتخرج من ثنايا صدعها الكبير وهجا عاليا مضيئا ، يقول سلمان : لقد رأيت الوهج يضىء ما بين لابتيها ، أى يضىء جوانب المدينة ، وهتف رسول الله عليه السلام مكبرا : الله أكبر ،أعطيت مفاتيح فارس ، ولقد أضاء لى منها قصور الحيرةومدائن كسرى وان أمتى ظاهرة عليها ، ثم رفع المعول وهوت ضربته الثانية وهلل الرسول مكبرا : الله أكبر أعطيت مفاتيح الروم وقد أضاء لى منها قصورها الحمراء وان أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضرب ضربته الثالثة فالقت الصخرة سلامها واستسلامها وهلل الرسول وهلل المسلمون معه ، وأنبأهم بأنه يبصر الان قصور سورية وصنعاء وسواها من مدائن الارض التى ستخفق فوقها راية الله ، وصاح المسلمون فى ايمان عظيم (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) .. وبهذا كان الفعل الخالص لله من الافعال الصالحة النافعة . وهكذا رسم الاسلام المثل الأعلى فى العقيدة والاقوال والافعال .

بقية مقال « القرآن وصحائف اليهود »

للأستاذ حسن الشيخة

هو ملك رأسه تحت العرش ، ورجلاه فى آخر الأرض السابعة ، وله الف رأس أعظم من الدنيا ، وفى كل رأس ألف فم ، ومما يحزن له ان اكثر ما تمسك به اعداء الاسلام من المطاعن هو اقحام هذه الاسرائيليات على القرآن الكريم، ولاسيما طوائف المبشرين والمستشرقين فقد اتخذوا هذه الاسرائيليات السوداء مادة خصبة للطعن على الاسلام وعلى كتابه الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ومن خلفه .

والخلاصة ان صحائفهم فى القرآن الكريم صحائف كلها سواد فى سواد ، وقد اقتصرت على ما ذكرت لأن القرآن وصحائف اليهود فيه مما يحتاج الى قدر كبير من القول ، والى بسط واسع من الكلام ، ليس هنا موضع استقصائه ، ولا ريب فى أن القرآن فيما عرض له من صحائف وتواريخ ــ هو المرآة التى ترى فيها أصدق العبر ، والمبتدأ والخبر . وقد اتخذه المؤرخون أساسا لتواريخهم ، ولنعم الأساس .

* * *

هذا الموضوع وجهنى الى الكتابة فيه اليوم ان قضية اغتصاب فلسطين من اهلها العرب هو موضوع الساعة ، التى تتحدث فيه افريقيا وآسيا ، ومن ناصرنا من دول الغرب، وقد اردت أن ارجع به الى الأصل الأصيل الذى تعقب اليهود ، فاطلعنا على صحفهم السوداء ، وهو القرآن الكريم ايام نزوله .

إعجاز القرآن البياني

الدكتور حفنى شرف

لا زلت بفكرة الاعجاز البيانى مع اليمنى فى كتابه الطراز ، وقد بينت فيما سبق الوسائل البلاغية التى يجب معرفتها حتى يصل الباحث الى الاعجاز البيانى .

تحدث اليمنى فى المقدمة الثانية عن الالفاظ ودلالاتها وأفاض فى حديثه هذا لدرجة بعيدة المدى اذ اتبع النهج المنطقى فى تقسيم الدلالة من حيث دلالة الالفاظ على معانيها فجاء ذلك على ثلاثة ضروب : دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة الالتزام .

كما انه جعل حديثه فى المقدمة الثالثة مقصورا على الحقيقة والمجاز وبيان الاسرار التى تكمن وراء كل منهما وقد عد هذا من أعظم قواعد علم البيان وسر جوهره اذ أن الثمرة المرجوة منه لا تظهر الا باستعمال المجازات الرشيقة والاغراق فى اللطائف الرائعة التى بها قوام هذا الفن .

ولم ينس اليمنى مشكلة الحقيقة والمجاز فى اللغة بل عرج عليهما فيها وأدلى بدلوه مع الدلاء فناقش بما لا يدع مجالا للشك الاجابة على هذا السؤال : هل اللغة مجاز كلها ام هى كلها حقيقة ؟ وابطل الرأيين ثم نقل عن كثير من العلماء معنى الحقيقة والمجاز وخص بالذكر كلا من : أباعبد الله البصرى وعبد القاهر الجرجانى وابن جنى وابن الاثير ضياء الدين وغيرهم .

اما فى المقدمة الرابعة من كتابه فقد فرق بين الفصاحة والبلاغة فيها وجعل الفصاحة خلوص اللفظ من التعقيد فى تركيب الاحرف والالفاظ جميعا ولم ينس الاصوات ومخارجها فتكلم عنها متأثرا بابن سنان الخفاجى وجعل مرجع حسن التأليف فى اللفظة الذوق السليم والطبع المستقيم ورد على من نفى القبح فى الالفاظ مدعيا أنها كلها حسنة اذ الواضع قد راعاه وعمل حسابه فأبطل اليمنى رأى من يقول بذلك وطال نقاشه فى « طرازه » ١ : ١١١ .

اما البلاغة فقد جعلها عبارة عن الوصول الى المعانى البديعة بالالفاظ الحسنة وهو بذلك قد جعل الفصاحة من عوارض الالفاظ والبلاغة من عوارض المعانى والالفاظ جميعا مع اختصاصها بالكلم المركبة وهو ايضا يفرق بين البلاغة والفصاحة تفرقة يخالف بها عبد القاهر الذى يراهما من الالفاظ المترادفة .

بعد هذا يجيء دور المقدمة الخامسة من كتاب الرجل لتحدثنا عن حصر مواقع الغلط فى اللفظ المفرد والمركب فبعلم اللغة يحترز عن الخطأ فى مفردات الألفاظ وبعلم التصريف تصحح أبنية الالفاظ المفردة وبعلم النحو يحترز عن الغلط فى المركبات وبعلم الفصاحة والبلاغة يأمن البليغ الخطأ فى نظم الكلام وجزالة لفظه وحسن بلاغته ويقف على معانى الكلام ونكاته النفيسة .

فالعلمان الاولان : علم اللغة وعلم التصريف ـ انما يختصان بمفردات الالفاظ تصحيحا وبناء لا تركيبا ودلالة . والعلمان الاخيران : الاعراب والبلاغة والفصاحة ـ تختصان بمركبات الالفاظ وما يحصل عند التركيب من المعانى الدقيقة وان تفاوتا فى الاداء والفائدة .

فعلم النحو يؤدى مطلق المعنى لا غير وعلم البيان يؤدى فائدة أخرى فوق هذا وهى ما يحصل من بلاغة فى ذلك المعنى وحسن نظمه وترتيبه فهو كالكيفية العارضة .

وبهذه الالماعة الخاطفة نرى أن اليمنى فى هذا متأثر بعبد القاهر من حيث أن المقصود من المعنى فى نظره هو معنى المعنى .

ولاحظت أيضا أن اليمنى وجد فى عصر البديعيات والشروح فكان فريدا فى عصره لأنه لم يؤلف بديعية يشرحها غيرها كما لم يشرح تلخيصا ولا ايضاحا للمفتاح بل نهج منهج المؤلفين الذين عرفوا بالاتجاه الادبى .

لذلك لم يجعل البلاغة قسيمة للفصاحة ولكنها تشملها وهذا هو المعتمد عنده .

ولاحظت عليه ايضـــا بانه ينهج منهج ابن الاثير فى النظم فى اختيار الكلم المفردة ، ونظم كل كلمة مع ما يشاكلها او تماثلها ، ومطابقة الغرض المقصود من الكلام ، والالفاظ عنده تابعة للمعانى ، وينكر على مخـالفى هذا الراى قولهم « ان المعانى لا يرسخ معقولها فى الافئدة الا بعد أن تخرق الالفاظ قراطيس أسماعهم ويبطل ذلك بما يأتى :

١ ـ هو ان معنى الفرس والاسد والانسان مفهوم عند العقلاء لا يتغير والعبارات عن كل واحد من هذه الحقائق تختلف عليه بحسب اختلاف اللغات من العربية والفارسية والتركية والرومية ، فلو كانت المعانى تابعة للالفـاظ كما زعموه لوجب أن تكون مختلفة لاختلاف هذه الالفاظ ، فلما عرفنا خلاف ذلك دل على صحة ما قلناه من كون المعانى اصلا للالفاظ

٢ ـ المعانى منها ما يكون معنى واحدا ثم توضع له الفاظ كثيرة تدل عليه وتشعر به ، فلو كانت المعانى تابعة للالفاظ الزم اختلاف المعانى لاختلاف الالفاظ ، ولكن لما كانت المعانى واحدة والالفاظ متعددة بطل ما قالوه . (الطراز) ٢ : ١٥١ .

٣ ـ لو كانت المعانى تابعة للالفاظ للزم ان يكون لكل معنى لفظ يدل عليه وهـذا باطل لأن المعانى غير متناهية والالفاظ متناهية ، وما يكون بغير نهـاية لا يتبع ما له نهاية . ولكنه مع هذا يرى أن قوة الالفاظ تفيد قوة فى المعنى ، فاذا نقل اللفظ الى صيغة اكثر منها حروفا يقوى المعنى لزيادة اللفظ والا كانت الزيادة لغوا لا فائدة فيهـا ففى قوله تعالى : « الحى القيوم » كلمة القيوم اقوى من كلمة قائم وأبلغ وكذلك « علام الغيوب » .
وقوله : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فالغيوب والتوابين والمتطهرين ابلغمما جاء منهـا على فاعل لتكرر التوبة وكثرة الطهارة فى صيغة القرآن ، وكذلك قول أبى نواس :

فعفـوت عنى عفـــو مقتدر
جلت له نقم فالغـــــــــاها

فلم يقل قادر مبالغة فى الامر ، وكقوله تعـالى « فكبكبوا فيها » فانه ماخوذ من الكب وهو القلب فكرر الباء والكاف للمبالغة فيه . وكقوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فانه سبحانه جعل الثواب على ادنى ملابسة للطاعة فلهذا اتى فيه بالثلاثى ، وجعل العقاب على مزاولة عظيمـة للفعل فلهذا خصه ببنـاء المبالغة بالزيادة عـلى الثلاثى .

ولا شك ان قولك سوف افعل ابلغ من سـافعل لوسع زمان التعبير الاول وامتـداد زمانه لامتداد حروفه .

ولا يخيل الينا مما سبق عندما قال : بان الالفـاظ تابعة للمعانى أنه بفضل المعانى على الالفاظ لا انه يقول ويبين لنا منزل اللفظ من المعنى : « ان منزلة اللفظ من المعنى هى منزلة الروح من الجسد فكل لفظ لا معنى له فهو بمنزلة جسد لا روح فيه .

وبعد ان تكلم عن الالفاظ مفردة وبين منزلتهـا من المعانى اراد ان يبين رأيه فيها منظومة فقال : (٢) : ١٦٦) فالبلاغة انما تحصل بتاليف الكلام ونظمه واعطائه ما يستحقه من الاعراب واعمال العوامل وتوخى معانى النحو ومجاريه التى يستحقها ، وبيان ذلك هو ان وضع الكلمة المفردة بالاضافة الى واضع اللغة لا تغيير لها ، والتصرف لأهل البلاغة انما هو فى التـاليف ، فقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » مقولة على السنة الناس ، والاعجاز انما كان من أجل نظمها وتاليفها بحيث « الحمد » مبتدأ ، و « لله » متأخرا عنه خبره و « رب العالمين » مضاف واجراؤه صفة لما قبله فى الاعجاز من جهة النظم ، فاذن حال انفس الكـلم مع المؤلف كحال الابريسم مع ناسج الديباج والذهب مع صائغ التاج فحظه من ذلك انما هو تاليفها ونظمها لا غير .

واليمنى يحذو حذو عبد القاهر الجرجانى فى فكرة النظم ولا فرق بينهما الا فى أن اليمنى يقصر الجمال على النحو والاعراب فقط بينما عبد القاهر يرى بجوار ذلك ترتيب المعانى فى النفس الذى يراعى لأجله الترتيب النحوى ، كما أن معنى النحو عند عبد القاهر عام وعند اليمنى خاص ، ويتفقان فى الهدف من دراسة البلاغة . وأحب أن أقرر هنـا أن اليمنى أكثر من جمع اقـوال السابقين وآراءهم فى البلاغة العربية وناقش أكثرهـا ونقد بعضها ووافق على البعض ورد البعض الآخر .

يرى اليمنى أن ادراك الاعجاز لايتحقق الا بمقياسين :

الاول : أن يقاس ما فى القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التى قررها وشرحها فى الطـراز ، وأحب أن اناقشه هنا وأقول له كيف نقيس ما فى القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغه وهى مستمدة منه ؟!

الثانى : أن يقاس ويقارن باقوال البلغاء فيظهر فضله فى الحالين ، ولقد فعل هو كما فعل من قبله ابن ابى الاصبع المصرى فى بديع القرآن من المقارنة بين بلاغـة القرآن واسلوبه وبين شعر الشعراء ونثر الكتاب فجاء القرآن فى المرتبة العليا ، وفى ذلك تطبيق لمقاييسه .

وبعد أن بين معنى المعـانى وما يتعلق به ، والبيـان وما يختص به ، تكلم عن البديع مبتـدئا بمعنى البديع وعرفه بقوله : ٣ ٠ ٢٠٦ من الطراز) واما فى مصطلح علماء البلاغة ، فهو عبارة عن الكلام المؤلف على جهـة الاسناد المجازى من حيث الاستعارة » .

وبشرح هذا التعريف نلاحظ عليه أن البديع عنـد اليمنى خاص بالكلام دون الافعال ، وبالكلام المؤلف دون المفرد على جهة الاسناد فلا علاقة بالبديع فى الكلام المركب لا على جهة الاسناد لأنه لا فائدة تحته ، والبديع انمـا يكون حيث تحصل الفائدة فاما ما لا فائدة فيه فلا موقع لعلم البديع فيه ، كما لا يكون البديع الا اذا كان الاسلوب مجازيا فلا دخل له فى الاسلوب القائم على الحقيقة ، وليس كل مجاز يدخله البديع بل المجاز الاستعارى ، ولذلك كان المجاز أعم من البديع فى نظر اليمنى .

وبعد ان عدد أصنافه وصوره فى كتابه الطراز باجزائه الثلاثة ، قسمه الى ما يرجع الى الفصاحة اللفظية وما يرجع الى الفصاحة المعنوية والضابط لديه أن كل ماكان متعلقا بالمعانى فهو من باب الفصاحة المعنوية ، وما كان متعلقا بالالفاظ فهو من باب الفصاحة اللفظية وهذا هو المراد من قوله : علم المعانى وعلم البيان ، وجعل من الصور البديعية ما يخرج عن الفصاحة اللفظية والمعنوية ولكنه ينزل منزلة التتمة والتكملة لها ويكون تحسينا وتزيينا لمواقعهما وهذا نحو التكميل والايضاح وحسن البيان والتتميم والاستيعاب والتذييل الى غير ذلك من الصور التى لا تستقل بنفسها وانما يكون حصولهـا لتكميل الهيئة البلاغية .

ثم بين فى ٣٤٧ من الجزء الثالث منزلة علم البديع من العلوم الادبية اذ رتب العلوم الادبية خمس مراتب كل واحدة منها أخص من الاخرى وجعل المرتبة الاولى لعلم اللغة والثانية لعلم التصريف والثالثة لعلم الاعراب والرابعة لعلم المعانى والخامسة لعلم البيان وجعله فى المرتبة السادسة لأنه الغاية التى تنتهى اليها كلها . اذ هو أخص من علم الاعراب لأن علم الاعراب تحصل فائدته بمجرد التركيب وعلم المعانى وان كان متعلقا بالتركيب الا أن له فائدة وراء ذلك وهى ما تتعلق بالامور الخبرية من تعريفها وتنكيرها وتقديمها وتاخيرها وفصلهاووصلها ، والامور الانشائية الطلبية كالاوامر والنواهى والتمنى ، وجعل البيان فى المرتبة الخامسة وهو أخص من المعانى لأنه حاصل دلالة التراكيب على معانيها اما بحقيقتها بتشبيه أو بغيره او بمجازها اما بطريق الاستعارة أو الكناية او التمثيل .

وعلم البديع حاصله معرفة مقصود بلاغة الكلام وفصاحته وهذا لايحصل بتمامه وكماله الا باحراز ماسلف من العلوم الادبية فهو خلاصتها ، وما اصدق اليمنى فى تشبيه العلوم الادبية بعقد نفيس مؤلف من الدرر واللآلىء السليمة من الصدع تاليفا بديعا ، وتارة هذا العقد يجعل طوقا فى العنق وطورا اكليلا على الجبين وتارة يكون وشاحا على الخصر موضوعا على شكل يتلاءم وتاليفه .

فالكلمات اللغوية بمنزلة الدرر واللآلىء وعلم التصريف بمنزلة السلامة من الصدع وتاليفها بمنزلة علم الاعراب وجعلها طوقا أو اكليلا او وشاحا بمنزلة علم المعانى وجعله على الجبين أو فى العنق بمنزلة علم البيان ، واستواء العقد مطولا بطول الجبين أو مستديرا بتدوير العنق وجعله على المساحة اللائقة به بمنزلة البديع .

فعلوم البلاغة من العلوم الادبية ثلاثة معانى وبيان وبديع والاولان جزءان للثالث لا يوجدان الا اذا وجدا وهذا شان الكلى أو الاعم .

والذى يهمنا من الطراز بحثه فكرة الاعجاز والاعجاز البيانى فى القرآن على الخصوص .

واليمنى بعد أن بين البلاغة بصورها الكلامية المتعددة التى ذكرها وسيلة للكشف عن اعجاز القرآن وليس هذا بجديد منه فقد قاله أغلب من الف فى البلاغة من العلماء قبله ـ يقول اليمنى فى الطراز ٣ : ٢١٣ وما بعدها : « ان الكلام فى الاعجاز أول المباحث الكلامية والاسرار الالهية ، لأنه دليل النبوة » وهو وان أخر الكلام عن الاعجاز وقدم حديثه عن الاسرار لم يقصد من ذلك الا التدليل على أن البلاغة وسيلة ومقدمة لفهم الاعجاز البيانى لأنه فى الحقيقة هو الهدف المقصود والغرض المطلوب .

بدأ اليمنى حديثه عن الاعجاز بالكشف عن فصاحة القرآن وبين انه بلغ الغاية القصوى ، ثم تحدث عن التحدى وعجز الخلق عن الاتيان بمثل اقصر سورة منه وتعرض لأقوال السابقين فى الاعجاز ثم حدد الراى المختار عنده .

اما فصاحة القرآن فى نظره فهى اظهر من أن يكشفها كاشف ، كما لا خلاف بين العقلاء فى فصاحته وبلاغته وجعل الدليل على ذلك وجود الحقائق البلاغية المعنوية والفصاحة اللفظية وما يتعلق بهما فى القرآن ، وما دام الامر كذلك فيجب القضاء بكونه فصيحا سواء كانت الفصاحة راجعة الى الالفاظ والبلاغة راجعة الى المعانى

كما هو المختار عنده وهو فى هذا يخالف الباقلانى الذى يرى أن الصور البديعية ليست دليلا على الاعجاز .

كما جعل من الادلة على بلاغة القرآن وفصاحته أنك اذا وازنت بين ألفاظه ومعانيه وبين كلام البشر ـ وخاصة من عرف منهم بالفصاحة والبلاغة ـ كالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه لوجدت تميز بلاغة القرآن بما لا يتمارى فيها منصف ، ولا يشتبه على من له أدنى ذوق فى معرفة بلاغة الكلم وفصاحته .

ولم يقف امر اليمنى عند الموازنة النظرية بين القرآن وغيره من كلام البشر بل زاد المقارنة والموازنة وضوحا بالتطبيق حتى خرج من هذا بان التمييز تارة يكون راجعا الى الفاظه من فصاحة ابنيتها وعذوبة تركيب أحرفها ، وسلاسة صيغها ، وكونها مجانبة الوحشى الغريب ، وبعدها عن الركيك المسترذل .

ودليل ثالث ساقه للكشف عن بلاغة القرآن وهو شهادة أعداء القرآن ـ والحق ما شهدت به الاعداء ـ بأن أعلاه لمورق ، وأن أسفله لمغدق ، وأن له لحلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، فما تيسر منهم انسان ولا فاه لأحد منهم لسان الى مماثلة شىء من اساليبه ولا الى الاتيان بمثل أقصر سورة منه ، واستنتج من هذا الدليل أمرين :

الاول : اختصاصه بما لا يقدرون عليه ولهذا أظهروا الاعجاب من نفوسهم وخرجوا بالاستظراف من ألسنتهم .

الثانى : علمهم بالعجز واعترافهم بالقصور ، وهذا دليل على كونه بلغ أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة من جهة الاجمال .

كما انه جعل من أدلة الاعجاز البيانى ما يرجع الى مفردات الحروف والى تاليف مفردات الكلم من هذه الحروف ، ومفردات الالفاظ تارة ومرة الى مركباتها ، فهذه وجوه أربعة لا بد من اعتبارها فى كون اللفظ فصيحا ، وكلها حاصلة فى القرآن على أتم وجه . الطراز ٣ : ٢٢٠ .

ولصولته الطويلة فى ميدان الفصاحة والبلاغة سبب وهو الدلالة على اشتمال القرآن على الوجوه البلاغية بحيث لا تتصور فى غيره الا وهى فيه اتم وأجدر ولاتوجد فى غيره الا وهى فيه أقدم وأسبق ، وما ذاك الا لأنه لم تصفه أسلات الألسنة ولا أنضج بنار الفكرة ، وانما هو كلام سماوى ومعجز الهى . (الطراز ٣ : ٣٦٧) وهو فى هذا يسير على نهج ابن أبى الاصبع الذى سبقه الى جمع الفنون البلاغية المعروفة حتى عصره ، واستخراج شواهدقرآنية لها ومقارنتها بشواهدها الشعرية والكشف عن تفوق القرآن فى ذلك .

واليمنى لم يترك السابقين من غير أن ينعى عليهم وقوفهم على مخارج الكلم وتقصيرهم فى كشف أسرار الاعجاز ، ولنسر معه حتى نقف على ما أتى به من جديد ان كان له فى الفكرة جديد .

واستدل اليمنى على التحدى :

بتحدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعرب بان ياتوا بمثله وعجزهم واطال الحديث عن ذلك بما لايخرج عما قاله السابقون ولم يزد فى هذا الموضوع عن أنه تخيل تسع اسئلة وجهها اليه موجه ملحد فأجاب عنها ليثبت جدارته الجدلية فى الرد والمناقشة فى حين أنها لا قيمة لها فى فكرة الاعجاز البيانى لأن من تتبع الفكرة من نشأتها يستطيع أن يجيب عنها لأن اغلبها بديهيات كسؤال هل حصل التحدى أم لم يحصل ؟ وهل فهموا

منه معنى المماثلة أم لا ؟

١ ـ لم ينس الاشارة الى مذهب الصرفة ونسبته الى النظام وتلاميذه النصيبى والشريف المرتضى ، ويقسم الصرفة الى ثلاثة أقسام والسبب الذى دفع أصحاب الصرفة الى التدين بها وهو مايرونه من الكلمات الرشيقة والبلاغات المستحسنة الجامعة لكل أساليب البلاغة فى كلام العرب الموافقة لما فى القرآن ، فكل من قدر على ما ذكر من الاساليب البلاغية فى كلام العرب لا يقصر عن معارضته ٣ : ٣٩٢ .

وكل ما قاله اليمنى عن الصرفه مسبوق اليه الا الثالث منها فلعله من تفسيره .

٢ ـ ثم ذكر الرأى القائل باعجاز القرآن لأسلوبه وأبطله مادام المراد به أى أسلوب والا كان أسلوب الشعر معجزا وان أراد أصحاب هذا المذهب أسلوبا خاصا متصفا بالفصاحة والبلاغة ، لم يكن الاعجاز من جهة الاسلوب وانما كان وجه الاعجاز الفصاحة والبلاغة ، وان أرادوا غير هذين التفسيرين فكان الواجب عليهم توضيح ما أرادوا حتى ينظر فيه فيقر بصلاحه أو فساده ، ولم يقف فى ابطاله لهذا الرأى عندما قاله . بل أكده بقوله ان الاسلوب لا يمنع من الاتيان باسلوب مثله لأن الاتيان بما يماثله سهل ويسير على كل احد .

كما ابطله ايضا بان الاعجاز لوكان بأسلوب القرآن لكان ما قاله مسيلمة فى معارضة القرآن معجزا ولما وقع التفاوت بين آياته وكلام الفصحاء من فصحاء العرب لاستوائهما فى الاسلوب ، وكان الاجدر باليمنى ان يوضح لنا مايقصده بالاسلوب ، وهل المراد به صناعة الكلام أم يراد به تحريره وتهذيبه وأثره بعد ذلك فى نفوس سامعيه لما يحتويه من العوامل المؤثرة .

٣ ـ ذكر الوجه القائل باعجاز القرآن لخلوه من المناقضة . وابطله بان التحدى وقع بكل واحدة من سور القرآن وقد يوجد فى النثر والشعر ما يوازيه قدرا وهو خال من التناقض فيلزم تلك الخطبة هذا الشعر معجزا ، كما أن السلامة من التناقض ليس خارقا للعادة .

٤ ـ وذكر رأى القائل باعجاز القرآن لفصاحته ، وقصد بالفصاحة خلو الكلام عن التعقيد الموجود فى مثل قول القائل :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

وابطله بخلو كلام كثير من الناس خال من التعقيد كما أن الامر لو كان للفصاحة ولم يفترق الحال بين قوله تعالى : « وله الجوارى المنشئات فى البحر كالاعلام ، ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير » .

وبين قول من قال : وأعظم العلامات الباهرة جرى السفن على الماء فاما ان يريد هبوب الريح فتجرى بها أو يريد سكون الريح فتركد على ظهره ، أو يريد اهلاكها بالاغراق بالماء لأن ما هذا حاله من المعارضة سالم من التعقيد .

٥ ـ ذكر مذهب من يقول : ان اعجاز القرآن فى اشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق التى لا تزال غضة على وجه الدهر ، ما تنال لها غاية ولا يوقف لها على نهاية بخلاف غيره من الكلام ، والعلم أيضا .

٦ ـ تكلم على رأى من يقول : ان اعجاز القرآن وبلاغته وأراد بالبلاغة اشتماله صور البلاغة (والتشبيه والاستعارة والكناية وحسن التعليل والايجاز .. الخ) .

وهؤلاء ان أرادوا بما ذكروه أنه صار فصيحا بالاضافة الى الفاظه ، وبليغا بالاضافة الى معانيه ومختصا بالنظم الباهر ، فهذا جيد لا غبار عليه . وان أرادوا أنه بليغ بالاضافة الى معانيه دون الفاظه فهو خطأ .. وهذا الرأى منسوب الى الرمانى .. انظر النكت فى اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، وانظر ما كتبناه سابقا عن الرمانى واعجاز القرآن البيانى فى مجلة منبر الاسلام .

٧ ـ ذكر الوجه الذى يقول بان الاعجاز قائم على النظم والمراد بالنظم عند أصحاب هذا الوجه هو نظمه وتاليفه الذى تميز به من سائر الكلام ـ ووجه اليمنى الى هؤلاء السؤال الآتى : ما تريدون باختصاصه بالنظم ؟ ان كنتم تعنون به أن نظمه هو المعجز من غير أن يكون بليغا فى معانيه ولا فصيحا فى الفاظه فهو خطأ ؟ فان الاعجاز شامل له بالاضافة الى كلا الامرين جميعا .

وان عنيتم أنه مختص بالبلاغة والفصاحة خلا ان اختصاصه بالنظم اعجب وأدخل فلهذا كان الوجه فى اعجازه فهذا خطأ ، فان مثل هذا لا يدرك بالعقل ، أعنى تمييزه بحسن النظم عن حسن البلاغة والفصاحة .

وأيضا فان ما ذكروه تحكم لا مستند له عقلا ولا نقلا ، ويرد عليهم بقوله ايضا : هل يكون النظم وجها فى الاعجاز مع ضم البلاغة والفصاحة اليه ، او يكون وجها من دونهما ؟ فان قالوا بالاول فهو جيد ، ولكن لم قصروه على النظم وحده ولم يضموهما اليه ؟

وان قالوا انه يكون متفردا بالاعجاز من دونهما فهذا خطأ أيضا فان نظم القرآن لو انفرد عن بلاغته وفصاحته لم يكن معجزا . (٣ : ٤٠٣ الطراز)

وهكذا أبطل اليمنى مذهب القائلين بان الاعجاز للنظم لأنهم جعلوا فيه القسط الادنى فى الاعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة ـ النظم والفصاحة والبلاغة . ويلاحظ أن اليمنى هنا يفصل بين هذه العناصر ، ويعطى للنظم مفهوما خاصا غير مفهوم عبد القاهر الجرجانى او الباقلانى ، فالنظم عندهما مرتبط بالمعانى والالفاظ لا ينفصل عنهما ولا سيما عند عبد القاهر . فالنظم قائم فى حسن ترتيب المعانى فى النفس ، وحسن تاديتها بالالفاظ مع الاستعانة بقواعد النحو بمعناه الرائع .

ولا أدرى كيف يفصل اليمنى بين هذه الامور الثلاثة التى تكون شيئا واحدا الا اذا قصد بالمعانى الاغراض العامة التى يقال فيها ، وقصد بالالفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٨ ـ تكلم على رأى من يقول بان وجه اعجاز القرآن انما هو مجموع هذه الامور كلها ، ثم عارضه بقوله : « وابطلنا قول أهل الاسلوب وغيره من سائر الاقاويل فلا يجوز أن تكون معدودة فى وجوه الاعجاز لأن الامور الباطلة لا يجوز ان تكون عللا للأحكام الصحيحة » .

٩ ـ وذكر وجها آخر فى الاعجاز وهو ان اعجاز القرآن انما هو بما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع

الرائعة فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كلّ سورة ، وفى مبادىء الآيات وفواصلها
وهذا الوجه لم يرفضه اليمنى وانما علق عليه فى آخر ص ٤٠٤ من الجزء الثالث من الطراز بقوله : « وهذا هو الوجه السديد فى اوجه الاعجاز للقرآن ، كما سنوضح القول فيه بمعونة الله تعالى » .
ثم قال بعد ذلك : « والذى نختاره فى ذلك ، ولم يعد فيه هذا الوجه ، بل ما عده معجزا هو الوجه الذى جمع الخواص الثلاثة الآتية :
الأولى : الفصاحة فى ألفاظه ، على معنى أنها بريئة عن التعقيد والثقل ، خفيفة على الالسنة ، تجرى عليها كأنها السلسال رقة وصفاء وعذوبة وحلاوة .
الثانية : البلاغة فى المعانى بالاضافة الى مضرب كل مثل ولسان كل قصة وخبر وفى الاوامر والنواهى وأنواع الرصيد ومحاسن الوعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه العلوم القرآنية ، فانها مسوقة على ابلغ سياق .
الثالثة : صورة النظم وحسن السياق ، فانك تراه فيما ذكرناه من هذه العلوم منظوما على أتم نظام وأحسنه وأكمله .
ولم يعد الوجه الآخر الذى وصفه بالسداد ، فهل يا ترى كان يجب على محقق الطراز أن يضع هذه العبارة فى أول الوجه المختار ، ولكنها وضعت خطأ فى آخر الوجه السابق ، ام انه ارتضاه لدخوله فى ضمن الخواص الثلاثة التى اشترطها فيما ارتضاه ؟!
وهذا الاخير هو الراجح عندى .
ويرجح ما ارتضاه بحجة أن آيات التحدى واردة على جهة الاطلاق ، اذ ليس فيها تحد بجهة دون جهة ، لانه لم يذكر أنه تحداهم لا بالبلاغة ولا بالفصاحة ولا بجودة النظم والسياق .. وانما قال : بمثله ، وبعشر سور ، وبسورة على الاطلاق.
ثم ان العرب لم تستفهم عما يريد بتحديهم فى ذلك ، ولا قالوا ما هو المطلوب فى تحدينا ، بل سكتوا عن ذلك ، ولا وجه لسكوتهم عن ذلك الا ما قد علم من اطراد العادات المقررة بين أظهرهم ، من أنه لا يقع الا بما ذكرناه من البلاغة والفصاحة وجودة السياق والنظم ، اذ المعلوم من حال الشعراء والخطباء وأهل الرسائل والكلام الواقع فى الاندية المشهودة والمحافل المجتمعة أنهم اذا تحدى بعضهم بعضا فى شعر أو خطبة أو رسالة فانه لا يتحداه الا بمجموع ما ذكرناه من الامور الثلاثة .

١٠ ــ ثم يتخيل اسئلة توجه الى رايه الذى رجحه وارتضاه فيعرضها ويجيب عنها .. اولها .

١) ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم الى مفردات الالفاظ ، والعرب يعرفونها ، والى تراكيبها والعرب قادرون على أن ياتوا منها بالفصيح البليغ .
ويرد على ذلك بان القرآن قد بلغ الغاية فى الجودة ، وأن المقدرة تتفاوت فى حسن النظم .

ب) الفصاحة والبلاغة وحسن النظم لا تدل على صدق النبى ، ووجه الاعجاز فى القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله .. والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم .
ويرد على ذلك بانهم قادرون عليها ، ولكن الى حد ، وبان البشر يتفاوتون فى اساليبهم والقرآن يبزهم ولا يلحقون بشاوه .

جـ) لو كان القرآن معجزا بفصاحته وبلاغته وحسن نظمه لما اضطروا حينما جمعوه بعد وفاة النبى ان يقبلوا الآية ممن هم مشهورون بالعدالة ، وان يطلبوا البينة ممن هم غير مشهورين بها ، لتميزه عن سائر الكلام ، وكان لا وجه للسؤال .
ورد عليه بان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يمت الا بعد جمع القرآن على يد جبريل عليه السلام ، والخلاف الذى وقع كان فى كتب القرآن وجمعه فى الدفاتر ، فاما جمعه فمما لم يقع فيه تردد انه كان فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .

د) لو كانت الفصاحة وجه اعجازه لما اشتبه على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ،ولم يعدهما من القرآن .
واجاب على ذلك بان ابن مسعود لم ينكر كونها نزلت من اللوح المحفوظ ، وان جبريل اتى بها من السماء ، فهن قرآن بهذه المعانى وانما أنكر ابن مسعود كتبها فى المصاحف ، وقال : هن واردات على جهة التبرك والاستعاذة فلهذا كن قرآنا بما ذكرناه من المعانى ، ولم يكن قرآنا لورودها لهذا المقصد الخاص .
ثم ان هذا رأى لابن مسعود فلا يكون مقبولا لانه قول آحاد فكانه خالف دلالة قاطعة .

١١ ــ ووضع تنبيها جعله خاتمة لفكرة الاعجاز عنده ، ويقول فى هذه الخاتمة : انما كان القرآن معجزا لما بينته سابقا لا للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتهم على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد لأمرين :
اولا : ان الكلمة الواحدة قد تكون فصيحة اذا وقعت فى محل وغير فصيحة اذا وقعت فى محل آخر فلو كان الامر فى الفصاحة والبلاغة راجعا الى مجرد الالفاظ الوضعية لما اختلف ذلك بحسب اختلاف المواضع .

ثانيا : ان الاستعارة والتشبيه والتمثيل والكناية من اعظم قواعد الفصاحة وأبلغها وانما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعانى لا باعتبار الفاظها ويتضح لنا من ذلك تاثره الشديد بعبد القاهر فى جعل الفضل فى النظم للمعانى لا للألفاظ كما نلاحظ انه لم يات بما يصح أن نعتبره فى الفكرة جديدا سوى التنظيم العلمى للبحث والدراسة للفكرة التى تدل على روح العالم وروح الاديب وان كنت الح فى أسلوبه الجدلى العقيم أحيانا .

إنسان الإسلام .. حر!

(٢)

الأستاذ ابراهيم عوضين

ذكرنا فى المقال المنشور بعدد شوال سنة ١٣٨٤ من مجلة منبر الاسلام أن الانسان فى نظر الاسلام هو الحر ، وأن تلك الحرية تتناول التفكير وتتناول المعتقد فانسان الاسلام حر فى تفكيره ، وحر فى معتقده ، وهو الى ذلك حر فى تعبيره ، حر فى ملكه ، حر فى تعامله ..

٣ ـ وحرية الانسان فى تعبيره ـ كحريته فى تفكيره وحريته فى اعتقاده ـ مقررة فى الاسلام موجهة منه ، لما لها من خطر فى حياة الانسان المسلم يتعلق به وجوده وعدمه ، فاهمية الحرية فى مجال التعبير لاتقل شأنا عن الحرية فى مجال التفكير أو الاعتقاد ، اذ حرية التعبير مظهر من مظاهر حرية التفكير والاعتقاد .

ولذا قررها الاسلام تقديرا لأثرها ، وعمل على توجيهها صونا لانسانه عن انحرافاتها وما تخلفه من نتائج بالغة السوء .

وتوجيه الاسلام انسانه فى مجال التعبير ـ كتوجيهه انسانه فى مجال التفكير والاعتقاد ـ اطار يضبطه ويمنعه من الانفلات الى طريق يضر به او يضر بغيره ، فعدم الضرر والاذى ضابط التعبير كذلك .

وضرر القول قد يتناول تفكير الاخرين ومعتقداتهم بالتشويه والاضلال وفى ذلك اعتداء على حرية لازمة للانسان لزوم الحياة لوجوده .

فاذا برز ذلك الضابط فى مواجهة حرية التعبير فانما هو منبعث من داخل الانسان وليس مفروضا عليه من خارجه ، ومهمة الاسلام عندئذ هى ارشاده اليه وتوجيهه حتى لايضل عنه أو يغفله فى زحمة الحياة واستبداد الغرائز .

وان فى الحوار بين الله ـ سبحانه ـ وبين عيسى رسول الله ما يلفت نظر المسلم الى ذلك الاتجاه .

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ؟

« قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق .

« ان كنت قلته فقد علمته .. »

(١١٦ المائدة)

ولن تجد أظلم ممن ادعى وحيا لم يوح به الله اليه ، لانه بذلك يضلل المعتقدات ، ويخدع الافكار .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه بشىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله

« ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم .

« اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » .

(٩٣ الانعام)

وفى مقابلة هذا المغرور المضل .. انسان يعرف نفسه ، ويعرف ماله وما عليه ، ويسير فى حدود تلك المعرفة .

« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين . »

(٣٣ فصلت)

ولا يقف الاسلام ـ فى تحرير التعبير ـ عند حد تحريره من اضلال الاخرين ، ولكنه يحرره كذلك من عوامل الاضلال التى يتلبس بها صاحب التعبير نفسه. فيحرره من التعبير التقليدى الخالى من تجاوبه النفسى، والبعيد عن واقعه العملى ، اذ فى هذا انحراف عن الحرية الى الفوضى .

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » .

« كبرمقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . »

(٢ ، ٣ الصف)

« اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . »

(١٥ النور)

ويحرره من التعبير غير الواعى ، لان التعبير غير الواعى يجافى سمة الانسان التى يتعامل على هداها الاسلام مع انسانه ، فهى اخلال بتكوينه الاصيل .. ولذلك حرم الاسلام الخمر .

« يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .. »

(٤٣ النساء)

وعلى الذى يريد الخمر ان يوازن بينها وبين حريته فى التعبير ، وعلاقته بمن يشاركه الحياة ، لان الخمر لا تلتقى مع ذين .

« انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون .. »

(٩١ المائدة)

ويظل الاسلام على ذلك الحال مع انسانه .. تقريرا لحرية التعبير ، وتأكيدا لذلك التقرير .

وهو الى جانب ذلك لا يغفل التوجيه والارشاد مرتادا كل سبيل يصل به الى الانسان .

١) فنراه مرة يسلك سبيل الموازنة الصادقة بين ضربين من القول ليبين للانسان أن كل تعبير لا يعنى الحرية الا أن يضبطه النفع الخاص والعام ، والضر الخاص والعام كذلك .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة .

« ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . »

(٣٤ فصلت)

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم » .

(٢٦٣ البقرة)

ب) ونراه مرة اخرى يسلك طريق الترغيب والترهيب فى البعد بالقول عن الضار المؤذى .

وترغيبه لا يغفل المنطق السديد .

« قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

« والذين هم عن اللغو معرضون »

(١ – ٣ المؤمنون)

فالمؤمن المفلح هو من اعرض عن القول الهابط تعبيرا او انصاتا ، لان مثل هذا القول قد يؤلم النفس ، وقد يؤلم البدن ، ثم هو قد يؤذى المال ، وقد يضر العلاقات القائمة بين الناس .

ثم يرقى الاسلام بالقول الطيب – فى مواجهة الترغيب – حتى يجعله هدية يجازى بها الله كمايجازى بالجنة .

« ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير .

« وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » .

(٢٣ – ٢٤ الحج)

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

« ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

(٢٧ ابراهيم)

حـ) ونراه ثالثة ينهج نهج الآمر والناهى .

« وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن .. »

(٥٣ الاسراء)

« .. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »

(٩ النساء)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن . »

(٤٦ العنكبوت)

« فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور »

(٣٠ الحج)

وتوجيه الاسلام انسانه فى مجال التعبير لا يقتصر على المدلول ، ولكنه يشمل المدلول والاداء ، فكما استوجب الاسلام ان يبتعد المدلول عن الضرر والايذاء ، فكذلك استوجب الاسلام ان يبتعد الاداء عن الضرر والايذاء : حتى يظل الانسان محتفظا بسمة الانسان بعيدا عن الانحراف .

« واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير . »

(١٩ لقمان)

فى ظل هذا التوجيه وذلك التقرير لحرية الانسان فى مجال التعبير خلق الاسلام انسانه ..

فراينا الانسان الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم.. يقف ليوجه الحاكم ، او يلفت نظره الى حق فاته التنبه اليه ، ذلك الانسان الذى تحدثنا عنه الرواية المشهورة حين سال عمر بن الخطاب الناس آن يدلوه على عوجه فقال له أحدهم . والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .. فيحمد عمر ربه آن جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر .

وليس بعيدا عنا موقف المراة المسلمة من عمر – وقد جعل حدا اقصى للمهور – اذ اعترضته قائلة – يا عمر ايعطيهن الله بالقنطار وتعطيهن انت بالدينار .فيتراجع الخليفة العادل امام قولتها الحرة صائحا : اصابت المراة واخطا عمر . ثم ينقض ما كان قرر .

والتاريخ الاسلامى ملىء بامثال هذه النماذج التى حرر الاسلام منطقها فاصابت كلماتها كبد الحقيقة .

٤ – وحرية الانسان فى ملكه تتوقف على اعتراف الاسلام بحق انسانه فى التملك اولا .

وقارىء القرآن يجد هذا الحق مقررا ، اذ كل مافى الكون مسخر للانسان .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه .. »

(١٢ – ١٣ الجاثية)

والحصول على هذا الحق يعتمد على جهد الانسان وسعيه .

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه .. »

(١٥ الملك)

« وان ليس للانسان الا ماسعى . »

(٣٩ النجم)

غير ان الاسلام – وهو يقرر ذلك الحق – لا يتركه مطلقا من كل ضابط ، لان الحصول على الملك ليس غرضا ، وانما هو وسيلة للاستقرار والسعادة ..ولكنه يحيطه باطار « عدم الضرر » .

وضرر الملك .. يعود الى المالك ، كما يعود الى غير المالك ممن يحيطون به .. ولذلك :

أ (حدد الاسلام وسائل الحصول على الملكية :

١ – فحرم على انسانه الحصول على المال بطريق المقامرة ، لما فيها من عدوان على مال الآخرين بدون مقابل ، ولما فيها من عدوان على مايملك الانسان نفسه من طاقات تعطل ، ولما فيها – كذلك – من عدوان على حق المجتمع ازاء الفرد .

« يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

« انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » .

(٩٠ – ٩١ المائدة)

٢ – وحرم عليه تنمية الملك بطريق التعامل الربوى ، لما فيه من غلو ورفع قيمة رأس ، وتشجيع على بطالة من يملكون المال ، ولما فيه من اثارة أحقاد المستغلين من ذوى الحاجات .. الامر الذى لايضمن معه استقرار الجماعة ، ولا أمن الفرد واطمئنانه .

« الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا .. »

(٢٧٥ البقرة)

« يايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعاف مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفحلون . »

(١٣٠ آل عمران)

٣ – وحرم عليه التنمية بطريق النهب واستغلال ضعف الاخرين .

« ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون . »

(١٨٨ البقرة)

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

(١٠ النساء)

ب) وحدد طرق الاستمتاع بما يملك ـ بعد أن حدد وسائل الحصول على الملكية ـ وهو تحديد ليس فيه حد من حرية الفرد ، وانما هو حاجز يحول بين الفرد وبين الاندماج في المتعة مما ينسيه الاخرين الذين يعيشون معه ، فيعتدى على حقوقهم ، ومما ينسيه نفسه وتكوينه فينهك جسمه ويستنفد طاقاته في ذلك الامتاع .

ولذلك نجد الاسلام يقوم ـ في هذا المجال ايضا ـ بدور المرشد الموجه .

« يأيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . »

(١٦٨ البقرة)

والاسلام ـ في حرصه على انسانه ان ينفلت من هذا الضابط ـ لا يكتفى بهذه النداءات التى تدعو الى التوسط في الاستمتاع ، ولكنه يتوعد من ينحرف عن ذلك السبيل بالخسران والضلال

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله .

« قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

« وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه .

« كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا .

« انه لا يحب المسرفين

« ومن الانعام حمولة وفرشا .

« كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان .

« انه لكم عدو مبين . »

(١٤٠ ـ ١٤٢ الانعام)

حـ) وحدد قيمة الملك في مواجهة الحياة ـ بعد ان حدد وسائل الحصول عليه وطرق الاستمتاع به ـ ليصون انسانه من الوقوع تحت سيطرة الذاتية الفردية

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين . »

(٢٤ التوبة)

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . »

(٤١ التوبة)

« وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » .

(٣٧ سبأ)

« يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله .

« ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون . »

(٩ المنافقون)

٥ ـ وحرية الانسان في تعامله .. ضرورة يعترف بها الاسلام ويقررها ـ شأن حريته في تفكيره وفي معتقده وفي تعبيره وفي ملكه ـ لان طبيعة التكوين الانسانى تستلزم الاجتماع .

ومن مظاهر الاجتماع اللازمة التعامل والتبادل في ابعاده المختلفة واشكاله المتباينة .. من تبادل ثقافى ومادى وفنى الخ ..

فالانسان ـ على عمومه ـ لابد من ان يتعامل مع الاخرين .

والاسلام يقدم لانسانه ـ في ذلك المجال ـ كل المساعدات ليستجيب لذلك الداعى الفطرى بطريقة تتناسب مع حاجاته الخاصة والعامة .. وكانت أهم الوسائل المحققة لذلك الداعى الفطرى هى تحرير انسانه في مواجهة التعامل مع الاخرين .

والتحرر الذى يهدف الى اشباع الحاجات الانسانية يتحتم عليه أن يسير في اطار « لا ضرر ولا ضرار » ، فهى حرية مضبوطة ـ كما ضبطت حرياته السابقة ـ وهذا الضابط ليس مفروضا على الانسان من خارجه ، وانما تستلزمه حاجاته هو ـ كما سبق تقريره ـ وتدفعه اليه طبيعته الاصيلة .

ولذلك وجه الاسلام انسانه وارشده ـ في التعامل مع الآخرين ـ الى أن يعتمد في تعامله على حرية الادراك والموازنة .

وليتحقق له ذلك .

أ ـ اشترط الاسلام لحرية التعامل أهلية الانسان المادية لأن يدرك ويوازن ، فالغى كل عقد وتصرف يقوم به انسان غير متوافرة لديه عناصر الاهلية فلا قيمة لالتزام يبرمه طفل أو صبى لم يبلغ سن الرشد ، لانه التزام خال من الحرية ، اذ مبرمه غير متوافرة لديه عناصر الاهلية من ادراك وموازنة .

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » .

(٦ النساء)

ومثل الانسان الذى لم ينضج عقله لصغره .. الانسان الذى فقد النضج بسفه أو عته أو سكر أو اكراه .. الخ ..

« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما .. »

(٥ النساء)

« فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل . »

(٢٨٢ البقرة)

ولهذا السبب نفسه منع الاسلام أن يكره انسان على الدين ، كما لم يعتد الاسلام باكراه انسانه على الكفر والارتداد عن الايمان .

« لا اكراه في الدين .. »

(٢٥٦ البقرة)

« .. الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان . »

(١٠٦ النحل)

ب) واشترط ـ كذلك ـ لحرية التعامل أهلية الانسان المعنوية لان يدرك ويوازن ، فالغى كل تصرف في ظل الخداع ويعتمد على التضليل أو التزوير .

« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » .

(٧٧ المائدة)

واهتم الاسلام بانقاذ انسانه من كل ضلالة تفقده تلك الاهلية ، وتحول بينه وبين حرية التعامل .

« يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم » .

(١٧٦ النساء)

فالشيطان قد اتخذ من الاضلال والخداع والتزوير وسائل يغير بها الحقيقة ، ويصبح بها الانسان أسيرا في قبضة الشيطان يقوده الى حيث يريد هو من دون الانسان ، ولذلك حذر الاسلام انسانه من الوقوع في هذا الشرك وارشده للبعد عنه .

« لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا .

« ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله .

« ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا .

« يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » .

(١١٨ - ١٢٠ النساء)

وهكذا يخلص الاسلام انسانه من كل ما يستذل ويستعبد ، ويرشده ليحيا حياة الانسان الحر الواعى المدرك المميز المختار ..

ولذلك .. عمل الاسلام على تخليص انسانه من الرق - وهو مظهر من مظاهر الاستعباد ، وصورة من صور فقدان الحرية - وكان عمله فى ذلك الميدان ذا شعب ثلاث : -

اما الشعبة الاولى . - فقد كانت تمهيدا لاساعة الحرية فى الارض ، وتعويضا للمجتمع الانسانى عما يفقده بالقضاء على نظام الرق من أيد عامله .

ومن ثم شرع لانسانه العمل - وقد كان الانسان الشريف يأنفه ويأباه - وسن له نظاما يرفع من قيمة العامل ويحث عليه ، فتتابعت التوجيهات والتوضيحات والارشادات .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

(١٠٥ التوبة)

« فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض . »

(١٩٥ آل عمران)

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله . »

(١٠ الجمعة)

واما الشعبة الثانية : - فقد عمد الى روافد الرق فاقام عليها السدود والحواجز - تمهيدا للقضاء على مجراه - فقصرها على الميراث والاسرى فى الحرب التى يعتدى فيها على المسلمين .. وليس كل الاسرى يسترقون ، وانما للحاكم المسلم أن يمن عليهم بالحرية ، وله ان ياخذ منهم فداء يحررون به انفسهم .

« فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . »

(٤ محمد)

وعليه .. فلا استرقاق بطريق الخطف - كما كان يفعل الرومان - ولا بطريق بيع الانسان نفسه ، أويبيعه ولده - كما كان يفعل البشر من جوع وحرمان - ولا تسديدا لدين ، أو انفاذا لعقوبة .. كما كانت تخول ذلك شرائع من قبل الاسلام ودساتيرهم .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أنه قال : - « ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة - ومن كنت خصمه خصمته - رجل اعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فاكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره . » رواه البخارى

واما الشعبة الثالثة : - فقد فتح الاسلام أبواب التحرير على مصراعيها . -

أ) فجعله من أعظم القربات ، يصل الانسان عن طريقه الى رضا ربه .

« فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة .

« فك رقبة . »

(١١ - ١٣ البلد)

ب) وجعله تكفيرا للانسان عن خطاياه المختلفة .. حين يقتل خطأ .

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . »

(٩٢ النساء)

وحين يخطىء فى علاقته مع زوجه ..

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا .. »

(٣ المجادلة)

وحين يحنث فى يمين ..

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

(٨٩ المائده)

حـ) وجعله حقا للرفيق - حينما يجد فى نفسه الاستطاعة - يطلب من سيده أن يشترى نفسه بمال يدفعه اليه ولو مقسطا .. وعلى السيد أن يساعده ويسهل عليه الأمر ، فيتنازل عن شىء من المبلغ المتفق عليه .

« والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

(٣٣ النور)

د) وجعله حقا للجارية اذا ولدت من سيدها فتعتق من رأس ماله بعد موته ، ولا يجوز بيعها ولا هبتها فى حياته ، ولا يجوز ارثها بعد موته أما ابنها من سيدها فانه يولد حرا .

عن ابن عباس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : - « أيما امرأة ولدت من سيدها فهى معتقة عن دبر منه - أو قال - من بعده » .

وفى حديث عمر عن الامام مالك . « أيما وليدة ولدت من سيدها فانه لا يبيعها ولا يهبها ولا يورثها ، وهو يستمتع منها فاذا مات فهى حرة . »

ولهذا الملحظ الدقيق أباح الاسلام للرجل أن ينكح من شاء من امائه دون قيد بعدد ، وليس لأنه دين شهوة وامتاع جنس .

ولم يفت الاسلام - فى مجال توجيه انسانه الى الحرية - أن هناك نفوسا ران عليها الظلم فرضخت له حتى أعماها عن نور الحرية ، وكاد استعذاب الاستعباد يصبح سجية وفطرة .. لم يفت الاسلام هذا فتوعد أمثال هؤلاء بأشد العقوبات وأنذرهم بأن عذرهم- مهما كان - لن يقبل ، فليس هناك من سبب يدفع الانسان الى قبول الذل ، ولن توجد علة ترضية بالتنازل عن الحرية ، اذ الحرية والحياة لا يفترقان ، ومن يتنازل عن حريته كمن يقدم على الانتحار سواء بسواء .. والاسلام يابى لانسانه كلا الموقفين ، فلا المال ولا الجاه ولا السلطان ولا الولد ولا الوطن بالذى يضحى من أجله انسان الاسلام بحريته ، لأن المال والجاه والسلطان والولد والوطن يفقد قيمته لدى الانسان المستعبد .

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض .

« قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .

« فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . »

(٩٧ النساء)

ولذا اعتبر الاسلام العمل على تخليص المستعبدين هدفا من أهداف الجهاد .

« وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

(٧٥ النساء)

وهكذا يسير الاسلام بانسانه فى قوة ، وعلى هدى ونور ليحرره مما ران عليه ، وطمس الحقائق امام عينيه فاختلطت امامه السبل ، وتشعبت به الطرق ، وانهكه السير دون أن يحقق ذاته ، أو يصل الى غايته .

من أعمال الفلكيين العرب

الدكتور عبد الحليم منتصر

لقد شغف كثير من العلماء العرب بعلم الفلك خاصة ، وذلك الى جانب اتقانهم لكثير من العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والنبات والحيوان والمعادن وما اليها . ولا شك أنهم قد اطلعوا على أعمال من تقدمهم من العلماء الصينيين والبابليين والكلزانيين والمصريين القدماء والاغريق ، فان تطلع الانسان الى السماء ، ومحاولةاستكناه اسرارها قديم قدم الانسان نفسه ، وقد استطاع الصينيون منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد التعرف على اوقات الاعتدالين والانقلابين عن طريق الارصاد الزوالية والشمس والنجوم ، كما عرفوا طريقة التكهن بمواعيد الكسوف والخسوف ، وكذلك رصد المصريون القدماء النجوم والكواكب ، ونظموا بارصادها مواعيد الزراعة والحصاد ، كما وضعوا تقويما شمسيا جعلوا مدة السنة فيه اثنى عشر شهرا ومدة كل شهر ثلاثين يوما وكانوا يضيفون الى كل سنة خمسة أيام سميت نسيئا وجعلت اعيادا ، وعرفوا أن مثل هذا التقويم الشمسي يتاخر يوما كل أربع سنوات .

وقد عرف هذا التقويم فيما بعد باسم التقويم الجولياني نسبة الى يوليوس قيصر الذى أضاف يوما الى كل سنة رابعة وهى ما تسمى بالسنة الكبيسة . وعن المصريين والبابليين الذين اشتهروا هم ايضا بالدراسات الفلكية ، عرف الاغريق علم الفلك واضافوا اليه من فلسفاتهم الشيء الكثير ، واشتهر من بينهم فيثاغورس وفيلولارس وهيراقليدس واشتهر من علماء الاسكندرية فى علم الفلك ارسطيلوس وطيموكاريس فى القرن الثانى قبل الميلاد واقاما فى جامعة الاسكندرية القديمة مرصدا ، وسجلا رصدات فلكية بالغة الأهمية . كما اشتهر كذلك هيبارخس وأرسطارخس ، وقد قدر الأخير حجم كل من الشمس والقمر وأبعادهما وشرح طريقة قياس أبعاد الأجرام السماوية وحجومها كذلك عرف العالم أعمال ارشميدس الفلكية وقد بين ارسطارخس أن الكون أكبر كثيرا مما نرى ، وان النجوم والشمس ثابتة فى أمكنتها وأن الأرض تدور حول الشمس . أما بطليموس الأول فقد حقق كثيرا من البيانات الفلكية وثبت دعائم علم الفلك على أسس هندسية ورياضية دقيقة ووضع كتابه المشهور فى الفلك والمعروف باسم المجسطى الذى ظل عمدة لأهل الصناعة فى هذا الفن بضعة عشر قرنا من الزمان .

وقد انتقلت هذه المعارف الفلكية الى العلماء العرب ، الذين اكبوا على دراستها وتفهمها وترجمة كتبها الى العربية ، واقيم مرصد بغداد فى عهد الخليفة المأمون ، الذى جهزه بأجهزة علمية دقيقة الصنع ، كبيرة الحجم كثيرة العدد ، وقام على مرصد بغداد نفر من العلماء ، اشتهر من بينهم على بن عيسى الأسطرلابى ، وابو يحيى بن منصور وعمل الزيج المأمونى ، ونشر عددا من الكتب فى علم الفلك ، وقد عنى العلماء العرب بالارصاد الفلكية ، وعينوا مواقع النجوم وترجموا كتاب المجسطى عن حجم الأرض . كما صححوا بعض الأخطاء التى وقع فيها فلكيو الاغريق ، ووضعوا جداول جديدة ، ووضعوا أزياجا عربية خالصة . كما الفوا كثيرا من الكتب فى علم الفلك ، بلغ من شهرة بعضها وذيوع صيتها ان ترجمت الى اللاتينية ، وكانت تدرس فى جامعات اوربا فى

عصر النهضة . من بينها كتاب الحركات السماوية ومواقع النجوم للفرغانى ، وكذلك اشتهر من الفلكيين العرب « البتانى » الذى راجع وحقق كتاب بطليموس ، ووضع زيجا خاصا يعتبر من الجداول الهامة عن حركات الشمس والقمر . كما الف عبد الرحمن الصوفى كتابه المشهور عن « صور الكواكب » ووضع «البوزجانى» كتابا سماه «المجسطى» ومن أشهر الفلكيين الاسلاميين « ابو الريحان البيرونى » الذى الف كتابه المشهور « القانون المسعودى » الذى يعتبر من أعظم الموسوعات العربية فى علم الفلك ، وعندما أهدى البيرونى كتابه الى السلطان بعث اليه السلطان بثلاثة جمال تنوء بأحمالها من نقود الفضة والذهب فردها البيرونى قائلا انه انما يخدم العلم للعلم .

وكان الحاكم بأمر الله مولعا بعلم الفلك ، فكلف « ابن يونس » المصرى باقامة مرصد فلكى على جبل المقطم ، الذى نشر الزيج الحاكمية للكواكب ، ورصد كسوف الشمس بدرجة عالية من الدقة والاتقان ، وقد كان للجداول الحاكمية شهرة فائقة ، حتى ذاع صيتها ، وكانت المثال الذى احتذاه نصير الدين الطوسى فى وضع الزيج الخانكية فيما بعد ، وهى خاصة بحركات الكواكب ومواقع النجوم .

وقد انتقلت هذه النهضة الفلكية العلمية الى الأندلس ، وأقيمت المراصد فى قرطبة وطليطلة .

واشتهر من علماء الفلك فى المغرب العربى والأندلس العالم العربى الذى عرف باسم الزرقالى ، الذى قام بحساب جداول فلكية جديدة وادخل تحسينات عديدة على الأسطرلاب .

لقد سبق العلماء العرب « كوبرنيق » و« جاليليو » و « كبلر » الذين يعتبرون من واضعى اسس علم الفلك الحديث . ومن الفلكيين العرب المحدثين المرحوم « محمود باشا الفلكى » وكان يقوم بأعمال الرصد فى الرصدخانة التى انشأها الفرنسيون فى بولاق وقد وضع عددا من التقاويم ، ونشر كثيرا من البحوث القيمة قدرتها المجامع العلمية ؟ وتعتبر ارصاده لكسوف الشمس من ادق الأعمال الفلكية التى قام بها ومن اجلها حاز تقدير الأكاديميات العلمية الفرنسية والبلجيكية والمجمع العلمى المصرى . وقد تقدم علم الفلك فى العصر الحديث تقدما عظيما وخطا الى الأمام خطوات جبارة بفضل نظريات اينشتين وبفضل الأجهزة الحديثة التى تزيد من قدرة العلماء على الكشف والرصد فعرف الكثير من السدم ، ورصد العديد من النجوم والكواكب ، وعرف أن هناك ملايين من المجرات تشبه مجرتنا ، وانها لمنتشرة فى الفضاء العريض ، الذى يقدر اتساعه بعشرة بلايين من السنين الضوئية .

وها هو الانسان بفضل العلم فى عصر الفضاء والصاروخ ، لم يعد يكتف بالتطلع والرصد وهو على سطح الأرض ، ولكنه يشق عنان الفضاء بصاروخه ويقطع آلاف الكيلو مترات صعدا فى السماء ، يحاول أن يبلغ أسبابها وأن يطوف بأقمارها وكواكبها ونجومها وما هو ببعيد ذلك اليوم الذى يحط فيه رحاله على بعض أجرامها .

ولا مراء فى أن أعمال الفلكيين العرب ، كانت الركيزة التى قامت عليها نهضة علم **الفلك الحديث ، وقد ترجم كثير من هذه الأعمال الى اللغة اللاتينية ، وكانت المرجع الذى استقى منه علماء الغرب علمهم .**

وهل يعلم شبابنا أن كتب البنانى والبيرونى والصوفى والفرغانى وغيرهم من الفلكيين العرب كانت المرجع الذى اعتمد عليه فلكيو الغرب ، وانه لولا أعمال هؤلاء العلماء العرب فى هذه العلوم ، لاضطر كوبرنيق وكبلر ونيوتن وديكارت أن يبدؤوا من حيث بدأ هؤلاء وهل يعلم ان « لالاند » يعد البنانى من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم ، وأن « كاردانو » يعد « الكندى » من الاثنى عشر عبقريا المعدودين فى المرتبة الأولى فى الذكاء فى العالم كله .

ما أحوجنا الى نشر كتب الفلكيين العرب بأسلوب العصر ولغته ، حتى يعلم شبابنا مكانتنا العلمية ، فلا يغمط فضل العلماء العرب فى نهضة العلم وتقدمه .

إلى أين يا أمريكا؟ أسود .. وأبيض!

وراء تمثال الحرية

الأستاذ عبد العليم المهدى

قالت صاحبتى وهى تضيق بالكتاب الذى بين يدى : ألا تفرغ من القراءة لحظة .. ألا يمكن أن ينتفع بك أبدا فى البيت .. حتى عندما نتحدث اليك نراك شاردا مستغرقا فى كتبك التى لاتنتهى .. ثم ما هذا الكتاب الذى تغرق فيه الآن ؟...

وانتزعت منى الكتاب وقرأت العنوان وهى تضحك قائلة : « **ياأمة من الأغنام** » .. أية أمة يعنيها المؤلف ؟ ..

قلت : أمريكا طبعا ! ..

قالت : ولكن الكاتب أمريكى !..

قلت : وأطرف مافى الكتاب عنوانه .. أما موضوعه فيشير الى حقيقة الجاهلية التى تسيطر على التفكير الأمريكى ..

قالت : وما هو موضوعه باختصار ؟..

قلت : ان الكاتب الأمريكى يتهم الشعب الأمريكى بأنه أمة من الأغنام .. تركت لرجال الحكم فيها الحبل على الغارب فى توزيع المساعدات عن يمين وعن شمال ثم لايحصلون على أرض تحتلها أمريكا مقابل هذه المساعدات الدولية التى جعلت من أمريكا مثل الغنى الأبله الذى يعطى ولا يأخذ !

قالت : ولكن الاستعمار يصفى حسابه الآن فى كل أرض يحتلها ..

قلت : ولكن الكاتب الأمريكى يندم باسم بلاده على ضياع الفرصة من يد أمريكا وكان فى وسعها أن تحتل العالم !

قالت : تفكير سطحى ..

قلت : علامة مميزة للفكر الامريكى ..

وعادت صاحبتى الى الضحك قائلة : ولكنك تقول ان أطرف ما فى الكتاب عنوانه.. ماذا أعجبك فيه ؟..

قلت : ان الكاتب صادق فى تسمية الكتاب..

قالت : من وجهة نظرك ! ..

قلت : انه مثل فى حرية الرأى .. أمريكى يطلق على قومه أنهم أمة من الأغنام .. ثم يطبع الكتاب ويوزع وينشر بكل لغات العالم..

قالت : حتى وقع فى يدك ! ..

قلت : ان الكاتب قد أعطانى الفرصة التى أقول فيها لأمريكا : **وشهد شاهد من أهلها !**

قالت : ولكن ألا ترى أن أمريكا تأخذ الآن برأى هذا الكاتب فى بعض مناطق العالم التى تعيش تحت الضغط الأمريكى ..؟

قلت : وأمريكا بعد ذلك زعيمة الحرية فى العالم ٠٠ والدليل هو تمثال الحرية الذى يجسم الواجهة الأمريكية ٠٠ ومن خلفها ترقد العبودية !

قالت : وكيف ؟٠٠

قلت : العبودية التى تفرضها أمريكا على بعض سكان العالم ، تفرضها فى نفس الوقت على بعض سكان أمريكا ٠٠ أمريكا التى بلغت شأوا بعيدا فى الحضارة ٠٠ والحرية ٠٠٠ والديمقراطية ٠٠ الى آخر هذه الالفاظ الرنانة ٠٠ **سوف تحنى رأسها خجلا من عار التفرقة العنصرية التى أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية كلها مسرحا لها ٠٠** للأبيض كل شىء ٠٠ وللاسود كل الذل وكل القيود التى لا يتحرر منها الا بالموت ٠٠ اننى لا أتصور مطلقا كيف تبرر الأمة الامريكية تخليها عن مبادىء **«لنكولن » محرر العبيد٠٠** لاأتصور أن تثور جامعة أمريكية لأنه دخلها طالب أسود ٠٠ لا أتصور أن تكون مدنية هذه التى تسمح بالحكم على انسان أسمر بالجوع لأنه نزل مدينة ليس فيها مطعم للملونين ٠٠ ولا أنس ولايمكن أن ينسى التاريخ كيف تلحق الاهانات بوزراءافريقيين فى زياراتهم الرسمية لأمريكا عندما يفكر أحدهم فى ارتياد مكان محرم على الملونين !

قالت : وهل حدث مثل هذا ؟

قلت : يحدث فى كل يوم ٠٠ وكم تسيل الدماء فى معارك التفرقة العنصرية بين السود الأمريكيين والبيض الأمريكيين ٠٠ أتعتبر هذه مدنية ؟٠٠ هل يمكن أن تسمى هذه حرية ؟ ٠٠ والأعجب من ذلك هو اختيار العالم لأمريكا لتكون **مقرا للأمم المتحدة !**

قالت : وما علاقة هذا بذاك ؟

قلت : ان أمريكا أول بلد فى العالم يخالف قرارات الأمم المتحدة بشأن القضاء على التفرقة العنصرية ٠٠ أمريكا فى وضعها هذا ليست جديرة بأن تكون مركزا لهيئةالأمم المتحدة التى بح صوتها فى الدعوة الى تحطيم التفرقة العنصرية ٠٠ وما موقفهابعيد من حكومةجنوب افريقيا التى أصبحت سبة فى جبين الحضارة بسبب خروجها على قرارات الأمم المتحدة التى تدعو الى محو التفرقة العنصرية ٠٠ولكن من حق حكومة جنوب افريقيا **أن تضرب بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط ، مادامت الأمم المتحدة لم تر المهازل التى من حولها على الأرض الأمريكية بسبب هذه التفرقة ٠٠ ولم تصدر الأمم المتحدة منذ انشائها حتى الآن٠٠** ولا عصبة الأمم من قبل ٠٠ **لم تصدر احداهما توصية بدعوة أمريكا الى منع التفرقة العنصرية ٠٠ ومادامت زعيمة العالم الحر لم ترع عهد ابنها لنكولن محطم قيود العبيد ٠٠ فلماذا لاتتمادى حكومة جنوب افريقيا فى هذه الجريمة البشعة ؟٠٠**

قالت : ان لك تخريجا غريبا فى التحليل٠٠!

قلت : أليس العالم كله ضد حكومة جنوب افريقيا بسبب مأساة الاسود والأبيض ٠٠ ولكن هذا العالم لايستطيع أن يقول لأمريكا كلمة والمأساة نفسها تمثل على أرضها من حول مبنى هيئة الأمم المتحدة ٠٠ **ألايمكن أن تبحث المنظمة العالمية عن مكان آخر لاتمارس فيه التفرقة العنصرية ؟٠٠**

قالت : وهل نقل الأمم المتحدة يمنع أمريكا من ممارسة هذه التفرقة ؟ ٠

قلت : ربما يكون درسا رادعا ٠٠أوربما يكشف بصائر الدنيا على **الجاهلية التى تعيش فيها أمريكا ٠٠**

قالت : أتكون أمريكا على مكانها هذا من التقدم والحضارة ، ويصدقك أحد عندماتقول انها تعيش فى **جاهلية ؟**

قلت : منذ ١٣٨٥ عاما قالت السماء لأهل الأرض كفوا عن تمييز انسان عن انسان بسبب الجنس أو الدين أو اللون ٠٠ كلكم لآدم وآدم من تراب٠٠ لا فضل لأبيض على أسود الا بقدر ما يقدم من خير للبشرية ٠٠ لقد كانت الحياة قبل ذلك تختلف ٠٠ كان الانسان يباع ويشترى فى الأسواق بجانب قطعان الماشية٠٠! كان العبيد فى كل قصر وفى كل بيت ٠٠ وكان التمييز يبلغ حد الاستحمام للتطهر من ظل عبد اسود وقع على جسم أبيض !

قالت : ماهذا الذى تقول ؟ ٠٠

قلت : الذى أقوله هو الذى يتجدد الآن فى أمريكا ٠٠ **فى الجاهلية الجديدة ٠٠** ان الله لم يفرق يوما بين مخلوق ومخلوق ٠٠ لم يقل سبحانه أبدا ياعبادى السود أو ياعبادى

البيض ... لم تنزل من السماء يوما آية تبرر العبودية لانسان .. فقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الحرية بحق .. ولازلنا نذكر جميعا حديثه الشريف المشهور : « بلال منا آل البيت » .. وكان بلال أسمر البشرة ... ولم تمنعه سمرة وجهه من بياض قلبه وعميق ايمانه الذى جعله واحدا من عظماء التاريخ .

كان الناس فى الجاهلية الأولى عبيدا وأشرافا .. فلما جاء الاسلام طوى صفحة الجاهلية وأصبح الناس جميعا سواسية كأسنان المشط .. لافضل لأبيض على اسود الا بالتقوى .

منذ ذلك التاريخ طويت صفحة الاشراف والعبيد . وتحررت البشرية من عبادة الناس والحجارة .. وأصبح كل مخلوق عبدا **لله وحده .. وكل عمل من أعمال الجاهلية باق فى أية أمة انما يدفعها بعار الجاهلية أبدا .**

قالت : حقا ... قد يهون الأمر فى جنوب افريقيا .. ولكن الأمر لايمكن أن يهون أبدا فى أمريكا .. فكيف يمكن اصلاح هذا الأمر ؟

قلت : صعب على أمريكا أن تدخل فى الاسلام .. وان كانت فى الطريق اليه .. **لقد بدأ الأمريكيون السمر يعتنقون الاسلام باعتباره المدخل الطبيعى الى الحرية .. والدرع الواقية من التفرقة العنصرية .**

قالت : أنت كثير الأحلام ..

قلت : قالها من قبلى برناردشو ..

قالت : وماذا قال صاحبك العجوز الساخر ؟ ...

قلت : قال كلاما عجبا .. قال « ما أحوج البشرية فى هذا العصر الى رجل كمحمد . انه وحده صاحب الدين القادر على حل مشاكل البشرية .. يكفيه فقط أنه جعل كل الناس سواء .. لافضل لمستر شو على خادم مستر شو .. كلنا لآدم .. وآدم من تراب .. واذا كنتم تعلقون أهمية كبرى على نبوءات عظماء الرجال - ومستر شو منهم طبعا : - فانني أرى كثيرا من بنى قومى يدخلون دين محمد ، وأرى القارة - يعنى أوربا - تسير فى هذا الطريق ، وعنها ستأخذ أمريكا »

قالت : هل قال هذا برناردشو ؟

قلت : واننى أتنبأ بأن أمريكا سوف تسبق بلاد الجاهلية الجديدة الى الدخول فى الاسلام .

قالت : قد يصعب على أمريكا بعد أن أفلت فيها زمام الأخلاق أن تضع فى أيديها قيود الاسلام .

قلت : ان تقدم العلم المادى فى أمريكا سوف يصل قريبا الى غاياته ، وعندها سيدرك أنه انتهى الى سراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

قالت : وبعد ؟..

قلت : ستجد أمريكا نفسها عندما تتحول بالعلم المتقدم الى الوعى الروحى .. لقد شبعت أمريكا انحلالا . وشبعت أمريكا اسرافا فى الرذيلة .. وشبعت أمريكا ترفا وفسادا تحسن صناعته الأجهزة الصهيونية .. أمريكا اليوم تدور فى ساقية الذهب معصوبة الأعين .. سوف تفيق لحظة من السكرة الطويلة فيلمع أمام أعينها نور السماء .. ستلعب الحركة السريعة فى الحياة الأمريكية دورها القريب فى الانتقال السريع الى شاطىء الامان .. باعتناق الاسلام .

شركة مصر
لتجارة السيارات (ع.م)

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجهارت بالمجر

مصانع س.أ.ف ولوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

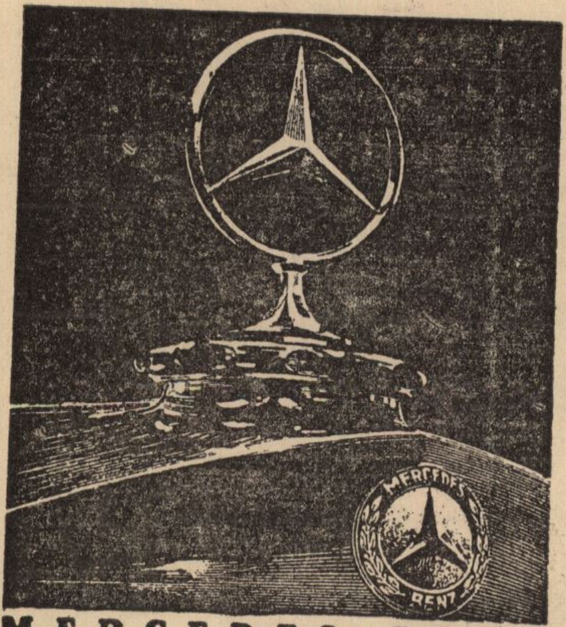

MERCEDES-BENZ

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٢١-٧٣٠
بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢-٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦
٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم :

مجلة الفكر المعاصر

• علمية الرأى
• عالمية الفكر
• إنسانية المعرفة

رئيس التحرير
الدكتور زكى نجيب محمود

أطلبها من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣ ٥

المكتبة الثقافية

• الفلاح فى الأدب العربي
محمد عبد الغنى حسن

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ سه ٢٦ يوليو ت ٥٥٠٣٢ - ٧٧٧٤١ تصدر فى ٦٥/٣/١ ٢

تراث الإنسانية

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التى أثرت فى الحضارة الإنسانية

المجلد الثالث العدد ٣

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٣٨٣ تصدر فى ٩٦٥/٣/٥ ٥ قروش

أعلام العرب ٣٩

• أحمد لطفى السيد

دكتور حسين فوزى النجار

٧ /٣/ ١٩٦٥

يطلب من الباعة ومن مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ت ٩٠٨٩٢٠/٩٠٥١٤٧ ٥ قروش

مجلة الكتاب العربي

العدد ١٠ تصدر يوم ١٩٦٥/٣/١٠ الثمن ٣ قروش

المكتبة الثقافية

ثروتنا المائية : للدكتور أنور عبد العليم

١٩٦٥/٣/٥

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ سه ٢٦ يوليو ت ٥٥٠٣٢ / ٧٧٧٤١ ٢

صداه كأَنه نَغَمُ هتافُ رنَّ أَوْ قَسَمُ
من الأَعماق قد دوّى بِنُور الحب يقتحمُ
تعالى الله بَثَّ الحُبَّ فائتلفَتْ قلوبهمو
ولوْ أنفقْت ما فِى الأَرْ ضِ ما أَلَّفْتَ بيْنهمو

* * *

بايمانٍ عرفناهُ وعن رشَدٍ حبَبْناهُ
وفى ثقةٍ حباه الشعبُ بيْعتَهُ وولَّاهُ
حبيب الشعب . مَنْ للشعب طولَ العمر إلَّاهُ
بثورته حباه الرُّوحَ يَفْديه ويرعاه

* * *

أَلَا فلْتشهد الدنيا ومَنْ كانوا على ريْبِ
أَلا فليشهد التاريخُ أَمواجًا من الحُبِّ
« جمال » الشعب مِلْءُ هواه . ملءُ الروح و القلب
لقد عزَّت رئاستهُ بحكم الله والشَّعْب

* * *

وبالاجماع بايَعْنا ولن نرضى سوى ناصر
نَدِينُ إليْكَ بالارواح والمهجات : يا ناصر
لقد أَيقَظْتَ عزمَ الشرق لمَّا ثُرْتَ يا ناصِرْ
فدُم للحق . للأَحرار فى كلّ الدُّنى .. ناصر

اليوم نرفع باسمك الأعلاما

الشاعر محمد هارون الحلو

بطل الكفاح ، تحيّةً ، وسلاما ... اليوم نرفع باسمك الأَعلامَا
ونراك فى أُفُق العروبة كوكبًا ... يهدى السُّرى ، متأَلِّقًا ، بسّاما
فنجدّد العهد الذى قد صُنْته ... ووعاه شعبك مذْ رآك هُمَاما
يفديك ، وهو على المودّة قائم ... ويرجّع الصّبوات ، والأَنغاما
عرف الشباب بك الطريق إلى العلا ... والمجد ، فاستبقوا إليه كراما
خُضْت الكفاح بهم مواكب نهضة ... وغدوت للنصر المبين حُساما
ترمى عن البأْس الفتىّ ، وهمّة ... عربية ، فتزلزل الأَحلاما
يا أيها السّارى بدين محمّد ... فينا ، لينشر رحمةً ، وسلاما
ويذودَ عن كنفِ الشّعوب ، وحقِّها ... ويردّ عنها البغى ، والإجراما
دوّى الأذان به ، فأَيقظ فى الورى ... أممًا ، وأَجّج ثورة ، وضراما
رأَت العروبة فى قيادة ناصر ... تحيا ، وتقوى دولةً ، ونظاما

فرمتْ بقيد الذلّ عنها ، واستوت في وثبة تستنهض النُّوّاما

عرفت طريق كفاحها ، ونضالها فمضتْ تجاهد غاصبًا ظلّاما

وازورَّ طاغوتُ الشُّعوب مهزوْلًا لما رآك تحطِّمُ الأَصناما

يا أيها المذخور فارسَ أُمَّة يحمى حماها باسِلًا مِقْداما

عرف المعلم فى نضالك نهضةً للعرْب فاستبق الطريق أماما

وسعى بنابتة البلاد إلى العلا ليقيمَ مجدًا ، أو يشد سناما

الجسم يضنيه ، ويشقى روحَه لا يشتكى بهما أَسًى ، وسقاما

فلقد وعَى فى الصّبر درْع نضاله كزعيمه متساميًا ، فتسامَى

تبنى حضارة أُمَّة بيمينِهِ ونصوغ من خطراته الأَفهاما

أَنصفته ورعيت فضل كفاحِهِ وبثثته النَّجوى فهام غراما

ومددت كفًّا بات يعرفُ قدرها وبها ينال العزَّ والإكراما

فوعَى الجميل ، وليس مثل وفائه إن يرْع عهدًا ، أو يصون ذماما

اليوم يبسطُ راحتيْه مبايعًا بطل العروبة قائدًا ، وإماما

ليتمَّ باسم الله صرْحًا قد بنى ويشدّ ركنا للعلا ، ودعاما

ويحررَّ الوطنَ السّليب من الأُلى قد دنَّسوا حرمًا به ومَقَاما

* * *

قل لابن صهيون ، تَعِسْت وأَنت فى غابِ الأُسودِ ، تناجزُ الضُّرغاما

لن يهمل الأَحرار جرْمك بعد ما قارفت وزرًا ، واحتملت أثاما

لو كنْت تدْرى ما يخبّئه غدٌ لطرحت عنك الرجس والأَوهاما

وعرفت حقًّا أن حتْفك فى الذى حفرتْ يداك ، ولن تنال مَراما

قد أَمهلوك ، ولن يطول بك المدى فالموتُ مبتدرٌ إليك زؤاما

فتوقَّ لو تستطيع أمرًا مبرمًا نهض الأُسودُ به ، وكان لِزاما

أنا كلما ضاقت بى الدنيا أُنادى يا مجيرى
وإذا الحياة تبسمت فالسرّ عندك يا نصيرى
يا رب أنت خلقتنى وإليك يا ربى مصيرى
فاصنعْ بعبدِك ما تشاءُ فما أحنَّ يدَ القدير

* * *

أَنا فى الصباح أَقول يا ربى وما ربّ سواهُ
استقبلُ اليومَ الجديدَ مع الرجاء على رضاهُ
وأَسيرُ فى دربِ الحياةِ المستقيم على هداه
وأَبيت ضارعةً عسى أَن يستجيبَ لى الإلهُ

* * *

أَنا كلما فكرتُ يا رباه فى الدنيا أحار
تلك السماءُ رفعتها والنجمُ كلٌّ فى مدار
والشمس تشرق فى الصباح تنير آفاق النهار
يا رب أَعجزتَ الجميع كبارَهم قبل الصغار

* * *

لم اعتمد أبدًا على غير الإله لحاجتى
فمَن الذى غيرُ القوىّ يُعِيننى فى شدتى

أرضى بما يرضاهُ لى ورضاهُ عنى غايتى
تلك الحياة ستَنقضى مهما تطُلْ فى لحظة

* * *

نفنى ويبقى وجه رب الكون جلَّت قدرته
مَنْ غيرُه وسِعَ الوجودَ بما أفاءت رحمته
أسعى إليه بلهفة والقلبُ فاضت عبرتُه
كن يا إلهى عونَ من فى الليل طالت دعوته

* * *

وإذا أنا أخطأت يا ربى فعفوك منتظَرْ
لستُ الملاكَ ولا النبىَ وما أنا إلا بشرْ
لكن إذا الشيطانُ وسوس بالهوى يوما أفِرْ
بك يا إلهى استعيذ واستجير فأستقر

* * *

البشر يعلو جبهتى وعلى الشفاه سنا ابتسامه
أرضى بما تقضى الحياةُ به وإيمانى علامة
ولغير ربى ما لجأتُ فصانَ وجهىَ والكرامه
أنا لا أرى إلا لوجه الله فى الدنيا دوامه

الله

الشاعر العراقى ابراهيم حلمى الشواء

يسائلنى قومى وصحبى وغيرهم … من الناس عن شعرى وعن رائق النثر

يقولون من أى الجهابذ علمكم … فقلت من الديان يا اخوتى شعرى

هو الله استاذى ومنه معارفى … فاكتب ما يمليه سطرًا على سطر

إذا رحت ان ابدى برأى فانه … يعارضنى فيه ويملى بما يدرى

وإن بدرت منى بوادر شطحة … يعاتبنى عما يجول به فكرى

ويردعنى عما اريد لأنه … يريد الى الخير عما به اجرى

يخاطبنى بالسر كالوحى هاتفاً … الا ايها التلميذ كن صالح الأمر

فلا تلتزم غير الحقيقة جانبًا … والا يؤول الأمر فيك إلى الكفر

وإن انت واليت الحقيقة دائما — فكن داعيًا للحق فى السر والجهر
فتلك رسالات الاديب فانها — رسالات ارشاد الى الخير والبِر
وان حدت عن تلك الرسالات مثلما — احاد (المعرى) فى رسالاته الغر
تكن تائها فى ابحر الجهل غارقا — فتأخذك الأمواج حدرًا على حدر
فذلك استاذى ومنه معارفى — ومنه تعاليمى ومنه بدا بدرى
فذلك استاذى له الكون كله — عبيد ومافى الكون من غيره حرٍّ وحرٍّ
تعالى عن الابناء جل جلاله — فويل لمن يعصيه فى النهى والأمر
له الفلك الدوار يجرى بأمره — كذا الشمس والاقمار فى فلكها تجرى
يميت ويحيى كل شيئ بامره — ويعلم ما تخفى الصدور فى السر
له الليل مسود الجناحين قاتم — به يسبت الانسان من وفرة الكر
وقد جعل الصبح المنير نهاره — معاشاً به الانسان يسعى إلى الخير
فذلك هو الله ربى وخالقى — له كل مافى الكون فى البر والبحر
عظيم جليل القدر نزه ذاته — رؤف رحيم بالعباد وذو صبر
إذا زاد بالانسان هم ومحنة — فيطرق باب الصبر بالحمد والشكر
ثمان من الأملاك تحمل عرشه — وقد وسع السبع السموات فى الكبر
فذلك استاذى وذاك معلمى — مجيب إذا دعوه فى ساعة العسر
صديق إذا عز الصديق وصاحب — إذا عزت الأصحاب فى وحشة القبر
فهذى صفات الله جلت صفاته — تعالى عن الاضداد فى الخير والشر
عفوٌّ فيعفو عن قبيح فعائلى — إذا قلت يا رحمن قد جئت فى عذر
يناد ينى فى سر أتدرى بأننى — غفور وان كانت ذنوبك فى كثر

الشعر الديني

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف (٢)

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الهمزة

أركان الخليقة

قال ابن عربى فى ديوانه :

سبحان من كون السماء
والأرض والماء والهواء
وكون النار أسطقصا
فاكتملت أربعا وفاء
صعد ماشاءه بخارا
وحلل المعصرات ماء
ولم يكن ذاك عن هواها
لكنه كان حين شاء

١ ـ فى البيت الثانى كلمة أسطقص وهى بضم الهمزة وسكون السين وضم الطاء والقاف وتشديد الصاد أو بكسر المضمومات فيها ولعلها كلمة يونانية معناها الأصل والعنصر .

٢ ـ يتحدث ابن عربى عن تكوين العالم من العناصر أو الأصول الأربعة على زعم الأقدمين وهى التراب والماء والهواء والنار . والعالم الذى يتكون من هذه العناصر هو عالم الأرض أو ما تحت فلك القمر ـ كما كانوا يقولون ـ وهو عالم الكون والفساد فى عرفهم ، أما السماء وما فوق فلك القمر فليست كذلك ، هكذا كان زعم القدماء ومنه أخذ ابن عربى

والفكرة الصوفية فى هذا الكلام انما هى فى انعدام ارادة هذا الكون المخلوق ومشيئته فقد خلق من غير أن تكون له ارادة فى خلق نفسه أو تأليفه وتركيبه من العناصر التى خلق منها ، وكذلك فى انعدام الأسباب الظاهرة التى ينسبها الناس الى الأفعال ، وانما تكون بمشيئة الله وليس السبب الا مرافقا ، فالله هو الذى يصعد البخار ويحلل المعصرات ولو لم يشأ لم يصعد ولم تتحلل ، ولو كان ذلك عن أسباب منها لكانت ظواهر الأشياء عن هواها ولكنها لم تكن كذلك بل هى عن مشيئة الله وحده ولو لم تكن لم يكن سبب ولا فعل .

عناصر الطبيعة

وقال فى المعنى ذاته وزاد فى توضيح أثر العناصر فى الأجسام :

ان الطبيعة أعطت فى عنـاصرها
أحكامها بالذى فيهـا من أسماء
يبس التراب الى برد المياه الى
تسخين نار الى ترطيب أهـواء
لأجل ذا كان خلق الناس من حمأ
ومن هواء ومن نـار ومن مـاء
فتلك أربعـة أعطتك أربعـة
دما وبلغم فى صـفرا وسوداء

انه يقول نفس الكلام القديم فى تركيب فلك الأرض والانسان من هذه العناصر وأرجع اليبوسة الى عنصر التراب الذى تحول الى حمأ وصلصال فى خلق الانسان ثم ارجع البرودة الى الماء والحرارة الى النار والخفة الى الهواء ٠

ولايغيب عن الأذهان ماقاله أصحاب الكشف عن الخطوط من تأثر الانسان بغلبة عنصر فيه للعناصر الأخرى ولكن الفكرة الصوفية انماهى جبر الانسان على ماخلق عليه وانما تسيره أسماء عناصره عن مشيئة الله التى أرادت أن يكون هكذا من أخلاط وأمشاج ٠

العلم الجامع

وقال عن ميراثه علم النبى عليه الصلاة والسلام :

ورثت محمـدا فورثت كـلا
ولو غـيرا ورثت ورثت جزءا
حصلت على معـارف مفـردات
ولم أر لى بعـلم الله كفـؤا
لذلك ما اتخذت كـلام ربى
ولا آيـاته اذ جئن هـزؤا
فاقبلت النفـوس الى عـدوا
وقـد أنشأتها للعين نشـأ
لأنى رحمـة نزلت عليهم
كآنية بمـاء الغيث مـلأى
فأروينـا نفوسا عاطشات
فلم تر بعد هذا الشرب ظمأى

يقول ابن عربى انه ورث علم النبى فورث علما كليا محيطا ولو كان قـد ورث غيره لورث أجزاء صغيرة لاتبلغ من هذا البحر غير ساحله ٠ ولعل علم الغير الذى يشير اليه هو علم الأنبياء لأنهم لم يجيئوا بالكل الذى جاء به الرسول فختم رسالات السماء به ، ولمـا ورث ابن عربى هذا العلم حصل على معارف مفردات فى سعتها واحاطتها وسرها ، ولمـا كانت من علم الله فليس للعالم بها كفؤ من العلماء ٠

وقد حرص ابن عربى على هذا العلم بسلوك طريق العارفين وبذل الطاعة والفناء فى المحبة ومن لم يلق علم الله بذلك لم يجن منه شيئا لأن الجد والفصل لايلقى بغير الجد والفصل

ويظل ابن عربى يدل بعلمه هذا وكأنه صار مندمجا به فأصبحا شيئا واحدا ويصف علمه الذى هو ميراث من النبى بأنه الرحمـة التى تملأ النفوس وتنير الصـدور كالآنيـة التى تمتلىء بماء الغيث النقى الصافى لم يتلوث ولم يأسن وبه تروى النفوس العطشى ، وجدير بمن أروى منها مرة واحدة أن لايظمأ بعـدها أبدا ٠

ويشير ابن عربى الى نفوس العارفين حين تشرب من رحيق القرب وليس غيره من رحيق يبل الريق ، والله أعلم ٠

العلم وأهله

وقال فى العلم الصحيح والعلماء الاحقاء :

للحـق فينا تصـاريف وأشياء
ولا دواء اذا ما اسـتحكم الداء
الداء داء عضـال ليس يذهبـه
الا عبيد له فى الطب أنبـاء
عن الاله كعيسى فى نبـوته
ومن أتته من الرحمن أنبـاء
لايـدفع القدر المحتوم دافعـة
الا به ودليلى فيـه الاسـماء
العلم يطلب معـلوما يحيط بـه
ان لم يحط فاشـارات وايمـاء
ليس المراد من العلم الصحيح سوى
عـلم يحصـله وهـم وآراء
ان الذين لهـم علم ومعـرفة
قتلى وهم عند أهل الكشف أحياء

يقول ابن عربى ان لله فينا تصـاريف وأفعالا كما يشاء ، ومن التصاريف ما أصيب

به بعض الناس أو أكثرهم من جهل مستحكم لايجد له شفاء كالداء العضال الذى لن يكون له دواء . واذا كان له دواء فليس الا من طبيب للروح أخذ علمه وطبه عن الله كعيسى أومحمد بالمعجزات أو بالآيات .

ومع هذا فقد انعدمت الأسـباب فالقدر المحتوم لايدفعه دافعه بنفسه ولا بقدرته وعلمه وانما يندفع بالله الذى دلت أسماؤه الحسنى على قدرته وتوكلت بتصاريفه وكل اسم منها يتولى العمـل الذى وكل اليـه . وهو رأى الصوفية فى الأسماء اذ كل اسم موكل بعمل يناسبه . ومن اليسير أن يعرف ذلك مما تدل الاسماء من المعانى .

والعلم لايكون علما أو لايكون له أثر ظاهر الا وقد أحاط بالاشياء التى لايسمى علما الا بأن يعرفهـا وعلم النبى كان محيطها بالنسبة الى علـوم الأنبيـاء التى لم تحط فكانت كالاشارات والايماءات .

وينتقل ابن عربى الى وصف حال الصوفية فى علومهم وأسرارهم التى تأتيهم من طـريق الكشف لا طريق الاستدلال ويقول ان الكشف الصحيح ما تتوهمه النفس ويراه القلب : نفس الصوفى وقلبه . والصـوفية بهذا الكشـف يبلغون درجة الفناء عن أنفسهم . أو يزدرى علمهم الآخرون فكأنهم قتلى ولكنهم فى الحقيقة أحياء ولا حياة الا لمن بلغ درجة العارفين .

وابن عربى يـرى أنه لاشىء فى الأكوان أوسع من الخيال الذى يحكم بحقيقته على كل شىء وعلى ماليس بشىء . وهو الذى يصـور العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا . والخيال هو الذى يريك العلم لبنا والاسـلام قبـة والثبات فى الدين قيدا . فلا يمكن أن يطرح الخيال الذى هو أداة عند الصوفى للعلم وبه يكون الشطح عندهم ويجعل ما يرونه فى المنام واليقظة عندهم سواء (قاله فى الفتوحات) وذلك من حيث لايختلف مايصوره الخيال عن الشريعة أبدا .

من قافية الباء :

تجلى الحبيب

وقال فى محبة الله :

شمس الهوى فى النفوس لاحت
فأشرقت عنـدها القلـوب
الحب أشـهى الى ممـا
يقـوله العـارف اللبيب
ياحب مـولاى لاتـولى
عنى فالعيش لايطيب
لا أنس يصـفو للقـلب الا
اذا تجـلى لـه الحبيـب

يقول ابن عربى أن شمس الحب حين لاحت فى النفوس استنارت منها القلوب والمراد حب الله سبحانه .

وهذا الحب ـ وقد لايوصـف بـكلام ـ أشهى للعارف من كل قول مهما كان فائقـا رائعا . ويدعو ابن عربى متمينا راجيا أن لايبتعد عنه حب الله وذكره والفناء فيه أذ لا يطيب عيشه اذا ولى عنه هذا الحب فانما هو يعيش به وله وفيه كل أنس قلبه الذى لايكون الا عند تجلى الحبيب له . وهى مرحلة صوفية عليا يتحدث عنها ابن عربى .

انظر الى نفسك

وقال واعظا بأن ينظر المرء الى نفسه ليرى قدرة الله فيه :

تدبر أيهـا الحبر اللبيب
أمورا قالهـا الفطن المصيب
وحقق مارمى لك من معـان
حواها لفظـة العذب العجيب
ولا تنظره فى الأكوان تشـقى
ويتعب جسـمك الفـذ الغريب
اذا ماكنت نسـختها فمـالى
أروم البعـد والمعنى قـريب

يوصى ابن عربى أن يتدبر المفكر اللبيب فيما جاءه من أقـوال الفطناء ولعله واحد من هؤلاء الذين جاءوا بمعان عن أسرار حوتهـا ألفاظهم العذبة البليغة .

ويـوصى أن لانبحث عن الله فى الأكوان البعيدة عنا بعدا قريبا أو بعدا بعيدا لاننا اذا

اجهدنا أنفسنا وأضنينا أجسادنا فى البحث فاننا سنشقى ونعود بغير طائل . ولماذا نشقى أنفسنا فى البحث عن قدرته فى الأكوان وليس الانسان الا كونا صغيرا يمثلها ويدل عليها . ومن كان عنده القريب فقد وجب أن لايبحث عن مثله الغريب .

وفكرة كون الانسان صورة صغرى للكون أو نسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى قد سيطرت على علماء المسلمين فى القرون الوسطى واتخذها الفقهاء والصوفية فقالوا ان الانسان مخلوق نموذجا للمبدعات كلها والموجودات بأسرها .

لباس الصوفى

وقال فى الخرقة التى يلبسها الصوفية :

ألبست بنتى سفرى
خرقة أهل الأدب
ألبستها ثوب تقى
من كل خلق معجب
وقلت يابنت اسلكى
طريقتى ومذهبى
فمذهبى شرع النبى
الهاشمى العربى
فهكذا ألبستها
من كل شيخ منجب
أقول هذا وأنا
محمد بن العربى

يقول انه ألبس نفسه أثناء سفره خرقة أهل الأدب . ويكنى عن نفسه ببنته ويريد بأهل الأدب أهل الأدب الصوفى الذين يرون من آدابهم لبس الخرقة اظهارا للفقر والذلة .. ويقول ان هذه الخرقة انما هى ثوب التقى المنسوج من كل خلق فاضل معجب .

وقد حث نفسه على أن تسلك طريقته ومذهبه أما طريقته فهى طريقة الصوفية وأما مذهبه الذى تلزمه هذه الطريقة ولا تحيد عنه فهو الشريعة المحمدية ، وهكذا ألبس بنته ثوبا من الشريعة والحقيقة وكان فضل نسجه بأيدى أئمة الفقه وشيوخ الصوفية

ويؤكد ابن عربى أنه لايقول بغير اتفاق الشريعة والحقيقة عند الصوفية وأن هذا رأيه لايحيد عنه ولا يقول بغيره . وهو ماأشرنا اليه فى مقدمة هذا البحث . وهو مايشهد به عليه الامام الشعرانى كما قلنا من قبل . والله أعلم .

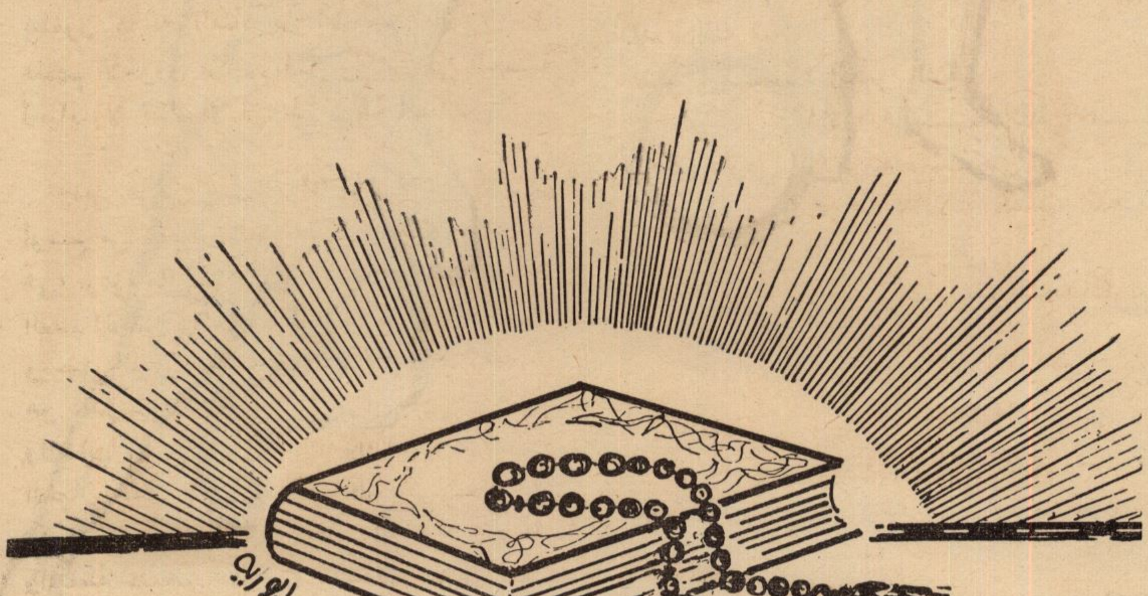

باب الرياضة
اعداد: ناصف سليم

التربية الإسلامية كفيلة بالقضاء على الشغب فى ملاعب الرياضة

كثرت حوادث الشغب فى الملاعب الرياضية أخيرا ، مما دعا الى التفكير فى الغاء المسابقات الرياضية الكبيرة ، لتحل محلها مسابقات تخف فيها حدة التعصب وتحقق الهدف منها .

وقد رأيت أن أصف هنا العلاج الذى يكفل الأمن والسلام فى الملاعب . انه فى يدنا جميعا ، نملكه ولا يستخدمه اكثرنا .. هو دواء عالمى يصلح لكل أمة ، ويحل مشاكل كل المجتمعات على السواء ، ألا وهو الاسلام والعمل بمبادئه . فيه كل شىء ، ولايمكن لمن يتحلى بمبادئه أن يكون خارجا على المبادىء الرياضية بأى حال .

وقبل أن ندخل فى تفصيل ذلك ، يجب أن نبحث أولا الأسباب التى تؤدى الى الشغب والاخلال بنظام المباريات .

* ان الشغب فى الملاعب موجود بصورة مفزعة مؤلمة فى ملاعب الخارج ، سمعنا فى العام الماضى عن حادث اشتباك الجمهور مع بعضه فى بيرو ، وراح ضحيته ٣٠٠ شخص أتو مع ٢٠ ألف متفوج ليشاهدوا مباراة فى كرة القدم ، فانقلبت الى ما يشبه المعارك الحربية وافظع .

* حدث فى نابولى منذ عامين أن اعتدى جمهور ناد مهزوم ، على جمهور ناد فائز فى أحدى مباريات للكرة ، فقام المهزومون باشعال النار فى الاستاد ، حتى أتوا على كل اثاثاته ومدرجاته ، وعملت أجهزة المطافىء جهدها فى اخماد النار التى كادت أن تمتد الى المبانى المجاورة .

* أخطأ حكم فى الأرجنتين فى احدى مباريات الكرة ، فتقدم نحوه الى داخل الملعب متفرج يسير بخطى وئيدة وثبات ، وفى فمه سيجاره الضخم ، وعندما التقى بالحكم فى منتصف الملعب أخرج مسدسه وافرغ كل رصاصاته فى جوف الحكم ! ثم تبين بعد هذا، انه كان مخمورا .

هذه أمثلة فقط لما يحدث فى الخارج فى أمريكا الجنوبية وأوروبا بالذات ، واذا رجعنا الى الدوافع التى تجعل الجمهور هناك يثور من أجل هزيمة فريق أو خطأ حكم ، علمنا أنها المراهنات .. هى التى تجعل المتفرج فى حالة جنون وهو يتابع المباراة ، لأنه دفع كل مافى جيبه فى سبيل الحصول على مافى جيوب الأخرين ، فاذا تبين له أنه قد خسر ما دفع ، أوضاع منه كنز كاد يمتلكه ، فلتت أعصابه ، وتشتت أفكاره ، وتصرف بلاوعى فحطم كل شىء أمامه واعتدى على قدسية الملاعب ، وخرج على الروح الرياضية بصورة جنونية ، تنفر منها المبادىء السليمة .

هذه هى المراهنات وآثارها ، لاتحقق هدفا ولا تريح نفسا ، ولا تثمر فائدة فى ميدان الرياضة الذى نعتبره مدرسة تربية للنفوس والأجسام .

أما عندنا فرفضت الدولة أن تمول الرياضة عن طريق المراهنات ، وتعهدت باقامة المنشآت للأندية ورصدت لكل أبواب

الرياضة ميزانية ضخمة زادت في السنوات الأخيرة على مليوني جنيه ، وقد كانت في عام ١٩٥٢ مبلغ ٢٣٠ ألف جنيه فقط .

من هنا نعجب للظاهرة الجديدة التى لمسناها فى ملاعبنا ، ظاهرة تنذر بخطر كبير .. ظاهرة التعصب والبحث عن الفوز فى المباريات بأى ثمن ، وكأنه الغاية ، مع أننا نمارس الرياضة لا لنفوز ، بل لنستفيد جسميا وعقليا .

أصبح لكل ناد شعبية خاصة ، وزعماء يتعصبون له ، ويقودون الجماهير وهذا فى اعتقادى لايضر اذا وجهت هذه الجماهير التوجيه السليم ، فلم تخرج على الروح الرياضية فى تشجيعها ، تهتف لمن يجيد ولا تذم غير الموفق لأن اللاعب لا يستمر على حالة واحدة ، اليوم يستحق الثناء ، وغدا قد لايستحقه .

ولكن الذى يؤلمنا أن يعتدى اللاعبون بعضهم على بعض فى المباريات بالضرب والركل وهذا أبعد ما يكون عن مبادئنا السمحة ، وعن قواعد الرياضة التى يعرفها اللاعبون

ويجب لكى نوقف هذه الاعتداءات البعيدة كل البعد عن الرياضة ومبادئها ، أن نعود الى ديننا لنأخذ منه ما يشفى نفوسنا ،وما يوصلنا الى الفائدة المرجوة من الرياضة .

ان الدين حث على ممارسة الرياضة وتعلمها — وقد أوردنا فى موضوعات سابقة ما يثبت ذلك — وعندما أرشدنا الى وسائل تقوية الجسم ، وتهذيب النفس ، انما أرادلنا السعادة فى الدنيا والأخرة ، والرياضة احدى الوسائل الموصلة الى ذلك . هى وسيلة تربوية بنيت على كثير من مبادىء الاسلام ، لأنها تتعهد الميول والغرائز « وتعليها » وتوجهها الوجهة الصالحة لأن الرياضة ليست وسيلة للتربية الجسمية فحسب.. ليست تقوية للأجهزة والأعضاء بل هى وسيلة تربوية خلقية كذلك ، والا كانت مهمتها ان تجعل من الانسان حيوانا قويا ، وكفى !

وفى كل لعبة من اللعبات الرياضية ميزة تعطى اللعبات الجماعية مثل كرة القدم والسلة الهوكى والطائرة درسا فى التعاون والتعاون بين أفراد الفريق الواحد لا يتم الا بعد المحبة وتعطى القوانين الرياضية للاعبى الفريقين المتنافسين درسا فى التسامح ، لأن المخطىء دون عمد ينال الفريق كله جزاء وخطأ الفرد الواحد منه فى الحال ، فاذا تعمد الخطأ طرده الحكم وخسره زملاؤه .

وتعطى اللعبات الفردية للاعب درسا فى الاعتماد على النفس ، وتربى جسمه وتهذب نفسه .

هكذا يحدث فى الخارج عندما يعجز اللاعب عن ضبط نفسه فيعتدى على منافسه بالضرب لانه لا يعلم ان « الشديد ليس بالصرعة وانما الذى يملك نفسه عند الغضب »

اسس المسابقات فى الخارج بنيت على اباحة المراهنات فكانت النتيجة كما نرى صراعا وتطاحنا من اجل كسب المباراة لانه يؤدى الى ثروة من حرام

كل هذا مزايا أخلاقية للرياضة يعرفها اللاعبون ويفهمون قانون الرياضة ، ولكنهم يتعمدون الخطأ وتزداد حوادث الشغب فى الملاعب ، لأن شيئا هاماينقصنا فى تربية النشء .

.. واللاعبون صغار السن أو كبارهم على حد سواء . ذلك الذى ينقصنا هو تلقين هذه المبادىء الأخلاقية عن طريق « الأسوةالحسنة» أنها أجدى وسائل التربية وأنفعها وأعظمها أثرا فى النفوس . انها الدعامة الأولى فى التربية الخلقية . والذى يجب أن نتأسى به هو الرسول عليه الصلاة والسلام .. نترسم خطاه ، ونقف على سيرته وأخلاقه . لنأخذ منها أسس التربية السليمة .. انه قدوة الانسانية « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

* هؤلاء الذين اعتدى بعضهم على بعض يجب أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتدى عليه ، فلم يقابل الاعتداء بمثله، بل صفح وعفا وتسامح .

ـ عن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع النبى عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جذبة شديدة ، حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقة ، ثم قال : يامحمد ! أحمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك ، فانك لاتحمل لى من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبى ثم قال : المال مال الله ، وأنا عبده ، ثم قال : ويقادمنك يا أعرابى ما فعلت بى . قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك عليه الصلاة والسلام ثم أمر أن يحمل اليه بعير شعير ، وبعير تمر .

هذا هو المثل الأعلى فى كرم الخلق ،وصدق الله حين يقول « وانك لعلى خلق عظيم » ..

. ولو أن كل رياضى استشعر فى نفسه هذه المعانى ، واتبع هذا النهج ، لما سالت دماء فى ملاعبنا ، وما حار المسئولون الآن فى اختيار وسائل العلاج من هذا الشغب .

* وهؤلاء اللاعبون الذين يتصافحون فى بداية كل مباراة مع بعضهم ، ومع الحكم ، ألا يعتبرون ذلك عهدا ، على المحبة والسلام ٠٠ أنه عهد ترقبه الملايين فى الملاعب ، وأمام شاشة التليفزيون ، ثم لاتمضى ساعة ، الا وانقلب ميدان اللعب الى ميدان حرب وقذف وسباب ٠ تجد رئيسى الفريقين يتبادلان الوردو ، ويتعانقان فى بداية المباراة ، ثم تجد منهما النفور فى نهايتها ، بسبب فوز أو هزيمة ٠

اننى أعتقد أن موافقتهما على اللعب ، وتبادلهما السلام ٠ عهد يجب ألا ينقض ٠ ويقول الله تعالى :

« واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ٠

ويقول جل شأنه : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون »

* أما الاداريون الذين يثيرون اللاعبين ، ويحرضونهم على استخدام وسائل القسوة فى الملاعب ، فأنهم يجب أن يترسموا خطى الرسول ليستفيدوا من قيادته للأمة ، ومن زعامته لبنى الانسان ٠ كان الرسول أول ممتثل لأوامر الله سبحانه وتعالى ، وقد روى أن ملك عمان عندما جاءه من يدعوه الى الاسلام قال : « والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى : أنه لايأمر بخير الا كان أول اخذ به ، ولاينهى عن شيء الا كان أول تارك له ، وانه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الوعود ، وأشهد أنه نبى »

هذا ما يجب أن نعمل به ، فى كل حالتى النصر والهزيمة فى الحرب ، فما بالك اذا كنا نلتقى فى ميادين الرياضة ونحن أخوة متعاهدون لا حرب بيننا ولا عداء ، ولكن منافسة شريفة فى سبيل التربية الجسمية والخلقية معا ٠

* وهذا الجمهور الذى يقذف بالحجارة اذا ما هزم الفريق الذى يناصره ، لايبغى الاعتداء فى حد ذاته ، وانما هو مقلد لفئة قليلة لم تستطع أن تكظم غيظها ، وتتحكم فى أعصابها ٠

ولو أن هذا الجمع الغفير من الناس ، عمل بمبادىء الاسلام ٠ لضبط نفسه ونال على ذلك ثوابه ، ولما قلد غيره والقى بالحجارة عن أرض الملعب ، قال عليه الصلاة والسلام٠

« لا يكن أحد كم أمعة ، يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساؤا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساؤا أن تتجنبوا اساءتهم ٠

وهكذا يحث الرسول كل فرد منا أن تكون له شخصيته المستقلة ، التى لاتتأثر بفعل غيرها الخاطىء ٠ والواجب أن ينهى كل مشاهد للمباراة جاره عن الشر فلا يسمح له بالاعتداء على منافسيه ، ولا توجيه الألفاظ الجارحة لهم ٠ قال عليه الصلاة والسلام :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل : انصره اذا كان مظلوما ، فكيف أنصره اذاكان ظالما ؟ قال تحجزه عن الظلم ، فان ذلك نصره

اننا اذا اتبعنا خطى الرسول عليه الصلاة والسلام ، سعينا جميعا الى خدمة بلدنا وديننا ومبادئنا ، أما اذا تفرقنا فى ملاعب الرياضة فأننا نعود بذلك الى عصور العصبية التى لم تحقق هدفا عاما ، أو تبنى مستقبلا زاهرا٠

ولو أخذنا بهذه المبادىء فى تنشئة الأشبال فى الأندية ، لقضينا على الأفات التى تسمم جو الرياضة ، ولا أعتقد ان العقوبة على الخطأ فى الملاعب تفيد ، بقدر ما تفيد هذه التربية الاسلامية ٠٠ لأن العقوبة لها مدة محدودة تنتهى بعدها ٠ أما التربية الدينية فتضمن لنا تخريج جيل صالح تفخر به الأمة العربية ، والمسلمون فى بقاع الأرض ٠ويظهر أثرها فى الميادين العالمية ، فيكون لاعبونا عنوانا مشرفا لبلدنا ، ويقول الناس : هكذا يجب ان يكون الشباب ٠

وفق الله العاملين فى ميادين الرياضة ، وقادة الشباب ، على غرس مبادىء الدين الحنيف فى نفوس النشء ٠٠ أصل القاعدة التى نعتمد عليها ٠

إنتظار

قصة بقلم محمد عبد الحليم عبد الله

كانت الدقائق اثقل من أن يحتملها ، فى هذه الليلة أحس بوطأة الوقت ٠٠ زال عنه استغراقه فى الكتاب الذى شغله ٠٠ وغابت عنه مسئولية الطالب ٠٠ والقى بسمعه الى السلم وكأنه يحس وقع خطوات عليه٠٠ خطوات تعودها ٠٠ يأتى صاحبها اليه كل بضعة اسابيع ٠

ان قلبه فى انتظار ٠ يحس احساسا يكاد يبلغ حد اليقين انه سيسمع الخطوات على السلم وتنهد ٠٠ ونظر الى نافذة الحجرة التى يسكنها هو والقى بالكتاب الذى يذاكر فيه ٠ ادرك بسرعة انه يغالط نفسه فالجو شديد البرد والسماء لاتكف عن المطر ولابد ان الجو هناك أشد رداءة منه فى القاهرة ٠٠ ولكن ٠٠ آه ٠٠ لماذا يحس كأن خطوات تصعد السلم اليه ان زجاج النافذة يكاد يهتز ، والمطر ينقر على الشيش ، وعلى الرغم من كل ذلك فانه لا يستبعد على هذا الانسان الذى يحبه أن يخوض الأوحال وان تبتل ثيابه ٠٠

وعاد فتبسم لنفسه وحاول أن ينقل فكره الى مجال جده ٠ الى الكتاب فلم يقدر ٠٠ ضاعت منه قوة التركيز ٠٠ فتحول الى تلك الحادثة المضحكة التى وقعت له صباح اليوم حين دخل مطعما صغيرا فى نهاية الشارع وتناول فطوره قبل الذهاب الى الكلية ،وعندما وضع يده على جيبه ليخرج الجنيه الاخير لم يجد شيئا فعرق فى البرد وأخذ يفكر فى الطريقة التى فقده بها لكنه نظر الى الرجل الواقف أمامه وبدأ يفتش جيوبه والرجل ناظر اليه ولكن ٠٠ ادهشه ان الرجل ناداه باسمه ، كان قد التقطه ببصره من فوق دفتر المحاضرات دون أن يشعر الطالب والتمس الرجل له الأعذار ، وقال له انه بانتظار عودته مرة أخرى ٠٠ فقد كان يتردد عليه دائما ٠

وعندئذ خرج لايصدق ٠٠ وها هو ذا الآن فى حجرته يسمع صوت المطر ، ويتخيل وقع خطوات على السلم ،ومع ذلك يضحك فى الهواء وينظر الى السقف ويسائل نفسه :

٠٠ لكن ياترى كيف ضاع منى الجنيه ؟؟

حاول ان يستغرق فى كتابه فلم يفلح ٠ ووثبت الى ذهنه صورة المأزق الذى وقع فيه فى الصباح ٠٠ وضحك مرة أخرى ٠٠ ليس مما حدث ولكن من شىء يجوز أن يحدث ٠٠ أليس من الجائز أن يأتى اليه ضيف ما فى هذه الليلة ؟ ٠٠ اذن فماذا يقدم له ؟ وعاد يقول :

٠٠ هل اذهب معه الى مطعم الفول الذى كنت فيه وقت الصباح ؟ وضحك ٠٠

ثم أمسك الكتاب يقلب صفحاته ٠٠ واذا بخطوات تصعد السلم اليه ، لم يستطع ان يمنع خفقان قلبه ٠٠ **فان الذى يفد اليه فى مثل هذا الطقس اما شخص يدفعه الحب أو شخص تدفعه الضرورة ٠٠ وأرهف سمعه٠ كانت الخطوات تدل على انها لشاب خفيفة سريعة ٠٠ وضحك قائلا فى نفسه :**

اغلب الظن انه « عمر » انه هو ٠٠ ترى لماذا هو آت الى ؟ على كل حال لقد جاءنا الفرج

ودقت نقرات مرحة على الباب ما لبث صاحبها أن دخل ، على ملابسه حبات المطر

وعلى شعره بلولة يمسحها بكفه ، وسحب كرسيا وجلس الى جوار المنضدة الصغيرة ٠٠ وفرك يديه وتنهد ٠٠

كان كل شيء فيه يوحى بالقوة والعزم والمضاء ٠٠ ونظر اليه صاحبه قائلا :

ــ آه ياعمر ٠٠ وقع أقدامك على السلم اثار ذكرى معينة ٠٠ ذكرى من يأتى الى كل أسبوع فرد عليه قائلا :

ــ اننى اعرفها ٠٠ هيا قل لى ماذا تريد ؟ فقال صاحب المسكن :

ــ اننى اقرأ على وجهك كلمات اعرفها كذلك ٠٠ انت الذى تطلب شيئا ٠٠ فقل لى ماذا تريد ؟

نظر اليه صديقه نظرة عميقة ٠٠ كانت عيناه السوداوان تغمضان بالمعرفة ، ثم مسح رأسه كعادته عندما يهتدى لفكرة وقال لصاحب السكن :

كأنك محتاج الى نقود ٠٠

فانطلق صديقه يضحك قائلا : نعم لكن بايماءة من رأسه ، وقص عليه حادثة الصباح حادثة الجنيه الضائع ٠٠ ثم خيبة أمله فى تخلف والده عن الحضور الليلة وان كان لاامل عنده بسبب غزارة الامطار ٠

وما لبث الضيف أن استأذن فى الانصراف على أن يعود بعد قليل واقفل وراءه باب صديقه ودلف الى الظلام وعاد الطالب الى كرسيه وتنهد مرتاحا مستمعا الى همس الريح والنافذة وكان شيئا لم يعد يعنيه ٠٠ كان كلمة « عمر » اعادت اليه السكينة ، والى الطبيعة الهدوء ٠٠ فكاد المطر ان يكف عن الهطول فى نظره ، وغابت عن ذهنه ــ مؤقتا ــ كل الصور الا صورة « عمر » وهو عائد اليه ينهب درجات السلم فى الظلام ، وفى جيبه النقود التى يريدها هو ٠٠

وهناك فى حجرة عمر كان كل شيء صامتا ٠٠ عيناه تجولان خلال المكان ، كأنه يفتش عن شيء ٠٠ والوقت يمر ٠٠ ولا شيء يحدث ٠

تجمدت الأفكار بالنسبة اليه فلم يعد قادرا على الحل ، لأنه فى حقيقة الأمر كان ذاهبا الى صديقه ٠٠ ليطلب منه نقودا ٠٠ كان هو الآخر فى انتظار حوالة البريد التى تأتى اليه بانتظام لكنها تأخرت عن ميعادها ٠٠ ولا شك انه تأخر طارىء لأن والده من الموظفين ٠٠ يقول له : انه يأخذ مرتبه من يد الصراف فيحول اليه ما يخصه قبل ان يذهب به الى الدار ومصمص الشاب بشفتيه وعاد يفكر ٠٠ ليته لم يذهب الى صديقه فقد شعر منذ عودته من عنده بان المشكلة أصبحت مزدوجة ٠٠ مشكلة اثنين ٠٠ لو انه ذهب الى شخص آخر ليست بينهما رابطة عظيمة ما آل الموقف الى هذه الحال ، واخذ يردد فى ضميره :

« انا وصديقى ٠٠ أنا وصديقى » لكنه وجد نفسه فى حالة لا يستطيع معها شيئا ٠٠

وكلما مر الوقت على الشاب الثانى ولم تتردد على السلم خطوات «عمر» ازداد ضيقا ويأسا ٠٠ وبمرور الدقائق أدرك أن صديقه لم يكن صادقا فيما قال له ، وفطن بذكاء القلب الى انه كان فى مثل موقفه والا فلماذا لم يعد اليه ٠٠ وعندئذ فقط احس ان المشكلة لم تعد شخصية ٠٠ لم تعد مشكلة واحد ٠٠ أصبح خروج « عمر » من عنده مشكلة اثنين فعاد يردد فى نفسه ٠٠ أنا وصديقى ٠٠ أنا وصديقى وزايله الدفء الذى كان قد ملأ نفسه ، ولم تعد الطبيعة هادئة كما كانت فسمع ولولة الريح وتساقط المطر ، وعاوده خيال « عمر » وهو يمسح بلل المطر من على شعره والثبات والتفكير الذى ملأ نظراته قبل أن يغادر الحجرة ٠

قام بقطع فضاء المكان ذهابا وايابا كأنه حبيس ٠٠ ويقدح زناد فكره ماذا يفعل ٠٠ لقد كان وحده قادرا على الصبر ، لكنه الساعة احس أنه غير قادر ٠٠ ثم بدا يعمل حركات لا ارادة فيها ففتح صوان ملابسه ونظمه وأعاد تعليق « بدلة » على الشماعات وفتش كل جيوبه كعادته قبل ان يسلمها للكواء ٠٠ ثم اشعل وابور الجاز ووضع عليه برادا كبيرا مليئا بالماء وتركه يغلى ٠٠ يرسل بخاره فى جو الحجرة ليشيع فيها الدفء ٠٠ ثم تحرك الى صف من الكتب ليعيد تنسيقه وعندئذ انطفأ الوابور من تلقاء نفسه ، وامتلا جو الحجرة ببخار الجاز المصعد فجرى نحوه

بسرعة ليطفئه أو يقيد اشعاله ، فسقط صف الكتب العمودى على الأرض مبعثرا ٠٠ لكنه لم يأبه له حتى اذا ما أطفأ الوابور عاد الى الكتب المبعثرة لينظمها ٠ يقرأ عنوان كل كتاب ٠ ويفر صفحاته ثم يضعه حيث كان٠٠ حتى اذا ما وصل الى الكتاب الأخير نظر الى النافذة التى يحرك الهواء العاصف زجاجها المخلخل ٠٠ وتسمع ـ بغير مبالاة ـ الى وقع المطر على الشيش ٠٠ ثم سارع الى بدلته فارتداها واقفل وراءه الباب وهبط على السلم بسرعة ٠

كان عمر لايزال ساهرا فى حجرته تعود أفكاره من حيث بدأت ، ثم تبدأ من حيث تعود وسمع نقرات على باب المسكن فقام وفتح ، كان متوقعا ان يرى أى شخص الا صديقه هذا الذى كان عنده منذ ساعات ٠٠ احس بالعرق يبلل جسمه ٠٠ وكأنه فريسة وقعت فى فخ وأخذ يتمتم ٠٠

ـ آه ٠٠ آه ٠٠ هل ٠٠ آه ٠٠ هل جئت ؟؟

فضحك صديقه وقال :

ـ نعم جئت ٠ ٠ هل انت خائف منى ؟

ودخل يمسح عن رأسه حبات المطر كما كان كل منهما يعانق الآخر ٠

فعل عمر ٠٠ وجلس على كرسى قريب ٠٠ وحملق كل من الشابين فى الآخر وانفجرا بالضحك فى وقت واحد ٠٠ سأل عمر :

ـ هل تعرف الآن ما فى نفسى ٠٠ فرد صديقه :

ـ نعم ٠٠

فقال الصديق :

ـ لا ٠٠ ان مافى نفسى لايخطر على بالك اننى لا احمل مشكلة اليك ٠٠ اننى احمل اليه حبا ٠٠ احمل اليك دفئا ٠٠ من الممكن أن تقترح على شراء أى شىء تريد ٠ ان الجو بارد ممطر والليل طويل سيحلو الحديث منذ الآن ٠٠ عليك فقط أن تقترح ما تشاء ٠٠

ولما بدت الدهشة على صديقه قال له سأفسر لك الأمر فان الجنيه الذى ظننت انه سقط منى كنت قد وضعته سهوا بين صفحات كتاب وقد عثرت عليه عندما سقطت الكتب من مكانها ٠ ولذلك قطعت اليك الطريق الوحل الذى قطعته الى ٠ فما أعظم ان نفكر فى غيرنا ٠٠

وعندئذ سرى فيهما دفء جديد ٠٠ فقد كان كل منهما يعانق الآخر ٠

نص خطاب السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى أسوان

يوم الخميس الموافق ١٨ فبراير ١٩٦٥

أيها الاخوة – كان يجب – كان يجب أن كون معكم هنا ، يوم ٩ يناير لأحضر احتفال العيد الخامس لبدء العمل فى السد العالى .

ولكن هذا اليوم – وافق شهر رمضان – ولم أشأ أن أضيف الى مشاغلكم أى اضافة ، فضلت فى هذا الوقت أن أترك اهتمامكم كله للجهادين العظيمين ، جهاد النفس وجهاد العمل ، على أن أجيئكم بعد رمضان ، من حسن الحظ أن الظروف تتيح لى أن أجيىء اليكم اليوم ومعى صديق عزيز ، وقائد من ألمع قادة النضال الوطنى ، وزعيم لشعب عربى مناضل ، هو الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية .

شاهد عدل

وانه ليسعدنا جميعا أن يكون معنا على موقع السد العالى مثل هذا الصديق العزيز الذى أتاحت له ظروف جهاده الوطنى أن يعرف مصر قبل الثورة وبالتالى فانه حين يرى هذا العمل من منجزات مصر الثورة سوف يكون شاهدا عدلا على الجهود التى بذلها الشعب المصرى حينما واتته الفرصة ليوجه امكانياته الخلاقة كلها الى عملية اعادة صنع الحياة على أرضه فى جميع المجالات ، المجالات المادية ، والمجالات المعنوية .

يسعدنا – أيها الاخوة – أن يكون معنا الأخ العزيز الحبيب بورقيبه ، ونحن نرى هذا الأمل وقد تحقق ، ونحن نرى هذه العملية الرائعة فى البناء والتصميم والعزم .. واننا حين نذكر ذلك انما نذكر شعب تونس الشقيق العزيز الذى ناضل وكافح . نذكر شعب تونس الشقيق ، نذكر كفاحه ، ونذكر جهاده من أجل الاستقلال ، ومن أجل الحرية ، ونذكر القيادة التى صممت على الاستقلال ، وقيادة الأخ الحبيب بورقيبه الذى يسعدنا أن يكون معنا اليوم هنا فى أسوان عند السد العالى . نذكر هذه القيادة المكافحة التى توجت كفاحها الذى استمر أكثر من ٣٠ عاما ، أكثر من ٣٠ سنة ، توجت هذا الكفاح بالجلاء الكامل للقوات الأجنبية المحتلة عن تونس **وذلك بخروجها من بنزرت .**

اننا فى هذه المناسبة نتجه الى الله العلى القدير أن ينصر دائما شعب تونس الشقيق العزيز وأن يوفق قائده الأخ الكريم الرئيس الحبيب بورقيبة ٠

لقد أسعدنا اليــــوم أن يرى الرئيس الحبيب بورقيبه السد العالى ، ويرى كيف استطاع الشعب المصرى أن يبذل الجهود حينما واتته الفرصة ليواجه كل امكانياته الى عملية اعادة صنع الحياة ٠

رمز لمعان كبيرة

السد العالى رمز ، رمز لمعانى كبيرة ، رمز لاعادة صنع الحياة على الأرض العربية ، رمز للنضال المادى ، رمز للنضال المعنوى ، رمز للقضاء على الاستعمار ، رمز للتصميم ٠ احنا أردنا أن نبنى السد العالى وأردنا أن نستعين بالخبرة الأجنبية الامريكية والانجليزية ولكن الأمريكان والانجليز فى سنة ٥٦ أعلنوا رفضهم فى العمل من أجل السد العالى ، وكان التصميم مكنا من أن نبنى السد العالى ٠٠ التصميم مكنا من أن نقف اليوم هنا على مشارف السدالعالى ، على النيل ، لنرى السد العالى وهو يرتفع واننا استطعنا أن نضع ارادتنا موضع التنفيذ ٠

وفى نفس الوقت استطعنا أن نبنى الحياة لأن السد العالى هو عبارة عن الأرض ٠ السد العالى عبارة عن الكهرباء ٠ السد العالى عبارة عن الخبرة ٠ السد العالى حايدينا مليون ونص فدان أرض ٠ حايحول ٧٠٠ ألف فدان من حياض الى رى مستديم ٠ حايزود لنا الأرض بما يقرب من الثلث ٠ السد حايدينا ١٠ مليارات كيلووات فى الساعة كهرباء ٠

سنة ٥٢ كان عندنا مليار النهاردة عندنا ٥ مليار ٠ السد العالى لوحده حايدينا ١٠ مليار اى أد اللى عندنا النهاردة مرتين ٠ السد العالى حايدينا خبرة ، خبرة بالنسبة للفنيين ٠٠ خبرة بالنسبة للعمال ، خبرة نستطيع أن نستغلها فى أعمال الانشاءات التى نريد أن ننفذها فى هذه الأرض التى قامت فيها الثورة وتصنع فى كل جوانبها الحياة بفعل العامل والفلاح والمهندس والمصمم وكل مواطن يعمل العمل الفريد من أجل وطنه ومن أجل نفسه ومن أجل مستقبل أبنائه ٠

السد العالى ، السد العالى كعملية معنوية ، يمثل اننا اذا صممنا على شىء نستطيع أن ننفذه ، سواء أرادت أمريكا أو ما أرادتش ، سواء أرادت بريطانيا أو ما أرادتش ، احنا أردنا واستطعنا أن نضع هذه الارادة موضع التنفيذ ٠ السد العالى كعملية معنوية يدينا الثقة بالنفس ، قلنا حنبنى السد العالى وبنينا السد العالى ، واجهنا العدوان الثلاثى وواجهنا الحصار الاقتصادى وواجهنا الحرب النفسية ، ورغم هذا بنينا السد العالى ٠. وشفنا السد العالى النهاردة أنا كنت موجود معاكم هنا فى مايو ، وكان النيل لسه ما اتقفلش ، النهارده شفت النيل اتقفل ، والسد العالى عرض عن الفترة اللى كنت فيها هنا يمكن عشر مرات أو ثمان مرات فى عمل وفى ثقة ، لم تستطيع أى قوة على هذه الأرض أن تغلب قوة هذا الشعب الذى آمن بالله وسار فى طريقه ، ووثق بنفسه ، واستطاع أن يبنى السد العالى ٠

« تصفيق حاد جدا جدا »

نقبل التحدى ولا نخاف

السد العالى علمنا ، كعملية معنوية أن احنا نقبل التحدى مانخافش مفيش حد بيخوفنا ، اللى بيهددونا بيهددوا ، واحنا عارفين ايه اللى نقدر نعمله وايه اللى مانقدرش نعمله ، وعارفين لما بنتكلم على حاجة عشان نعملها ، يعنى حنقدر نعملها ، اذن مافيش تحديات ٠ اذن السد العالى وهو بيطلع كل يوم وبيرتفع على النيل ، السد العالى وهو بيغير مجرى النيل بيدينا ثقة ان احنا نستطيع أن نواجه التحدى ، نستطيع أن نصمم ، نستطيع أن نثق بالنفس ٠٠ نستطيع أن نواجه التحدى ، ونستطيع أن نؤمن بالهدف ٠٠ نستطيع أن نؤمن بهدفنا ونحقق هدفنا بدون ما نتردد ٠ احنا هدفنا مش بس السد العالى ، احنا عندنا أهداف كثيرة جدا ٠٠ أهداف طموحة جدا ٠٠ احنا النهاردة أما بنسمع بعض

الاذاعات الأجنبية ، اذاعة لندن ويقولوا عندنا أزمة اقتصادية ، هم عارفين ان الكلام ده كدب ، ماعندناش أزمة اقتصادية أبدا .. احنا بنعمل فلوسنا كلها بنحطها فى العمل ، الاستثمار فى سنة ٥٢ فى الصناعة كان ٢ مليون جنيه، اثنين مليون جنيه بس استثمروا فى الصناعة فى سنة ٥٢ ، الاستثمار فى الصناعة السنة دى ١٥٠ مليون جنيه ، معنى هذا ايه ؟ ان احنا بنبنى مصانع أد اللى بنيناها سنة ٥٢ .. السنة دى ٧٥ مرة .. معنى هذا ايه ؟ ان احنا بنبنى بلدنا . ممكن نكون مستريحين أوى اقتصاديا ، اذا وفرنا من الصناعة وخلينا الـ ١٥٠ مليون جنيه ١٠٠ مليون جنيه أو ٧٠ مليون جنيه والباقى باقى عندنا عملة صعبة موجودة احتياطى .

هل نكدس هذه الاحتياطيات وما نبنيش بلدنا ؟ احنا عايزين نبنى بلدنا بسرعتين ، عايزين نعوض اللى فاتنا فى السنين اللى فاتت، وعايزين فى نفس الوقت نمشى مع السرعة اللى ماشيه بها الدولة الكبرى النهارده .. اذن لازم كل قرش عندنا لازم نستثمره فى الزراعة والصناعة وفى الخدمات ، فى التعليم وفى الصحة .

بقالهم سنين ، من سنة ٥٦ بيقولوا عندنا أزمة اقتصادية وبيقولوا ان احنا حنفلس .. وما فلسناش من ٥٦ الى ٦٥ ومش حنفلس ، وحيفضلوا « هتافات مدوية .. الله معكم يا جمال » حتفضل الصحف الأجنبية والدوائر الاستعمارية ، يقولوا حيفلسوا .. حيفلسوا علشان يخوفونا ، صوت من الجماهير : هم اللى حيفلسوا .

الرئيس : يواصل ضاحكا : هم ، هو احنا ردينا عليهم بنقول لهم : ان هذه الأساليب أساليب فلست أساليب كانت زمان ممكن انها تؤثر علينا ، كان زمان مقالة فى جريدة التايمز تسقط الحكومة المصرية .. النهارده بتتشال جريدة التايمز وجرايد انجلترا كلها ولا بنسأل هنا ، ولا حجر ، ولا حباية رملة بتتهز فى مصر .

كان زمان بيقولوا انهم بيبعتوا مدمرة الى اسكندرية علشان الوزارة تسقط .. النهاردة الاسطول السادس والسابع والثامن كل ده كلام احنا مابنحطهوش فى حسابنا .

فاحنا جربنا ، مش بس كده ، فى سنة ٥٦ جربنا ، جربنا عدوان انجليزى دولة كبرى ..

وعدوان فرنساوى ومعاهم اسرائيل واجهنا العدوان ، فعلا كانت فترة عصيبة مرينا بها .. ولكن هذا الشعب استطاع أن يتحدى الدول الكبرى . هذا الشعب استطاع أن يتحدى الأساطيل وأن يتحدى الجيوش .. هذا الشعب استطاع أن يكتب فى التاريخ انه عمل نقطة تحول فى التاريخ ، كيف تستطيع الدول الصغرى انها تهزم الدول الكبرى ؟ وكيف تستطيع دولة صغيرة ، انها تحول دول كبيرة الى دول من الدرجة الثانية بعد أن كانت دول من الدرجة الأولى ؟ استطاع هذا الشعب بالتحدى .

بعد تأميم القناة

والنهارده السد العالى وأنا مارر على السد العالى الظهر كنت باأفتكر كل هذا الكلام .. كنت افتكر سنة ٥٥ وكنت با افتكر سنة ٥٦ وسنة ٥٧ والسنين الطويلة ازاى كنا بنتفاوض على التمويل وازاى كنا بنتفاوض على القروض كيف قطع التمويل وبعد كده ازاى أممنا قنال السويس علشان نمول بفلوسها السد العالى ، ازاى قنال السويس اللى كانت بتروح أموالها كلها كنا بناخد مليون جنيه والباقى كله بياخده الاستعمار ، الدول الاستعمارية. السنة دى احنا واخدين من قنال السويس ٧١ مليون جنيه . كل الفلوس دى كانت بتروح لأعدائنا . النهاده الواحد كان بيفتكر كل هذا الكلام وهو بيمر فى ثوانى أو فى دقائق معدودة على السد العالى اللى بنيتوه بعرقكم وبنيتوه بأذرعكم وبنيتوه بأرواحكم، وبنيتوه بتصميمكم ، تصميم هذا الشعب وأبناء هذا الشعب ..

النهارده الواحد بيفتكر العدوان ازاى تعرضنا للعدوان فى سنة ٥٦ . ازاى تلقينا

الانذار البريطانى سنة ٥٦ ولم نقبل الانذار البريطانى ولم نسلم أبدا ولكن صممنا على أن نقاتل • ازاى ربنا وقف معانا فى هذه المرحلة واستطعنا أن نهزم العدوان •

السد العالى بيمثل كل هذه المعانى •

السد العالى مش زيادة فى الأرض وزيادة فى الكهرباء وزيادة فى الخبرة •• السد له معانى معنوية معانى لابد أن يتناقلها هذا الشعب جيل عن جيل وابن عن أب •

السد العالى استطاع أن يعيد لهذا الشعب ثقته بنفسه •• استطاع أن يعيد لهذا الشعب ايمانه بهدفه ، قدرته على أن يحقق ما يريد أن يحققه ، مش بس السد العالى هو الصورة الوحيدة للتطور ، الصورة متكررة فى أكثر من مكان ، فى المراكز الصناعية المختلفة •• فى الاتناشر سنة اللى فاتت بنينا أكثر من ٨٥٠ مصنع وقلنا هذا الكلام •• وفى الخطة الخمسية الجاية حايكون عندنا مصانع أكثر ، مصانع ثقيلة •

الثورة الصناعية

فى الاتناشر سنة اللى فاتت وأنتم هنا فى أسوان ، عندكم المثل موجود فى أسوان كنتم بتسمعوا دائما عن كهربة خزان أسوان وعلى حديد أسوان وعلى مصانع السماد •

النهارده موجودة محطة الكهرباء فيها ٢ مليار كيلووات فى الساعة • اللى كنابناخده سنة ٥٢ من الكهرباء فى البلد كلها كان مليار واحد • المحطة اللى عندكم بتدى ٢ مليار •

مناجم الحديد الخام اللى موجودة فى أسوان هنا من أيام الفراعنة واحنا صغيرين واحنا فى المدارس الابتدائية وفى المدارس الثانوية كنا بنسمع دايما بيتكلموا على صناعة الحديد ومناجم الحديد • دلوقت بيطلع دلوقت بيطلع حديد أسوان ويروح الى القاهرة وبيتحول الى مراكب والى عربيات والى منتجات مختلفة والى كل شىء والى صواريخ أيضا •

النهارده بتنتجوا عندكم فى أسوان مصانع السماد ، بعدين عندكم فى ادفو مصانع السكر ومصانع الورق ومصانع الخشب الحبيبى • كل الحاجات دى ماكانش موجودة قبل كده وهذه المصانع هى البداية •• دى البداية وان شاء الله كل خمس سنين بتتضاعف هذه الصناعات فى كل محافظة وفى كل مكان •

اذن السد العالى مش هو الصورة الوحيدة للتصميم • احنا ما بدأناش جديا فى الصناعات الا بعد ٥٦ وسنة ٥٧ والحاجات دى كلها اما جيت أنا افتتحت سنة ٦٠ مصنع كيما وافتتحت فى سنة ٦٠ أيضا الكهرباء •

لا نأخذ مساعدات

اذن فى الفترة قبل سنة ٥٧ كان علينا شغل كتير ، وكنا بنقوم بالعمل من أجل الوحدة الوطنية ، والتركيز فى الصناعة جه بعد سنة ٥٧ وهذا التركيز بيبان وبيدى الصورة ، الشعب بيبنى هذه المصانع بتصميمه وبعمله وبعرقه وبماله مش مال حد أبدا ، بنسمع اللى بيقولوا المساعدات والكلام ده مفيش حد بيدونا مساعدات بيدونا بالفايض مفيش حد أبدا بيدينا • مصنع السماد دفعنا ثمنه ودفعنا فايده عليه ١٦ ٪ معرفش والا ١٧ ٪ • مفيش حاجة أبدا هنا فى أسوان بنبص نلاقيها مساعدة ، كل حاجة بندفع فلوسها ، بيقولوا لنا مساعدات هم بيقسطوا لنا وبيقولوا لنا ان دى تبقى مساعدات كونه انه يدينا مثلا ١٠٠ جنيه وأدفعها له على خمس سنوات وياخد عليها كل سنة ٦ فى الماية أو ٧ فى الماية بيقولوا ان ده يبقى مساعدة لكن هل حد بيدينا فلوس على ان احنا مانرجعش هذه الفلوس ؟ مفيش أبدا هذا الكلام •

طبعا الخمس سنين الجايه • وأنا بقول هذا الكلام لأن طبعا فى الأيام دى فيه كلام كتير فى الصحف الأجنبية وفى صحف أوربا وامسك الاذاعات اذاعة لندن تقول لك المساعدات لمصر ••• المساعدات لمصر مفيش حد بيدينا أبدا مساعدات •• المساعدات اللى بنعملها دى بنعملها بفلوسنا بأموالنا •

الخطة الخمسية الجايه ، الخمس سنين الجايه ، حانشتغل فيها أيضا شغل مضاعف، شغل أكثر ، ويقولوا علينا ان احنا بنفلس لأن احنا حانصرف فى الصناعة أكتر من اللى بنصرفه دلوقتى حانصرف أكتر وخطتنا طموحة أكتر من الخطة الأولى وحاتقابلنا مشاكل فى العملة الصعبة لكن مش معنى ده أبدا ان احنا مفلسين . احنا لو بطلنا نص برنامج الصناعة سنة بنبص نلاقى نفسنا عندنا وفر وعندنا عملة صعبة واحتياطى ، ولكن فى نفس الوقت بيكون عندنا عمال عاطلين ، وعندنا مشاكل بهذا الشكل جايز طبعا الكلام اللى كان موجود قبل الثورة ان مفيش مصانع وفيه عمال عاطلين والمستوى مستوى منخفض ومستوى منحط ويقولوا ان عندهم فلوس وعندهم احتياطى ١٠٠ مليون جنيه وعندهم احتياطى ٢٠٠ مليون جنيه .

النهارده احنا بنشتغل على أساس ان احنا مبنخليش الا الاحتياطى الضرورى اللى نستطيع أن نقابل بيه أوقات الشدة . وباقى الفلوس كلها اللى بتيجى لنا وأكتر عليها القروض اللى احنا بناخدها بنستخدمها بالنسبة للتصنيع لأن التصنيع بيزود الثروة الذاتية للبلد وبيوجد عمل لكل مواطن .

فى سنة ٧٠ ان شاء الله سنصل بانتاج الصلب الى ٢ر٥ مليون طن . فى الخطة الجايه سنصنع الآلات التى تبنى المصانع .

النهاردة لما بنعمل مصنع بنجيب المصنع من الخارج . احنا فى خطتنا الجايه عايزين نعمل المصانع نفسها ، يعنى دلوقتى اذا كنا عايزين نعمل مصنع نسيج، بنبعت نستورد آلات النسيج من الخارج ، الخطة الجاية أو بعد سنتين اذن عايزين نعمل مصنع نسيج حانكون بنعمل آلات مصنع النسيج عندنا .. اذن بنطور نفسنا .

الخطة الجاية بنصرف فيها حوالى ١٣٠٠ مليون جنيه فى الصناعة .

الخطة الجاية حانصلح حوالى مليون فدان فى الزراعة احنا صلحنا لغاية دولوقتى نصف مليون فدان ، الخطة الجاية حانصلح حوالى مليون فدان يبقى زودنا الأرض الزراعية من أقل من ٦ مليون فدان الى ٥ر٧ مليون فدان كل ده بعملنا كل ده بعرقنا وكل ده بجهدنا وكل ده بتصميمنا وكل ده بمالنا أيضا مفيش حد أبدا بيدينا فلوس بدون مايستردها .

خططنا بتكبر دائما لأن أملنا بيكبر .. ولأن عزيمتنا بتكبر ولأننا بناخد خبرة وخبرتنا بالعمل تكبر .

الخبرة والانشاءات

النهاردة برضه وأنا ماشى على السد العالى شايف الناس والعمال على الماكينات الكبيرة وعلى الكراكات الكبيرة باين ان فيه خبرة استفدناها .. خبرة اكتسبناها من السد العالى .. وده طبعا بيساعدنا على ان احنا نعمل مشروعات ضخمة بعدما ينتهى السد العالى . أو قبل ما ينتهى السد العالى . حانبدأ أيضا فى أخذ كهرباء من قناطر على النيل ، وحانبنى قناطر على النيل حانحول وزارة السد العالى الى وزارة الانشاءات .. لن تنتهى بانتهاء السد العالى وحاتقوم وزارة السد العالى والعاملين فى وزارة السد العالى ببناء قناطر على النيل وتوليد كهرباء أيضا من القناطر اللى على النيل حانبتدى بأن احنا نولد أو ناخد من القناطر اللى على النيل حوالى ٦ مليار كيلو وات ساعة من الكهرباء حتبقى الكهرباء طالعة من أسوان الى القاهرة ومن خزان أسوان ومن السد العالى ومن القناطر الاخرى الموجودة على النيل . طبعا نرى ان من الضرورى ان احنا نستفيد من هذا الجيش الموجودة فى السد العالى نرى أنه يعمل سجل للخبرات الفنية الموجودة فى السد العالى لان الخبرات الفنية تساوى نفس بناء السد العالى وهؤلاء الناس بيكونوا رأس مال لينا فى الانشاءات الكبرى ويمثلوا جيش من جيوش العمل الوطنى لايمكن أن يترك ولايمكن أن يذهب الى الاحتياط . السد العالى مدرسة مستمرة للخبرة وبيكون دعامة .. دعامة لوزارة مستمرة للانشاءات الكبرى . هذا الجيش من العمال الموجود

هنا والجيش الموجود من الفنيين فى السد العالى لازم ايضا بنحمله نتيجة الخبرة اللى أخذها نصيبه فى عمليات اعادة بناء مصر بحيث نبنى قوة كبرى للتقدم والرخاء .

ايها الاخوة ..

انكم وعملكم وآثار هذا العمل تمثلون الاختيار الحر لشعب مصر . شعب مصر اللى رفض التخلف وكان يرفض العبودية وكان يرفض سيطرة الاقطاع وراس المال . كان يرفض الاستعمار وكان يرفض السيطرة لكن الرفض مجرد تمرد مجرد رفض سلبى على التحديات والشعوب القوية الحرة التى تملك أن تحول التمرد الى ثورة انها ترفض مالاتريده لكنها تجد فى نفسها الثورة على أن تحقق ماتريده تختار مصيرها وتحدد قدرها وتناضل كل المصاعب لتكون مستقبلها وتحقق ارادتها . وتنتصر .

ان هذا السد العالى صرح عظيم للثورة ولمعانيها وآفاقها ، صرح عظيم للايجابية ولارادتها وقدرتها . ان هذا السد رمز للخيار الحر الذى تحمل شعب مصر مسئوليته وقام بتنفيذه ودفع ثمنه مهما غلا ومهما كانت على طريقه من التضحيات . نحن لا نبنى بالكلام لانصنع المشروعات الكبرى بتمنيها ولا نتخيل فيكون لدينا ما نتخيله لا نملك ولا يملك اى بشر ذلك الخاتم السحرى الذى تتحدث عنه الاساطير الخاتم اللى الواحد يبعته عشان يحصل زى ما كنا بنسمع فى الحكايات . يعنى ابنى لنا السد العالى يتبنى السد العالى . انتم الخاتم السحرى انتم اللى بنيتوا السد العالى .

ايها الخوة ..

بناء السد العالى ليس اجازة فى اسوان ، وتأميم قناة السويس ليس نزهة فى قارب ، وبناء الصناعات الثقيلة واستصلاح الاراضى ليست أحلام نوم او أحلام يقظة انما كل ذلك عمل وعمل شاق ، تضحيات ، وتضحيات جسيمة ولكن العمل والتضحيات هى وسيلة الحاضر لبناء المستقبل .

نحن نبنى - كما قلت لكم - بانفسنا وبأيدينا وبعرقنا وبدمنا فى بعض الاحيان وبمالنا دائما .

السد العالى مثلا بيتكلف ٤٠٠ مليون جنيه ، ١٠٠ مليون جنيه حصلنا عليها بالقرضين من الاتحاد السوفيتى ٣٦ مليون جنيه فى الاتفاقية الاولى للمرحلة الاولى و ٦٤ فى الاتفاقية الثانية للمرحلة الثانية و ٣٠٠ من الميزانية اى من الشعب المصرى عشان عمل السد العالى . الـ ١٠٠ مليون جنيه اللى اخذناها من السوفييت لم تكن هبة ولا معونة كانت قرضا نسدده وبدأنا بالفعل سداده .

واذا كنا لا نعتبرها معونة فنحن نعتبرها تعاون صادق وأخوى يستحق منا الى آخر الزمن عرفانا وتقديرا .

أيها الاخوة ..

اريد أن أتطرق بعد هذا الى نقطة هامة أجد من واجبى أن اسجلها لاصدقائنا السوفيت ولاسلوب تعاملهم معنا .

حدث بيننا وبين السوفيت خلاف فى بعض المراحل . كما يحدث بين كل الاصدقاء. فى سنة ٥٩ وصل سوء التفاهم الى درجة الازمة ومع ذلك فخلال كل هذه الظروف لم نسمع من الاتحاد السوفيتى تصريحا أو تلميحا أية كلمة أو اشارة تعرض بأن هناك تهديدا ضدنا أو ضغطا .

اختلفنا ووصلت الخلافات بيننا وبينهم فى سنة ٥٩ الى درجة الازمة ولكن رغم كل هذا لم نسمع كلمة واحدة تهديد ان احنا مش حانستمر فى السد العالى أبدا ، كانت بيننا وبينهم اتفاقيات اهم بالنسبة لنا عشرات المرات مما بيننا وبين اى دولة غيرهم أهم من الاتفاقيات اللى بيننا وبين الدول الثانية كلها .

واختلفنا - كان بيننا وبينهم اتفاقية التصنيع الاول سنة ٥٧ بـ ٦٣ مليون جنيه بيننا وبين الاتحاد السوفيتى .

المرحلة الاولى من السد العالى بـ ٣٦ مليون جنيه مع الاتحاد السوفيتى .

ومع ذلك وفى ذروة الخلافات لم تتحول هذه الاتفاقيات الكبيرة والخطيرة بالنسبة لنا ، الى مادة للتشهير أو للابتزاز أو للضغط الظاهر او الخفى . ذلك لحسن الحظ من ناحية ولسوء الحظ من ناحية أخرى يختلف عما لاقيناه فى كثير من الظروف مع غير السوفيت .

والحقيقة انا أحمل للاتحاد السوفيتى كل التقدير على اساس اننا حينما اختلفنا فى سنة ٥٩ ووصل الخلاف بيننا الى حد الازمة ، الازمة العنيفة وكلنا نذكر خلافنا سنة ٥٩ لم نسمع كلمة تهديد او تلميح ان هذا الخلاف يؤثر على اتفاقية السد العالى أو يؤثر على اتفاقية التصنيع . لم تنشر كلمة فى صحيفة ولا فى جريدة ولا فى مجلة ولم يصدر تصريح من مسئول ولم يشر اى شخص من الاتحاد السوفيتى الى أى شىء يفهم منه ان احنا متفقين معاكم فى هذه الاتفاقيات والسد العالى وازاى تختلفوا معانا وازاى تتخانقوا معانا . نحمل لهم كل تقدير .

وطبعا ده بيختلف اختلاف كلى عن الكلام اللى نسمعه النهاردة ، الكلام اللى بنسمعه النهاردة مثلا من المانيا . المانيا اللى بيقولوا انهم حايقطعوا المساعدات ، وحانوقف المساعدات ، وبيعتقدوا ان هذا الكلام يؤثر فينا وبنقول لهم اولا يا جماعة احنا ما بناخدش منكم مساعدات بتتبلوا علينا ليه وبتقولوا ان احنا بناخد منكم مساعدات ؟

احنا ما بناخدش احنا بنعمل عملية تجارية بتدونا تسهيلات ائتمانية بتدونا قرض بناخد هذا القرض ونشترى من عندكم بيه مصنع بنفعكم يعنى . وبعدين بنرد لكم هذا المبلغ بفائدة ٦ ٪ أو ٧ ٪ .

الأسبوع الماضى فى ألمانيا قالوا ان اذا زار اولبرخت مصر هاتقطع المساعدات هذه القصة قصة طويلة مش قصة بس تنحصر فى خبر قطع المساعدات .

احنا ساعدنا المانيا فى المجالات الدولية ، وبينا عطفنا على الشعب الالمانى اللى قسم بعد الحرب العالمية الثانية الى المانيا الشرقية والمانيا الغربية وقلنا ان احنا هانساعدهم ونؤيد حقهم فى تقرير الشعب الالمانى بيننا وبينه علاقات صداقة قديمة مفيش بيننا وبينه مشاكل بأى حال من الاحوال . ولم تكن بيننا وبينه مشاكل بل العكس علاقة المودة تربط الشعب المصرى والشعوب جميعا بالشعب الالمانى .

وبعدين عرفنا ان المانيا الغربية عقدت اتفاقية سلاح مع اسرائيل . ولم نتصور ان تكون هذه الاتفاقية هدية تصورنا انه حصل اتفاقية لشراء أسلحة من المانيا الغربية ، من صناعة ألمانيا الغربية لاسرائيل، ثم بعد هذا علمنا ان العملية ليست شراء اسلحة . العملية هدية اسلحة من المانيا الغربية الى اسرائيل ٢٠٠ دبابة ـ ٦٠ طيارة ـ ٢٠٠ عربية مدرعة ـ عشرات بل مئات المدافع ـ صفقة قدر ثمنها بـ ٨٠ مليون دولار . ولكن انا اعتقد ان ٨٠ مليون دولار لا تمثل الربع أو الخمس لهذه الصفة لان هذه الاثمان اثمان رمزية .

تشجيع اسرائيل على العدوان

المانيا لما بتعطى هدية سلاح الى اسرائيل معناها ايه ؟ معناها انها تساعد اسرائيل المعتدية اللى موتت مئات العرب وآلاف العرب ، آلاف الاسر العربية واللى اغتصبت فلسطين على ان تقوم بهذا الدور نفسه فى مواجهة الدول العربية الاخرى .

اذا أدوا ، اذا ألمانيا الغربية ادت لاسرائيل ٢٠٠ دبابة هدية بدون ثمن ، طب أنا مين بيدينى ٢٠٠ دبابة هدية علشان أستطيع أن أنا أوقف عدوان اسرائيل .

نستطيع ان احنا نشترى دبابات بعملتنا وبأموالنا ولكن كونهم يدوا اسلحة هدية لاسرائيل معنى هذا انهم بيشجعوا اسرائيل على العدوان على العرب .

نحن لم نقبل هذا واعلنا رأينا بصراحة ان المانيا بهذا خانت العرب ، العرب اللى وقفوا معاها دايما واللى أعطوها دائما صداقتهم .

قيادة الحبيب بورقيبة توجت كفاحها
بجلاء القوات الفرنسية عن بنزرت

وانتا سنأخذ اجراء حاسم وان هـذه الصفقة لا بد ان تقف ، هذه الهدية ادوات القتل لابـد أن تقف والا احنا حنقطع علاقتنا مع المانيا الغربية .

بعد هذا تعهدوا لنا بايقاف الاسلحة ولو ان ٨٠ ٪ من الاسلحة وصل لاسرائيل ، ايقاف الـ ٢٠ ٪

٨٠ ٪ من هدية الاسلحة اللى اخذتهـا اسرائيل بدون ثمن .

بعد كده بيقـولوا لنا ، بيصرح رئيس وزراء المانيا الغربية انهم اذا زارنا اولبرخت هايقطعوا عنا المساعدات . بترد عليهم برد بسيط جدا . بنقول لهم يا جماعة ان احنـا ما بناخدش منكم مساعدات ان احنا بناخد قروض وبعدين هذه القروض ليست مفيدة لنا ابدا . هذه القروض بناخدها بـ ٦ ٪ أو ٧ ٪ يعنى المبلغ اللى احنا بناخده بندفعـه مرة ونص أو مرتين وان احنا حتى ماحنـاش مستعدين فى تخطيطنا للخطة الجاية ان احنا نتعامل بهذا الشكل لأن ده استنزاف لأموالنا.

نقول لهم ثانيا ان احنا مابناخدش منكم حاجة ابدا مساعدة ما بنرجعهاش ما بناخدش منكم اموال مساعدة ولكن نتعامل معكـم الفايدة هى فايدة مشتركة وبنقول لهـم ان جميع الدول فى العالم مستعدة انها تتعامل معنا بهذه الشروط . وبشروط أحسن من هذه الشروط .. مثلا السد العالى احنـا بندفع الفايدة له ٢ر٥ ٪ الوقت اللى احنـا بندفع لالمانيا ٧ ٪ . بعدين فى نفس الوقت بنقارن بينهم وبين الاتحاد السوفيتى واللى اختلفنا معاه اختلافات كبيرة فى سـنة ٥٩ وبنقول لهم ان كلامكم ده ما بيأثرش فينا ولا بيحرك عندنا اى شعرة وان احنا مستعدين نديكم دعوة مجانية علشان تيجوا هنا فى اسوان وتنزلوا فى كتراكت فى اسوان عندكم كتراكت فى اسوان وبتشوفوا السـد العالى وتروا معنى من معانيـه . تروا معنى التصـميم وتروا ا الذين وعدونا بالتعاون معنـا اول مرة فى السد العالى تخلفوا عن اتفاقيتهم اللى وصلوا اليها معانا الانجليز والامريكان هم اللى كانوا وعدونا بأنهم حايبنوا السد العالى واللى هايدونا القروض اللى هم برضه سموها مساعدات كانوا حايـدونا ٢٠٠ مليون دولار قروض رفضوا وتخلفوا وواجهنا العـدوان الثلاثى ، هؤلاء الناس الانجليز والامريكان فى هذا الوقت ظنوا ان هذا التخلى عن التمويل سيمنع او معناه ان يتحول موقع السـد العالى من مشهد من مشاهد الحياة الجديدة الى مقبرة لهذه الحياة. السد العالى اتبنى. السد العالى قام . والناس والدول العظمى

لانقبل تهديد ألمانيا

بن بيلا يرفض المساومات الألمانية للتفرقة بين الدول العربية

التى أرادت أن تعوق قيام السد العالى وتحطم آمال الشعب المصرى وخططه لم يحققوا شيئا حطموا أنفسهم وهزموا خططهم العداونية .

تقاوم كل ضغط

قام السد العالى ونقوم اليوم رمزا لمقدرة الشعب المصرى على رد كل تهديد ومقاومة كل ضغط . والانتصار فوق التهديدات والضغوط وتحقيق الامانى العظيمة ضخمة ومجيدة .

نحن على استعداد هنا من موقع السد العالى رمز الارادة ورمز التصميم ، نحن على استعداد أن نوجه الدعوة الى كل الذين تصل بهم الاوهام ويتصورون ان لديهم ما يهددون به هذا الشعب .

فيه ناس بتتصور زى المانيا الغربية النهاردة ان عندها ما تهدد به هذا الشعب . بنقول لهم احنا اللى نملك حاضرنا واحنا اللى نملك ان نصنع مستقبلنا بأيدينا وعملنا وعرقنا ودمنا اذا اقتضى الامر وبأموالنا وحدها . بيقولوا كلابشة ادوها لنا . انا مستعد بيجوا يهدوا كلابشة وياخدوه ويودوه ألمانيا ، ومستعد أديه لهم كله .

بيقولوا انهم تبرعوا بأنهم ينقذوا معبد كلابشة ، معبد كلابشة ده كان موجود فى النوبة هذا المعبد احنا مابنستفدش منه ابدا لا هو مصنع ولا هو سد ، هو يفيد الثقافة العالمية يفيد الثقافة الانسانية .

وبعدين احنا قلنا اللى حايساعدنا فى أن ينقذ معبد مستعدين ندى له معبد من المعابد الاخرى ثمن لانقاذه . فيه دول جت علشان تنقذ معابد بيقولوا احنا عملنا كلابشة وماخدناش فلوس . انا مستعد أديهم كلابشة بيجم يشيلوه ويمشوا ولا يقولوا للناس انهم عملوا لنا حاجة بمارك واحد .

احنا كل اللى بينا وبين المانيا اللى بيقولوا قروض وبيقولوا مساعدات ، اتفاقية قرض بـ ٤٢ مليون جنيه . كل المشروعات الصناعية فيها بفائدة تحدد على أساس سعر الفائدة فى السوق العالمى واحنا بندفع مقدم . فى الاول بندفع الربع مقدم حتى فيه اختلاف فى الدفع مش زى الاتحاد السوفيتى .

الاتحاد السوفيتى اما بيدينا مصنع بعد المصنع ما يتم بسنة بنبتدى ندفع . المانيا الغربية اما بتدينا مصنع اول ما ينمضى العقد بندفع مبلغ أول توريد بندفع مبلغ تانى ،

ألمانيا خانت العرب الذين وقفوا إلى جوارها ومنحوها صداقتهم !

إسرائيل تستعد لخطط العدوان مؤيدة من الاستعمار

اذن مفيش نسبة بين التسهيلات فى الاتحاد السوفيتى والتسهيلات فى المانيا الغربية .

احنا بندفع مقدم ، مصنع كيما دفعنا ثمنه بالعملة الصعبة وكنا نقدر نشتريه من اى مكان ، نشتريه من اليابان مثلا بنفس الشروط أو يمكن بشروط أحسن . أنا با اقول هذا الكلام علشان الناس اللى بيهددونا من ألمانيا الغربية يظهر انهم مش فاهمين انهم بياخدوا الفلوس وبياخدوا ثمن حاجتهم، مصدقين فعلا انها معونات او بيحاولوا يضحكوا علينا او بيضحكوا على الشعب الالمانى . انا عايز الشعب الالمانى يعرف ان احنا ما خدناش منهم ابدا فلوس كمساعدة او كمعونة احنا اخذنا منهم قروض ودفعنا هذه القروض ولا نقبل من انسان انه يهددنا ولا نقبل من انسان انه يستخدم هذه القروض لان احنا بنقول ان احنا بناخذ قروض غير مشروطة . اذا كان فيه حاجة بنقدرها فعلا فهى صداقة الشعب الالمانى وللشعب الالمانى ايضا ان يقرر صداقة الشعب المصرى والعرب جميعا . هذا هو الشىء الوحيد الذى نقدره. كنا نشعر دائما بالصداقة مع الشعب الالمانى ولا تزال هذه الصداقة قائمة ونحن نشعر ونعتبر أن الذى اساء الى هذه الصداقة

ليس هو زيارة اولبرخت انما صفقة الاسلحة لاسرائيل ، اعطاؤهم الرصاص لاسرائيل علشان يقتلوا العرب ، دى الاساءة، دى الخيانة ، ده العمل اللى عمل سرا من سنة ٦٠ ، بيقولوا النهاردة والله احنا امريكا هى اللى قالت لنا ادوا وادينا . هل المانيا دولة غير مستقلة . هل المانيا دولة لا تعرف قيمة الصداقة العربية ولا القوة العربية . دى الاساءة، الاساءة اعطاء السلاح كهدية لاسرائيل بدون ثمن ونحن نرفض ان تقلب الامور .

زيارة اولبرخت ليست هى المشكلةن وتلك مسألة تتعلق أولا وأخيرا بالسياسة المصرية المستقلة ولا تملك اى قوة ان تملى علينا سياستنا ولا ان تقدم لنا ما نريد علشان نختم لها عليه او نشطب لها عليه .. لغاية دلوقت احنا عارفين نغسنا الاتناشر سنة اللى فاتت مفيش حد خلانا نختم ولا نشطب .

مبادئنا معروفة احنا نقرر لانفسنا ما نريد ولا نقبل املاء من احد .

احنا ما اسأناش الى احد بسياستنا ولكن الآخرين أساءوا الينا بالتآمر مع اعدائنا .

الألمان يقولون إنهم نقلوا معبد كلابشة.. أنا مستعد أعطيهم معبد كلابشة!

حكومة المانيا أساءت الينا

الحكومة الالمانية أساءت الينا حينما تآمرت مع أعدائنا على ان تعطيها هـــذه الكميات الضخمة من الاسلحة لتستخدم فى العدوان ضدنا .

طبعا يبطلعوا بعض الناس هناك ويقولوا ان احنـــا بنـدى ده لاسرائيل للــدفاع عن العرب . مين اللى اعتدى هل العـرب والا اسرائيل اللى اعتدت ، مين اللى اعتـدى فى سنة ٥٦ ، مين اللى هجم فى سنة ٥٦ مين اللى هاجم غزة فى سنة ٥٦ . اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل وانجلترا وفرنسا . فى سنة ٥٥ اسرائيل بالإسلحة اللى اخذتها . احنا نعلم ان اسرائيل مش وحدها . اسرائيل وراهـا امريكا . اسرائيل وراها الغرب ووراهـــا الاستعمار . احنا نعلم هذا وعلينا ان نقف حتى نحمى أنفسنا ضد خطر اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل . فعشان كده احنا بنكسر الاستعمار وعشان كده احنا بنقضى على نفوذ الاستعمار فى هذه المنطقة بعدما حصل فى سنة ٤٨ . عشان كده احنا بنحس بالخيانة . احنا سألنا على صفقات الاسلحة ، فى كل مرة سألنا فيها كانوا بينفوا ان فيه صفقة أسلحة طبعا النهاردة انا بـدى أقول حاجة ، ألمانيـا الغربية بعد ان شعرت بقـــوة العالم العربى ووحدة العــالم العــربى تجاه هذه الصفقة الاسرائيليةاو هدية الاسلحة لاسرائيل بيحاولوا النهاردة انهم يقسموا العالم العربى ، يحاولوا النهاردة انهم يفتتوا العالم العربى .

موقف عظيم للجزائر

امبارح بالليل جت لى رسالة من الجزائر، من سفيرنا فى الجزائر يقول ان السفير الالمانى قابل المسئولين فى وزارة الخارجية الجزائرية وقال لهم ان احنا حانقطع المعونة عن الجمهورية العربية المتحدة وحانزود المساعدات للجزائر. ولكن اخواننا فى الجزائر وعلى راسهم اخى الرئيس بن بيللا طلب من المسئولين فى وزارة الخارجية الجزائرية ان يبلغوا السفير الالمانى ان احنا لا تنطلى علينا هذه الاساليب وان احنا لا نقبل بأى حال من الاحوال ان يتبــع معنا هذا الاسلوب للتفرقة بين الاشقاء وبعضهم وان احنا متضامنين مع الجمهورية العربيـة المتحدة كل التضامن فى هذا الموضوع بالنسبة للعمل من أجل العرب .

طبعا أنا باعتقـد ان هذا الكلام اتعمل مع دولة عربية أخرى يقولوا لهم مساعدات اللى كانوا بيدوها لنا . انا بدى اقول لكل الدول العـــربية أولا ان احنا ما اخدناش مساعدات أبدا من المانيا والمانيا ما بتديناش مساعدات وبعدين بدى اقول لالمانيا ان الدول العربية كلها ستكون يد واحدة كما اثبتت وكما أظهرت وكما ابدت فى أثناء الازمة لان السلاح الـذى أعطى لاسرائيل لم يسترد ، ٨٠٪ من الاسلحة الـ ٢٠٠ دبابـــة و٢٠٠ عربية مدرعة و ٦٠ طيارة غير طيارات النقل وغير الحاجات اللى قرانا بياناتها فى الصحف واللى تكلم فيهـــا رئيس الوزارة فى مجلس الامة كل ده لا بد ان احنا علشان نستطيع أن نتقى خطر اسرائيل ان احنا نحصل ، الدول العربية تحصل على اسلحة لمواجهة هذا السيل من الاسلحة اللى وصل مجانا من المانيا الى اسرائيل . طبعـا الكلام اللى اتقال النهاردة فى الجرايد من المانيا ان أمريكا هى اللى أمرت المانيا كلام لانستسيغه وكلام لا نستطيع ان نقبله .

طبعا بالنسبة لالمانيا فيه حاجات ثانيـــة كثيرة ، قضية التعويضات . المانيــا بتدى

اسرائيل بقشيش كل سنة ٣٧٠ مليون دولار ادوهم فى العشر سنين اللى فاتت ٣٧٠٠ مليون دولار بقشيش هى دى المساعدة ويقولوا انهم بيدونا مساعدة واحنا مابناخدش ولا دولار بقشيش ومانرضاش ناخد بقشيش هم بيدوا اسرائيل .

موقف المانيا وفرنسا

الجزء اللى وقفته المانيا من الاسلحة بتقول لاسرائيل ان احنا وقفنا الاسلحة حنديكم ثمن الاسلحة بقشيش اشتروا به اسلحة من اى مكان ، هى العملية ما اختلفتش العملية محصلش فيها تغيير لان هو وقف الاسلحة وحيدى ثمن الاسلحة ، وبثمن الاسلحة اسرائيل بتقدر تشترى من اى مكان اسلحة ، وطبعا احنا بنعتقد ان هذا تحايل أيضا وهذا عمل معادى للعرب اعطاء اسرائيل ، اعطاء المانيا لاسرائيل أموال علشان تشترى بها أسلحة وأن أصل فرنسا لسه كنت حتكلم على فرنسا .

الالمان بيقولوا طيب ليه ما عملتوش نفس الشىء مع فرنسا ما هى فرنسا بتدى أسلحة لاسرائيل فيه فرق بين موقف المانيا وموقف فرنسا . فرنسا بتبيع طيارات لاسرائيل ومستعدة تبيع لنا طيارات ، لكن اسرائيل بتدفع ثمن اللى بتشتريه . واحنا مستعدين يبيعوا لنا على ان احنا ندفع ايضا الثمن . الفرق ان المانيا بتدى هدية ، بتديهم ٦٠ طيارة بدون ثمن ، فانا لما اسرائيل حتشترى ٦٠ طيارة ، وانا بشترى ٦٠ طيارة هو دفع فلوس وانا دفعت فلوس . لكن اما اسرائيل تاخد هدية ٦٠ طيارة وانا حشترى ٦٠ طيارة ، يبقى اسرائيل استطاعت ان تعفى نفسها من انها تدفع اموال هذه الطيارات وانا حشترى بثمن مصنع او مصنعين طيارات ، يبقى اذن اسرائيل بتدعم اقتصادها وبتاخد فى نفس الوقت هذه الاسلحة هدية .

هذا العمل لا نقبله ، ان احنا طبعا بنراقب هذا الموقف ، وبنعرف بنقف فين ، وعلى اى ارض نقف ، واحنا الارض اللى بنقف عليها ، هى ارض المبادىء لايستطيع انسان ان يتحكم فينا ، ضميرنا مستريح . الفرق ايضا بيننا وبين اعدائنا ، ان احنا فى سنة ٥٥ ، لما عقدنا صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا اعلنا وقلنا ، تشيكوسلوفاكيا اعلنت ، وقلنا ان احنا وقعنا اتفاق تجارى من اجل شراء الاسلحة . اما هذه الصفقة من سنة ٦٠ او سنة ٦٢ صفقة سرية ، الغرض منها طبعا ان اسرائيل تتسلح وتفاجىء العرب وتهاجم العرب .

طبعا النهاردة اسرائيل بتشهر ببون ، وعاملة حاملة عليها ، حملة فى امريكا وحملة فى اوربا وطبعا اذا خضعت بون لتشهير اسرائيل واستمرت فى اعطائها اسلحة احنا عارفين الاساس اللى احنا حنتصرف عليه ، واحنا قلنا ان احنا لا نستطيع ان نحافظ او نبقى على علاقاتنا مع المانيا الغربية طالما تخوننا المانيا الغربية وتعطى لاعدائنا الاساسيين السلاح هدية علشان يقتلونا به .

بالنسبة للتهديد ، هو ان احنا ما نتعاملش معاهم ، احنا بنقول لهم من دلوقت الاتفاقات الاقتصادية ما احناش حنطلب ، وما احناش عايزين ، واسواق العالم مليانة . مئات الشركات موجودة تستطيع انها تلبى طلباتنا كلامنا واضح ، والمبادىء ليست كلام ، المبادىء عمل واحنا شعب استطعنا ان ننتصر دائما لاننا صممنا على مبادئنا ، والعمل العظيم اللى قمتم به هنا فى اسوان هو تجسيد لهذه المبادىء بالعمل ، والتصميم .

وقبل ان انهى كلامى ارحب مرة اخرى باخى العزيز الرئيس الحبيب بورقيبة ، واقول له ان مصر استقبلتك فى وقت كفاحك وفى وقت جهادك ويسعدها ان تستقبلك اليوم بعد ان استقلت تونس وبعد ان وفقك الله فى ان تجلى عن تونس كل قوات الاحتلال الاجنبية .

ايها الاخوة .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله (*)

ماحققته الثورة المصرية

للمرأة العربية

تحقيق من إعداد
عبد العظيم ملوك
زينب زكري

الحقيقة التى لاتنكر ان الثورة المصرية قد اعطت للمراة العربية حقوقها وهى بذلك قد انصفتها ومنحتها حقوقها التى اباحها لها الاسلام فانصفتها من عدة جوانب الامر الذى يدل على انه ليس مجرد عناية بالمراة فحسب وانما هى ثورة تتناول جميع الجوانب وتلمس جميع الاوضاع فقد انصفتها من حيث القوانين التى سنتها وانصفتها من حيث المعاملات التى حث عليها الاسلام وانصفتها من الناحية الاجتماعية واعترف لها الميثاق بهذه الاحقية .

يقول الميثاق « ان الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ولابد ان تتوافر لها كل اسباب الحماية التى تمكنها من ان تكون حافظة بالتقليد الوطنى محددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى وهذه الفقرة تسبقها مباشرة الفقرة الخاصة بالطفولة حينما قال « ان الطفولة هى صانعة المستقبل وان من واجب الاجيال العاملة ان توفر لها كل مايمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح »

وتكلم الميثاق عن خلق نوع من التكافؤ الاقتصادى بين المواطنين .

واذن فالمساواة بين الرجل والمراة لايقصد بها الا ان تفك المراة عنها حجاب العصور المظلمة لتشارك بعمق حركة التحرر الكبرى التى قام بها شعبنا العربى منذ ثورتنا المباركة فى صنع الحياة الحرة الكريمة .

ويمكن ان يقال بحق ان الميثاق ماجاء الا من اجل الاسرة .. جاء ليرفع من شانها وياخذ بيدها لتقوم بدورها الفعال فترفع من شان وطنها . ولكى يتحقق ذلك يجب ان يكفل لها . .

اولا : حق الاسرة فى الرعاية الصحية .

ثانيا : حق الاسرة فى العلم بقدر ماتحتمله مواهب افرادها واستعدادها .

ثالثا : حق الاسرة فى العمل الذى يتناسب مع افرادها وكفايتهم ودرايتهم بل وخبرتهم .

رابعا : تامين افراد الاسرة ضد الشيخوخة والمرض بهذا يتحقق تامين الاسرة وتدعيمها .

وافترى على الاسلام كل من نادى بان مكان المراة البيت فالمراة ليست انسانا فحسب بل هى ام البشرية وصانعة الحياة فان لم نمنحها قدراتها على التحرك والعمل فان وطننا سيفقد نصف حركته ولا نستطيع ان نعمل على دفعه بين الامم الاخرى ومن ثم فنجد ان الثورة المصرية قد منحت المراة العربية حقوقا قد افتقدتها فى عصور التخلف والظلام .

وتحدثنا السيدة الاستاذة مفيدة عبد الرحمن المحامية وعضو مجلس الامة عن ما حققته الثورة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر من مكاسب سياسية واجتماعية وثقافية للمراة العربية وعن دور المراة العربية فى خدمة مجتمعنا العربى فتقول :

ان تاريخ المراة حافل بالجهاد فهى كام مثابرة فى بيتها ترعى اولادها وزوجها لاتنتظر اجرا على ماتقدم من خدمات وانما قلبها الكبير وحبها لاولادها يدفعانها للعمل الدائم ليل نهار وقد كانت المراة محرومة من اشياء كثيرة اهمها العلم والمعرفة وقد كان الرجل يبخل عليها ويعتبر انها قطعة من باقى متاع المنزل ثم بدات تتعلم وتتدرج فى التعليم واحس الرجل ان هذه الام التى تكلا صغارها عندما تزودت بالعلم استطاعت ان تسهم فى بناء الوطن بتثقيف أولادها وتربيتهم التربية الصحيحة السليمة .. بدات تطالب بحقوقها السياسية حتى تستطيعان تمارس حقها كناخبة وكنائبة ولكن لم يسمع لها احد اذ ان الرجل هو الذى يشرع ويرى فيها الضعف ونسى انها هى نصف الامة أو يزيد وانها هى التى تقضى الوقت مع الصغار وتقوم على تربيتهم وتنشئتهم وهى التى تصنع الرجال .. وعندما جاءت الثورة فى عام ١٩٥٢ وقامت بالقضاء على المفاسد التى كان يرتع فيها بعض ابناء الشعب بدات تحس ان المراة لابد ان تنال حقوقها خصوصا بعد مالمست من اسهام ومشاركة المراة فى جميع نواحى الحياة فجاء قانون الانتخاب فى عام ١٩٥٦ واعطت المراة حق الترشيح وحق الانتخاب واعتقادى أن الثورة لم تمنح المراة هذا الحق بل اعطتها حقا هى جديرة به واثبتت انها تمارس جميع الحقوق التى يمارسها الرجل . وفعلا شاركت المراة فى انتخابات مجلس الامة فى عام ١٩٥٧ وفازت بالعضوية نائبتان ثم فى عام ١٩٦٠ ثم اخيرا فى عام ١٩٦٤ فازت بالعضوية ثمان سيدات .

ولا يمكن ان نقول ان فوز هؤلاء كان لمعاونة المراة لهن ولكن كان الفوز بمعاونة الرجل للمراة واحساسه وثقته بان المراة تستطيع أن تمثله فى مجلس الامة وان تؤدى واجبها كنائبة على الوجه الاكمل وليس حق الانتخاب والترشيح وما كسبته المراة من قيام الثورة حتى الآن ولكنها حصلت على مكاسب كثيرة منها انها اصبح لها الحق فى تولى المناصب العامة كالرجل تماما وفوق كل هذا فقد توجت هذه المناصب بجلوسها على كرسى الوزارة فى عام ١٩٦٤ وقد اثبتت الجدارة والهمة والاعتدال والامانة فى اداء واجبها لتؤكد للامة جميعا وللقائمين بالامر ولمن قلدوها هذه المناصب السامية انهم على حق عندما وضعوا المراة فى هذه المراكز القيادية ونامل ان تستمر المراة فى جهادها ونضالها فى سبيل وطنها وبناء امتها .

واما عن المكاسب الاخرى فمن الناحية الثقافية نجد ان المراة قد وصلت الى درجة كبيرة من العلم واصبحت لاتكتفى بشهاداتها العليا ولكنها تسعى للحصول على الدكتوراه وفوق هذا العدد الضخم الوفير من السيدات والانسات اللاتى تسلمن جائزة العلم من السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم فى اواخر عام ١٩٦٤

ونجد الآن من بين علماء الذرة ودارسيها من السيدات وهو ميدان لم تكن المراة قد اقتحمته بعد . كما اقتحمت الكليات العملية التى كانت موصدة فى وجهها واثبتت انها تستطيع ان تتحمل مشاق الدرس تحت الامطار وتحت الشمس المحرقة وهى فى كل هذا راضية لانها تسهم فى بناء الوطن واقامة وتدعيم قواعد الاشتراكية .

وتستطيع المراة ان تؤدى دورا كبيرا فى بناء المجتمع الاشتراكى اذ انها كما قدمنا نصف الامة فضلا عن انها خرجت للعمل جنبا لجنب مع الرجل ولكنها لابد ان تتحلى فى كل هذه المجالات والامور بالصدق والاخلاص فى العمل والوقار متمسكة بدينها حتى تكون القدوة الحسنة لابناء وطنها وبنات جنسها .

ويحدثنا الدكتور محمد مظهر سعيد عن ماحققته الثورة المصرية للمراة العربية فقال :

اولا : الاعتراف بكيان المراة كانسان .

ثانيا : الرجوع الى مبادىء الاسـلام فيما يختص بتكافؤ الحقوق والواجبات عندكل من الجنسين ومادامت المراة مكلفة كالرجل تماما فى الدين والعلم والملك وحرية التصرف فلهـا كافة حقوقه التى أقرها الاسلام وكبتتها عصور التزمت والجهل بجوهر الدين .

وباحقاق حقوق المراة انطلقت قواها واستعداداتها الطبيعية وبرزت فى مختلف الميادين حتى التى كان يظن انها مقصورة على جهود الرجل .

وبهذا اصبح نصف المجتمع الذى تمثله المراة مظلما نشيطا عاملا بعد ان كان خاملا بل مشـلولا وعنصرا منتجا بعد ان كان مستهلكا .

وفتح باب التعليم على مصراعيـه فى جميع مراحله هو العامل الاكبر والاقوى فى تكوين الزوجات والامهات الصالحات لتربية الأطفال وتكوين النشء واعداد المواطن الصالح خاصة وان الام كما يقول العرف وكمـا يقرر العلم هى المربية الاولى .. وان السـنوات الثلاث الاولى هى الاساس الاول لتكوين شخصيته وتكاملهـا فيما بعد .. واما ماتقدمه وسائل التربية والتعليـم والخبرة فيما بعد فمجرد طلاء لهذا البناء

واخيرا تحققت الاصول العلميـة التى طمرها فى الماضى تقليد جامد وتزمت بغيض وخروج على سـنن الطبيعة وهذه الحقائق العلمية هى باختصار ..

١ ـ ليس هناك فروق جنسيـة جوهرية بين الجنسين

٢ ـ الفروق البدنية الفزيولوجية الخاصـة بانوثة المراة ليس لها اى وزن فى تقدير جهود المراة وانتاجها فى مختلف الميادين وخاصة العقلية والفكرية والعلمية والادبية وليس هناك اى صلة على الاطلاق بين السمات البدنية والخصائص العقلية والخلقية والنفسية .

انما الفوارق فردية وليست جنسية فهناك اختلاف كبير فى مستويات الذكاء والقدرة على العمل بين مختلف النساء تماما كالفوارق الفردية بين مختلف الرجال .. فيكون هناك رجل ما أقدر من رجل آخر او امراة اخرى .. كما يكون هناك امراة اقدر من رجل آخر او امراة اخرى ـ اما ان يكون الرجل كجنس اقدر فى جميع النواحى وعلى وجه العموم من المراة كجنس .

هذه الحقائق ادركتها الثورة وبلورتها وخططتهـا ونفذتها ومن ثم نؤمل بل نثق ان نصـفى المجتمع سيسيران جنبا الى جنب بخطى وئيدة فى مرحلة الانطلاق فيتضاعف الانتاج ومن ثم الدخـل القومى ويرتفع مستوى المعيشة ونصل حقا الى المجتمـع الذى تسوده الرفاهية والعدالة والله الموفق على كل حال

وتحدثنا الدكتوره طلعت الرفاعى عن دور المـراه العربية فى الخدمات التى تؤديها للامة العربية فى مجال جامعة الدول العربية فتقول :

ان العمل فى مجال الجامعة العربيـة لا يختلف فى غاياته البعيدة عن اى عمل يؤدى على الارض العربية لان كل عمل مهما كان كبيرا او صغيرا فى اى بقعـة من الوطن العربى يضاف الى ميزان قوى العمل العربى العام مادام كل بلد عربى هو جزء حى فى جسم الوطن العربى الكبير ومادام كل فرد هو خلية نابضة فى هذا الجسم العملاق .

والمراة العربية التى يزيد عددها اليوم عن خمسين مليون نسمة منتشرة فى سائر اجزاء هذا الجسـم الكبير وتشكل اخطر اجهزته وخـلاياه وقد تنبهت بدورها الى المساهمة فى معركة البناء العربى بعد ان انتهت بالنسبة لها معـركة المطالبة بالحق وبدات معركة العمل والواجب ..

من هنا كان اتجاه المراة العربية اليوم الى بذل غاية جهدها للعمل فى اى حقل يعود على وطنهـا بالخير والبركة ولعل العمل فى جامعة الدول العربيـة يبدو اكثر وضوحا فى بيان معالم الاهداف العربية باعتبار الجامعة رمزا لوحدة الامة العربية وحدودها ترسـم الحدود الخارجية لخارطة الوطن العربى .

ومن ميادين عمل المراة فى الجامعة العربية فى هذه المرحلة الحاضرة دراسة اوضاع الاسرة العربية فى كل بلد عربى والتعرف على مشكلاتها واعداد الدراسـات والبحوث النابعة من مقتضاياتنا العربية بالنسبة لكل فرد من افرادها فى سبيل ايجاد الحلول لهذه المشكلات وتحقيق التنسيق اللازم بين المجتمعات فى شتى الاقطار العربية وتعمل الجامعة العربية على قيامه لانه ضرورة لازمة لوحدة الهدف العربى والتعـاون من اجل خير الامة العربية جمعاء .

ثم تحدثنا المهندسة هدى عفيفى عضو مكتب توجيه الاسرة عن التشريعات التى تناولت منذ قيام الثورة المصرية حقوقا للمراة العربية فقالت :

ان اهم ماحظت به المراة من تثبيت رسمى لاقدامها فى خدمة الوطن والعمل فى الحيـاة العامة هو ماجاء بالميثاق ..

« يجب ان تتساوى المراة بالرجل » .

ان الدولة الاشـتراكية .. الدولة التى صـنع ابناؤها الثورة .. وبنوها من جديد وارتفعوا بالبناء شامخا . هذه الدولة قررت ان المراة وهى نصف المجتمع يجب ان تشارك مشاركة فعلية فى بناء وطنها بحيث ان تنال كل الحقوق وعليها كل الواجبات مثل الرجل .

ولكن للاسف لم يطبق هذا المبدا بعد فى كثير من الجهات ومازالت المراة تعانى من تعسف الرؤساء وعدم اتاحة الفرصة امامها لاخذ المركز اللائق بها .

ان هناك عددا لايحصى من السيدات اللاتى وصلن الى مراكز كبيرة وعند تولى المراكز القيادية تحرم منهـا المراة وبفضل من هم دونها من الرجال من هم اقل منها علما وخبرة يفضلون فقط لانهم رجال .

اننا نرجو من المسئولين فى الدولة وضع حد لهـذا المبدا الذى يسىء فى كثير من الاحيان لمصلحة العمل ويؤثر على نفسية العاملين وبالتالى على أنتاجهم

لقد انعقد مؤتمران خاصان بالمراة هما مؤتمر المراة العاملة ومؤتمر الاسرة وخرج بتوصيات ناضجة واخطرت الجهات المسئولة لتطبيقها ولـكنها الى الآن لم يؤخذ بها .

مثال ذلك . قانون المعاشات . واضح جـدا ان المعاش يخصم من جميع العـاملين نسـاء ورجالا من مرتبهم اثناء حياتهم . وبعد الوفاة ينال الرجل معاشا يؤول الى ابنائه اما المراة فتحرم من هذا المعاش بدعوى ان زوجها سينال معاشا .

وهذا مبدا غير منطقى للاسباب الاتية :

١ ـ المعاش يخصم من راتب المراة والرجل فيجب ان يرد لكليهما

٢ ـ صندوق المعاشـات يستثمر امواله ولا تعتبر خسارة له دفع المبالغ للمستحقين .

٣ ـ اذا كان الزوجان يعملان فقد اعتادت الاسرة على الحياة بمستوى معين لذا يجب ان يحافظ بقدر الامكان على هذا المستوى . ويصرف للابناء معاشان لا معاش واحد كما هو جارى حاليا .

وهناك امثلة كثيرة توضح هذا الوضع وهذه التفرقة .

ثم تحدث الدكتور عبد الباسط جميعى الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس عن مدى ماحققته المراة من نجاح اجتماعى فى عهد الثورة فقال :

اذا ماتساءلنا عن مدى ماحققته المراة من نجاح اجتماعى فى عهد الثورة فحسبنا ان نشير الى مسالتين بارزتين كانت احداهما كافية وحدها لبيان مدى الانقلاب الذى حدث فى الحياة الاجتماعية للجمهورية العربية المتحدة واولى هاتين المسالتين هى اشراك المراة فى العمل السياسى اذ أعطيت أولا حق الانتخاب وقد كان ذلك امرا مستغربا بل ومستنكرا قبل الثورة اذ ان المفكرين السياسيين قبل الثورة كانوا يستبعدون فكرة اشتراك المراة فى اختيار نواب الامة واذا كان بعضهم قد استطاع ان يتصور اشتراك النساء فى الانتخابات فقد كان ذلك على اساس اشراك المراة المثقفة ثقافة عالية لانه لم يكن من المتصور ولا من المستساغ فى المجتمع القديم أن تشترك المراة العاملة فى الانتخابات فالفلاحة والعاملة كانت تنتمى الى الطبقة المنبوذة التى لاحقوق لها فلما قامت الثورة وقررت أن الطبقة الكادحة هى عماد المجتمع لانها تمثل السواد الاعظم والاغلبية من اصحاب المصلحة الحقيقية ، لم يعد فى الامكان تجاهل المراة « وهى تمثل نصف المجتمع » وبذلك ابيح للمراة ان تمارس حق الانتخاب . ولا شك انه لايدرك مدى هذا الانقلاب او هذه الثورة فى المجتمع الا من عاش قبل الثورة وبعدها وشهد المراة وهى محرومة من هذا الحق ثم شهدها وهى تتمتع به وتعتز بادائه ـ وهذه هى المسالة الاولى التى كانت بذاتها كما قلت كافية لابراز مدى تغير الافكار الاجتماعية فى جمهوريتنا الناهضة ولكن هناك مسالة ثانية كانت هى النتيجة المنطقية والسياق الطبيعى للمسالة الاولى فقد أبيح ايضا للمراة ان ترشح نفسها للنيابة عن الامة وهكذا راينا المرشحات يخرجن الى ميدان السياسة يدافعن عن المبادىء الاشتراكية ويعرضن برامجهن فى الاصلاح الاجتماعى ويرفعن رءوسهن التى كانت من قبل خفيضة منكسة ، ثم راينا المراة بالفعل عضوا فى مجلس الامة تراقب عمل الحكومة وتدافع لا عن حقوقها هى فقط بل ايضا عن حقوق الرجال .

وهكذا تحول دور المراة فى المجتمع المصرى من السلبية الى الايجابية وحسبنا بذلك دليلا على مقدار التغير الذى احدثته الثورة فى مجتمعنا وكان ذلك مصداقا لقول القائلين ان الثورة هى هى علم تغيير المجتمع ، فالثورة اذن قد حققت هدفا عظيما اذ عملت على انضاج شخصية المراة وابرازها وبذلك انتفض النصف الخامل من المجتمع واصبح عنصرا فعالا ونشطا فى سبيل التقدم والانتاج والنهوض بالامة .

ثم كانت مفاجاة الثورة بل معجزتها اذ راينا المراة تشغل منصب الوزارة وبذلك أصبحت تتصدر الرجال وتقتسم المناصب القيادية وتمارس فن الحكم وتشترك فيه مع الرجل .

فهل يمكن للباحث فى حياتنا الاجتماعية ان ينكر هذا التحول العظيم فيها الذى لايمكن ادراكه الا بمقارنة حالة المراة ومركزها قبل الثورة وبعدها .

وحسبنا دليلا على اهتمام الثورة بالمراة ان نرجع الى ماجاء فى « الميثاق » بهذا الشان من وجوب المساواة بين المراة والرجل حيث ورد به ما ياتى :

« ان المراة لابد ان تتساوى بالرجل ولابد ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك الرجل بعمق وايجابية فى صنع الحياة » وبذلك زالت الى الابد تلك الفكرة الرجعية القائمة على التمييز بين المواطنين على اساس الجنس وهى فكرة لاسند لها من القانون ولا من المنطق الا الاعتقاد الرجعى الذى كان ينظر الى المراة كمخلوق ادنى من الرجل مسخر لخدمته او لمتعته وقد كانت هذه الفكرة الرجعية تحرم المجتمع من ٥٠٪ من العناصر الفعالة المكافحة وتهدر حقوق المراة وكرامتها وتنزل بها الى درك سحيق من الهوان مما كان يبعث الياس فى نفوس النساء وكان ذلك من العوامل الخبيثة التى تنخر فى بنيان المجتمع المصرى ونحن لانشعر .

وها هى الثورة ماضية فى الاهتمام بحقوق المراة العاملة لتكفل لها حقها فى الحياة والعمل وتؤمنها من الاستغلال وتسبغ عليها الحماية والرعاية فى ادائها لعملها وعند مرضها وعند زواجها وعند حملها ووضعها وعند عجزها وشيخوختها فالتأمينات الاجتماعية والرعاية الطبية والضمانات التى يوفرها قانون العمل للنساء العاملات كل ذلك يحيط المراة بسياج من الامان يبعثها على المضى قدما فى بذل الجهود المثمرة فى ميدان الانتاج وهو ماسيؤدى بغير شك الى مضاعفة الانتاج القومى .

كذلك سيكون من شان تعديل قوانين الاحوال الشخصية حماية المراة العربية من استغلال الرجال لاحكام الشرع استغلالا غير كريم يجعل المراة العوبة فى يد الزوج ان شاء نبذها بعد طول العشرة غير مبال ، وان شاء تزوج عليها وجلب لها المضرة وهى لاتملك حياله سلاحا قانونيا تدافع به عن نفسها ، وان شاء اجبرها بالقوة على طاعته واكرهها على معاشرته وان كان لها ظالما وكانت له كارهة ـ وكل هذه مسائل سيتولاها الشرع بالتنظيم فى ضوء التطور الاجتماعى الذى ينادى باحترام المراة وصون كرامتها وعلى هدى تعاليم الشرع التى لايمكن أن تنطوى على الظلم والمضارة للمراة او لغيرها ، فدين الاسلام دين سمح قوامه العدالة وما جعله الله الا رحمة للعالمين ..

وها نحن اخيرا نرى أبواب الجامعة الازهرية تفتح للفتيات فقد انشئت كلية البنات الازهرية وقد وجد فيها كثير من أولياء الامور حصن الامان لبناتهم الراغبات فى العلم وبذلك لم تعد معرفة الاحكام الشرعية حكرا على الرجال وما كانت كذلك فى اى عصر من العصور الاسلامية وانما كانت النظرة الى المراة ككائن ادنى هى السبب فى اهمال تعليم المراة تعليما دينيا مع ان ذلك التعليم قد يكون ادعى الى نشر الدعوة الاسلامية واقرب الى فهم حقوق المراة فى الاسلام على وجهها الصحيح .

وهكذا تتعدد مظاهر رعاية المراة ومظاهر التقدم النسائى فى مجتمعنا الثورى بما يبشر بالخير وبالمزيد من المكاسب للمراة فى عهد الثورة التى كان لها الفضل فى ذلك كله .

وحينما قدمنا السؤال التالى للمستشار على على منصور من المعروف ان الاسرة هى اللبنة الاولى لبناء المجتمع ولكى نحمى المجتمع يجب حماية الاسرة وتامين مستقبلها فما هى الخطوات التى عملتها الثورة لتامين كيان الاسرة ؟

اجابنا سيادته بقوله حقيقة ان الاسرة هى اللبنة الاولى لبناء المجتمع وهذه القاعدةقررها دستور الجمهورية العربية المتحدة الصادر فى ٢٤ من مارس سنة ١٩٦٤ بالمادة السابعة حيث يقول « الاسرة اساس المجتمع قوامها الدين والاخلاق والوطنيه » كما ينص الدستور فى المادة السابعة عشرة منه على ان « تكفل الدوله دعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة »

فالتمكين للدين تقويم للاسرة وفى هذا السبيل جعلت الثورة التدريس الدينى اجباريا فى المدارس ودور العلم وتوسعت فى برامجه . وهى لاتفتا تمد يد العون للهيئات والمؤسسات والجمعيات الدينية من ذلك اصدارها قانون تطوير الازهر والبذل بسخاء على المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بلجانه المختلفة وعلى جمعية الشبان المسلمين وجمعية تحفيظ القرآن وغيرها هذا فضلا عن اقامة الاعياد والمواسم والجمع والاحتفال بها والتنويه بعظمتها فى جميع وسائل الاعلام من اذاعة مرئية وغير مرئية وصحافة . وأنا لا أنكر أن فى هذهالوسائل فى بعضالاحيان نزعات منالالحاد والشيوعية ولكنها ضعيفة والردود عليها داحضة اما الاخلاق فالتمكين لها يدخل ضمن نطاق التمكين للدين اذ الاخلاق هى مجموعة الفضائل الموروثة او المكتسبة فى امة من الامم . ولما كانت جمهوريتنا اسلامية ودينها الرسمى الاسلام على مانص عليه الدستور فى المادة الخامسة منه حيث قال « الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية » ـ لما كان الامر كذلك ـ فان اخلاق هذه الامة ان هى الا تراث الشريعة الاسلاميةالتى سادت هذا البلد اربعة عشر قرنا .

اما من اجل التمكين للوطنية فقد استعملت الثورة جميع المنابر من اجل ذلك منابر الصحافة والاذاعة وغيرها للتثبيت للوطنية وخلق مفاهيم جديدة لم تكن معروفة طوال مدة احتلال المستعمر لبلادنا وكفى الثورة فخرا انها خلصت استقلال البلاد وأممت قناة السويس وأممت المصارف وغيرها من الشركات الاخرى التى كانت عونا للمستعمر

هذا والاسرة تتكون عادة من زوجين رجل وامراة ومن الاولاد وحماية اى من هؤلاء او تامين مستقبله فيه دعم لكيان الاسرة وتامين مستقبلها

فبالنسبة للرجل والمراة قد فتحت الثورة أبواب العمل الشريف أمامهما على السواء فوظائف الدولة فى المصالح الحكومية وفى الهيئات والمؤسسات العامة وشركات القطاع العام وقف على ابناء وبنات هذا البلد حتى أن خريجى عام ١٩٦٤ عينوا جميعا ولم يبق منهم عاطل . وقد وضعت الثورة لوائح العمل والعمالة وزادت المرتبات فاصبح مرتب حامل المؤهل العالى لايقل عن عشرين جنيها شهريا . فضلا عن المزايا العينية الاخرى ومنها العلاج والدواء وتخفيض اجور المساكن وتمليك مساكن القطاع العام لساكنيها وتحديد حقوق العامل والعاملة فى الاجازات العادية والمرضية واجازات الحج واجازة الوضع للمراة .

هذا وقد حدد قانون الاصلاح الزراعى الملكية الزراعية وما زاد عنها وزع على المعدمين من الفلاحين فكان له اكبر الاثر فى دعم كيان الاسرة .

اما القوانين الاشتراكية الاخرى ومنها ماصدر فى سنة ١٩٦١ وهو القانون ١١٢ سنة ١٩٦١ وماتلاه فقد نصت على تخصيص ربع الارباح فى الشركات للعاملينبها من رجال ونساء كما خصصت لهم نصف مقاعد مجالس الادارة .

وقد عملت المراة بالطب والمحاماة والمحاسبة والتجارة ومجلس الامة بل واصبحت وزيرة ومن حقها ان تتقاضى معاشا ومكافاة عن خدمتها بالاضافة الى ماتستحقه من معاش زوجها .

اما الاولاد وفى سبيل دعم الاسرة فقد جعلت الثورة تعليمهم فى جميع مراحل التعليم بغير مقابل وفى سبيل العدالة وتكافؤ الفرص جعلت التزاحم على دخول الجامعات بمجموع الدرجات . فضلا عن الرعاية الصحية من علاج ودواء لهم وعناية بصحة ابدانهم بالتربية البدنية والالعاب المختلفة حماية للشباب من الانحراف

هذا قليل من كثير لايمكن حصره ولا استقصاؤه فجميع الخدمات التى تقدمها الدولة للمواطنين وزيادة الانتاج وخفض اسعار الحاجيات وتوفيرها كل ذلك دعم للاسرة .

وبعد فهذه عدة آراء لبعض ذوى الراى فيما حققته ثورتنا المباركة فى ظل قائد ثورتنا البيضاء المحطمة للاغلال ، المحطمة للقيود السيد الرئيس جمال عبد الناصر .. حفظه الله وابقاه ذخرا للاحرار ومنصفا لأصحاب الحقوق المظلومة .

أضواء على التاريخ الاسلامي

الأستاذ محمد محيي الدين الألواني

• بدء الدعوة الاسلامية فى القارة الهندية
• رسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك هندى

يؤكد المؤرخ الباحث مستر بالاكيريشنا بلاى بان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد بعث الرسائل يدعو فيها الى الاسلام ، الى ملوك افريقيا والى ملك ملابار . ويقول أن أول خطاب من الرسول العربى قد وصل الى ملك ملابار فى عام ستمائة وثمانية وعشرين للميلاد .

ويقال ان « جيرمان برمال » ملك كدنغلور قد زار النبىعليه الصلاة والسلام . هذا فى السابع والخمسين من عمره صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك الزمن أيضا وصل « مالك بن دينار » و « شرف بن مالك » الى بلاد ملابار ، ونزلا فى مدينة كدنغلور ثم جابا جميع أنحاء « كيرالا » داعين الى الاسلام وبانين المساجد والمعاهد الدينية فى ربوعها ، وبعد زمن قليل وصلت جماعة تبشيرية اسلامية الى مدينة كدنغلور أيضا تحتوى على عشرة اشخاص منهم « اسود » و « مرجان » . هذا فى سنة ٧٠١ م . (رحلة الملوك صفحة ٩) وبنى « مالك بن دينار » احد عشر مسجدا فى انحاء « كيرالا » ودخل جم غفير من الاهالى فى دين الاسلام ، سيما من الطوائف المنبوذة والطبقات السفلى ، بعد أن عانوا كثيرا من آلام التفرقة العنصرية ، وقاسوا عدة قرون انواعا من اضطهاد الطبقات العليا ، فوجدوا فى القوانين الاسلامية مساواة تامة وعدالة اجتماعية كاملة . وكانت العلاقات المستمرة بين البلاد العربية وملابار منذ اقدم العصور ، من البواعث الفعالة لانتشار الاسلام فى أنحاء كيرالا بسرعة فائقة ، وترعرعه فى البلاد بخطى ثابتة واستطاع « مالك بن دينار » أن يرى بعينى رأسه فى أواخر حياته مراكز عديدة مكتظة بالمسلمين فى أرجاء ملابار .

وبفضل هذه الثقافات الوافدة اليها استطاعت ملابار أن توسع آفاقها الثقافية والاجتماعية والدينية بحكم سعة صدرها وكرم وفادتها . فخرجت من حدودها الضيقة ودائرتها المحدودة الى ميدان الثقافات العديدة والتقاليد المختلفة . وحازت مركزا دوليا بالنسبة الى الاديان والثقافات ، ولا تزال تحتفظ بهذا المركز الخطير الى وقتنا هذا . ويعيش فى كنفها الآن كل الاديان الوافدة اليها ، وجميع الطوائف المتوطنة فيها بسلام ووئام تامين ! . .

اسلام ملك ملابار

تقول « تحفة المجاهدين » للشيخ زين الدين بن عبد العزيز عن بداية عهد الاسلام فى ملابار : ان طائفة من اليهودى والنصارى قد استوطنت فى مدينة « كدنغلور » (كرانغلور) عاصمة ملابار منذ أمد بعيد . فلعل اليهود الذين اجلاهم « كيخسرو » ملك ايران ـ كما تقول أسطورة قديمة قد هاجروا الى ملابار ووصلوا اليها من طريق الخليج الفارسى ثم استوطنوا كوجين . أو كما ذكر الدكتور « فورستر » مسندا الى كتاب « برتغالى » خرج فى سنة ٣٦٩ من الميلاد جمع من اليهود من جزيرة « ميورقة » من الأندلس وكانوا

ضريح السلطان شاه عالم بمدينة أحمد آباد فى شاطىء الهند الغربى ـ وكان من أوائل الحكام فى عهد الحكم الاسلامى فى الهند

زهاء سبع أو ثمانى ألف نفر . فوصلوا الى شواطىء ملابار ، واتخذوا بلدة « كوجين » مقرا لهم . واما النصارى . فالمصادر التاريخية تشهد أن القديس « توماس » كان يبشر فى ملابار بالمسيحية ، وأنه وصل اليها النسطوريون من سوريا ومن الجزيرة ومن كالديا .

ثم نزلت بعد حقبة من الزمان عاصمة ملابار فئة من المسلمين فى سبيلها الى سيلان ، مهبط أبينا آدم لزيارة قدمه ، ولما بلغ ذلك الى ملك ملابار ، دعاهم وتحدث اليهم مستفسرا عن النبى الكريم ، فأجاب رجل منهم ، وكان شيخا كبير السن ، عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن الاسلام ، وعن معجزة شق القمر ، فصدق الملك بالنبى وأسلم من صميم الفؤاد . وأسر اليهم أنه سيرافقهم فى طريق عودتهم الى بلاد العرب من سيلان بنفسه لمقابلة النبى الكريم ، وأكد لهم أن لايفضوا بما وقع الى أحد فى ملابار . ولما رجع هؤلاء من سيلان ، أمر الملك ، الشيخ أن يحضر سفينة تقله ومن معه .

وعندما تم له ما أراد دعى عشيرته وأعيانه وقال : « اننى عزمت الانزواء والعكوف على عبادة الله ، فلا يقتربن أحد اياى طول أيام الأسبوع ، ثم وكل أمور الحكم موزعا على رجاله . وكتب لهم فى ذلك أمرا حتى لايتعرض أحد لاحد و لايختلف فيه اثنان . واتبع ذلك أن ركب هو ورفقاؤه فى الفلك ووصلوا «فندرينة» فباتوا هناك ليلة وقضوا نهارا . ثم أبحروا الى « درمفتن » ومكثوا فيها ثلاثة أيام . ثم ركبوا حتى بلغوا « شحر » فنزلوا فيها أياما سنح لهم فيها ترتيب بعثة تبشيرية تقصد ديار ملابار تدعو الناس الى الاسلام، وتشيد فيها مساجد لله . واذا بالملك قد أصيب فى تلك الأيام بمرض كاد من شدته أن يذهب بحياته ، فأوصى الملك الدعاة المبشرين أن لا يهن منهم العزم فيتأخروا عما عزموا عليه ، فقالوا وهم « شرف بن مالك » وأخوه « مالك بن دينار » وابن أخيه « مالك بن حبيب بن مالك : « أيها الملك ! اننا لا نعرف بلادك ولا نعلم منها ثغورها ، وانما قصدناها لأنك معنا . ففكر الملك مليا ثم كتب لهم باللغة الملابارية مكتوباالى أقاربه وعماله ، ودلهم على عناوينهم وأمرهم بأن ينزلوا « كدنغلور » (كرانغلور) ، و « درمفتن » و « فندرينة » أو « كولم » وأكد لهم أن لا يذكروا أحدا كلمة عن مرضه أو عن موته، وعما قليل توفى الملك هناك .

وبعد عامين من موت الملك توجه « شرف بن مالك » و « مالك بن دينار » و « مالك بن حبيب » بزوجته وعياله الى ملابار . وبمجرد أن وصلوا الى « كدنغلور » عرضوا مكتوب الملك على عامله فأقطع لهم الضيعات ، وأعطاهم الروضات والحقول وفق مكتوب الملك . فسكن « مالك بن دينار » وابن أخيه « مالك بن حبيب » « كدنغلور » وبنى هناك بعد ذلك مسجدا ، ثم ارتحل « مالك بن حبيب » بزوجته وعياله الى « كولم » حيث اسكن فيها عائلته وبنى مسجدا ثم خرج وحيدا حتى

واجهة مسجد « شارمنيار » بحيدر آباد بجنوب الهند

وصل بلدة « هبلى ماراوى » وغادرها بعد بناء مسجد بها الى «باكنور» و «منجلور» و «كنجركوت» وشـيد فى كل من هذه الأماكن مساجد لله . فعاد الى « هبلى ماراوى » وأقام فيها ثلاثة أشـهر ، ثم غادرها الى « شـاليات » و « جرفتن » و « درفتن » ثم عـاد الى « كدنغلور » بعدما بنى المساجد فى كل من هذه البقاع ايضا ، ثم أخذ معه عمه « مالك بن دينار » فطـاف بالمساجد كلها وصلى فى كل منها • ثم عادا سويا الى « كدنغلور » مرة أخرى شاكرين لله على أن البلاد التى كانت تعمها الضلالة ، ويكنفها الكفر ، أصبحت تتنـور وتبدو فيه أبهة الفن العربى ـ الهندى بنور الاسلام ، وبعد ذلك غادر « مالك بن دينـار » و « مالك بن حبيب » « كدنغلور » الى « كولم »ومعهما الأصدقاء والخدم ، فأقاموا فيها .

وبعد مدة طويلة ارتحـل « مالك بن دينـار » و « مالك بن حبيب » مع بعض الزملاء الى « شحر » وزاروا هناك قبر الملك المتوفى • ثم سافر « مالك بن دينار » الى خراسان حيث توفى هناك • واما « مالك بن حبيب » فرجع الى ملابار وترك بعض أولاده فى « كولم » واتخذ لنفسه وزوجته مستقرا فى « كدنغلور » حتى انتقلا الى رحمة الله .

(٢)

الإسلام والمسلمون فى أسبانيا

إعداد رياض خليفة

اخى القارىء

فى هذا المكان وتحت هذا العنوان قدمت لك الفصل الأول عن حياة الاسلام والمسلمين فى اسبانيا وتحدثت اليك فيه عن اسبانيا قبل الفتح العربى وبعده وعن قصة الفتح الذى يعد أعظم فتح فى التاريخ والذى لو امتد لأمكن للعرب أن يغيروا وجه التاريخ وكيف أن هزيمة العرب فى مداخل فرنسا فى موقعة « تور بواتييه » تعتبر من العوامل الأساسية التى أخرت ظهور الحضارة فى أوربا عن موعدها بقرون .

واستعرضت معك أيضا العصور الاسلامية التى مرت بالأندلس منذ حكمها المسلمون حتى نهاية الحكم الاسلامى. ورأى مؤرخى الأسبان عن أثر الحضارة العربية فى تاريخ اسبانيا ...

وفى هذا الفصل الثانى ـ الذى أكتبه اليك هذا الشهر امتدادا لماسبق سيكون : عن فن العمارة وسأعمل لك مسحا شاملا للاثار العربية التى خلفها العرب هناك متعرضا لأهم وادق بعض آثارهم الهامة التى تنطق باعجاز العامل العربى ومهارته الفائقة فلم يكن الفتح الاسلامى لهذه البلاد من الأحداث السياسية أو الحربية التى كانت دوما تظهر على مسرح الحياة فحسب ولكن هذا الفتح قد تبلور فى شكله الى حدث ثقافى رائع أهل الانسان لاكتشاف الكثير من المجاهل التى لم يطرقها عقله من قبل .

فكرة سريعة عن الآثار الاسلامية

لقد كان الفن فى اسبانيا تعبيرا عن الحياة الاجتماعية التى تنحدر من الأثر أمارة تدل على القوة الدافعة التى تحركها . ومظهرا أثبتت به الجماعة قدرتها على اتخاذ صورة خالدة تترجم فيها المثل العليا لحياتها الدينية والمدنية .

وقد بقيت الآثار الاسلامية فى أسبانيا لتكون شاهدا على ما بلغته حضارة الاسلام من ثبات لم يزعزعه مرور القرون . ولا الصراع الدموى بين المسيحية والاسلام . وكانت المآذن والأبراج والقصور أشبه بالمعالم فى طريق الاسلام فى أسبانيا تنبض بحرارة العقيدة وحمية الجهاد وترف الحياة .

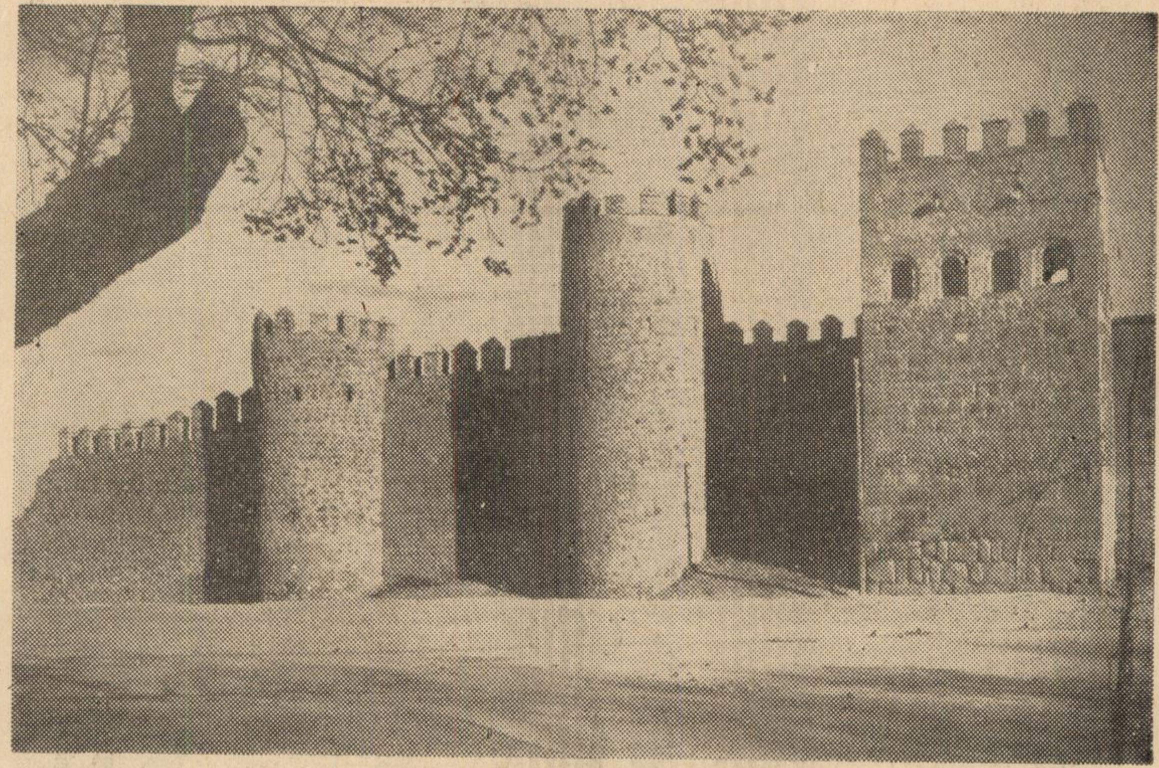

سور طليطلة ما زال باقيا حتى اليوم

وقد نمت العمارة فى الأندلس مع نمو المجتمع واتساع مداه . فكان عصر الدولة الأموية : هو العصر الذى تطورت فيه على نحو بلغ الذروة فى المسجد الجامع بقرطبة . ثم تعددت الوانها حتى فى عصر ملوك الطوائف . وأبدع الفنان المسلم فى التفاصيل والجزئيات كما يتمثل ذلك فى قصر الجعفرية بسرقسطة . واكتمل لها الجلال والروعة فى آثار الموحدين الشاهقة ودقت حتى صارت عمارة زخرفية فى قصر الحمراء بغرناطة .

نهضة كبرى

وقد عمل العرب فى الأندلس على نشر الاسلام وانشاء المساجد وتشجيع العلم حتى قال أحد العلماء المشاهير :

« لم يكن فى بلاد الأندلس رجل واحد أمى ، فى الوقت الذى لم يكن فى أوربا من يلم بالقراءة والكتابة سوى طبقة القسس » .

وقد انشأ أحد الحكام وحده (٢٧) مدرسة مجانية بلوازمها كى لا يبقى أحد من رعيته محروما من نعمة التعليم. «وكانت جامعة قرطبة أشهر من الجامعة النظامية ببغداد » .

ولا تزال آثار المسلمين باقية حتى اليوم فى الأندلس . ومن أشهر هذه الآثار : قصر غرناطة الشهير بالحمراء الذى يعد من أروع ما وصل الينا من تراث العرب فى الأندلس كما يعتبر أيضا من أبرز معالم الحضارة الانسانية فى العصور الوسطى .

ويقول الدكتور عبد العزيز مرزوق فى كتابه قصر الحمراء عن وصفه :

« جولة بين أبهاء القصر وقاعاته ولمسة تاريخية. ونظرة الى زخارفه ووقفة عند النصوص المثبتة على جدرانه وعند الأشعار التى تزين نافوراته وتدور حول عقوده ولمحة من أساطيره التى لا تزال حتى اليوم تروى لزواره ... جولة تكشف لنا عن براعة المهندس العربى الذى صمم هذا القصر . وسطر لنفسه فى سجل الخلود صفحة يتجلى فيها جمال الفن العربى وعظمة العرب فى صناعة البناء وصناعة الخزف .

ونظرة الى زخارفه تجلو لنا عبقرية الفنان العربى فى ابتداع تلك الطرز المختلفة من الزخارف التى استمد عناصرها الاولوية من الفنون التى سبقته الى الوجود ولكنه استطاع أن يذيب هذه العناصر الزخرفية فى بوتقته وأن يخرجها من بين يديه فى ثوب جديد ومظهر مبتكر .

ووقفة عند النصوص المكتوبة تكشف لنا عن ذوق مصفى وحس رقيق . ولمحة من أساطيره فيها متعة ترفه عن الذهن وتشبع النشوة فى النفس » .

ويصف (استانلى بول) هذا المسجد فى كتابه (قصة العرب فى اسبانيا) فيقول :

وقد بقى من جماله ما هو ماثل الى الآن . فالسائحين يقفون اليوم دهشين أمام هذه الغابة من السوارى فيروعهم منظر لا يكاد ينتهى من كل جانب » .

هذا ... ومن الآثار الباقية حتى الآن فى أسبانيا قصر أشبيليه . وهو قصر فخم بابه من خشب الصنوبر ومنظره بهيج للغاية .

ولا تزال توجد حتى الآن قنطرة الوادى الكبير عند قرطبة وطولها أكثر من ٥٠٠ خطوة وعرضها نحو ٢٠ خطوة وعليها حواجز حجرية .

أما قصر الزهراء التى سارت بذكره الركبان : فهو من عجائب الدنيا . وقد بناه الناصر فى سفح جبل العروس. وقد أنفق فيه نحو ٤٦٠ قنطارا من الفضة وعدد السوارى به اربعة آلاف وثلاثمائة وكان به خمسة عشر ألف باب ملبس بالحديد أو النحاس . وحيطانه من الرخام والذهب وفى وسط البهو حوض ملىء بالزئبق الرجراج . الى جانب كل منه ثمانية أبواب من العاج والأبنوس قد رصعت بالجواهر . فاذا دخلت أشعة الشمس من هذه الأبواب ولاقت اهتزاز الزئبق : ملأت البهو ببريق يشبه لمعان البروق . ولم يبق من هذا القصر الا بعض أطلال بالية .

... تلك هى بعض الآثار الاسلامية الباقية فى الأندلس حتى اليوم . وهى تشهد بما كانت عليه أمة الاسلام فى

مئذنة مسجد أشبيليه المعروفة « بالجيرالدا »

تلك الآونة من قوة النفوذ وامتداد السلطان وعلو الذكر وارتفاع المكانة لولا ما ألم بالأندلس من اضطرابات وفتن. وما نشأ فيها من شحناء ومنازعات .

ولا بد مع الكلام عن الآثار العربية فى الأندلس من ذكر أهم القصور التى شيدت على مر العصور الاسلامية وبعض الملامح الأخرى كالحمامات والقناطر والأسوار الحربية .

بدء عناية المسلمين ببناء القصور

لم يشرع المسلمون فى بناء قصورهم الا فى عهد بنى أمية وهو العصر الذى نبتت فيه الفنون الاسلامية الأندلسية فما كاد عبد الرحمن بن معاوية يستولى على الامارة بالأندلس حتى رأى أن يحيط نفسه بهالة من فخامة الملوك وأبهة الخلفاء فقامت حركة معمارية قوية فى البلاد ونشطت هذه الحركة فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى نالت الأندلس على يديه من المجد الرفيع والازدهار ما نالت حتى بلغت مستوى من الثراء لم تبلغه الأمم الاخرى .

القصور فى عهد بنى أمية

كان الخلفاء من بنى أمية وأمراؤهم يشيدون قصور الحكم بجوار المساجد الجامعة وكانوا يطلقون عليها اسم « دور الامارة » على أنهم كانوا يعمدون أحيانا الى بناء قصور للراحة واللهو بعيدا عن الحاضرة ليتمكنوا من الاستغراق فى الترف والاستنامة الى حياة اللهو التى لاتتاح لهم فى مقر الحكم بالحاضرة ومن أشهر هذه القصوروأهمها (قصر الامارة) فى قرطبة .

ولما تولى الامير عبد الرحمن بن محمد الامارة بقرطبة

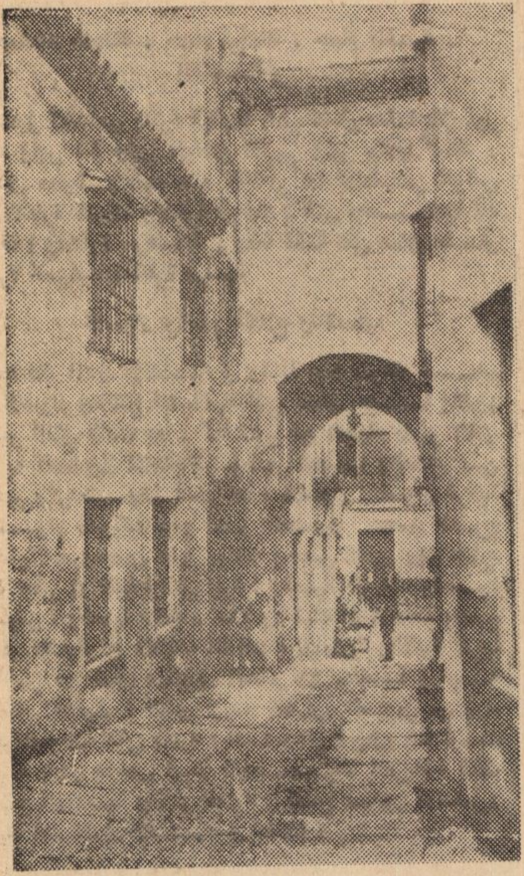

أحد دروب قرطبة

راى أن يبنى قصرا له يليق بجلال الخلافة وبهائها فبنى (قصر الزهراء) الذى قدمت لك نبذة عنه قبل هذا الكلام .

القصور فى عصر الطوائف

ولما استقل ملوك الطوائف بأهم مدن الأندلس وعظم شأن كثير منهم : فتحوا أبواب مدنهم للشعراء والأدباء ورجال الفن . وتنافسوا فى بناء القصور السامقة والمبانى السامية . ولم يتبق من قصور ملوك الطوائف الا آثار قليلة منها : قصر بنى عباد باشبيليه وقصر بنى برزال بقرمونة وقصر الناعورة بطليطلة وقصرالجعفرية بسرقسطة وقصر القصبة بمالقة .

القصور فى عصر الموحدين

اهتم خلفاء الموحدين فى الأندلس ببناء القصور وحظيت (اشبيليه) ـ حاضرتهم فى اسبانيا الاسلامية ـ بعنايتهم وأقاموا فى الأندلس قصورا فى المدن التى حكموها ومن أشهرها قصر أبى يحيى بقرطبة . وقصر البحيرة خارج باب جهور باشبيليه . وقصر اشبيليه . وقصر الحمراء بغرناطة .

وحين يبلغ الفن فى غرناطة الى الذروة كما تلمسه فى قصر الحمراء نراه قد أعد كل شىء اعدادا دقيقا لتخدير المشاعر عن ادراك الحقيقة التى لا سبيل الى التغافل عنها وهى انتهاء دولة الاسلام فى الأندلس .

الحمامات

وقد كثر بناء الحمامات فى المدن والقرى الأندلسية

بحيث يمكننا القول بان دور الحمام يأتى فى الاهمية المعمارية بعد المسجد الجامع مباشرة ومن اشهرها هذه الحمامات :

حمامات طليطلة . حمام غرناطة . حمام بلنسية .

القناطر

تتميز الاندلس بكثرة أنهارها التى تشق مدنها مثل نهر تاجة ونهر آنة ونهر الوادى الكبير ونهر وادى لكة . ووادى سليط وكانت هذه القناطر اما قائمة على أقواس مثل قنطرة طليطلة وقنطرة قرطبة (التى وصفتها لك سابقا) وقنطرة سرقسطة . واما قائمة على سفن مثل قنطرة اشبيليه وقنطرة مرسية

الأسوار وأشهر القلاع والقصاب

تحتفظ المدن الاندلسية فى وقتنا هذا بتراث ضخم من الأسوار والقلاع الاسلامية التى تنطق حقا بالدور الكبير الذى قامت به . كما تعبر عن الجهاد المرير الذى قام به المسلمون للاحتفاظ بوطنهم الحبيب والدفاع عن شرفهم وكرامتهم ومن اشهر هذه الأسوار : أسوار قرطبة وأسوار أشبيليه ومن أشهر الحصون حصن الفرج وحصن القصروحصن فارو بمالقه وحصن المدور ومن القلاع: قلعة جابر أو قلعة وادى ايرة ، وقصبة المرية ، وقصبة بطليوس ، وقصبة مالقه . هذا ولا شك أن الاحاطة بجميع مظاهر التفوق فى مختلف القطاعات المعمارية والفنية لعرب الاندلس أمر فوق مستوى الحصر ولا يتناسب ورغبة (الالمام الخفيف) الذى أريده للقارىء العزيز من وراء هذه المعلومات التى تشبه (السندوتش) وهى هنا ليست دراسة بقدر ما هى ابراز للخطوط العريضة فقط للملامح الهندسية والآثار الفنية فى انتاج مسلمى الأندلس. واليك أهم المدن الأندلسية فى كلمات :

اشهر المدن الاندلسية

قرطبة :

هى احدى المدن الاندلسية وذاعت شهرتها على مر العصور الاسلامية التى حكمت أسبانيا كمركز اشعاع علمى وثقافى وبزوغ فى مختلف الفنون . وكانت قرطبة منذ اختارها المسلمون حاضرة لهم بالأندلس وعلى الأخص منذ اتخذها الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بعبد الرحمن الداخل مهد الحياة الرفيعة ومصدر الحضارة السامية وموطن الفلاسفة والشعراء ومركز الفنون والاداب وكانت أكثر مدن أوربا سكانا . فقد بلغت فى عهد الخلافة الأموية تطورا عمرانيا لا مثيل له فى دول الغرب المعاصرة ، التى كانت ترزح فى ظلمات الجهل والانحطاط .

وبلغت قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر من بعده مستوى من الرخاء والثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل. وظلت تنعم بهذا التفوق على سائر مدن اسبانيا زمنا . حتى سقطت الخلافة الأموية . فتركت بعدئذ لمصيرها التعس . وفتحها البربر فى عام ١٠١٠ وهدموا آثارها ومحاسنها . ومنذ ذلك الحين انطفأت شعلة تفوقها وتخلت عن مكانتها السامية لأشبيليه.

الزهراء :

بناها عبد الرحمن الناصر لدين الله تيمنا باسم جاريته (الزهراء) وكان مغرما بها فحقق لها هذه الرغبة وأسسها سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) على بعد ٥ أميال من قرطبة واتقن بناءها واحكم الصنعة بها واتخذها مقرا للخلافة وسكنا للزهراء ورجال خاصته . كذلك أمر ببناء مسجد

مئذنة جامع قرطبة بعد تحويلها الى برج للنواقيس

بالمدينة فتم بناؤه فى أقل من شهرين واتخذ الناصر فى مدينة الزهراء دورا لصناعة آلات الحرب والحلى وأدوات الزينة وكانت الزهراء مركزا هاما لصناعة العلب العاجية.

ولم يتم بناء هذه المدينة فى عهد عبد الرحمن الناصر فاتمها ابنه الحكم المستنصر وظلت الزهراء فى ازدهار حتى سقطت الخلافة الأموية بالاندلس .

طليطلة :

وهى تعريب لاسم توليدوث THLEDOTH وكان العرب يسمونها مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم . وهى مدينة قديمة للغاية ويحيط بأصلها الغموض ويغلب على الظن أنها بنيت زمن الأغريق .

وقد عبر مؤرخو العرب عن عظمة موقع طليطلة . من ذلك ما ذكره الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى عجائب الأقطار اذ يقول (وهى على ضفة النهر الكبير . وقل ما يرى مثلها اتقانا وشماخة بنيان . وهى عالية الذرى حسنة البقعة) وكانت قنطرة طليطلة من عجائب البنيان. وبها اليوم آثار قصر عربى يعرف بقصر جوليانا . وقد بلغت حضارتها الذروة فى عهد أسرة ذى النون واشتهرت بعلمائها فى الفلك والرياضة . كما عرفت بصناعة الأسلحة والعلب العاجية وعمل الاصطرلابات .

المرية

وهى مدينة اسلامية البناء محدثة الانشاء . أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥م) واسمها مشتق من وظيفتها . اذ كانت تتخذ مرأى ومرصدا بحريا لمدينة (بجانة) القريبة منها وكانت المرية بالاضافة الى كونها قاعدة للاسطول الحربى الأندلسى : مركزا للسفن القادمة من من المشرق وكانت تقصدها السفن التجارية من جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط . ولم يكن

بالأندلس كلها أيسر من أهلها ولا أتجر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا .

ولم تعد المرية اليوم فى ذلك الثغر الذى طالما رست به أساطيل المسلمين . وانما أصبحت مدينة ثانوية أقرب ما تكون الى القرية بسبب صعوبة الاتصال برا ، بينها وبين سائر مدن الأندلس .

مرسية :

وهى التى كانت حاضرة شرق الأندلس فى العصر الاسلامى . مدينة اسلامية أسسها الأمير عبد الرحمن سنة ٢١٦هـ ٨٣١م . وازدهرت هذه المدينة فى عصر الخلافة وعمرت وأصبحت من حواجز الأندلس الكبرى حتى سقطت الخلافة الأموية بقرطبة . وكانت مرسية بلد العلم والأدب . وقد وفد من علمائها عدد كبير الى المشرق وعلى الأخص (مصر) من بينهم أبو عبدالله محمد بن يوسف المرسى المتخصص فى الفقه وعلم الكلام ومنهم الزاهد الكبير سيدى ابو العباس أحمد بن عمر الأنصارى المرسى وكان من أكابر الأولياء . وقد قدم الى الاسكندرية واستقر بها ومات ودفن فيها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧م) وقبره موجود بها الى يومنا هذا ومن تلاميذه ابن عطاالله صاحب كتاب : (لطائف المنن فى مناقب الشيخ سيدى أبى العباس وشيخه سيدى أبى الحسن)

ماردة :

وهى مدينة واقعة على وادى (أنة) قرب بطليوس . وقد تولى (ماردة) فى عهد بنى أمية عظماء بيتهم . هذا ولم يبق من آثارها الاسلامية سوى قصبتها التى يتوسطها من الداخل فناء فسيح بداخله (جبها) المشهور حيث كانت تخزن المياه الواردة من نهر وادى أنة .

سرقسطة :

وسرقسطة مدينة كبيرة فى شمال شرقى الأندلس . وكانت فى العصر الاسلامى قاعدة الثغر الأعلى بالأندلس وما زالت حتى اليوم حاضرة مقاطعة أرغون . وكان المسلمون يطلقون عليها اسم المدينة البيضاء لكثرة جصها وأجيارها ، وقيل لأن أسوارها القديمة كانت من الرخام الأبيض . ومن آثارها الاسلامية الهامة قصر الجعفرية .

بلنسية :

هى قاعدة شرق الاسلام وأعظم مدائنه وهى سهلية خصبة كثيرة الخيرات . ومازال اسم الرصافة يطلق حتى اليوم على احدى ضواحى بلنسية . ويتوسطها مسجدها الجامع وبجوارها القصر والقيسارية .

اشبونة :

وتقع أشبونة فى غرب الأندلس على المحيط « المحيط الأطلسى الآن » وكانت تعرف بالحصانة والمنعة ويحيط بها سور وبداخله قصبة . ومن مدينة أشبونه كان خروج المغرورين فى ركوب بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) ليعرفوا ما فيه والى أين ينتهى وهذا دليل على أن المغامرين من المسلمين كانوا أول من اكتشفوا المحيط الأطلسى وأول من ركبوا هذا البحر للبحث والاستكشاف قبل ظهور ماجلان أو كريسوف كولومبس .

أشبيليه :

وتقع على الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير قرب مصبه . وقد سكنها عدد قليل من العرب اذ آثر أكثرهم النزوح الى العاصمة « قرطبة » وقد بالغ مؤرخو العرب فى وصف روائع اشبيليه وما كانت تنفرد به دون غيرها من الحواضر الأندلسية وكانت ـ على حد قولهم ـ عروس بلاد الأندلس وقاعدتها : مدينة الأدب واللهو والطرب عظيمة الشأن طيبة المكان وعلى الرغم من ضياع كثير من المعالم الاسلامية فى أشبيليه . فمازالت تحتفظ حتى اليوم بطابعها الذى اتسمت به منذ عصر الموحدين . ومع أن أشبيليه فقدت كثيرا من معالمها الاسلامية فما زالت حتى اليوم تزخر بكثير من آثار الموحدين ولعل أهم هذه الآثار بقايا القصر الاسلامى . ونضيف اليها بقايا المسجد الجامع باشبيليه الذى أمر أبو يعقوب يوسف ببنائه سنة ١١٧٢ وأهم ما تبقى من هذا الجامع الجليل : مئذنته الرائعة المعروفة « بالجيرالدا » وقد تم بناؤها سنة ١١٩٥ وارتفعت فى رشاقة وجلال تشق عنان السماء ويكفى لاظهار روعتها أن يلمس الزائر بها اليوم : عمارتها الصاعدة فى ايقاع وزخارفها المحفورة فى الآجر كالمخرمات والموزعة فى تعادل واتزان مع رقة وبساطة .

غرناطة :

وهى مدينة اسلامية الانشاء فلم تكن زمن الفتح الاسلامى سوى قرية صغيرة فتحها المسلمون عنوة . وقد بزغت شمسها وأخذ اسمها يسيطر تدريجيا على ماحولها وقد شهدت غرناطة أحداثا هامة فى تاريخ مسلمى الأندلس لعل أصرخها لونا هو ذلك المشهد الدامى لغروب الأندلس وانقضاء عهد الحكم الاسلامى بها وخروج أبى عبدالله آخر سلاطين بنى الأحمر منها الذى انطوت بخروجه صفحات الاسلام وعزه ومجد الأندلس .

ويشهد قصر الحمراء بغرناطة الاحداث التى مرت به وتروى قاعاته وأبراجه قصة هذا الصراع الأليم الذى انتهى بضياع الأندلس . وتعد حمراء غرناطة متحف الحضارة الأندلسية : ففيها وضع رجال الفن من مسلمى الأندلس خلاصة فنهم وعصارة ما وصلت اليهم عبقريتهم.

ويكشف فن غرناطة عن حقيقة طبيعية : وهى رغبة شعب قد بلغ ذروة التطور فى التمتع بحاضره والشك فى غده فقصر الحمراء بأوصافه التى ذكرتها هنا وفى مقدمة هذا الموضوع كل هذا يؤكد أن الحمراء كان قصرا أسطوريا أو جنة الله فى أرضه وهنا يبلغ الفن الغرناطى الذروة فقد أعد كل شىء اعدادا دقيقا لتخدير المشاعر عن ادراك الحقيقة التى لا سبيل الى التغافل عنها وهى انتهاء دولة الاسلام فى الأندلس .

كلمات أخرى :

وباستعراض أشهر المدن الأندلسية لا أكون قد وفيت بالمطلوب وحتى ما ذكر منها لم أتعرض لها بما يجب أن يتم لها اذ أن كل مدينة من هذه المدن تجسد تاريخا اسلاميا عريقا لم تذهب مع الأيام معالمه ولم تطمس رغم مرور الزمن آثاره .

هذا وفى الفصل الثالث والأخير ان شاء الله سأتناول الأندلس من الناحية الأدبية وأشهر الأدباء والشعراء ومن عرفوا بصناعة من الصناعات وكذلك الفقهاء والفلاسفة وأشهر الشخصيات التى ظهرت على مسرح الأندلس ثم غروب الأندلس وانى مدين بالشىء الكثير لبعض المؤلفات التى وضعها نخبة من الاساتذة الكبار عن تاريخ الاسلام والمسلمين فى الأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة وساشير الى مؤلفاتهم وأسمائهم فى الفصل الأخير من هذه الدراسة الوجيزة والى أن التقى معك فى الشهر القادم لك منى أطيب تحية والى لقاء .

ندوة الشهر

رسالة البيت فى المجتمع

إعداد عبد الرحمن الشربيني

المجتمع اسرة متكررة ..

والبيت الذى يضم هذه الاسرة لابد أن يكون له رسالة كبرى فى المجتمع ..

والطفل .. انما ينشأ متأثرا أول مايتأثر بما يتلقاه من تعاليم وتوجيهات مسرحها هذا البيت .

امه .. ابوه .. اخوته .. الاطفال الذين يلعبون معه ..

كل هؤلاء هم البيئة التى تخلق الفرد وتؤهله لان يكون عضوا فى المجتمع الكبير ..

وفى هذه الندوة آراء لاثنين من كبار اساتذة التربية وعلم النفس ..

وسنرى من آرائهما الى اى حد يكون تاثير البيت فى المجتمع ..

قدم الندوة ووجه اسئلتها :

× الاستاذ احمد فراج

وتحدث فيها :

× الدكتور عبد العزيز القوصى المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة بهيئة اليونسكو بهيئة الامم .

× الدكتورة بنت الشاطىء الاستاذة بجامعة عين شمس .

بدأ الندوة الاستاذ احمد فراج :

س - ماهو دور العناصر المختلفة واهمية كل منها فى تكوين شخصية الفرد ؟

الدكتورة بنت الشاطىء :

- الواقع ان العناصر تدخل فى مراحل متعاقبة فى شخصية الانسان .. لا ينفرد عنصر واحد فى تكوين شخصية الانسان من الطفولة حتى الكبر .

يبدأ الاثر فى تكوين هذه الشخصية بالبيت .. فالمدرسة .. ثم المجتمع .

وحين نقول البيت اساس المجتمع ، لا نقصد بيتا بعينه .. وانما نقصد البيت بوجه عام .

والفصل بين المجتمع والبيت من الصعوبة بمكان .. لان المجتمع ماهو الا عائلة كبيرة او عائلة متكرر كما يقول الاستاذ لطفى السيد ..

ولقد اجمع علماء الاجتماع على ان البيت هو الاساس فى التاثير على المجتمع ..

ولا يمنع بعد ذلك ان يتاثر الطفل بمؤثرات اخرى .

والاصل فى التربية ان يكون الوطن بيتا كبيرا .

س - هل يمكن للدكتور القوصى ان يحدثنا عن الارتباط بين الطفل وبين أبويه فى الفترة الاولى واثر ذلك من الناحية النفسية ؟

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- فى الفترة الأولى يكون الطفل مرتبطا بالوالدين .. فهو فى فترة ما مرتبط كل الارتباط بالرحم ارتباطا وثيق الصلة .

ثم تاتى بعد ذلك فترة اخرى بعد الولادة ينفصل فيها الطفل عن امه ولكنه رغم ذلك يلتصق بها عن طريق الرضاعة ..

وفى هذه الفترة كذلك تبرز فيها عناية الام بوليدها عناية بدنية فتكون صلة وان كانت اقل من الصلة الاولى ..

وتجىء بعد ذلك عوامل تساعده على الانفصال ..

تنبت له اسنان فيستقل بها فى الاكل ..

يمشى .. فلا يكون محتاجا لان يحمله احد ..

يتكلم .. فيستطيع ان يعبر عن رغباته التى ليست قريبة منه .

وتاتى بعد ذلك عملية انفصال ثانية ..

حين يخرج فيلعب مع اولاد الجيران فى الشارع .

ثم عملية انفصال ثالثة ..

حين يخرج من البيت الى المدرسة ..

ثم عملية انفصال اخيرة ..

حين يخرج من المدرسة الى المجتمع ..

وكل عملية فصل من هذه العمليات تعتبر عملية توسع فى مجاله .. تماما .. مثلما يلقى انسان بطوبة فى الماء فتاخذ شكل حلقات فى الماء تتسع بالتدريج وهكذا ..

يجب ان تكون حياة الطفل بين والديه .. فيها تحررات تتسع تدريجيا بحيث تساعده على التحرر فيكون مطمئنا واثقا ممن حوله ..

س - فترة الارتباط هذه تحتاج الى اسلوب من المعاملة هل يمكن توضيحه ؟

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- هذا متصل بمدى مساعدة أو عدم مساعدة الوالدين للطفل .. حين ياكل .. يساعدانه مخافة ان تتسخ ملابسه .

حين يلعب مع الاولاد .. يقولان له لاتلعب مخافة ان يضربوه ..

يكون الارتباط على هذا الاساس من جانب الوالدين مبنيا على الخوف والقلق على الطفل .

ويترتب على هذا ان ينشأ الطفل قلقا على نفسه فتكون تلك هى مبادىء اضعاف الثقة فى نفس الطفل .

يجب ان يكون الاساس هو اعطاء الطفل فرصة ليثق بنفسه وبمن حوله وممن حوله .

لان الخوف هو اسوأ مايقابل الطفل فى حياته ..

س - ماهى انعكاسات هذا الارتباط على الفرد فى المجتمع ؟

الدكتورة بنت الشاطىء :

- رغم انفصال الطفل عن والديه تظل صلته بهما مدى الحيـــاة .. لان الابن هو الامتـــداد الطبيعى للابوين ..

ومجرد القائه فى المجتمع دون تحرر معتمدا على ابويه يجعل المجتمع مجتمع طفولة ..

ورحم الله الشاعر البوصيرى حين قال :

والنفس كالطفـل ان تهمله شب على
حب الرضـــاع وان تفطمـه ينفطـم

ففى يـد الاسرة تعـويده على الفطام .. والفطام هنا ليس معناه فطاما عن الرضاعة ..

وانما التعود على المسئولية ..

ومايقال عن الطفولة .. يمكن ان يقال عن المجتمع..

فبعض المجتمعات تســود فيها ظاهرة الانفصال .. التنصل من المسئولية ..

نقول مثلا .. السيدات يخرجن فى الشوارع بملابس تظهر مفاتنهن .. ويتبرجن تبرج الجاهلية الاولى .

وننادى فى نفس الوقت بأن المسئولية على الحكومة لانها يجب ان تقضى على ذلك بالقانون ..

وماحاجة المجتمع بقانون الحكومة لو أن كلا منا تحمل مسئوليته أمام المجتمع وعرف أن التبــرج وأن ارتداء الملابس غير اللائقة أنما أساسها البيت ..

وهل كان هذا يخـــرج من البيت الا بموافقة رب البيت الذى يأتى الآن ويلـوم الحكومة ويطلب اليهـــا استعمال القانون ..

يجب على المجتمع أن يضبط ذلك بنفسه .. وعندئذ لا تكون بنا حاجة لاستعمال القانون ..

وكلمـــا اعتمد المجتمع على غيره .. كانت المسئولية كبيرة وخطيرة ..

نحن فى البيت نسمح للطفل ان يلقى العبء عـــلى غيره .. نراه وهو يبذل سلسلة من المحاولات لالقاء التبعة على غيره .. وبذلك ينشأ مجتمع تتفشى فيه عادة التخلص من المسئولية والقائها على الغير .

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- اضيف الى كلمة الدكتورة بنت الشاطىء ان المجتمع فيه عملية تشبه الرضاعة الى حد كبير .

التلاميذ فى المدرسة يريـــدون ان يرضعوا دروسا خصوصية ..

وفى الجامعة يريدون أن يرضعوا محاضرات ..

وكذلك فى المجتمع ..

عملية رضاعة مستمرة ..

وبمناسبة ماذكر من بيت الشعر للبوصيرى .. يدفعنا ذلك الى ان نتحدث فى علم النفس عن النظام النفسى .

والنظام النفسى هو علامة على النضج .

لابد أن نتصور ان فرص البيت وماتحويه من تعليم الطفل بعض وسائل كالحبو فالمشى ثم اللعب .. كلها فرص للنضوج النفسى فى المستقبل .

واذا لم أضع هذه البذور وضـعها الطبيعى فسوف اقاسى منها فى المستقبل .

الدكتورة بنت الشاطىء :

- ان عدم الفطام هو من أخطر المخاطر على المجتمع ..

ومن وسائل ذلك مايبذل من جهود لكى يظل الموظف ، على سبيل المثال ، مع أسرته فى القاهرة حيث لا يستطيع ان ينقل بعيدا عنها الى الفيوم مثلا لأنه يريد أن يكون البيت والأسرة كلها فى خدمته .

ولهذا..كانت الشكوى الدائمة من ازدحام العواصم بالموظفين .. أوعدم الانتقال للمناطق البعيدة عن هذه العواصم .

صراحة .. أن أمثـــال هؤلاء لم يفطمـــوا بعـــد ..

س - نحن نرى الآباء ينقسمون فريقين فى تربيـــة اولادهم ، فريق يعامل اولاده نفس المعاملة التى كان يعامل بها .. وفريق آخر يعاملهم بعكس ماكان يعامل به .. فاى الاسلوبين اصح ؟

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- ان هذا يحدث فى كثير من الاحيان .. والد كان يضرب كثيرا وهو فى الصغر .. فلابد انيقوم هو بدوره بضرب أولاده حتى يتربوا مثلما ربى هو ..

هو ينتقم لنفسه بهذا الضرب ..

عملية لا شعورية خارجة عن ارادته .

وعكس ذلك ..

والد قيد عليه أكثر من اللازم فى صغره .. يمنح اولاده مزيدا من الحرية التى حرمها هو ..

هذا الوالد .. حرم من دخول كلية الطب .. اذن لابد ان يدخل ابنه كلية الطب ..

وفى رأيى .. لا بهذا الاسلوب ولا بذلك يجب ان نعامل الطفل .

الافضل .. ان اعاملـه بما يجعله يتحرر وينضج باطمئنان ..

يجب أن يكون لنا دستور فى تربية الأطفال ..

ومن اهم مواد هذا الدستور الثبوت فى المعاملة .

يجب الا يكون فى الاسرة فصال ..

لا أعد الطفل بنزهة مثـلا ثم اعود فاخلف معه هذا الوعد ..

ان هذا فصال يجب الا يكون داخل الاسرة ..

يجب أن أفى مع ابنى بما وعدته ..

فاذا كان هناك طارىء حال بينى وبين تنفيذ هذا الوعد فعلى أن ابينه واشرحه له ..

لقد ذهب احد علماء النفس الى حد انك اذا قلت لطفلك ساقتلك ان فعلت كذا .. فاذا فعـل فيجب ان تقتله .. فاذا لم تفعل فانه لن يحترمك ..

ولو ان هذه النظرية مبالـغ فيها .. الا أنها تدلنـا الى أى مدى يتمســك عالم النفس بالثبوت فى معاملة الطفل ..

يجب ان يكون الأب والأم على سياسة واحدة امام الطفل ..

مثلهما فى معاملة الطفل ، مثل البللـــورة عندما تتكون من المحلول .. فاذا اهتز هذا المحلول لم تتكون البللورة ..

يجب الا اشتم الطفل فى الوقت الذى افهمه فيه ان الشتم ذنب لا يغتفر ..

سيصبح امام الطفل مرجعان .. مايراه .. ومايقال لـه ..

فهو اذن فى حيرة لأنه لا يرى امامه الثبـــوت فى المعاملة .

ان أساس التربية يجب ان يكون ثبوت المعاملة .

ليس على لين .. ولا على قسوة ..

العطف فى غير ضـــعف .. والحزم فى غيــر عنف .

وبذلك اضمن الجو اللائق للتربية السليمة للطفل .

الدكتورة بنت الشاطىء :

- اضيف الى راى الدكتور القوصى اننا فى البيت نواجه جيلين مختلفين .. الاب وابنه .. مختلفين من حيث المؤثرات الطارئة التى لم تكن فى الجيل الذى سبقه ..

فلابد ان نوائم بين اختلاف وجهات النظر بين كل من الاب والابن ..

فالابن بحكم انه فى عصر ابيه يجب ان يضع الاب امامه كل تجاربه فى خدمتــه .. ويترك للعصر الحكم ..

وهنا ظاهرة اخرى من مظاهر الفصال فى البيت .. الـكذب .. ان الـكذب من أخطر الأشياء .. تفسد وتدع اثرا سيئا فى نفسية الابن .. بـل تجعل من حياته كلها اكذوبة

الكذب خطر جدا امام الاطفال .. وله خطره الكبير فى المجتمع ..

ان اختلاف اسلوب التربية ليس هو كل الخطر .. انما الخطر فى تعرض الطفل لاسلوبين متناقضين .

الاب يقسو .. والام تسرف فى الحنان .. فيقطع الطفل عملية تمزق ..

الاب يقول لابد ان يشتغل الولد .. فتاتى الام من وراء الوالد وتعطى الولد خمسة قروش مثـلا ليقدمها للوالد على انها اجره من العمل ..

ان هذا تمزق بين اسلوبين .. والافضل ان يكون هناك اتفاق ومداولة بعيدا عن الطفل .. فالاسلوب الواحد هو اجدى فى تربية الطفل واضمن لانه يشب على صلاح وتقويم .

س - كيف ينشا الخوف عند الاطفال ؟

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- موضوع الخوف كبير جدا .. ينقسم الى خـوف عرضى .. وخوف مزمن ..

تماما كالصداع العرضى والصداع المزمن ..

والخوف العرضى اسلوب من اساليب وقاية النفس من الخطر .. ولكن الخوف المـزمن هو الذى يخيف حقـا ..

والخوف اما عام واما خاص ..

شخص يخاف ان يخرج حتى لا يصـاب بالبرد .. شخص يخاف ان ياكل حتى لا يتسـمم .. شخص يخاف ان يتزوج حتى لا يفشل فى زواجه .. شخص يخـاف ان يلعب مع غيره .. شخص يخاف ان ينـام حتى لا يطول نومه .. كل هذه امثلة من الخوف العام .

اما الخوف الخاص فمن امثلته .. طفل يخاف من الحشرات .. طفل يخاف من الظلام ..

والخوف بنوعيه العرضى والمزمن ، وباشكاله العام والخاص .. موجـود فى الافراد .. فى الصـغار والكبار .. فى المجتمع .

ومن أسف اننا نربى الخوف فى نفس الطفل حين نقول له .. حذار من كثرة الاكل حتى لا تتعب .. حـذار من زحمة الطريق وسرعة السيارات حتى لاتموت .. وهكذا تضع الام المتشائمة امام طفلهـا التحذيرات الكثيرة فينشا حذرا خائفا من كل شىء .

س - بقدر ما يحب الطفل امه نراه يبتعد عنـها احيانا وكذلك بالنسبة للاب .. فما تعليل ذلك ؟

الدكتور عبد العزيز القوصى :

- هذا مرجعه الى ازدواج الانفعـال .. يحب الشىء ويكرهه فى نفس الوقت .. يميل الى شخص وفى نفس الوقت يحاول ان يبتعد عنه .. وصحيح جدا ذلك المثل العامى الذى يقول ..

« لا بحبك ولا اقدر على بعدك »

س - ماهو دور الام فى فترة الست سـنوات الاولى ؟

الدكتورة بنت الشاطىء :

- الطفل اكثر صلة بالام فى هذه الفترة .. فهو ملتصق بها حين كان فى الرحم .. ثم هناك صلة اخرى وهى ذلك النبع الالهى الذى تملكه الام .. فيجب على الام ان تستغل هـذه الصلة وتنفذ من خلالها الى شخصية الطفل فتغرس فيه التوجيه الحسن .

س - بمناسبة الحديث عن الالتصاق - هل الرضاعة الصناعية تفقد الطفل شيئا من عطف الام وحنانها ؟

الدكتور القوصى :

- الرضاعة الطبيعية أفضل من غير شك .. فاذا لم يتيسر فلا اقل من ان نصل بالرضاعة الصناعية الى مايقرب من الطبيعة ..

بدلا من اعطاء « البزازة » للطفل من بعيد .. يمكن للام ان تقوم باعطائها له وهى تضمه الى صدرها فيرتوى من عطفها وحنانها كالرضاعة الطبيعية ..

الدكتورة بنت الشاطىء :

- هناك فرق بين عملية التغذية وعملية الرضاعة.. العملية ليست مجرد غذاء .. انما هى وضع مشاعر .. فاذا حرمت الام من ابداء مشاعرها لوليدها فقد تتعقد هى الاخرى مثلما يتعقد الطفل .

س - الى اى مدى يكون للمنازعات اثر فى تكوين الشخصية ؟

- الدكتور القوصى :

- ان معنى ذلك هو وجود الطفل فى جو مهتز .. معناه فقدان عنصر الثبات ..

والطفل يفقد ثقته بنفسه حينما يفقد ثقته بمن حوله .. فينشا الطفل اما ضعيفا واما ثائرا ..

الدكتورة بنت الشاطىء :

- ان القيم الروحية والتـاثر بتعاليم الدين تعصم الابوين من الأخذ بتلابيب التصدع .. فاذا استحال ان نثنى الوالـدين عن الشقاق فلابد ان نبعد عنهما الطفل ..

وعلى الاباء والامهات ان يتقوا الله فى اطفالهم وفى مجتمعهم ..

وبعـد ..

فلعلنا تكون قد بسـطنا فى هذه الندوة رسالة البيت فى المجتمع :

* العناصر المختلفة واهميتـها فى تكوين شخصية الفرد ..
* الفطام النفسى وتعود المسئولية ..
* تطبيق ماصادف الاباء من تجارب على ابنائهم ..
* الثبوت فى معاملـة الاولاد وعـدم الفصال فى معاملتهـم .
* الكذب والخوف ومدى تاثيرهما على تربية الاولاد وانعكاس ذلك على المجتمع .
* اثر منازعات البيت فى تكوين شخصية الفرد .
* الارتباط بين الطفولة والابوة فى البيت واسلوب المعاملة خلالها .

فن السجاد

الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

شكل رقم (١)

تمهيد : استأنس الانسان الأول الحيوانات الأليفة ، ثم اشتغل راعيا للاغنام والماعز ، ومن جلودها اتخذ لباسا يقيه الحر والبرد ، يجففها فى الشمس بالملح والكلس كما يفعل أهالى الاسكيمو فى الشمال وهم فى حالة بدائية مازالت تشبه حالة الانسان الأول ، ثم تقدمت بهم السبل فأخذوا ينسجون من وبرها وشعرها حمولة وفرشا .

ويرجع الفضل الأكبر فى نماء نسيج الصوف والوبر وتقدمه الى حاجة القبائل الرحل أو البدو ، الى أثاث خفيف الحمل سهل النقل من مكان لآخر ، وهم بطبيعة معيشتهم يشتغلون برعى الغنم والماعز والجمال ، وحياتهم على هذه الصورة توفر لرجالهم ونسائهم فراغا كبيرا من الوقت ، يصرفون أكثره فى غزل الصوف ونسجه بما يناسب حاجاتهم ، وما خيمته التى ينام تحت سقفها الا نسيج من الصوف ، وما الكليم الذى يفترشه للنوم أو الجلوس الا قماش صنعته عائلته من صوف الأغنام أو وبر الجمال .

ولقد عرف المصريون القدماء صناعة السجاد ففى مقبرة بنى حسن (٢٨٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م.) نشاهد فرقة من الرجال أو النساء ينسجون الصوف أو القطن بعد غزله ، وأحد الصناع ينسج سجادا على نول أفقى ، وفى نقوش بلاد ما بين النهرين آثار تدل على قدم صناعة السجاد قبل عام ٢٤٠٠ ق.م. ، وفى مقابر طيبة نقش على الفريسكو وهو زخرفة جدارية تاريخية حول عام ١٧٠٠ ق.م. ، وفيه رجل ينسج سجادة على نول رأسى .

كانت هذه الصناعة بادىء ذى بدء غاية فى البساطة ، ومصنوعاتها عارية من الوبر ، أى عبارة عن النوع المسمى الآن بالكليم ، وألوانها بدائية لا تعدد فيها ، وأما السجاد ذو الوبر ، فانه لم يصنع الا فى عصر الحضارات ، والتاريخ يذكر لنا الملكة كيلوباطرة اذ أرادت مقابلة يوليوس قيصر فرفض مقابلتها ، فاحتالت لذلك اذ طلبت من أحد التجار أن يحملها داخل سجادة نفيسة من صنع مصر ، ثم يهديها لقيصر ، فلما فرشها وجدها بداخلها ، ثم ازدهرت صناعة السجاد فى الدولة الساسانية بايران ، وأثبت التنقيب الأثرى فى تركستان وقرغيزيا أن بعض السجاد يرجع صناعته الى القرن الرابع ، بل ما زالت تلك الصناعة مزدهرة فيها للان (شكل رقم ١) يقوم بها فتية صغار .

وعثر فى الفسطاط على قطع من السجاد يرجع عهدها الى القرن التاسع ، ثم وجدت صناعة السجاد فى الحضارة الاسلامية روحا جديدة ، فأصبحت فنا وصناعة تنوعت فيها وسائل الابتكار والبراعة نظرا لما لاقته من وسائل التشجيع والتكالب على اقتناء الثمين منها ، حتى وصلت الى منتهى الاتقان والابداع فى القرن السادس عشر ، وفى ذلك العصر صنعت أكثر القطع الفنية الرائعة التى تتحلى بها الآن معظم المتاحف الأثرية فى أوروبا وأمريكا ، ثم اخذ الاتقان الفنى يذبل مع الزمن نظرا لمنافسة النول الميكانيكى لهذه الحرفة اليدوية ، ولعجز القوة الشرائية عن اقتناء القطع الفنية النادرة لفرشها فوق أرضيات من الخشب الباركيه الجميل ، أو فوق أرضيات من اللدائن «البلاستيك» ذات الألوان الزاهية الجذابة .

البلاد المصنعة للسجاد : أكثر ما تكون هذه الصناعة فى البلاد الوفيرة المراعى ، وقد انتقلت هذه الحرفة اليدوية الى كثير من البلاد مع الفتح الاسلامى حتى انتقلت الى بلاد الأندلس ، وعندما انقسمت البلاد الاسلامية الى امارات ودول وتعددت عواصمها ، أخذ الملوك والأمراء يبحثون عن وسائل الترف ، فكانت الطنافس من أخص الأشياء التى اتجهت اليها أنظارهم ، ومن البلاد ماازدهرت فيها هذه الحرفة ثم بقيت ثابتة فى مستواها الفنى ، ومنها ما اضمحلت فيها ثم ذبلت .

وكانت مصر من البلاد التى نمت فيها صناعة السجاد وازدهرت فى العصرين الطولونى والفاطمى ، وفى حكم المماليك البحرية ، ثم فقدت حيويتها ، حتى عادت لها أمجادها السابقة بعد ثورة ٢٣ يوليو المجيدة التى أخذت بتلابيب هذه الصناعة وأفردت لها فى مشروعات السنوات الخمس الأولى تخطيطا واسعا فى القرية ، وفى المجمعات التعاونية والقروية ، ثم فى الصناعات الميكانيكية بمحافظة البحيرة ، وقرية الحرانية بين الجيزة وسقارة نموذج لهذه الثورة ، فيها الأطفال ينسجون الأكلمة البديعة

(شكل ٢) مسجلين فيها فنهم البدائى الذى ينحصر من آلاف السنين خلال وعيهم الباطنى ، نابعا من الحضارة المصرية القديمة ، والحضارة الاسلامية التى صقلتها .

وأهم البلاد التى اكتسبت شهرة فى صناعة السجاد هى ايران ، والأناضول ، وشمال الجمهورية العراقية ، والجمهورية السورية ، والجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى مثل تركمانيا ، وأوزبكستان وعاصمتها طشقند ، وبلاد الأفغان وبها كاشجار والبلخ ، وجمهورية الباكستان، وكشمير ، ولكل بلد من هذه البلاد مميزات وفنون خاصة نلحظها فى التكوين البنائى والتصميم للسجاد ، وكذلك فى مادة الصبغ والتلوين والرسم .

والمادة الأولية التى تقوم عليها صناعة السجاد هى الصوف ، فان ٥٠٪ من السدى واللحمة فى صناعة السجاجيد الشرقية هى الصوف ، ٩٠٪ من الوبرة السطية صوف بحت ، والبقية اما من الحرير ، واما من القطن ، وأكثر الأصواف استعمالا صوف الغنم ، يليه صوف الجمال ، ثم صوف الماعز ، ويجود الصوف بجميع أنواعه فى البلاد الجبلية الباردة ، فيكون طويلا ناعما لامعا صقيلا ، كما ينحط نوعه ، فيكون قصيرا خشنا فى البلاد الحارة ، وبخاصة الجافة منها .

وتجز الحيوانات عادة فى الربيع ، وكلما كان الحيوان صغير السن ، حسن صوفه وجاد ، وصوف البطن أرق وأنعم من صوف الظهر ، فيؤخذ هذا لصنع الخيوط ، ويؤخذ الآخر لصنع الوبرة ، وبعد جز الصوف يعالج معالجة خاصة ، فيغسل بالماء الدافىء أو البارد ، ويضرب بين حجرتين حتى تزول منه أكثر المواد الدهنية ، ولقد نشأت جملة صناعات باستغلال دهن صوف الغنم ومنها مادة اللينوليوم وغيرها من الدهانات المائية ، وبازالة المواد الدهنية يكون الصوف أكثر تقبلا للاصطباغ بالصبغة النباتية التى كانت تستخدم قديما ((أما الآن فان أصباغ الانلين المخلقة التى حلت محلها تسرى بسهولة فى كل أنواع الصوف)) ، ويشترط فى غسيل الصوف أن يكن من ماء صار خالى من الأملاح وهذا شرط ضرورى يتوقف قبول الصوف للصبغات ، وانك لتجد بلدا اشتهر وامتاز عن غيره فى هذه الصناعة ، بالرغم من قربه أو تجاوزه لبلد آخر فتعجب من ذلك ، فاذا بحثت عن السر ألفيت ذلك فى جودة الماء المستخدم فى الغسيل .

وبعد الغسيل يجفف الصوف فى الشمس والهواء ويمشط ثم يفرز بحسب اللون والصنف كل على حدة ، ثم يندف بالقوس على الطريقة التى يتبعها المنجد فى ندف القطن ، ثم يغزل اما بالمغزل العادى ، وهو المستعمل عند القبائل الرحل ، واما على عجلة خشبية بسيطة ، وقد لا يكتفى بالفتلة الواحدة المغزولة ، بل تصنع مزدوجة ، والأخيرة اذا أريد استعمالها فى صنع وبرة السجاد ، فانها تزوج ثم تثلث وقد تربع أحيانا ، اللهم الا فى بعض الأنواع الرفيعة جدا ، كالساوك والقاشان ، فان الخيط يكون مزدوجا فقط ، وعندما يتم الغزل ، وقبل أن تصبغ الخيوط ، تنقع فى الماء الدافىء ، ثم تغسل جيدا بالماء .

أما القطن فموجود من أقدم الأزمان ولا يزال يزرع بوفرة على نطاق واسع فى آسيا الوسطى والهند ، كما أن دودة القز تكثر على شجر التوت الذى ينمو طبيعيا فى كل أواسط آسيا ، حتى أن جمهورية أوزبكستان تنتج الآن من شرانق دودة القز ما يربو على ٥٠٪ مما تنتجه البلاد التالية مجتمعة : البرازيل ، وفرنسا ، وتركيا ، وايران ، واليونان ، واسبانيا ، ولبنان ، والهند الصينية ، والكونغو ويلاحظ أن كل ٢٥٠ أو ٢٦٠ شرنقة من دودة الحرير تنتج نصف كيلو من الحرير تقريبا .

وانعم أنواع الصوف هو ما تنتجه أنعام كشمير ، وأفضلها فى نسيج السجاد صوف التبت الصينى ، والأغنام طويلة الذيل التى تعيش فى كابول بافغانستان ، وبيشاور تنتج صوفا يصلح لأجود أنواع السجاد ، أما وبر الجمال فهو ناعم الملمس ، والسجاد المصنوع منه جميل ولكنه مرتفع الثمن ، وكلما كانت الابل صغيرة السن كلما كان وبرها أكثر جودة .

((صباغة صوف السجاد))

الشرق بلاد الفن والجمال وانتقاء الالوان التى تبهر الأنظار بروعتها ، والشرقى فنان ملهم فى تنسيقها بطبيعته وهذا هو ما سبب ذيوع شهرة الأبسطة والطنافس الشرقية ذلك لأن الصباغة هى الدعائم التى تبرز محاسن السجاد ، غير أن وسائلها مع الاسف لم تدون ، بل كانت تحفظ سرا يتوارثها الابن عن الأب وعن الجد ، تعاقبا طبقة بعد أخرى والأصباغ البديعة نباتية فى أصلها ، وتؤخذ اما من الجذور ، واما من الورق ، واما من الثمر ، كما تؤخذ من الأنعام أو من الحشرات .

والصبغة الأرجوانية التى كان يستخدمها الفينيقيون ليس لها مثيل ، وما زالت سرا مغلقا ، وكانوا يحصلون عليها من محار بعض الأصداف المائية يحتكره قوم من الكنعانيين البحريين فى الماضى ، كما احتكر السوريون القدماء الصبغة الحمراء منذ عام ١٢٠٠ ق.م. واشتهرت دمشق بها فى نسيجها ، وهذه الصبغة دائمة اللمعان وثابتة للضوء ولا تبلى مع الزمن ، وكانوا يحصلون عليها من أنثى بعض الحشرات التى تعيش فوق أغصان بعض الاشجارالتى تنمو على شواطىء البحر المتوسط .

اللون الأزرق : يستخرج على اختلاف ضروبه من اللبنى الفاتح الى البنفسجى القاتم ، من أوراق نبات النيلة الذى يزرع بكثرة فى الهند وأواسط آسيا ، فتقطع وتخمر فى الماء ، وبعد التخمير ، ينقل السائل الى وعاء كبير ويحرك ساعتين حتى ترسب المادة الملونة ، وهى عديمة اللون عند اختزالها ولكنها تستعيد لونها وثباتها بالتأكسد فى الهواء ، ويلاحظ أن صبغات الأحواض المخلقة أو الاندانثرين التى هى وليدة كيميا القرن العشرين قد تغلبت على صبغة النيلة النباتية جودة وثمنا .

اللون الأحمر : يؤخذ من جذور نبات الفوة ، ويكثر فى الأناضول وأواسط آسيا ، وطريقة استخراجه أن تنزع النباتات فى السنة الثانية أو الثالثة من عمرها وتجفف ، ويؤخذ هذا اللون أيضا من حشرة القرمز التى تعيش على شجرة البلوط التى تنمو فى جبل لبنان والأناضول ، ويستخرج الصبغ من اناثها فقط ، فتجمع من فوق الأشجار وتعالج بالتجفيف ، وكل خمسين ألف حشرة تخرج نصف كيلو من الصبغ بعد أن تجفف ، وهى أفضل من صبغ النبات فى تلوين الصوف والحرير .

اللون الأصفر : يستخرج من ثمار شجيرات صغيرة تنمو طبيعيا فى الاناضول وغيرها من البقاع الواقعة غربى آسيا ، كما يستخرج اللون البرتقالى من جذور شجر الكركم ، وهنالك لون ذهبى جميل يستخرج من زهرقنبات الزعفران ، اذ تجمع وهى صغيرة جدا حتى أن كل أربعة آلاف زهرة تخرج أوقية من الصبغ .

هذه هى الثلاثة ألوان الرئيسية ، ولقد فاقت العجم جميع الأمم فى اللون الأزرق ، كما تبرز الترك والتركمان فى اصطناع اللون الأحمر ، والصينيون فى اللون الاصفر ، ومن مزج هذه الالوان الاصلية بعضها ببعض ، تتألف معظم الالوان المختلفة المركبة كالاخضر مثلا ، وكذلك ظلالها مع الصبغات السوداء التى تنتج من العفص .

فاذا ما تم الصبغ تبدأ عملية التثبيت باستخدام ممسكات مثل الشب وكبريتات النحاس من المواد المعدنية وقشر الرمان وبعض أنواع الليمون والتمر هندى من المواد النباتية ، وقد يمكن الجمع بين المواد المعدنية والنباتية .

شكل رقم « ٣ »

وبالرغم من استخدام صبغات الأنيلين المخلقة فى الوقت الحاضر لرخص ثمنها ، الا أنها غير ثابتة ، وتؤذى الصوف بل تجعله سريع التآكل ، وقد يأتى وقت آخر يعود فيه الصباغون الى استخدام الصبغات النباتية أو الحشرية ذات الماضى المجيد فى صناعة السجاد .

« التعبيرات اللونية فى السجاد » لكل شعب من الشعوب الشرقية تعبير يودعه لونا من الألوان ، فالبابليون مثلا يرون اللون القرمزى مرادفا للنيران ، واللون الأزرق للهواء والارجوانى للماء ، والمصريون القدماء يرون فى اللون الأسود تعبيرا للخطيئة ، والأبيض للقداسة الروحية والنقاء والطهارة ، حتى أن كهنة أوزوريس كانوا يرتدون الملابس البيضاء ، ويعتقدون فى اللون الأصفر أنه تعبير للشر والحقد ويقولون لشخص ما انه أصفراوى ، بينما اللون الأزرق عندهم دليل للفضيلة .

والايرانيون لا يحبون الالوان الزاهية بل يتجنبونها ويفضلون ظلالها الفامقة مثل الأخضر والأصفر الداكن نوعا واللونان الاسود والنيلى رمز الحزن ، والاحمر رمز الحكمة الالهية .

والصينيون يرون فى اللون الأصفر رمزا للاباطرة الذين كانوا يرتدون الملابس الصفراء هم وأولادهم ، واللون الاحمر عندهم رمز للفضيلة ، والاخلاص والحق ، واللون الأبيض للحزن واللون الاسود للرذيلة .

والأتراك يقدسون اللون الأخضر وهو رمز للجنة ونادرا ما ترى سجادة تركية خضراء حتى لا تدنسها النعال .

« النسيج »

ينسج السـجاد على نول خشبي عمودى مكون من عضادتين قائمتين ، ورأسه وقاعدته اسطوانيتين متحركتين على العضادتين ، فتثبتان وتشد عليهما الخيوط العمودية وتسمى السدى ، وهى عادة اقوى وأمتن خيوط السجاد وتلف هذه الخيوط على الاسطوانة السفلى ، وتلف عليها الأجزاء التى ينتهى العمل فيها من السـجاد حتى يبقى الجزء القائم به العمل دائما على مستوى واحد ، والسجاد الكبير يشتغل به جملة عمال جالسين الواحد الى جنب الآخر .

وعند اسفل الاسطوانة العليا ، وعلى مسافة قريبة منها توضع اسطوانة أو اثنتان من الخشب أصغر منها حجما ، فتقسم الخيوط قسمين أى خلفين ، خيطا بعـد الآخر ، واحدا من أمامها ، والاخر من خلفها ، ثم تثبت الخيوط الأمامية مع بعضها على مسطرة من الخشب مستعرضة على الخيوط الخلفية وحدها فى الغالب ، وقد توضع أخرى على الخيوط الأمامية أيضا .

ويبدأ العمل بصنع ما يسمى « الحصيرة » وهى نسيج الكليم ، فيختلف عرضها باختلاف أنواع السجاد ، والغرض من صنعها المحافظة على أطراف السجاد ، لأنها فى العـادة سريعة التآكل بالاستعمال ، ثم يوضع صف من العقد ، وتستخدم بعد ذلك الوشـيعة أو اليد فى امرار خيط مستعرض لحبسـها ، ويسمى اللحمة ، ولسهولة مروره تشد الخشبة المثبتة على الخيوط الخلفية ، ثم تعود من الجانب الآخر بعد شد الخيوط الأمامية ،

ويختلف عدد خيوط اللحمة باختلاف أنواع السجاد ، وبعد مرور اللحمة يستعمل مشط معدنى أو خشبىليزداد ضغط اللحمة على العقد ، ويمضى العمل على هذا المنوال، وكلما انتهت جملة صفوف من العقد ، تسوى الوبرة اما بمقص أو بسكين ، وتختلف الوبرة طولا وقصرا باختلاف نوع السجاد ، ويبدأ العمل دائما من الأسفل متجها الى الأعلى فى اتجاه واحد ، ومن اليسار الى اليمين ، ويختلف السجاد جودة ونوعا باختلاف عدد العقـد فى كل عشرة سنتيمتر مربعة ، حتى أن بعض السجاد لا يوجد فيه الا عشرة أو خمسة عشر عقدة ، فى حين يوجد فى غيـرها عشرة آلاف عقدة ، ومن هنا ينشأ الاختلاف بين أنـواع السجاد جودة ومتانة .

أما طريقة وضع العقد فعلى نوعين : الأول وهو أكثرها شيوعا ، هى العقد التركية المسماة « جوردس » نسبة الى بلدة فى آسيا الصغرى ، وهى ذائعة فى مصـنوعات الاناضول والقفقاش وبعض السـجاجيد الهندية وأغلب السجاجيد الايرانية ، أما الثانية وهى الايرانية ، وتسمى « سنا » نسبة الى بلدة فى ايران وهى شائعة فى كثير من السجاد العجمى والتركمانى والصينى .

أما العقد فتربط على خيطين من السدى ، فالعقـدة التركية تمر بالخيطين من الامام ، ثم تعود من الخلف بين الخيطين الى الأمام ثانية ، وأما الايرانية فانها تلف على خيط واحد من السدى ثم على الثانى ، والعقدة الايرانية تزيد السجاد متانة ، وتساعد الصانع على ابداع رسوم أجمل وأوضح .

أما جوانب السجاد فى الأجـزاء المعرضة للتـآكل بالاستعمال ، فيعمل لها ما يسـمى « البورسل » وهى عبارة عن خيوط سميكة جدا تجدل على جانبى السجاد وتتعشق عند النسيج .

« بلاد السجاد فى الشرق الاسلامى »

اقدم السجاد التركى وجد فى جامع علاء الدين «بقونيه» وهو يرجع الى عهد ملوك السلاجقة منذ القرن الرابع أو الخامس عشر وهو الان فى متحف الاوقاف بالاستانة وعندما فتح السلطان سليم فى القرن السادس عشر بلاد العجم، استحضر عمالا ايرانيين لصناعة السجاد بآسيا الصغرى ، فظهرت بدائع فنهم فى عمل السجاد المسمى « عشاق » وهو نوع كبير الحجم وله « مداليـون » ومزين بأزهار دقيقة ، ولكن جمال السجاد التركى الحقيقى يظهر جليا فى سجادة الصلاة التى كان يعنى بها عناية خاصة، وأخيرا ادخلت هذه الصناعة حول أزمير ، وهركة ، وسـيواس ولكنها الآن اتجهت نحو ارضاء الذوق الأوربى متطورة مع هدف تحويل تركيا نحو المجال الأوربى .

وفى القفقاس يوجد النوع المسمى الأرمنى والـكوبا ، ولما كانت هذه البلاد فى الماضى جزء من ايران ، فان صـناعة السجاد كانت تسير على النمط الايرانى ، ويكاد لا يختلف عنها ، فى حين أن جزء آخـــر كان يسير على الطريقة التركمانية .

وفى ايران تشتهر باخشايش وهرز وبيجار وكردستان والموصل فى الشمال، وهمدان وفرحان وسربند فى الوسط، ودوشاغان وسلطان أباد وكرمنشاه وكـرمان وكاشـكاى وشيراز وخراسان وقاين وهيـرات فى الوسط والجنوب والغرب .

وفى الجمهوريات الاسلامية الست بالاتحاد السوفيتى تشتهر سمرقند ، وكاشغار وخوتان والبامور والبـلوش والبشير .

وهناك نموذج لسجادة تصميمها على أساس تركى ، وهى خالية من اللون الاخضر ، ونموذج لسجادة تبريزى عجمى، ونموذج لسجادة قفقازى .

ان روح الحضارة الاسلامية ما زالت تفيض حـرارة فى فن السجاد من المحيط الى الخليج ، بل الى حـدود الصين شمالا ثم أندونيسيا والهند جنوبا ، لقد قامت هذه الحضارة على وحدة اللغة ، لغة القرآن ، غير أنالاستعمار استطاع أن يفتت هذه الوحـدة الى قوميات ودويلات متنافرة لغة بعد أن أطاح باللغة العربية فى أواسط آسيا والهند وايران ثم فى شمال أفريقيا ، غير أن القرآنمازال باقيا فى الصدور يتلوه القوم ، وهم يحفظونه عن ظهر قلب ويدركون معناه ولكنهم لا يدركون لغته .

ولقد قامت الحضارة الاسلامية أيضا على وحـدة الأحاسيس والمشاعر الوجدانية ، وهى متمثلة فى الفنون وأخصها فن السجاد ، فلم يستطع الاستعمار أن يزيح هذا الفن ، بل ما زالت قرى ايران وأوزبكستان والتركمان ، والقرى التركية تنسج السجاد بفنون اسلامية نابضة لأن فى ذلك حيويتها ، بل استطاع هذا الفن الاسلامى أن يغزو الأسواق الأوربية والامريكية فهى لا تستطيع أن تنتج سجادا بانوال ميكانيكية لكى نبيعه فى الاسواق الشرقية بل وفى أسواقها ذى الطابع شرقى ، الا اذا استوحى فكرته من ينابيع اسلامية ذات تراث مجيد .

ما زال السجاد الاسلامى هو وسيلة المعاملات المالية والاقتصادية فى موسم الحج ، فالحجاج المسلمون القادمون من وسط آسيا وشمال الهند وايران وشمال العراق رغم نفرقهم فى لغة التخاطب فهم يأتلفون فى التخاطب بلغـة السجاد الذى يصنعونه فى بلادهم بمهارة فائقة ، ما يصنع فى ايران يرن صداه فى شمال أفريقيا ، وما يصنع فى بلاد المغرب يجد تجاوبا فى أواسط آسيا ، ينابيع اسلامية جياشة فى كل مكان ، يجيب صهيل الاعوجى بها الهدر .

القرآن والعلم

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

القرآن الكريم هوالمعجزة الخالدة ، ولايمكن أن تخلد معجزة على الارض الا اذا كانت فى صورة كتاب لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات • ولقد لفت القرآن الكريم اليه الأبصار منذ نزوله بما بهر به العقول من معجزات •

وفى هذا العصر ـ عصر العلم ـ نجد أن الأبحاث فى شتى المجالات انما تفسر لنا وتظهر فى جلاء ووضوح المعانى العميقة وحقائق العلم الأخاذة التى أوردها الخالق القدير فى كتابه العزيز • ومن هذه الآيات جانب يطالبنا فيه الخالق بالبحث والتنقيب عن حقائق الكون لنلمس آيته فى كل شيء • ونحن عندما نقرر هذه الحقيقة لا ندعى ان القرآن الكريم مرجع علمى بالمعنى المعروف كما قد يتصور بعض الناس ، وانما هو يذكر بعض حقائق الكون فى ايجاز أخاذ كنوع من الاعجاز وحث على طلب العلم لتكتمل الرسالة •

فمثلا الآية الكريمة : **« ••• ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ـ الأنعام ـ انما تشير الى الحقيقة العلمية بأن الغلاف الهوائى يتكون من طبقات بعضها فوق بعض ، وأن كتلة الهواء تتركز بالقرب من سطح الأرض ، وهى حقيقة لم يعرفها الانسان الا فى عصر النهضة ، اذ قسم** الغلاف الهوائى الذى يحيط بالأرض الى ثلاث طبقات رئيسية : السفلى وهى تحتوى على أكثر من ثلاثة أرباع وزن الهواء ، ومتوسط ارتفاعها نحو عشرة كيلو مترات ، وفيها تعيش الكائنات الحية وتحلق الطيور ، كما أن فيها ينزل المطر • ثم الطبقة الوسطى وهى مخلخلة أى قليلة الكثافة والضغط ، ومتوسط ارتفاعها نحو ١٠٠ كيلو مترا ، وهى تحتوى على اغلب باقى كتلة الغلاف الهوائى • أما الطبقة العليا فيكاد ينعدم فيها الهواء ، ولاسبيل الى ارتيادها الا بالصواريخ أو الأقمار الصناعية التى تحمل الانسان داخل حجرات مكيفة ومعزولة تماما عن الجو الخارجى لحمايته من انعدام الضغط

والأوكسجين وأهوال الفضاء الأخرى مثل الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس والأشعة الفتاكة الخ ...

ومجمل القول أن الانسان كلما ارتفع الى أعلى يعانى من قلة الهواء ، وقلة الأوكسجين اللازم للتنفس (فيلهث) ، ويضيق صدره ، حتى يصل الى درجة الاختناق ثم الهلاك اذا ما استمر فى الصعود .

ولعل من الآيات التى قد نستدل بها على بعض هذه المعانى قوله تعالى : « ... سأرهقه صعودا » .

ومن الآيات العلمية التى أحب أن أضمنها مقالى هذا قوله تعالى : **«... فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » –** الحجر – ... فلقد سبقت هذه الآية الكريمة ركب العلم بأكثر من ألف سنة ، اذ لم يعرف الناس دورة الماء التى تتم بين الهواء والأرض الا من نحو قرنين فقط . وكان المعتقد أن ماء المطر انما ينهمر من ماء مخزون فى السماء ، وذلك لدى بعض الحضارات القديمة كقدماء المصريين مثلا .

ولقد أصبح من المعروف الآن أن جزءا من مياه المحيطات والبحار يتم تبخيره بواسطة الاشعاع الشمسى ، وبذلك يتحول الى غازلاتراه الأعين ، وتحمل الرياح بخار الماء الصاعد هذا الى الطبقات العليا (نسبيا) من الجو حيث يبرد ويتكاثف ، اى يتحول الى نقط من الماء أو الى بلورات من الثلج داخل السحب التى ينزل منها المطر . فما المطر الا نقط من الماء زاد حجمها ولم يقو الهواء على حملها . وتسيل مياه الأمطار المتجمعة الى الأنهار التى تصب فى البحار ، كما أن بعض ماء المطر يصل الى البحر عن طريق المياه الجو فيه ، أو كمطر مباشر فوق سطح البحر أو المحيط ، لتعيد الدورة من جديد ... وتشير الآية الكريمة فى اعجاز ظاهر الى أنه مهما أوتى الانسان من قوة لن يكون فى مستطاعه ايقاف هذه الدورة أو الحيلولة دون استمرارها عند أية مرحلة من المراحل .

ومن اللازم أن نعود الى تتمة الآية التى لا سبيل الى اغفالها فى هذا المقام أو المرور عليها من الكرام ، ألا وهى قوله تعالى : « .. وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ... » ولقد ثبت منذ أجيال أن الرياح تلعب دورها فى تلقيح بعض النباتات ، ولكن أروع من ذلك فى هذا الصدد ما توصل اليه العلم حديثا من أن الرياح تلقح السحب لتجود بالمطر ، أى أنها تمدها بما يسمى علميا باسم (نويات التكاثف) اللازمة لاتمام عملية التكاثف والأمطار .

وما نويات التكاثف هذه سوى جسيمات صغيرة جدا من أملاح البحار والأكاسيد والأحماض وبعض أنواع الأتربة التى تمتص الماء أو تذوب فيه . فالمعروف علميا أن بخار الماء يسبح فى الهواء على هيئة جزئيات منفصلة . ولكى تكون نقطة صغيرة جدا من الماء لا ترى الا بالمجهر يلزم تجميع مائة جزىء على الأقل . ويتم هذا التجميع على نواة التكاثف هذه ، اذ أنها تبقى على الجزئيات التى تمسكها وتحتفظ بها حتى يتكاثر عددها وتظهر المجموعة فى صورة نقطة من الماء .

والمعروف علميا كذلك أنه عندما يخلو الهواء من نويات التكاثف هذه لسبب من الأسباب أو عندما لا تتوفر بالقدر اللازم يعمد علماء الطبيعة الجوية الى تغذية السحب صناعيا بنويات التكاثف لتجود (بالمطر الصناعى) . ومن هذه النويات أبخرة يودور الفضة وملح الطعام وبلورات الثلج الجاف ..

ان مثل هذه المعانى العلمية العميقة التى أثبتتها التجارب العلمية السليمة هى التى يطالبنا القرآن الكريم بالبحث عنها والتفكير فيها ، ويضرب لنا الأمثال فى كل فرع من فروع العلم المختلفة لعلنا نأخذ بالأسباب . فهل نحن فعلنا ذلك ، أم تخلفنا عن الركب بينما سار غيرنا على الطريق وملك سلطان العلم ولكن ليسخره للسيطرة والاستعمار ! .

ان الآية العلمية فى القرآن الكريم متعددة وتعالج كافة فروع العلم ، بل وتسبق ركبه . وكلما تقدم بنا ركب المدنية كلما تفتحت أمامنا المعانى وظهر اعجاز القرآن الكريم بأجلى معانيه فآيات الخالق لا حصر لها ولا حد .

بين يدي أمهات المؤمنين

إعداد عائشة حسني

فى هذا العدد اختتم حديثى عن أمهات المؤمنين اللائى كن مرآة عكست لنا صورة رائعة ونادرة للمرأة المسلمة ونافذة اضاءت لنا الطريق المستقيم .

وبالتعرف عليهن اتضحت لنا حقيقة الاسلام ، والمثل الكامل متمثلا فى رسول الله الذى وجدنا فى سلوكه داخل بيت النبوة المثل الأعلى الذى تتطلع اليه الانسانية .

أم المساكين

زينب بنت خزيمة بن الحارث وسميت بأم المساكين لأنها كانت أرق وأرحم النساء للفقراء والمساكين فى الجاهلية والاسلام فكانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

تزوجت من قبل ولكن اختلفت الروايات فى ذكر اسم زوجها فقيل عبد الله بن جحش بن عمة الرسول ، وقيل الطفيل بن الحارث بن المطلب ، وقيل عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

لم يجد الرسول ما يكرم به المجاهد الذى استشهد الا ان يرفع زوجته الى منزلة امهات المؤمنين فتزوجها فى سنة ٣ هـ واصدقها اثنتى عشرة أوقية . ولكنها لم تعش طويلا وتوفيت فى حياته بالمدينة سنة ٣ هـ وقيل سنة ٤ هـ وهى تبلغ من العمر ٣٠ سنة .

وفى صفحة أخرى من صفحات تاريخنا الذى نعتز به نرى أما من أمهاتنا المؤمنات هى :

ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية من فواضل نساء عصرها كانت متزوجة فى الجاهلية بمسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ثم فارقها فتزوجت من ابو رهم بن عبد العزى ابن ابى قيس فتوفى عنها .

كان العباس بن عبد المطلب يلى أمرها (العباس متزوج أم الفضل أخت ميمونة) فزوجها للنبى فى شوال سنة ٧ هـ فى عمرة القضاء على مهر خمسمائة درهم وتم زواجها فى سرف وكانت آخر امراة تزوجها النبى .

وقيل بأنها هى التى وهبت نفسها للنبى ونزلت فيها « **وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى** » وروت عن النبى صلى الله عليه وسلم ستة وسبعين حديثا .

وفاتها .

توفيت بسرف سنة ٣٩ هـ وقيل ٥١ وقد اختلفت الروايات فى وفاتها .

جويرية بنت الحارث

جويرية بنت الحارث بن ابى ضرار بن عائذ ابن مالك بن جذيمة بن المصطلق من خزاعة . تزوجت من مشافع بن صفوان ... بن جذيمة ولكنه توفى عنها يوم المريسع .

زواجها من الرسول :

قال ابن هشام : ويقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث فكانت بذات الجيش دفع جويرية الى رجل من الانصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث ابن أبى ضرار بفدائه ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر الى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين فيها فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها، فقال الرسول : « فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا »

فقال الحارث : اشهد أن لا اله الا الله، وانك رسول الله صلى الله عليك فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى، فأسلم الحارث واسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه، وارسل الى البعيرين فجاءبهما فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن اسلامها وطلبها رسول الله من أبيها ، فزوجه أياها ، واصدقها أربعمائة درهم ، وقيل كذلك بأن النبى حينما سبى بنى المصطلق وقعت جويرية فى السبى فجاء أبوها فافتداها وتزوجها رسول الله وجعل صداقها عتق كل مملوك من بنى المصطلق وكانت من ملك اليمين وبذلك كانت جويرية بركة وخيرا على قومها لأن النبى أعتق بسببها اهل بيت بنى المصطلق .

كانت تسمى برة فسماها النبى جويرية بنت الحارث لانه كان يكره ان يقال خرج من عند برة .

وكان النبى يقسم لها كما يقسم لنسائه وضرب عليها الحجاب - وروت عنه احاديث وروى عنها ابو داود والترمذى والنسائى .. وغيرهم كثير .

ريحانة بنت عمرو

وفى صفحة اخرى نتعرف على أم من امهاتنا المؤمنات هى ريحانه بنت عمر بن خنافه من بنى النضير . وكانت متزوجة من الحكم من بنى النضير ايضا ولما وقع السبى على بنى النضير (قريظة) كانت من نصيب النبى فأخذها ووضعها فى بيت المنذر .

خيرها الرسول بين دينها والاسلام فاختارت الاسلام وتزوجها فى محرم سنة ٦ هـ وكان صداقها أثنتى عشرة أوقية وقسم لها كما يقسم لنسائه وضرب عليها الحجاب .

وفى زواج النبى من ريحانة حكمة نستدل بها على استمالة القلوب المعادية له من بنى النضير ورغبته فى أن يقتل فى نفوسهم الحقد ويرجعهم الى الصواب ويربطهم برباط الرحم .

وبذلك أكون قد استعرضت فى سطور قليلة صورة حية لما كانت عليه أمهاتنا المؤمنات اللائى كن عدسات انارت لنا الطريق .

فخديجة بنت خويلد :

الزوجة العاقلة الطاهرة آمنت بمحمد عن عقيدة راسخة وقفت خلف زوجها وبجانبه تؤيده وتسانده وتساعده وتتحمل معه الصعوبات والصدمات تواسيه بنفسها ومالها وتشجعه بأيمانها ووجدانها .. كما كان بيتها مركز اشعاع يشع منه نور الاسلام فينير للناس الطريق ويهديهم السبيل .

عائشة بنت ابى بكر :

الزوجة التى عرفت كيف تفهم زوجها وتسهر على راحته، وتعاونه فى أداء رسالته. تعلمت الاسلام وفهمته واستوعبته وادركت حقائقه وآمنت برسالته فأسهمت بنصيب كبير وقامت بجهد مشكور فى سبيل نشره وازاحت الستار عن مكنون شخصية رسول الله فقرأ المسلمون والاجيال المتعاقبة فى حياته البيتية وسلوكه آيات الله البينات .

زينب بنت جحش :

المرأة التى اتصفت برجاحة العقل، وسماحة فى الرأى اعطتنا أنموذجا نادرا من الخلق الرفيع والقدوة الحسنة للمرأة المسلمة .

كان زواجها قبل النبى من زيد بن حارثة عبرة هدمت به عادة عند العرب كادت تكون

دينا حرمت حلالاً ، فاراد الاسلام ان يقضى عليها ، وكانوا يعتبرون الولد المتبنى فى حكم ولد العصب ويرتبون على ذلك حرمة التزويج بأرملته أو طليقته ـ فزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من طليقة زيد الذى تبناه قضاءعلى جاهلية القوم .

سودة بنت زمعه :

فى حياتها تضحيــــــة بالنفس اذ تزوجت النبى وهى تعلم ان فى هذا الزواج مواساة لها وتكريما لصبرها وجهادها فدخلت بيته لرعاية صغيرته الزهراء وشقيقاتها زينب ورقيــــــة وام كلثوم . وبذلكانصرف الرسول الى دعوته وهو مطمئن لتدبير سودة ورصانتها وايمانها به رسولا وزوجا ، كرمها بعطفه ورحمتــــه وجعلها بهذا التكريم اما للمؤمنين .

صفية بنت حيى بن اخطب :

من بنى اسرائيل من سبط هـــارون بن عمران. ومن حياتها اتضحت لنا حقيقة صفية المسلمة المؤمنة بالله ورسوله التى اختارت النبى زوجا لها وآمنت به وتركت دينها كما ظهرت لنا تضحيتها واخلاصهـــا للرسول فى مرضه .

حفصة بنت عمر بن الخطاب :

الصحابية ، الجليلة ، الصالحة ، القوامة ، الصوامة، بلغت من الرصانة والتقوى ما انزلها منزلة طيبة عند النبى حيث بقيت حفيظة على وصية ابيها فى استرضاء عائشة واكتساب ثقتها خوفا على شعور الرسول وحسبانا لما قد تلقاه من ابيها وبذلك لم يصدر منه ما يعكر صفوها . كما كانت تشارك النبى وتعاونه فى رسالته .

أم سلمة : هند بنت ابى امية المخزومية :

كانت زوجة مخلصة واما فاضلة اجتمع لها من الفضائل علو الاخلاق وجودة الفكر وصحة الراى والدليل على ذلك استشارة النبى لهـا فى أموره ، ففى حياتها جهاد وكفاح .

مارية القبطية :

مارية بنت شمعون اهداها عظيم القبط صاحب الاسكندرية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أول مصرية تعتنق الاسلام أسعدها الله بمعاشرة النبى ورزقه الله منهـا بابراهيم . وفى حياتها نرى كيف آمنت هذه السيدة القبطية بالنبى ولم تجد فى تعاليمـه أى شىء يخالف ما جاء به الســيد المسيح ، ولقد كان المصريون كما هو معروف عنهم اشد شعوب الارض تدينا واعمقهم ايمانا بالله .

أم حبيبة : رملة بنت ابى سفيان :

المهاجرة ، المؤمنة ، الصادقة ، كانت بنت زعيم وقائد المشركين . تزوجت من ابن عمة الرسول عبد الله بن جحش ثم فارقهـــا وهجرها فكافأها الرسول وجعلها اما للمؤمنين وكانت دافعـا لاعتناق ابيهـــا ابى سفيان الاسلام فكرمه الرسول بأن قال « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن .. »

وبذلك يكون عدد زوجات النبى ثلاثة عشر كما استعرضتهم فى لمحات قصيرة .

والحكمة فى هذا التعدد هى القيام باعباء الرسالة ، ومدافعة المعتدين ، هى السياســة الرشيدة ، وتربية الأمة وضرب المثل الكاهـل لها فى معاشرة النساء بالمعروف والعدل بينهن، وتخريج نساء معلمات ، يعلمن الاحكام الشرعية الخاصة بهن ، مما كان صلى الله عليه وسـلم يستحيى أن يخاطب بها النساء فيما يخصهن احيانا من مواعظ .

فكل واحدة من أمهاتنا المؤمنات ضربت لنا المثل الاعلى وروى عنها الكثير حتى أن صفية اليهودية روى عنها أبن أخ مسلم

واكتفى بهذا القدر من حكمة تعدد ازواج النبى لأقول ان امهاتنا المؤمنات كن معلمات ومفتيات للنساء وللرجال بما لايعلم عنه غيرهن من احكام شرعية وحكم وامثال نبوية ، وكـن القدوة الحسنة ، الصالحة فى الخير وعمـل البر .

وبذلك فان المرأة المسلمة فى كل زمان ومكان لو استطاعت ان تنهج منهاج امهات المؤمنين وتسلك سلوكهن .. تستطيع ان نقول دون تردد ان المرأة قد وصلت الى مكانتها المرموقة لتمارس حياتها فى الحياة كاملا .

إعداد نجاة الزنيرى

مؤتمر المرأة الأفريقية الآسيوية

ما بين يناير ١٩٦١ ويونية ١٩٦٥

ان نشاط المرأة فى مؤتمر التضامن الافريقى الاسيوى هو أحد النشاطات الأساسية التى تتآزر مع كفاح شعوب القارتين العظيمتين للوصول الى مستقبل أفضل . ذلك أن المرأة لم تتخل عن الاشتراك فى تحرير بلادها أينما كانت .. ولكن اشتراكها الفعلى فى المؤتمر الافريقى الاسيوى هو دليل اليقظة الثورية التى تجتاح شعوب المنطقة .

ولعل كفاح المرأة فى القارتين الافريقية والاسيوية له من السمات الخاصة ما تنفرد به عن غيرها فى بقية أنحاء العالم . ذلك أن هذه المنطقة العريقة قد عانت من ويلات الاستعمار الغربى وتحالفه غير المقدس مع الأنظمة الرجعية التى تخلفت بالمرأة خصوصا تخلفا مريرا بعيد المدى ..

لهذا جاء التحالف العظيم بين جميع فئات الشعوب الأفريقية والآسيوية ضرورة تاريخية فى نضال الانسان .. ولهذا أيضا كان دور المرأة من أخطر الأدوار التى عرفها كفاحها على مر العصور ..

٥٥٥

كانت القاهرة مقر المؤتمر الأول للمرأة الافريقية الآسيوية فى يناير ١٩٦١ . اجتمعت فى هذا المؤتمر مندوبات من ستة وثلاثين دولة افريقية وآسيوية . وانتهى المؤتمر بقرارات هامة فى مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ـ كما قام المؤتمر بدراسات عميقة وجادة للمشاكل التى تواجه المرأة الأفريقية والآسيوية .

ويقول الأستاذ يوسف السباعى السكرتير العام لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية والآسيوية : « ... ان نظرة سريعة الى الفترة الماضية لتدلنا على أنه قد تحقق الكثير مما أوصى به المؤتمر الأول ، وأحرزت المرأة الافريقية

الآسيوية ، فى مختلف أنحـاء العالم الافريقى الآسيوى انتصارات هامة ، وقطعت شوطا طويلا نحو الوصول الى هدفها فى الحياة الحرة الكريمة التى تليق بمكانة الأم والزوجة والابنة .

هذه الحيـاة التى تنبثق أولا من الأسرة ، والأسرة نواة المجتمع، ودعامته. وبعد انفضاض المؤتمر الأول للمرأة الافريقية والآسيوية ، وبعد أن حقق هذا المؤتمر نجاحا ملموسا ، ووضـع علامات الطريق أمام كفـاح المرأة الافريقيـة الآسيوية ، كانت مهمة الاستعداد لعقد المؤتمر الثانى للمرأة الأفريقية الآسيوية من أولى المهمات التى أولتها السكرتارية الدائمـة للتضـامن الافريقى الآسيوى كل الاهتمام . وقد تشكل فى السكرتارية الدائمـة مكتب دائم للمرأة الأفريقية الآسيوية من مندوبات عن الجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليابان وأندونيسيا وجنوب افريقيا . كان من عمله مداومة الاتصال بالهيئات النسائية فى مختلف أنحاء افريقيـا وآسيا عن طريق لجان وهيئـات التضامن واصدار نشرة تنعكس فيها اتجاهات العمـل والتفكير فى كفاح المرأة الافريقيـة الآسيوية الذى لا ينفصل عن كفاح الشعوب نفسها والذى يكون جزءا لا يتجزأ منه ... »

وتكونت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الثانى من خمسة وعشرين بلدا أفريقيا وآسيويا . وتم انعقاد اللجنة فى الفترة من ١٦ - ١٩ يناير ١٩٦٥ لتقرير الخطوات العملية لانعقاد المؤتمر الثانى الذى رحبت الجزائر بانعقاده فى أرضها فى شهر يونيو القادم . وكان وفد القـاهرة يتكون من الدكتـورة سـهير القلماوى . والأستاذة مفيدة عبد الرحمن وأمينة السـعيد وكريمة السعيد وبهية كرم وسميه فهمى .

ومن باكستان جاءت (نجمة خان) ابنـة سفير باكستان فى الجزائر . ومن السودان جاءت (بسيمة رزق سعيد) . ومن تونس (أم كلثوم الميلى وسميرة بنغازى) . ومن اليمن (صفية الحمدانى وليلى يحيى العلوى) . ومن الجزائر (زوليخه بيقدوره وليلى شريف زهار وصفيه بن معادى وزهور ونيس وحورية تشايس) ... الخ .

وافتتحت الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة الشئون الاجتماعية المؤتمر وتحدثت عن مكاسب المرأة فى عهد الثورة .. تلك المكاسب التى نالتها نتيجة كفاحها المتواصل منذ سنة ١٩١٩، - قالت :

« .. انها فرصة كبيرة وسعيدة أن فوجئت بدعوة كريمة من المؤتمر لرؤيتكم رأى العين والترحيب بكم هنا فى الجمهورية العربيـة المتحدة ترحيبا من القلب .

واهتمام الجمهورية العربية المتحدة بالمرأة وبمشاكلها يعتبر فى الواقع من المعالم البارزة التى تبنتها الثورة منذ سنة ١٩٥٢ - وقد سبق هذا العهد صراع مر بين المجتمع وبين المرأة فى شتى المجالات . وبدأت هذه الحركة منذ ثورة سنة ١٩١٩ واعتبرت عدة زعيمـات نسائيات خالدات فى التاريخ . وأعتقد أن المشكلات التى ستعالجنها فى هذه اللجنـة التحضيرية هى مشكلات تهم كل امرأة فى العالم كله وبالأخص فى العالم الآسيوى والأفريقى ، فجميع الدول النامية تشترك معا فى هذه المشكلات ولا سيما ما يختص بالمرأة ومركزها فى المجتمع . وقد عقدت مؤتمرات هنا كثيرة لمعالجـة مشكلات المرأة فى الجمهورية العربية المتحدة من بينها مشكلة المرأة العاملة فى العام الماضى ومؤتمـر الأسرة فى هذا العام ، يليه مؤتمر الطفولة فى ابريل من هذا العام أيضا .

كل هذه مشكلات لا بد أنها تعترض كل دولة ناهضة فى نهضتها الاجتماعية وفى نهضتهـا السياسية وفى نهضتها الاقتصادية أيضا، ولكنى أريد أن أعزز الرأى الذى يقـول ان الصراع الذى يجرى اليوم بين جميع الدول المختلفة على الحلول ، يمكن حلها هنا مع المرأة لأنها هى التى تربى الطفل وهى التى تستطيع أن تتبناه وتجعل منه مواطنا يحب العالم كله ويحب السلم والتفاهم من أجل سعادة الشعوب .

وفى هذه الأثناء ، أود أن أقول فى كلمات قليلة أننا وان اجتمعنا هنا لمعالجة مشـاكل المرأة فى أفريقيا وآسـيا الا أننى أحب أن أحدثكم باعتبارى امرأة أحدثكم من القلب . والواقع أننا نعرف أنفسنا وأن لدينا امكانيات

كبيرة ونستطيع أن نستخدم هذه الامكانيات لاصلاح المجتمع .

ولذلك فان ما أحب أن أقوله بشأن هذه الخلافات بصفة أساسية ، كما قلت من قبل هو أننا علينا ان نحلها فان ذلك يعطينا من الناحية النفسية احساسا بالأمن الاجتماعي واحساسا بالثقة بأنفسنا . ان ما نراه هنا في كفاحنا ، هو أن المرأة تستطيع أن تقف مع الرجل في نطاق برنامج موحد لبناء المجتمع .

هذه هي في الواقع الرسالة التي نحاول أن نؤديها هنا في الجمهورية العربية المتحدة .. »

وألقى الأستاذ يوسف السباعي كلمة افتتحها بقوله :

« .. يسعدني أن أرحب بكن في القاهرة ، باسم السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية ، اذ تجتمعن اليوم لاعداد الخطوات النهائية نحو انعقاد المؤتمر الثاني للمرأة الافريقية الآسيوية ، هذا المؤتمر الذي لا شك سوف يكون حدثا هاما في تاريخ كفاح المرأة في أفريقيا وآسيا لتحقيق أهدافها السامية التي تتفق في الوقت نفسه مع أهداف الشعوب الافريقية الآسيوية وأهداف الانسانية المحبة للعدالة والحرية والسلام » . ثم تحدث عن المؤتمر الأول (يناير ١٩٦١) ونتائجه « كما ذكرت في أول هذا المقال .. » ـ ثم تتابعت الوفود بالقاء كلماتهن ..

وانتهت اللجنة التحضيرية وسط جو من الصداقة ، الى الاتفاق على عقد المؤتمر الثاني في خلال النصف الأول من شهر يونيو القادم في الجزائر . كما تم الاتفاق على مشروع جدول أعمال للمؤتمر القادم من خمس نقط :

* عرض لأوجه نشاط المرأة الأفريقية الآسيوية ، وتحليل لموقفها منذ المؤتمر الأول للمرأة الافريقية الآسيوية ، ومستقبل الكفاح أمامها .
* دور المرأة الأفريقية الآسيوية وتعبئتها في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد .
* دور المرأة الافريقية والآسيوية في اعادة البناء القومي اقتصاديا وثقافيا .
* كفاح المرأة الأفريقية الآسيوية من أجل حقوقها الثقافية والاجتماعية والسياسية .
* دور المرأة الافريقية الآسيوية في تربية الأطفال والرعاية الصحية .

...

وبعد ... فيما بين يناير ١٩٦١ ويونيو ١٩٦٥ ـ مر تاريخ المرأة في القارتين أفريقيا وآسيا بتطورات كثيرة وكبيرة .. واستطاعت أن تحقق العديد من الانتصارات الرائعة .. لذلك كان لزاما أن تجتمع نساء أفريقيا وآسيا ليستعرضن ما فات ويتدارسن مستقبل الكفاح أمامهن .

ولا يسعنا الا أن نترقب المؤتمر الثاني الذي سيعقد في يونيو القادم في أرض الجزائر الشقيق . أرض المليون شهيد . أرض جميلة بوحريد . رمز الكفاح والنضال من أجل الحرية والكرامة ..

مواقيت الصلاة

الأيام	ذو القعدة ١٣٨٤	مارس ١٩٦٥	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الخميس	١	٤	٥٢	٤	١٨	٦	٧	١٢	٢٦	٣	٥٦	٥	١٣	٧
الجمعة	٢	٥	٥١		١٧		٧		٢٧		٥٧		١٤	
السبت	٣	٦	٥٠		١٦		٧		٢٧		٥٧		١٤	
الأحد	٤	٧	٤٨		١٥		٦		٢٧		٥٨		١٥	
الاثنين	٥	٨	٤٧		١٤		٦		٢٧		٥٩		١٦	
الثلاثاء	٦	٩	٤٦		١٣		٦		٢٨		٥٩		١٦	
الأربعاء	٧	١٠	٤٥		١١		٥		٢٨		٠٠	٦	١٧	
الخميس	٨	١١	٤٤		١٠		٥		٢٨		٠٠		١٧	
الجمعة	٩	١٢	٤٣		٨		٥		٢٨		١		١٨	
السبت	١٠	١٣	٤٢		٧		٥		٢٨		٢		١٩	
الأحد	١١	١٤	٤١		٦		٥		٢٩		٢		١٩	
الاثنين	١٢	١٥	٣٩		٥		٤		٢٩		٣		٢٠	
الثلاثاء	١٣	١٦	٣٨		٤		٤		٢٩		٤		٢١	
الأربعاء	١٤	١٧	٣٧		٣		٤		٢٩		٤		٢٢	
الخميس	١٥	١٨	٣٥		٢		٣		٢٩		٥		٢٣	
الجمعة	١٦	١٩	٣٤		١		٣		٢٩		٥		٢٣	
السبت	١٧	٢٠	٣٢		٥٩	٥	٢		٢٩		٦		٢٤	
الأحد	١٨	٢١	٣١		٥٨		٢		٣٠		٦		٢٤	
الاثنين	١٩	٢٢	٣٠		٥٦		٢		٣٠		٧		٢٥	
الثلاثاء	٢٠	٢٣	٢٩		٥٥		٢		٣٠		٨		٢٦	
الأربعاء	٢١	٢٤	٢٨		٥٤		٢		٣٠		٩		٢٧	
الخميس	٢٢	٢٥	٢٧		٥٣		٢		٣٠		٩		٢٧	
الجمعة	٢٣	٢٦	٢٥		٥٢		١		٣٠		١٠		٢٨	
السبت	٢٤	٢٧	٢٤		٥١		١		٣٠		١٠		٢٨	
الأحد	٢٥	٢٨	٢٢		٤٩		٠٠		٣٠		١١		٢٩	
الاثنين	٢٦	٢٩	٢١		٤٨		٠٠		٣٠		١٢		٣٠	
الثلاثاء	٢٧	٣٠	٢٠		٤٧		٠٠		٣٠		١٢		٣٠	
الأربعاء	٢٨	١١	١٨		٤٥		٥٩	١١	٣٠		١٣		٣١	
الخميس	٢٩	ابريل ١	١٧		٤٤		٥٩		٣٠		١٤		٣٢	
الجمعة	٣٠	٢	١٦		٤٣		٥٩		٣٠		١٤		٣٢	

كازوكو تونووكا
التي أصبحت
فاطمة تونووكا

ما اجمل اللقاء على دين محمد بن عبد الله ، دين العزة والكرامة ، دين السماحةواليسر ، لقاء يتجدد فى كل شهر نلتقى فيه مع الذين هداهم الله الى نوره ، فشرح صدرهم للاسلام ، فتركوا الظلام وساروا فى طريق النور ، النور الذى قادهم الى الهداية والتوفيق ، النور الذى انار قلوبهم وأزال عنها ظلام الكفر والضلال ، وتمر الأيام ويزداد دين الله قوة ، وينتشر بلا حدود .. لانه الدين الحق ، دين البشرية جمعاء .

ولقاؤنا اليوم مع أخت مسلمة حضرت من اليابان راغبة فى اعتناق الاسلام لانها عرفت أن الحق هو فى دين الاسلام .. والتقينا بها فى مكتب فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر لحظة نطقها بشهادة « أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » .. كانت لحظات ممتعة .. تلك التى يولد فيها انسان جديد .. يولد فى نور الحق .. وعلى دين الحق .. وبعد أن تمت اجراءات الاشهار تقدمنا اليها مهنئين وسألناها عن قصة اسلامها ؟ فقالت :

ولدت فى اليابان وشببت على دين آبائى : البوذية .. وأتممت دراستى وتخرجت فى كلية الاقتصاد .. وبعد تخرجى عملت فى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى طوكيو .. وهناك كان أول لقاء لى مع « الاسلام » لقد شاهدت المصريين هناك .. وبحكم عملى استطعت ان اتعرف على احوال المصريين المسلمين ..واعجبت بأخلاقهم وحسن معاملتهم ، وزاد انتباهى حينما كانوا يتركون مافى أيديهم عندما يحين موعد الصلاة ، فيصطفون صفا واحدا يؤدون حركات منتظمة ، فسألت عن ذلك ، فكانت الاجابة اننا نؤدى فريضة الصلاة .. عبادة الله سبحانه وتعالى !! ومرت الأيام وازددت معرفة بدين الاسلام .. وتعلمت الكثير .. قرأت عن القرآن الكريم .. وقرأت بعض الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية .

وازددت رغبة فى زيارة الجمهورية العربية المتحدة كعبة المسلمين وازداد شغفى لدراسة « الاسلام » ..

وسارعت الى الحضور للقاهرة ، وهاقد تم لى ذلك ، وأول شيء فعلته هو ان اشهرت اسلامى ، وحينما وجه الى فضيلة الامام الأكبر سؤالا عن نوع الدراسة التى أريد أن أكملها فى القاهرة .. قلت له : أول كل شيء اريد ان أتعلم اللغة العربية لأنى أريد أن أقرأ القرآن الكريم .. وبعد تعلمى اللغة العربية سوف ألتحق بالازهر الشريف لدراسة التاريخ الاسلامى ..

تلك هى الرسالة التى من أجلها حضرت الى القاهرة ، هذه هى قصة اسلامى .. اما لماذا اسلمت ؟ فذلك يرجع الى اننى حينما توسعت مداركى ونما عقلى وجدت اننا كنا نعيش فى اليابان فى كفر مبين .. فعبادة الاوثان هى عبادة خاطئة .. وقد وجدت فى الاسلام ما اشبع رغبتى فى المعرفة .. عرفت أن الله سبحانه وتعالى ليس بشرا وانما هو اله واحد لامثيل له ولا شريك ، هو الخالق البارىء المصور القادر على كل شيء .. ثم وجدت فى الشريعة الاسلامية السمحة السهولة واليسر والسماحة لكل هذا أسلمت وآمنت بأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتيمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسميت على اسم ابنته « فاطمة الزهراء » فاخذت اسم فاطمة .. هذه هى قصة اسلامى ..

وخرجت من مكتب فضيلة الامام الاكبر داعيا الله أن يسطع نور الاسلام فيعم العالمين .. والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أنت تسأل ... ؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ من المواطن السيد محمد عبد المعطى محمد يوسف - من طنيخ مركز طلخا .

خطب السائل فتـــاة لمدة ثلاث سنوات وحينما أراد الدخول بها أراد أن يفض بكارتها بآلته وأراد أهلوها أن يفضها باصبعه جريا على تقاليد البلدة واحتدم النزاع وكل يتمسك بموقفه . فهل يتبع السائل عادة البلدة فينتهى الأمر باصبعه وهو مالا يرتضيه أو يطلقهـــا ويتحمل المصاريف الباهظة التى انفقها عليها . فما حكم الشرع لو نزل على ارادة أهلها وفض بكارتها باصبعه ، هل يكون فى ذلك مخالفـــة للشرع أم لا ؟

ج ١ - فض البكارة كمـــا ارى من الأمور الخاصة التى تكون بين الزوج وزوجته بل هى من اخص المسائل التى يجب أن تترك للزوجين يتصرفان فيها كما يشاءان .

والرجل بعد أن يعقد على زوجته اصبحت زوجته حرثا له يأتيها فى موضع الحرث كيف يشاء . قال تعالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم »

وقد يكون من كمال استمتاع الزوجين كل بصاحبه ان تفض بكارة الزوجة بعضو التناسل الخاص بذلك ، وليس لأحد من اهل الزوجين التدخل فى مثل هذه الامور .

الا أنه اذا احتدم الخلاف واشتد النزاع وصمم أهل الزوجة تبعا لعرفهم على فض البكارة بالطريقة التى تعارفوا عليهـــا وخيروا الزوج بين ذلك وبين الطلاق ، فعلى الزوج ان يخضع لرأى اهل الزوجة فيفض بكارتها كمـــا يشاءون ولا يقدم على تطليق زوجته فانه حين يفض بكارتها بطريقتهم البدائية الجاهلية التى قد تسبب ضررا للزوجة يرتكب بذلك اخف الضررين فضرر ذلك أخف من الضرر الاجتماعى الذى ينشأ من الطلاق .

هذا فضلا عن أنه ان كـــان فى فض بكارة الزوجة بالطريقة التى يريدهـــا الزوج وهى الطريقة الطبيعية مصلحة تعود عليه وعلـــى زوجته متعة وصحة ، الا ان الطلاق يترتب عليه كثير من المفاسد والمضـــار ، والقاعدة الشرعية تقول : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

هذا واننى بهذه المناسبة اوجه الأنظار الى انه لا يجوز لبعض الطوائف ان تقف جامدة أمام تقاليد بالية وتتمسك بعرف فاسد لاسند له من الدين ولا الخلق بل انه يتنـــافى مع مبادىء الانسانية ، والذوق السليـــم ، ولا يجوز بحال ان تكون هذه التقاليد على فسادها سببا فى هدم بيوت الزوجية فى أول يوم من ايامها بل فى أسعد يوم من ايامها وليكن الحكم بين الطرفين العقل والخلق والدين . هـــدانا الله جميعا سواء السبيل .

س ٢ - ومن نفس السائل :

شقيقتان أنجبت احداهمــا اناثا وانجبت الاخرى ذكورا ، وارضعت أم البنات ولدا من أولاد اختها ، ويريد الرضيع ان يتزوج احدى بنات خالته التى أرضعته • أيحرم عليـه من رضع معها دون الباقيات ؟ أم تحرم البنـات كلهن عليه ؟•

جـ ٢ قال تعالى « حرمت عليـكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وأمهـاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة » .

وقال صلى الله عليــه وسلم « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » ، واذا كـان الولد المسئول عنه قد رضع من خالته خمس رضعات مشبعات فان خالته تكون اما له من الرضاعة ويكون هو اخا لجميع بناتها ويحرم عليه ان يتزوج باحداهن سواء من رضع معها ومن لم يرضع معها ، واما اذا كانت الرضعات أقل من خمس مشبعات فالتحريم ثابت عند جمهور الفقهاء خلافا للامام الشافعى .

وراى للامام احمــد فعندهما لا يثبت التحريم للارضاع باقل من خمس رضعـات مشبعات وحينئذ يجوز لهذا الولد فى مثـل هذه الحالة ان يتزوج من يشــاء من بنات خالته . والله اعلم .

س ٣ - من المواطن السيد/مصطفى عبد الله عبد المنعم - من شوفى مركز طنطا :

يشكو من أن زوجته التى تزوجهــا من عشرة شهور تخونه بسرقة أمواله وأموال عمه وهى حامل منه وقد طردها الى منزل أهلهـا ويريد لعودتها ان تحلف أنها لم تسرق منه ومن عمه واذا حلفت فسيسكنها فى بيت آخر غير البيت الكبير الذى يوجد فيـه عمه زوج أمه ولكن أهلهـا مصممون على عدم اليميـن وعدم اقامتهــا فى مسكن آخر • ويسأل بماذا يتصرف ؟•

جـ ٣ - ان على السائل أن يعظ زوجتـه وينصحها بالاستقامة والتحلى بالأمانة وان يحضر جماعة من اهل الخير ممن لهم تأثير على اهل زوجته ويقنعهم بحياتك مع زوجتك فى مسكن شرعى مستقل عن مسكن عمه ووالدته حتى تكون بعيدة عن مصدر الاتهام وحتى يمكن ان يعود الصفاء بينهما حتى اذا ما وضعت حملها تفرغا لتربية وليدهما فى ظل الحياة الهانئـة السعيدة . والله الموفق .

س ٤ - من المواطن السيد/عوض داود سليمان .. مفاغة شارع الجمهورية :

للسائل ولدان بالغان ميسوران بمرتب كل منهما وبما عنده من مدخرات فى صورة أدوات ترفيه فى منزله ، والسائل فقير وليس لديه مايسد حاجياته الضرورية وقد طالب كلا من ولديه بالانفاق عليه كلا حسب حالته، وامتنعا مع أن السائل يعول أولادا صـغارا فى دور التعليم وهولا يملك شيئا من حطام الدنيـا ويسأل عن الوسيلة التى يتمكن بها من أخذ نفقة على كل منهما .

جـ ٤ - قال الله تعالى « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » وقــال سبحانه « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » وقال تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » وقال تعــالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين .. الخ الآية . وكذلـك اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن صحابة الوالدين . وحسن الصحبة للوالدين والاحسان اليهما انما يكون برعاية شئونهم والانفاق عليهما اذا كانا فقيرين . ولذلك فان نفقة الوالدين واجبة على أولادهما الموسرين ما دام الوالدان فقــيرين حتى ولو كـانا يستطيعان التكسب وحتى لو كانا كافرين فان نفقتهما واجبة على أولادهما المسـلمين قال تعالى « وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيـا معروفا » وليس من المعروف تركهما بلا نفقة وهما فقيران .

فاذا امتنع الولد الموسر عن الانفـاق على والديه واخوته الصـغار الفقراء كما ورد فى سؤال السائل فان للوالد ان يرفع أمره الـى محكمة الاحوال الشخصية مطالبا بنفقته ونفقة أولاده الصغار على ولديه البالغين الموسرين .

س ٥ – من المواطن : عبد الخالق عقل – بالجيزة :

يسال عن كيفية توزيع التركة الموروثة فى المسالة الآتية :

مات محمد ولا زوجة له ولا اولاد ولا ابوين ولا أخا شقيقا أو غير شقيق ولا أختا شقيقة وله ثلاثة اولاد اخ شقيق ذكور هم « حسن وحسين وعبد الهادى » وأولاد أخت شقيقة ذكورا واناثا وهم « سعد وفاطمة ونبوية وفوزية » ولو أيضا أخوات أناث غير شقيقات من أبيه وهن «نظلة وامينة وحكمت ونفوسة» فمن الذى يرث ومن لا يرث وما نصيب الوارث ؟

ج ٥ – ان تركة هذا المتوفى توزع بين اخواته من أبيه «نظلة وامينة وحكمت ونفوسه» وبين اولاد أخيه الشقيق الذكور « حسن وحسين وعبد الهادى » على أن يكون للاخوات نظلة وامينة وحكمت ونفوسه الثلثان فرضا يقسم بالتساوى بينهن ، والباقى وهو الثلث لأولاد الاخ الشقيق الذكور « حسن وحسين وعبد الهادى » . تعصيبا يقسم بالتساوى بينهم . ولا شىء من التركة لاولاد الاخت « سعد وفاطمة ونبوية وفوزية » لأنهم من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام مع أصحاب الفروض والعصبيات . والله أعلم .

س ٦ – من الاخ السيد/نصر الحاجى – بنك ليبيا بطرابلس الغرب – المركز الرئيسى :

شاب فى مبدأ البلوغ جامع عمدا فى نهار رمضان . فما الذى يلزمه من كفارة وما رأى الاسلام فيمن أخر الكفارة لعدة سنين ؟

ج ٦ – ان من جامع عمدا فى نهار رمضان فسد صومه وعليه القضاء والكفارة والقضاء هو ان يقضى صوم اليوم الذى افسد صومه وأما الكفارة فهى تحرير رقبة فان لم يستطع فعليه أن يصوم شهرين متتابعين ليس فيهما يوم عيد ولا يوم من أيام التشريق فان أفطر يوما فعليه اعادة الشهرين كاملين ، فان لم يستطع الصوم فعليه ان يطعم ستين مسكينا يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين أو غدائين أو عشائين أو عشاء وسحورا أو يعطى كل فقير نصف صاع من بر أو دقيقه أو سويقة أو صاعا من تمر أو شعير أو قيمته والصاع قدحان وثلث بالكيل المصرى واذا اطعم فقيرا واحدا ستين يوما أجزاه ذلك .

ومن أخر الكفارة مع قدرته عليها فانها لا تسقط عنه ويجب عليه اداؤها ما دام حيا .

س ٧ – من السائل نفسه :

فى حفلة الاسراء والمعراج كان احد الخطباء يلقى كلمة وفى أثناء كلامه طلب من الحاضرين مساندته فى مقاطعة اليهود وسانده الحاضرون ولكن طرا لأحد ممن سانده ظرف حرج اضطره للتعامل معاليهود لأن اليهود يحتكرون حاجيات الشعب فى ليبيا . فهل تجب عليه الكفارة ؟ وما هى ؟ أفيكون غير ملزم باليمين اذا ما كفر عن نفسه ؟.

ج ٧ – لا يجوز لمسلم ان يتعاون مع اليهود الذين ناصبوا المسلمينالعداء واخرجوا العرب من ديارهم فلسطين وشردوهم وعذبوهم وقتلوهم وما زالوا يغتصبون ارضنا العربية العزيزة ويعتدون على بلادنا فمن يتعامل معهم من المسلمين فهو خائن لدينه وعروبته وهو عاص لربه آثم فى فعله قال تعالى « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاؤلئك هم الظالمون . وهذه الخيانة معصية تكفرها التوبة الصادقة والاقلاع عن التعامل مع اليهود واذا كان قد حلف بالله يمتنع عن المعاملة ثم حنث يمينه وجب عليه أن يكفر عن يمينه وذلك بأن يطعم عشرة مساكين غداء وعشاء أو غداءين أو عشاءين مشبعين من اوسط ما يطعم نفسه وأهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة فان لم يستطع فعليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعات لقوله تعالى « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » والله أعلم .

مع القراء

إعداد : فؤاد هيبه

عزيزى القارىء :

أن الأدب العربى من المقومات الأصيلة فى دعم القومية العربية .. فالقوميات الحديثة فى العالم الغربى تدين لآدابها فى قيامها والتمكين لها .. فمسرحيات شكسبير بصرت شعبه بخصائصه ، وتعاليم فولتير وأدب جان جاك روسو من العوامل الأساسية فى نجاح الثورة الفرنسية ، وأيرلندا تحررت بفضل أناشيد الحماسة والحرية ، كما كان لأدباء روسيا أمثال بوشكين وجوجل ، ودستويفسكى وتولستوى نصيب الأسد فى قهر الطغيان والفساد وسيادة الحرية والقانون .. والقومية العربية دعوة أصيلة ذات مبادىء راسخة وأهداف سامية ، والأدب العربى بفنونه المتباينة هو خير ناشر وموضح لها .. يحلق بها فى سماء الفضيلة والعدل فتتعلق بها القلوب المؤمنة .. ويشيد بها فى مجال القوة والحرية فتتحصن بها الشعوب ـ المحتلة منها والنامية مطالبة بالحرية من أجل الوحدة وبالوحدة من أجل القوة والرخاء ..

الوحدة العربية .. وتحرير فلسطين

السيد/على مصيلحى عبد الرازق ـ امام مسجد أم الحويطات بالبحر الأحمر

يعبر لنا فى قصيدته « صوت العائدين » عن تصميم العالم العربى على استرداد فلسطين الحبيبة فى ظل ناصر الحرية ومؤتمرات القمة العربية التى مهدت الطريق للوحدة العربية الشاملة .. قائلا :

يا فلسطين لقد آن الأوان
قد صحونا بعد أن طال الزمان
قد مضى الشعب حثيثا فى خطاه
يبتغى العودة كى يحيا الكيان
أمى يا أرض الرسالات العظام
شرد الأبناء مطرودو الأنام
اننى أدركت ما ينوى الأعادى
سوف ألقيهم هشيما للضرام
« ناصر » نادى ولبى المخلصون
أقسموا أن يعملوا فوق الجهود
يحمل الغصن ويدعو للسلام
وهو لم يغفل ألاعيب اليهود

« الطفل المسلم » .. (باب مقترح) ؟

السيد/عبد الصبور منير ـ ٧٩ شارع الجمهورية ـ دسوق

ان المجلة اذ تشكر لك هذه التحية الكريمة المعبرة عن أسمى المعانى الانسانية ، تحيى فيك هذا النقد البناء ، وتعدك بتحقيق اقتراحك بتخصيص باب جديد « للطفل المسلم » فور الانتهاء من بحثه ودراسته ، هذا وقد تلقى الشاعر العربى الكبير الأستاذ عبد الله شمس الدين تحيتك شاكرا لك هذه الروح الطيبة متمنيا لك دوام التوفيق ، وشكرا .

طريق النجاح .. طريق الكفاح

السيد/محمد محمد عبد الرحيم ـ دندرة ـ قنا :

ان رسالتك يا أخى بما تحمله من تذمر وقنوط لاتعبر عن نفس أديب ! فان مجال الأدب كفن رفيع لا يقتحمه الا كل طموح قادر على تحمل هزات النقد الأدبى البناء فى ثقة وعزم على مواصلة الكفاح بالبحث والاطلاع ، واعادة الكرة مرة بعد مرة **حتى يكتسب الخبرة والدربة والتمرس بأسرار الكتابة وأبعاد الحياة الأدبية حتى اذا ما عركها على أساس من التطبيق الأدبى الواعى استطاع أن يسلك طريقه فى ثقة واعتزاز بين طلائع الأدباء الناشئين ، والى أن تفرغ اللجنة الفنية من دراسة قصصك الأربع أتمنى لك مزيدا من التوفيق ، والى اللقاء**

بريد التعارف

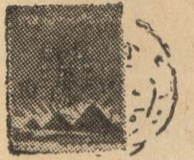
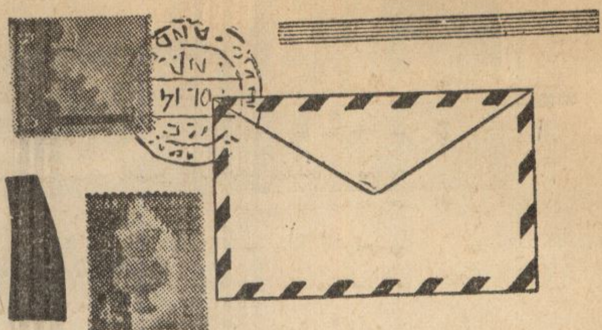

الاسم : صديق محمد صديق سلام
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بالاعدادية
الهواية : الاطلاع على الكتب الدينية والخطابة
العنوان : مدرسة النيل الاعدادية بالاقصر .

الاسم : صلاح جميل السفاريني
البلد : المملكة الاردنية الهاشمية
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب بمدرسة طوكرم الثانوية
الهواية : جمع الطوابع وقراءة الكتب الدينية
العنوان : مدرسة طولكرم الثانوية . الاردن .

الاسم : احمد حسن العسقلاني
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بالمدرسة السعيدية الثانوية
الهواية : جمع الطوابع المراسلة
العنوان : الحوامدية شارع الشهيد سمير صادق

الاسم : محمد نجيب حافظ خليفة
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب بمدرسة المعهد العلمي الاعدادية
الهواية : القراءة والاطلاع
العنوان : عطفة الحسينية بالبقل ١٤

الاسم : عبد الرحمن يوسف محمد
البلد : البحرين
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بالمدرسة الثانوية
الهواية : جمع الطوابع - ومراسلة الجنسين
العنوان : فريق الينعل - رقم ٢٤٧٢/٢ المحرق . البحرين - الخليج العربي

الاسم : محمد احمد محمد سعيد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الرمل الثانوية القديمة
الهواية : القراءة الدينية والسياسية والادبية المراسلة. الرحلات . تبادل الاراء والمعلومات العامة المفيدة .
العنوان : الاسكندرية- فلمنج شارع الكامل ١٥.

اقرأ فى هذا العدد :

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الوحدة السابع

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى ٦

الايمان قوة فى التنظيم الجديد ... ... للسيد حسين الشافعى ... ...
نائب رئيس الجمهورية ٨

حديث مع عبد الوهاب فايد ... ... القائم بالشئون القنصلية التونسية
بالقاهرة ١١

عبقرية عمر ... ... لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٤

الاسلام والقومية العربية ... ... للدكتور احمد الحوفى ١٨

بيعة الصديق ... ... للاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ٢٠

الحديث عن الحسد فى ضوء الدين والواقع لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٢٦

مالايجوز الخلاف فيه ... ... لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٣٠

الحج ... ... للفريق عبد الرحمن امين ٣٥

اعجاز القرآن فى اصول الاحكام ... ... للاستاذ محمود كمال ٣٧

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ... ... للاستاذ حسنى عبد المجيد ٤٠

خواطر مستشار ... ... للمستشار على على منصور ٤٤

حول تعدد الزوجات ... ... للاستاذ البهى الخولى ٥١

الكلمة المسلمة ... ... للاستاذ انور الجندى ٤٧

الحج واثره فى نفوس الحجيج ... ... للاستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى ... ٥٦

عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى ... ... لفضيلة الشيخ عبد الله المشد ٦٠

اسرائيل وحرية الملاحة فى قناة السويس ... للدكتور ثروت بدوى ٦٣

من توجيهات النبوة ... ... للاستاذ عبد الحميد بلبع ٦٥

الزار خرافة ... ... للاستاذ على الجندى ٦٨

من هم الذين ترجموا رباعيات الخيام ... ... لسماحة الاستاذ مبشر الطرازى ٧١

الاسلام وحقوق الانسان ... ... للاستاذ اسماعيل كشميرى ٧٥

الاسلام والمحافظة على الصحة ... ... للدكتور محمد محمد ابو شهبة ٧٧

نظم التكافل والضمان الاجتماعى فى الاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ٧٩

دور الاسرة العربية فى النضال القومى ... للدكتور محمد طلعت عيسى ٨٢

اليهودية ... ... للدكتور أحمد شلبى ٨٧

عبد الناصر .. صانع السلام ... ... للاستاذ كامل عبد المجيد ٩٠

الوحدة الاسلامية ... ... للدكتور فؤاد محمد فخر الدين ٩٣

اهل السنة فى مصر ... ... للدكتور محمد جمال الدين سرور ... ٩٥

القرآن الكريم بين شاعرين ... ... للاستاذ على الجمبلاطى ٩٧

لاسبيل الا الاسلام ... ... للاستاذ ابراهيم على أبو الخشب ... ١٠٠

حاجة المجتمع الى الدين ... ... للاستاذ محمود شوكت العدوى ١٠٢

حكمة الحج ... ... للاستاذ عبد الحكيم على مصطفى ١٠٤

الاسلام بين العقل والنقل ... ... للاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ١٠٧

حب الله بعض عباده ... ... للاستاذ محمد محمد فهيم ١٠٩

اناء مشترك ... ... للاستاذ أحمد محمد بريرى ١١١

غزوة بنى قينقاع ... ... للاستاذ محمد فرج ١١٣

دراسات فى التاريخ الاسلامى ... ... للدكتور أحمد ابراهيم الشريف ١١٦

فلسطين ... ... للاستاذ محمد عبد العزيز حسن ١١٩

حياة المقر الشهابى ... ... للاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ١٢١

القرآن الكريم وصحائف اليهود ... ... للاستاذ حسن الشيخة ١٢٤

صفحة

الاسلام يوجه النفوس الى المثل الاعلى	للاستاذ عبد العال السيد شعيب	١٢٦
اعجاز القرآن البيانى	الدكتور حفنى محمد شرف	١٢٩
انسان الاسلام حر	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٣٤
من اعمال الفلكيين العرب	الدكتور عبد الحليم منتصر	١٣٨
العالم فى مرآة الاسلام	الاستاذ عبد العليم المهدى	١٤٠
بيعة الرئيس (شعر)	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٤٥
اليوم نرفع باسمك الاعلاما (شعر)	الشاعر محمد هارون الحلو	١٤٦
دعاء (شعر)	الشاعرة روحية القلينى	١٤٨
الله	الشاعر ابراهيم حلمى الشواء	١٥٠
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٥٢
باب الرياضة	الاستاذ ناصف سليم	١٥٦
انتظار (قصة العدد)	الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله	١٦١
نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى اسوان		١٦٥
ماحققته الثورة المصرية للمراة العربية	تحقيق من اعداد عبد العظيم ملوك زينب ذكرى	١٧٧
اضواء على التاريخ الاسلامى	الاستاذ محمد محيى الدين الالوائى	١٨٢
اضواء على المسلمين فى العالم	اعداد رياض خليفة	١٨٥
ندوة الشهر	اعداد عبد الرحمن الشربينى	١٩٠
فن السجاد	الاستاذ احمد سعيد الدمرداش	١٩٣
القرآن والعلم	الدكتور جمال الدين الفندى	١٩٧
بين يدى امهات المؤمنين	اعداد عائشة حسنى	١٩٩
مؤتمر المراة الافريقية الآسيوية	اعداد نجاة الزنيرى	٢٠٢
لماذا اسلمت		٢٠٥
انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مامون	٢٠٦
مع القراء	اعداد فؤاد هيبه	٢٠٩
بريد التعارف		٢١٠

مجموعة اسطوانات

الصلاة

تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الآذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية